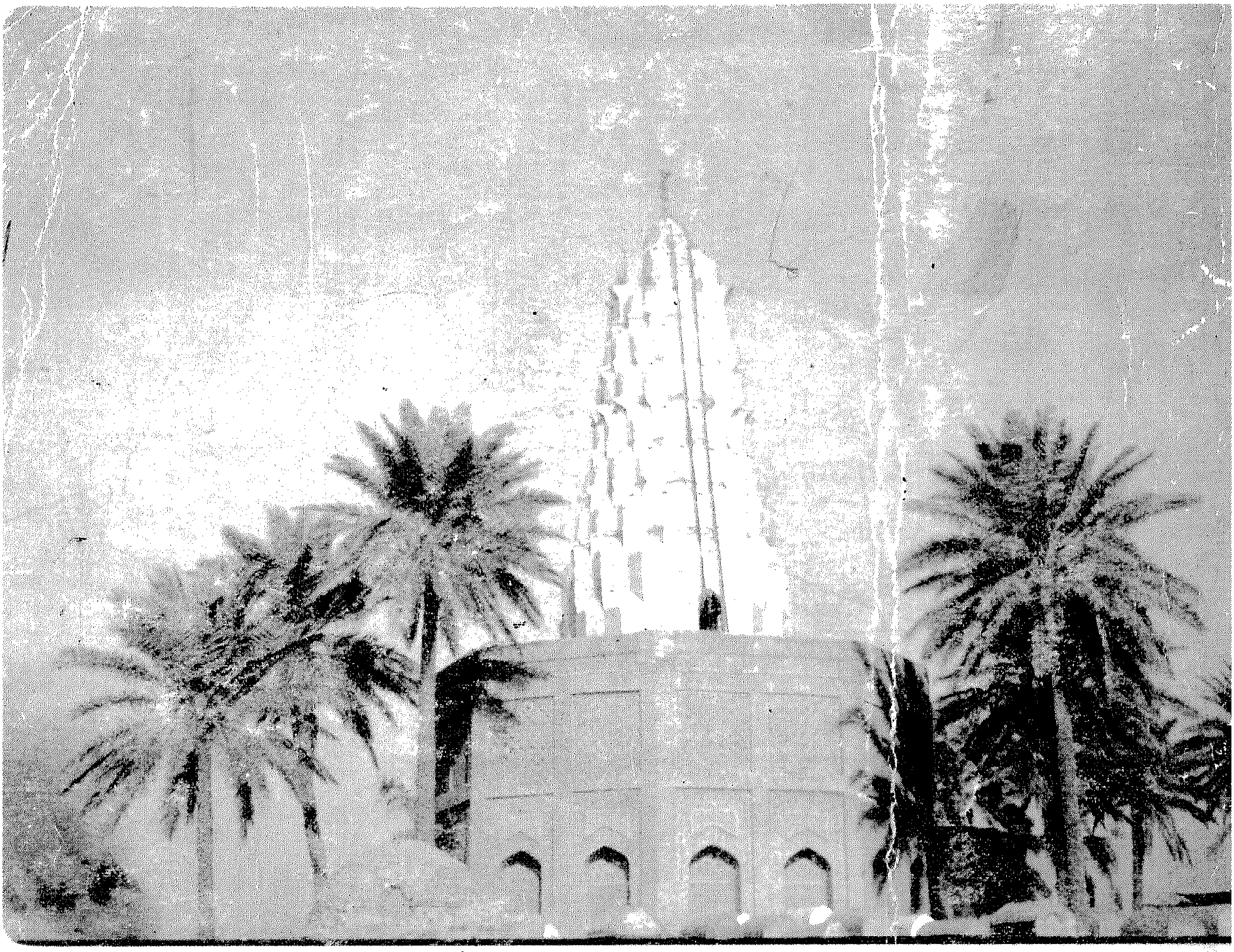

المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق

علاء الدين احمد العاني

الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام المؤسسة العامة للآثار والتراث

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
المؤسسة العامة للآثار والتراث

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٨٣ لسنة ١٩٨٢ .
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤسسة العامة للآثار والتراث .

المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق

المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق

علاء الدين احمد العاني

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
المؤسسة العامة للآثار والتراث

المحتويات

تقديم للدكتور مؤيد سعيد ٩
المقدمة ١١
القسم الاول ١٥
ما اصطلح عليه من اسماء عرفت بها
الابنية المقامة على القبور ١٧
موقف الاسلام من الابنية المقامة على القبور ٢٤
حالة العراق السياسية وحدوده الجغرافية ٢٨
ديوان الابنية ٣١
عمارات الخليفة الناصر لدين الله ٣٥
اسباب ندرة المباني الاسلامية ٤٠
القسم الثاني ٤٣
قبة مشهد امام الدور ٤٥
قبة تربة زمرد خاتون ٥٢
قبة مشهد الشمس ٥٨
قبة الحسن البصري ٦٢
قبة مشهد ذي الكفل ٦٥
قبة مشهد الشيخ عمر السهروردي ٦٩
القسم الثالث ٧٣
مراحل بناء القبة ٧٥

المواد البنائية ٧٨
قبة القبر ٨٠
قبة الصليبية ٨١
القبة المخروطة المضلعة ٨٥
القبة المخروطة المقرنصة ٩٠
السلاجقة ٩٣
انتشار القبة المخروطة المقرنصة ٩٤
مراحل تطور القبة المخروطة المقرنصة ٩٦
القسم الرابع ١٠١
العناصر العمارية والجمالية
المداخل والابواب ١٠٣
العقود ١٠٥
السلالم ١٠٦
القبر ١٠٧
مشاهد القبر ١٠٨
صندوق القبر ١١٠
المحراب المجوف ١١٣
الزخارف الجدارية ١٢٣
الحنايا والنوافذ ١٢٥
المقرنصات ١٢٦
القسم الخامس ١٣١
اثر المشاهد في الحياة العامة ١٣٣
المصادر ١٣٩
المخططات والصور ١٥٥

تقديم

أمتازت العمارة الاسلامية بتطورها السريع في العصر العباسي الى درجات من الرقي والنضج الذي صار مقياساً «مبدئياً» لكل فنون العمارة الاسلامية في العصور التي لحقتها . وقد يكون من الافضل ونحن نقرأ هذا الكتاب ان نتذكر ان عناصر عمارية معنية اصبحت امتيازاً «خاصاً» بالعراق أرضاً وتارخياً فلقد نشأت هنا فكرة الاقواس ، وكانت اولى الاقواس منذ بدايات العصر السومري ، كما عرف العراق الاقبية نصف الاسطوانية والشبيهة بها وخاصة هذه التي تغطي القاعات الطويلة والممرات والاوواين ثم ظهرت القبة الدائرية والتي تعتبر فنياً السقف الطبيعي للغرفة المربعة او الدائرية . ولقد اكتشفنا اخيراً في تل الگبة في تنقيبات منطقة سد حمرين على نهر ديالى شرقي بغداد بناء دائرياً يتكون من حلقات جدارية متداخلة تفصل بينها ممرات بعضها مازالت اثار التقبية ظاهرة عليه ، وبذلك يمكننا ان نسجل ان الاقبية (الحلقية) الدائرية عرفت في العراق المبكر ايضاً .

وفي مركز البناء غرفة دائرية لا يمكن ان تسقف الا بقبة دائرية وهذا ما توصلنا اليه والمنقبون اليابانيون ايضاً . ان القبة اذن بناء عراقي – رافديني معروف منذ عصر حلف في مباني الثولوس واصابته التحسينات المتعددة فتحول الى طراز مع الزمن والذي يبدو لي ان عدم انتشار القبة يعود الى قلة استخدام الغرف المربعة المساحة ، وحتى العهد الاسلامي العربي مما ساعد على انتشار القباب بشكل كبير ولقد تطورت اشكال القباب خاصة في الفترات العباسية المتأخرة وتأثرت بالظروف البيئية والهندسية وبالتقاليد العمارية المحيطة بها مما ساعد على تنوعها وغزارتها ، ومن هذه القباب ، القباب المخروطة التي يكتب عنها السيد علاء الدين احمد دراسته هذه ، ان هذه الدراسة ما سيلحق بها من دراسات اخرى عمارية مقارنة وتاريخ عمارة ستوصلنا الى اعادة النظر في تراثنا العماري الزاخر واعادة تنظيم المعلومات عن فتراته ومراحله بحيث يمكننا تقديم الصورة العلمية الكاملة للعالم عن ابداعات الانسان العربي . لقد قام السيد علاء بمجهود كبير وقدم من المعلومات ما يغني بها المؤرخ والمهندس ومؤرخ الفن وانني أرجو ان ينال هذا الكتاب رضاكم .

كانون الاول ١٩٨٢

الدكتور مؤيد سعيد

رئيس المؤسسة العامة للاثار والتراث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك ربي على ما اعنت ووفقت حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين .

ان هذا البحث المعنون بـ (المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق) ان هو الا محاولة متواضعة ، اعطيت من خلالها صورة اظنها واضحة المعالم ، وتكاد تكون متكاملة الجوانب ، عن طراز نشأ في هذه البقعة المباركة ، ارض الرافدين ، ارض العطاء والخير ، وليس ذلك بغريب على هذه الارض المعطاء التي تعد مهد اول حضارة عرفها المجتمع البشري ، تمثلت فيها الاصالة والابداع ، ولقد كان للتراث الحضاري الضخم الذي خلفه ابن الرافدين لا سيما في ميداني العمارة والفن معيناً لا ينضب لتلك الامم والشعوب التي اعتمدت حضارة وادي الرافدين على طريق تطورها وتقدمها وازدهارها .

والطراز الذي نحن بصدده هو بلا شك طراز عربي اسلامي ، ولقد كان تاريخ العرب المسلمين تاريخاً عظيماً حافلا بالمآثر والامجاد ، ولعل الاعظم منه ، هم اولئك الرجال الذين صنعوه ، صنعوه بأحرف من دمهم الذي نزفوه وعرقهم الذي ينضحوه بغزارة من اجل غد مشرق زاهر لهم ولاجيالهم وللانسانية جمعاء ، ومن دمهم وعرقهم انبثق النور الذي حملوا مشعله ليضيء مشرق الارض ومغربها .

اعتمدت في بحثي هذا على المكتبة العربية الغنية بمادتها وعلى الدراسة الميدانية التي هي عماد دراسة الاثار .

وقبل البدء بتقسيمات البحث ، اود ان الفت النظر الى ان تسميتي القبة بالمخروطة ، لانها ذات شكل مخروط ، وليست شبيهة به حتى تسمى بالمخروطية ، ولي فيمن سلف خير مستند عليه استند ، اذ اسماها بالقبة المخروطة كل من ياقوت الحموي [1] ومحمد حرز الدين [2] ، وعبدالحميد عبادة[3]

لقد قسمت البحث الى خمسة اقسام رئيسة ، انضوت تحتها موضوعات متنوعة تعلقت بموضوع البحث وتحددت بعنوانه .

القسم الاول

تطرقت فيه الى ما اصطلح عليه من تسميات عرفت بها الابنية المقامة على القبور ، ارجعتها الى اصولها اللغوية وتتبعت تطور دلالاتها من خلال كتابات الكتاب العرب .

اعقبته بموقف الاسلام من البناء على القبر ، معتمداً على الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وآراء علماء الاسلام ، وانهيته باسباب ونتائج استخلصتها من تلك المصادر .

واتبعته بحالة العراق السياسية وحدوده الجغرافية ، تلك الحالة التي في ظلها نما وازدهر طراز القبة المخروطة ، وضمن هذه الحدود ساد ومنها انتشر ليعم الاقاليم المجاورة .

وختمته بالحديث عن اول مؤسسة تقوم خلال تاريخ الاسلام ، تعنى بامور العمارة والبناء ، هذه المؤسسة هي ديوان الابنية ، ولما كان قمة نشاط الديوان في عهد الخليفة ابي العباس احمد الناصر لدين الله ، لذا تطرقت الى عماراته التي اندرس معظمها ، فكان ذلك حافزاً لي في الحديث عن اسباب اندراس المباني الاسلامية عموماً وابنية القبور على وجه الخصوص .

١ ـ معجم البلدان ج٢ ، ص ٤٧٦

٢ ـ مراقد المعارف ج٢ ، ص ١٢٠

٣ ـ العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع (مخطوط) ص ٢٩

القسم الثاني :

تحدثت فيه عن قباب العراق المخروطة ، الشاخصة حتى يومنا هذا ، مرتباً اياها حسب تسلسلها الزمني ، هذه القباب هي : قبة امام الدور ، قبة زمرد خاتون ، قبة مشهد الشمس ، قبة الحسن البصري ، قبة الكفل ، قبة السهروردي ، واعتمدت في توريخ هذه القباب على النصوص التاريخية والكتابات التذكارية الموجودة في بعضها ، مسنداً ذلك بما هو موجود من ادلة عمارية وزخرفية .

لقد قمت بعمل المخططات الارضية لهذه القباب ، كما استعنت بالمقاطع الطولية التي وضعها هرتسفلد لقبتي امام الدور وزمرد خاتون ، كما ضمنت البحث صوراً لهذه القباب توضح وصفي لها .

القسم الثالث :

تطرقت فيه الى المراحل التي تمر بها قبة القبر ، منذ اختيار البقعة وحتى اقامة القبة ، ثم تحدثت عن المواد البنائية المستخدمة ، انواعها ومميزاتها ، ثم استعرضت قباب القبور اعتباراً من القرن الثاني وحتى الثالث الهجريين ، اعتماداً على الاشارات التاريخية ، واعقبت ذلك بالحديث عن قبة الصليبية باعتبارها اقدم قبة اسلامية شاخصة اقيمت على ضريح .

اعقبت ذلك بالكلام عن القبة المخروطة المضلعة ، مبيناً اصولها وفكرة ظهورها ، واوردت نموذجين لها ، هما قبتا قابوس بن وشمكير ومحمود الغزنوي اقدم قباب هذا النوع .

واختتمته بالقبة المخروطة المقرنصة ، انتشارها ومراحل تطورها وفكرة نشوئها .

القسم الرابع :

جزأت هذه القباب الى عناصرها المؤلفة لها ، فكان الحديث عن العناصر العمارية والجمالية والتوظيفية ، المداخل والابواب ، العقود ، السلالم ، القبر ، شاهد القبر ، صندوق القبر ، المحراب المجوف ، الزخارف الجدارية ، الحنايا والنوافذ ، المقرنصات .

القسم الخامس :

واخيراً ، فقد ادت المشاهد دوراً في حياة المجتمع اليومية ، وكان لها اثر بالغ في النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهذا ما تناولته في اثر المشاهد في الحياة العامة .
ارجو ان اكون قد وفقت في بحثي هذا والله الموفق .

بغداد في ١٣٩٦هـ ١٩٧٦

علاء الدين احمد

القسم الاول

ما اصطلح عليه من اسماء عرفت بها الابنية المقامة على القبور

من العمائر التي ما زالت شاخصة حتى يومنا هذا ، ابنية اقيمت فوق القبور التي تضم رفات اولياء وزهاد سلكوا سبيل التصوف والتقشف والبعد عن مباهج الحياة الدنيا وملاذها ، او فقهاء وعلماء في الدين ، هؤلاء واولئك نبغوا فاشتهروا ابان حياتهم ، وبعد مماتهم ، فأصبح لهم مريدون واتباع ، يقول ياقوت الحموي في مادة الفارسية عن الشيخ مسلم بن الحسن بن ابي الجود الفارسي «مات يوم الاحد حادي عشر المحرم سنة ٥٩٤ ودفن بها من الغد وعمل عليه قبة تهدى اليها النذور وتزار ، رأيتها»[١] وفي مادة زريران يقول : «بها قبر الشيخ الصالح الزاهد العابد علي بن ابي نصر الهيتي وعليه قبة عالية تزار وينذر لها»[٢] ومنها ما كان مدفنا لفرد او عدة افراد من الاسر التي تسلمت ازمة الحكم ومقاليد الامور .

ولأبنية القبور هذه تسميات عدة ، مختلفة في الفاظها ، متفقة عندهم في دلالاتها ، ولو ارجعناها الى اصولها ، لما وجدناها تدل على ما يقصد منها وهو البناء على القبر .

واذا ما حاولنا استطلاع رأي الكتاب العرب بهذا الخصوص ، فاننا نقع في متاهات كثيرة من الصعب الخروج منها بنتائج ايجابية ، ذلك انهم لم يلزموا انفسهم باطلاق التسميات بالدقة المطلوبة ، ويغلب على ظني ان سبب ذلك ما يلي : -

اولا : اعتمادهم على شيوع تلك التسميات بين ابناء زمانهم ، فالبناء المقام على قبر الشيخ الفلاني يسمى بالتربة حينا والمشهد احيانا اخرى .

ثانيا : اعتماد الكاتب في مادة كتاباته على من سبقه وهو بهذا جامع اخبار وروايات متباينة لكتاب ذوي مشارب مختلفة ، ولم يحاول توحيد تلك التسميات .

ولنأخذ مثالين على ذلك الخلط ، فالبناء المقام على قبر الشيخ معروف الكرخي عرف بأسم : القبر[٣] ، التربة[٤] ، المشهد[٥] ، الضريح[٦] ، والبناء المقام على قبر الامام الشافعي عرف بأسم : القبر[٧] ، التربة[٨] ، القبة[٩] ، الضريح[١٠] ، القبة على ضريح الشافعي[١١] ، المشهد[١٢] ، والامثلة على ذلك جد كثيرة بحيث لا يخلو كتاب واحد منها ، حتى الكتب الحديثة .

ثالثا : وربما كان من اسباب الخلط ايضا ، التصرف بالنص او بتره بأخذ بعضه وترك البعض الآخر ، مما يجعل النص مثيرا للبس وعدم الفهم ، من ذلك قول ابن الاثير في وفاة الوزير جمال الدين سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٢م «ودفن بالموصل عند فتح الكرامي رحمة الله عليهما نحو سنة ثم نقل الى المدينة فدفن بالقرب من حرم النبي ﷺ في رباط بناه لنفسه وقال لابي القاسم بيني وبين اسد الدين شيركوه عهد من مات منا قبل صاحبه حمله الى المدينة فدفنه بها في التربة التي عملتها»[١٣] ، هذا النص يضعنا امام احتمالات ثلاثة :

أ ـ الرباط مرادف للتربة .

ب ـ احتواء الرباط على تربة برسم الدفن .

جـ ـ الرباط او اي بناء آخر يبنى لغاية ما ويطلق عليه اسم التربة حين يتخذ مدفنا لاحد الاشخاص .

واذا ما استطلعنا رأي الكتاب العرب في خبر ابن الاثير هذا نجد ابن خلكان يقول : «وصل كتاب بدر الاسدي يخبر بوصول تابوتي الاميرين نجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه واستقرارهما بتربتهما مجاورين الحجرة المقدسة النبوية»[١٤] ، اما سبط ابن الجوزي فيقول في وفيات سنة ٥٦٤هـ /١١٦٩م : «وفيها توفي اسد الدين شيركوه .. ودفن

(١) معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٢٨
(٢) ن . م . جـ ٣ ص ١٤٠
(٣) المنذري ، التكلة لوفيات النقلة م ٤ ص ٢٠٠
(٤) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٢٤٦ ، جـ ١٠ ص ١٩٧
(٥) ن . م . جـ ٨ ص ٢٤٨ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ص ٢٦٩ ابن الطقطق ، تاريخ الدول الاسلامية ص ٢٦٢
(٦) الحوادث الجامعة ص ٣٧١
(٧) معجم البلدان ج ٥ ص ١١٦
(٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ ١ ص ٨ ، ١٩٧
(٩) ن . م . جـ ٢ ص ٨٦ ، ٣٨٩ ، ٤١٧
(١٠) ن . م . جـ ٢ ص ٤٥٥
(١١) النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس جـ ٢ ص ٢٧٧
(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٥
(١٣) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص٨٨
(١٤) وفيات الاعيان جـ ١ ص٢٣٦

بظاهر القاهرة الى ان مات اخوه نجم الدين ايوب فحملا جميعا الى مدينة النبي ﷺ فدفنا في رباطيها»[15] . هذا النص يعقد الامور ويضعنا في موضع التخبط لولا ان السبط يعود لينص على انهما دفنا في تربتين شيدتا في رباطين[16] ، وهو الاحتمال الثاني الذي سبق ذكره .

ولنأخذ مثالا اخر على ذلك قول صاحب الحوادث في حوادث سنة ٦٨٠هـ /١٢٨١م : «وفيها ، عمر ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي رباطا للفقراء في مشهد سلمان الفارسي»[17] . وفي سنة ٦٨٨هـ /١٢٨٩م «قتل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي في تبريز وحملت جثته الى بغداد ، فدفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي»[18] . وفي سنة ٦٩٦هـ /١٢٩٧م توفي عزالدين دولة شاه الصاحبي و«حمل الى تربة اخيه الملك ناصر الدين قتلغ شاه بمشهد سلمان الفارسي»[19] . والتسميات التي تسمى بها الابنية المقامة على القبور حتى يومنا هذا هي : الضريح ، المرقد ، الميل ، المشهد ، التربة ، وقبل الحديث عن هذه التسميات وارجاعها الى اصولها من الناحية اللغوية ثم بيان مدلولاتها من خلال كتابات الكتاب العرب كالمؤرخين والجغرافيين وغيرهم ، أقول انه الى جانب هذه التسميات تسميات اخرى غير انها نادرا ما تستخدم وتبدو لنا الآن غريبة في دلالتها على البناء المقام على القبر ، من هذه التسميات ، الرباط[20] ، القصر[21] ، المقبرة[22] ، العلم[23] ، الراية[24] ، الامرة[25] ، الطربال[26] ، الصومعة[27] .

وكثيرا ما يسمى البناء على القبر بالقبة ، وهذا من قبيل اطلاق الجزء على الكل ، خصوصا وان القبة ابرز ما في هذه الابنية . فالقبة التي امر هارون الرشيد ببنائها على قبر ام الفضل البرمكي عرفت بقبة البرمكية .[28]

١ ـ الضريح

للقبر في لغة العرب تسميات عدة[29] ، والضريح واحد من هذه الاسماء ، والمقصود به اصلا في العربية الشق وسط القبر[30] ، اي الحفر العمودي في الارض من غير ميل الى احد الجوانب[31] ويسمى ايضا بالشق[32] ، والقائم بالعمل يعرف بالضارح والشقاق .[33]

ثم تطور مدلوله فاصبح يدل على الغلاف الذي يغلف به القبر ، يقول صاحب الحوادث في حوادث سنة ٦٦٧هـ /١٢٦٨م عند ترجمته للشيخ محمد بن السكران «ودفن في رباطه بناحية المباركية من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد وبني عليه قبة وعمل عليه ضريح من الخشب» .[34]

وتسمية البناء المقام على القبر بالضريح غير جائز .

٢ ـ المرقد :

المرقد في اللغة المضجع .[35] اي محل النوم ، ولما كان

---

(١٥) مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٧٨

(١٦) ن . م . ص٢٥٠ ـ ٢٥١

(١٧) الحوادث الجامعة ص٤١٧ ـ ٤١٨

(١٨) ن . م . ص٤٥٩

(١٩) ن . م . ص٥٠٣

(٢٠) البيهقي ، تاريخ البيهقي ص٢٨٠

(٢١) انظر ص ٨٩ من الكتاب

(٢٢) العتبي ، اليميني جـ ٢ ص ١٧٨

(٢٣) معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٥٤

(٢٤) ن . م . جـ ٥ ص ١١٣

(٢٥) ن . م . جـ ١ ص ٢٥٣

(٢٦) ن . م . جـ ٤ ص ١٩٨

(٢٧) معين الدين شيرازي ، شد الازار في حط الاوزار عن زوار المزار ص ٢١٠ ، ٢١٦

(٢٨) الشابشتي ، الديارات ص١٤٨ ، وانظر : معجم البلدان جـ ٢ ص

(٢٩) انظر ص ١٠٧ من الكتاب

(٣٠) ابن منظور ، لسان العرب جـ ٢ ص ٥٢٦ الفيومي ، المصباح المنير جـ ٢ ص٥٤٩ الزبيدي ، تاج العروس جـ ٢ ص ١٨٦ (طبعة مصر)

(٣١) ابن دريد ، جمهرة اللغة جـ ٢ ص ١٣٧ عندما توفيت ام الامام علي فاطمة بنت اسد رضي الله عنها «لحد لها لحدا ، ولم يضرح لها ضريحا» السمهودي ، وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٨٨ ، يعقب على ذلك الموسوي قائلاً : «وتركه ﷺ بناء الضريح لا دلالة فيه على الحرمة ولعل الوجه في تركه ﷺ بناء الضريح قلة المال في ذلك العصر وكثرة الفقراء ...» ! ؟ معجم القبور جـ ١ ص ١٦ وما علم ان المقصود بالضريح هنا الشق وسط القبر ، وظن انه بناء فخم على القبر ، وهذا خطأ منه .

(٣٢) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ سنن ابو داود جـ ٢ ص ١٩٠ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م) ابن حزم ، المحلى جـ ٥ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٥٠ ، ٤٥٤

(٣٣) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٤٩٧ ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثر جـ ٣ ص ١٦ ، جـ ٤ ص ٥٠ ـ ٥١

(٣٤) الحوادث الجامعة ص ٣٦٤ وانظر ص ٢٣٣

(٣٥) لسان العرب جـ ٣ ص ١٨٣

النوم اخا الموت[٣٦] ، جعل المرقد : استعارة عن مضجع الميت[٣٧] ، قال تعالى على لسان الكفار «قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ...»[٣٨] ، فالمرقد اسم من اسماء القبر يدل عليه ، واطلاق لفظة المرقد على البناء المقام على القبر غير صحيح .

الميـــــل[٣٩]

عرفت القبة المخروطة عند العراقيين المتأخرين بأسم الميل[٤٠] ، والميل يعرف بالمفتول عند اهل بغداد[٤١] ، والاراء متباينة حول اصل التسمية فالكرملي يذهب الى ان الميل فارسي الاصل مأخوذ من (ميل كنبد) او (ميل سركنبد)[٤٢] ، بينما يرى الدكتور مصطفى جواد انه مأخوذ من «الل الشيء اي حدده كالالة اي الحربة»[٤٣] وعن سبب تسمية القبة المخروطة بالميل يقول «لانها تشبه الميل في كون رأسها مؤللا»[٤٤] ويرى الكرملي ان المقصود بالميل هو «ما يبنى على القبر بشكل عمود»[٤٥] .

ولكن متى اصبحت لفظة الميل تطلق للدلالة على القبة المخروطة ، يرى الدكتور مصطفى جواد ان مصطلح الميل حل محل التربة في القرن الحادي عشر للهجرة[٤٦] ، معتمدا على نص للمؤرخ احمد بن عبد الله البغدادي المتوفى في سنة ١١٠٢هـ /١٦٩٠م ، عند حديثه عن الشيخ عمر السهروردي في وفيات سنة ٦٣٢هـ /١٢٣٤م ، حيث يقول «ولما توفي دفن قريبا من الباب الوسطى داخل بغداد على قبره ميل» .[٤٧]

واللفظة بطبيعة الحال غير دقيقة ، وهي لا تصدق الا على الجزء العلوي من القبة المخروطة .

٤ ـ التـربة

التربة في الاصل ، جزء او قطعة من التراب[٤٨] ، ثم اصبحت لفظة التربة تدل على القبر ، يقول الشاعر البحتري المتوفى سنة ٢٨٤هـ /٨٩٧م ، من قصيدة له في رثاء ابي سعيد محمد بن يوسف الثغري :

بي لا بغيري تربة مجفوة
لك في ثراها رمة وعظام[٤٩]

---

(٣٦) ن . م .

(٣٧) ابو حيان ، البحر المحيط ج ٧ ص ٣٤١

(٣٨) سورة يس ، اية رقم (٥٢)

(٣٩) للميل معان ومدلولات عدة منها :

آ ـ يقول الكرملي «الميل عند البغادة شيء من حديد او من نحاس يطلى بالذهب في بعض الاحيان ويوضع على اعلى المآذن او قبب مراقد الصلحاء» . المساعد (مخطوط) م٥ مقابل ص٢٠٢٥ (مادة ميل)

ب ـ الميل للجراحة وسبر غور الجرح ، انظر : البستاني ، محيط المحيط م ٢ ص ٢٠٢٥

ج ـ الميل للكحل ، انظر : تاج اللغة وصحاح العربية ج ٢ص ٢٤١ يقول الاصمعي : «قول العامة الميل لما تكحل به العين خطأ ، انما هو الململ وهو الذي يكحل به البصر» لسان العرب ج ١١ ص ٦٣٩ ويضيف ... أدى شير على قول الاصمعي «فارسيته ميل» انظر : الالفاظ الفارسية المعربة ص١٤٩

د ـ يقول الاصمعي : «ويقال للحديدة التي يكتب بها في الواح الدفتر ململ» لسان العرب ج ١١ ص٦٣٩

هـ ـ ميل المسافة وقيل :ـ للاعلام المبنية في طريق مكة اميال لانها بنيت على مقادير مدى البصر من الميل الى الميل» لسان العرب ج ١١ ص٦٣٩ والميل هنا«منار يبنى للمسافر في انشاز الارض واشرافها» ن . م . والغرض منها «هداية المسافرين» تاج العروس ج ٨ ص ١٢٣ / طبعة مصر وادعى البعض انها غير عربية ، انظر : الالفاظ الفارسية المعربة ص١٤٩ محيط المحيط م ٢ ص ٢٠٢٥ وفي رواية للمفضل العمري ان الخليفة المهدي «حج في بعض السنين فر بميل وعليه مكتوب ، فوقف فقراه ، واذا هو :

لله درك يا مهدي من راجل
لولا اتخاذك يعقوب بن داود

فقال لمن معه . اكتب تحته ، على رغم انف الكاتب هذا ، وتعساً لجده ..» الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ١٥٩ ، انظر وفيات الاعيان ج ٦ ص ٢١ انظر .. صورة لاحد اميال الطرق في : المنجد ، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي ص ١٠٨ .

(٤٠) الالوسي ، تاريخ مساجد بغداد ص ٥٦ المساعد م ٥ ، مقابل ص٢٠٢٥ رحلة المنشيء البغدادي ، هامش رقم (٣) ص٢٧ ، وهامش رقم (٥) ص٢٩ مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر (١٩٤٧) ج ١ ص٤٠

(٤١) تاريخ مساجد بغداد ص ٥٦

(٤٢) المساعد م ٥ ، مقابل ص ٢٠٢٥

(٤٣) مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر (١٩٤٧) ج ١ هامش ص ٣٩

(٤٤) ن . م . ص ٣٩

(٤٥) المساعد م٥ ص٢٠٢٥

(٤٦) مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر (١٩٤٧) ج ١ص٤٠

(٤٧) عيون اخبار الاعيان ممن مضىٰ في سالف العصور والازمان ق٢ ص٢٩١

(٤٨) العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٢٢ الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفرائد ج ٣ ص٤٢

(٤٩) ديوان البحتري ، ج ٣ ص ١٩٥١ ، ووردت كلمة (مجفوة) محفورة ، في : محاضرات الراغب الاصفهاني ج ٢ ص ٢٣٣ .

والتربة الرمس[٥٠] . والرمس القبر[٥١] . ولكن ليس كل قبر يسمى رمسا ، يقول ابن شميل : «واذا كان القبر قدوما مع الارض فهو رمس ، اي مستويا مع وجه الارض .... واذا رفع القبر في السماء عن وجه الارض لا يقال له رمس[٥٢] ، والرمس التراب كما يقول الليث[٥٣] ، ورمس القبر «ما حثي عليه»[٥٤] والتربة قد تعني الارضية ، يقول ياقوت : «... ودفن بتربة المصلى»[٥٥] وهي تعني المقبرة ايضا[٥٦] ، وفي احيان كثيرة المقبرة الخاصة .[٥٧]

ثم تطور مدلول التربة ، يقول الدكتور مصطفى جواد : «وكان المؤرخون اذا قالوا : ان لفلان تربة او ابتنى فلان تربة ، دل قولهم على وجود القبة ، هذا هو الاصطلاح الذي درجوا عليه ، فالتربة كلمة اصطلاحية عند مؤرخي العصور العباسية ومن بعدها معناها قبر ذو مشهد وقبة»[٥٨] ، والذي اراه ان التربة يقصد منها بعض الاحيان القبة ، يقول ابن خلكان في ترجمته لمظفر الدين ابي سعيد كوكبري صاحب اربل «وبنى له تربة ايضا هناك - اي في مكة -»[٥٩] وفي موضع آخر يقول عنه «ثم نقل الى قلعة اربل ودفن بها ، ثم حمل بوصية منه الى مكة شرفها الله تعالى ، وكان قد اعد له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها»[٦٠] ، وفي غالب الاحيان تتألف التربة من مبان عديدة ، ابرزها القبة[٦١] ، اما قول الدكتور مصطفى جواد في معنى التربة : «قبر ذو مشهد وقبة» فهو راي يكتنفه الغموض وتعوزه الدقة فيما ارى ، ولست ادري ماذا يعني مصطلح المشهد عند الدكتور مصطفى جواد ، الا انني اعتقد ان المشهد مرادف للتربة ، وهذا ما سأبينه لاحقا .

المشهـــد

المشهد لغة «محضر الناس»[٦٢] و«مجمع من الناس»[٦٣] وبعبارة اخرى «الموضع الذي يتشاهد فيه القوم اي يحضر فيه بعضهم بعضا»[٦٤] ومنها مشاهد مكة ، وهي «المواطن التي يجتمعون بها»[٦٥]

والمشهد «مكان استشهاد الشهيد»[٦٦] كذلك «المقتول في سبيل الله»[٦٧] يقول الصغاني «واشهد الرجل اذا استشهد في سبيل الله ، فهو مشهد بفتح الهاء ، انشد الكسائي : انا اقول سأموت مشهدا» .[٦٨]

ويدعي هرتسلفد ان كلمة المشهد تعني في العربية مكان الشهيد الذي حصلت له الشهادة وهي الاقرار بوحدانية الله وليس شرطا ان يموت في سبيلها كشهيد[٦٩]، هذا الرأي لا اساس له من الصحة ، اذ ان الشهادة المقصودة ، الموت في سبيل الله ، لا كما يقصد هرتسلفد ، وهو التشهد ، اي قولنا : اشهد ان لا اله الا الله ، كما زعم ان كلمة المشهد

---

(٥٠) لسان العرب جـ ١ ص٢٢٨ .
(٥١) الازهري ، تهذيب اللغة جـ ١٢ ص٤٢٣ النهاية في غريب الحديث والاثر جـ ٢ ص١٠٣ .
(٥٢) تهذيب اللغة جـ ١٢ ص٤٢٤ .
(٥٣) ن . م . ص٤٢٣ وانظر : معجم البلدان جـ ٣ ص١٧ .
(٥٤) تهذيب اللغة جـ ١٢ ص٤٢٣ النهاية في غريب الحديث والاثر جـ ٢ص١٠٣ .
(٥٥) معجم البلدان جـ ٣ ص٤٢٢ .
(٥٦) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص١٩٧ ابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص٣٣ ، ١٨٢ الحوادث الجامعة ص٢٦٠ .
(٥٧) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج٧ ص ٢٤٠ لجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ج ٩ ص ١٢٧ ، ١٨١
(٥٨) العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر (١٩٤٧) جـ ١ ص٤٠ .
(٥٩) وفيات الاعيان جـ ٣ ص٢٧٣ .
(٦٠) ن . م . ص ٢٧٦ .
(٦١) مرآة الزمان جـ ٨ ص٣٦٢ ، ٥٧٢ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص١٧٧ ، ٢٤٨ ابن قنيتو الآربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨٨ الحوادث الجامعة ص٣٠٩ البداية والنهاية جـ ١٤ ص٦٤ الدارس في تاريخ المدارس جـ ١ ص٥٣٧ ، ٥٥١ ، ٥٨٥ جـ ٢ ص١٣٠ ، ١٣٢ .
(٦٢) الجوهري ، الصحاح جـ ١ ص٤٩١ لسان العرب جـ ٣ ص٢٤١ .
(٦٣) تهذيب اللغة جـ ٦ ص٧٥ ابن سيدة ، المحكم والمحيط الاعظم جـ ٤ ص١٣١ لسان العرب جـ ٣ ص٢٤١ .
(٦٤) جمهرة اللغة جـ ٢ص ٢٧٠ .
(٦٥) المحكم والمحيط الاعظم جـ ٤ ص١٣١ لسان العرب جـ ٣ص ٢٤١ ، وانظر : ابو حاتم الرازي ، الزينة في الكلمات الاسلامية (مخطوط) ص٣٨٥ .
(٦٦) البستاني ، البستان م١ ص١٢٧٢ محيط المحيط م١ ص١١٣٣
(٦٧) ن . م .
(٦٨) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية جـ ٢ص ٢٦٢
9) Herzfeld, «Damascus, Studies in Architecture» Ars Islamica (1942) IX p.18.

ليست عربية محضة وادعى بانها ذات اصل يوناني وسرياني[٧٠] ونحن لا نوافقه على رأيه هذا . ذلك ان وجود ما يرادف مدلول المشهد في اللغات الاخرى ، لا يعني انها غير عربية ، بل انها عربية اصلا واشتقاقا . واصلها الفعل الثلاثي «شهد» .

ومن الباحثين من قال[٧١] بان المشهد مصطلح خاص بمدافن موتى الفاطميين ، وهم اول من استخدمه ، اذ اعتبروا انفسهم شهداء سواء قتلوا في سوح الوغى ام ماتوا حتف انفهم . هذا الرأي لم اجد له اساساً كما ان اصحابه لم يأتوا بحجة تدعم رأيهم او نص يعززه .

والذي اراه ان المشهد الذي يعني مكان استشهاد الشهيد او المقتول في سبيل الله ، لا يقتصر على شهداء فئة معينة بل على الشهداء عموما . غير اننا نلاحظ ان كلمة المشهد اصبحت خاصة بمدفن الامام علي[٧٢] فاذا ما قلنا المشهد لا يتبادر الى الذهن سوى مشهد الامام علي . يقول ابو اسحاق الصابي المتوفى سنة ٣٨٤هـ /٩٩٤م من قصيدة له في مدح عضد الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٧٢هـ /٩٨٢م :

توجهت نحو المشهد العلم الفرد
على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور امير المؤمنين فيا له
ويالك من مجد منيخ على مجد[٧٣]

واذا ما قلنا المشهدان ، فالمقصود مشهدا الامام علي والامام الحسين[٧٤] . ثم اصبحت اكثر عموما فشملت مدافن آل البيت . يقول يحيى بن سلامة من قصيدة له في مدح آل البيت :

قوم لهم في كل ارض مشهد
لابل لهم في كل قلب مشهد[٧٥]

وفي مادة جوشن يقول ياقوت «جبل مطل على حلب في غربيها ، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة»[٧٦] ويقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م اراد الوزير ابن العلقمي «ان يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد» .[٧٧]

والمشهد من المشاهدة اي المعاينة ، فكل الاماكن التي شوهد فيها الامام علي عرفت بأسم المشهد ، يقول ناصر خسرو «وفي البصرة ثلاثة عشر مشهدا بأسم امير المؤمنين علي ... يقال لاحدها مشهد بني مازن ... وقد تزوج امير المؤمنين ... ليلى بنت مسعود النهشلي وكان هذا المشهد بيتها ... وبجانب المسجد الجامع مشهد اخر يسمى مشهد باب الطيب ... والاحد عشر مشهدا الاخرى كل منها بموضع وقد زرتها كلها»[٧٨] . ولعل احسن الامثلة على ذلك مشهد الشمس الذي لا يزال قائما حتى يومنا هذا والذي سيأتي الحدث عنه مفصلا في فصل لاحق[٧٩] .

والمشهد من المشاهدة مرادف للمقام ، يقول الهروي : «... مشهد يقال انه مقام صالح»[٨٠] والمقام لغة : الموضع الذي تقيم فيه[٨١] يقول ياقوت الحموي : «المقام : بالفتح ، ومقامات الناس ، بالفتح مجالسهم ، الواحد مقام ومقامة ، وقيل : المقام موضع قدم القائم ، والمقام بالضم : مصدر اقت بالمكان مقاما واقامة»[٨٢] ومقام ابراهيم «هو الحجر الذي فيه اثر قدميه في الكعبة»[٨٣] يقول ياقوت في مادة اطفيح :

---

(٧٠) Op. Cit., P.18

(٧١) قال بهذا الرأي كل من : الدكتور احمد فكري والدكتور محمد عبد العزيز مرزوق ، ولم اجده مثبتا في اي كتاب .

(٧٢) الحمري ، غاية المرلم في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص٣٢

(٧٣) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج ٢ ص٢٧٠

(٧٤) مرآة الزمان ج ٨ ص٧٣٩ .

(٧٥) الكامل في التاريخ ج ٩ ، هامش ص ٦٢ .

(٧٦) معجم البلدان ج ٢ ص١٨٦ .

(٧٧) البداية والنهاية ج ١٣ ص٢٠٣ ، وأنظر : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص٦٢ تاريخ الدول الاسلامية ص ٣١٦ ، ٣١٩ الحوادث الجامعة ص٢٢ ، ٩٥ ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ص١٠٢ ـ ١٠٤

(٧٨) سفر نامة ص١٤٨ ولم تقتصر التسمية على الاماكن التي شوهد فيها الامام علي حقيقة ، بل شملت حتى الاماكن التي شوهد فيها بالمنام ، انظر : الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات ص٤ ، ٨ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧١ معجم البلدان ج ٢ص ٢٨٤ ، ٣٠٣ كما شملت ايضا الاماكن التي شوهد فيها الامام الحسين بالمنام ايضا ، يقول ياقوت : ان المتشيمين من اهل حلب بنو مشهدا للامام الحسين لمنام رأوه فيه . معجم البلدان ج ٣ ص ٥٣١ .

(٧٩) انظر ص ٥٨ من الكتاب

(٨٠) الاشارات الى معرفة الزيارات ص٧ ، وانظر ص٦٨ .

(٨١) لسان العرب ج ١٢ ص٤٩٨ .

(٨٢) معجم البلدان ج ٥ ص١٦٤ ، وانظر : القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ج ٢ ص١٠٢ ، ج ٤ ص١٣٩ .

(٨٣) الطبري ، التفسير ج ٣ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ج ٧ ص٢٨ (طبعة دار المعارف) الجامع لاحكام القرآن ج ٤ ص١٣٩

«وفي قبلته مقام موسى بن عمران عليه السلام ، فيه موضع قدميه»[84] واذا كان المشهد لا يشترط فيه ان يكون مدفنا ، فان المقام لا يكون قطعا .[85]

والمقامات منها ، مقامات للانبياء كأبراهيم وموسى وصالح المذكورة سابقا ، وللامام علي في العراق مقامات كثيرة ، ويمكن ان تعزو ذلك الى كثرة تنقله من مكان لآخر بسبب الحروب التي خاضها ابان خلافته ، وشملت المقامات ، ابناءه ايضا[86] ، كما ان هناك جملة من المقامات تنسب للصحابة[87] ، ووصلتنا شواهد قبور ثبتت عليها لفظة المقام ، منها شاهدان يعودان الى احد أئمة العلويين وهو عبدالله بن ادريس بن الحسن بن الامام علي .[88]

من كل ما تقدم يتبين لنا ان لفظة المشهد تدل على :

١ ـ الاماكن التي يجتمع فيها الناس اثناء المناسبات ، لا سيما الدينية منها كالحج .

٢ ـ اماكن استشهاد الشهداء .

٣ ـ الشهيد وهو المقتول في سبيل الله .

٤ ـ الاماكن التي شوهد فيها الامام علي واقام بها .

ولكن لدينا جملة من النصوص التاريخية التي يستشف منها بوضوح تام ، ان المشهد يقصد منه البناء المقام على القبر ، يقول ابن الجوزي «... فهدم جميع ابنية المسجد وما يحيط بالقبر وبنى هذا المشهد»[89] وفي سنة ٤٢٠هـ /١٠٢٩م توفي الحسن بن ابي الهبيش «وقبره ظاهر بالكوفة وقد عمل عليه مشهد»[90] ويقول ياقوت : «... وقد استجد في موضعه الان مشهد»[91] ويقول «وهناك الان مشهد محكم بناؤه»[92] ويقول ايضا «وقبره بهذه القرية مبني ظاهر عليه مشهد له منارة»[93] ويقول ابن خلكان : «وعلى قبره مشهد مبني وفي المشهد ايضا قبور جماعة من الصالحين»[94] ويقول ايضا «... وهو الذي اظهر قبر علي ... وبنى عليه المشهد الذي هناك»[95].

واذا كان المشهد بناءاً قائماً فوق القبر ، فعلى اي اساس استند في هذه التسمية ، ثم ما هو نوعه ؟

هناك احتمالان للاجابة على شق السؤال الاول :

١ ـ ان هذه الابنية عادة تضم رفات أئمة واولياء وصالحين وذوي صلة بالدين ، وهي مجمع الناس للزيارة والتبرك والدعاء ، والمشهد في اللغة ، المكان الذي يجتمع الناس فيه ، ولما كانت هذه الابنية يجتمع عندها اوفيها ، فقد اقترنت التسمية بالبناء واصبحت تدل عليه .

٢ ـ ربما من المشاهد الذي يعني الدليل ، فهذه الابنية المحكمة والفخمة في عمارتها ، المزدانة بابدع انواع الزخارف واجملها ، تدل على مكانة من دفنوا تحتها ، مكانتهم في النفوس عندما كانوا على قيد الحياة وحتى بعد الممات . وهذه الابنية لا تتأتى لكل شخص بل لشخصيات معينة كالاولياء والصالحين الذين اشتهرو ابان حياتهم بالزهد والتقى والورع واصبح لهم مريدون واتباع ومن هؤلاء اغنياء[96] وذوو سلطة[97] قاموا بعمارة هذه الابنية وحبس الاوقاف عليها ، وقد تكون غايتهم كسب العامة والتقرب اليها .

اما نوعه ، فمن الصعب علينا بمكان تحديد ذلك ، اذ نجد في بعض الاحيان ان المشهد مرادف للقبة ، يقول السمهودي واصفا احد المشاهد «قبة شامخة في الهواء قال ابن النجار

---

(٨٤) معجم البلدان جـ ١ ص٢١٨ .

(٨٥) قد يتساءل البعض عن مغزى حديثنا عن المقام ، والموضوع عن ابنية القبور؛ اقول : لما كان مشهد الشمس من صلب موضوعنا ، وهو المكان الذي شوهد فيه الامام علي ، وهو يعرف حاليا بمقام الامام علي . لذا تطرقت اليه .

(٨٦) الاشارات الى معرفة الزيارات ص٦٨ ، ٨٠

(٨٧) انظر : معجم البلدان جـ٢ص٣٠٣

(88) Wiet (M.G.), Catalogue General Musee De L' art Islamique Du carrp. p. 106.

(٨٩) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص٢٤٥ .

(٩٠) ن . م . جـ ٨ ص٤٦ .

(٩١) معجم البلدان جـ ٢ ص٥٣١ .

(٩٢) ن . م . جـ ٢ ص٤١ .

(٩٣) ن . م . جـ ٤ ص٤١٨ .

(٩٤) وفيات الاعيان جـ ١ ص٢٨٣ .

(٩٥) ن . م . جـ ٣ص ٢٢٢ وانظر : ن . م . جـ ٤ ص١٦٢ البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٧٦ المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار جـ ٤ ص٣٠٦ الدارس في تاريخ المدارس جـ ٢ ص٤٣٢ وفاء الوفا جـ٢ص١٠١

(٩٦) انظر ، الحوادث الجامعة ص٣٧٣

(٩٧) انظر ، ن . م . ص١٥٢ ، ١٨١ ـ ١٨٢ ، ٢٤٤ تاريخ الدول الاسلامية ص٣٢٩

وهي كبيرة وعالية»[٩٨] بينما في نصوص اخرى نجد ان المشهد غير القبة ، يقول ابن خلكان عند ترجمته لابي حنيفة : «وبنى شرف الملك ... على قبر الامام ابي حنيفة مشهدا وقبة»[٩٩] ويستطرد قائلا «وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين واربعمائة»[١٠٠] ويضيف مؤكدا «ان الذي بنى المشهد والقبة ابو سعد المذكور»[١٠١] بينما نجد ابن جبير يجعل القبة جزءا من المشهد حين يصف مشهد الامام ابي حنيفة قائلا : «مشهد حفيل البنيان له قبة سامية في الهواء ، فيه قبر الامام ابي حنيفة»[١٠٢] والذي اراه ان المشهد : بناء يحوي على قبر تظلله قبة هي ابرز ما فيه ، تحيط بالقبة مبان ومرافق اخرى .

المشهد والتربة

الذي اراه ان المشهد مرادف للتربة ، يقول ابن جبير : «مشهد صفية عمة النبي ... وامام هذه التربة ...»[١٠٣] ولكن ثمة اختلاف بينهما ، ليس من الناحية العمارية ولكن من نواح اخرى هي :

١ ـ المشهد لا يفترض ان يكون مدفنا ، اما التربة فلا بد ان تكون مدفنا .

٢ ـ ان تسمية المشهد مقتصرة على مدافن الائمة والعلماء والصالحين ومن له صلة بالدين اما التربة فلم تقتصر على هؤلاء فحسب بل تعدتهم الى الحكام وكل من لا صلة له بالدين ، يقول ياقوت الحموي عن قرافة مصر «وهي اليوم مقبرة اهل مصر وبها ابنية جليلة ... ومشاهد للصالحين وترب للاكابر مثل ابن طولون والماذراني تدل على عظمة وجلال»[١٠٤] ويقول ابن جبير عن قرافة مصر ايضا «احدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الانبياء صلوات الله عليهم واهل البيت رضوان الله عليهم والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والاولياء ذوي الكرامات الشهيرة والانباء الغريبة»[١٠٥] وعند وصفه لبغداد يقول : «وفي الجانب الغربي ايضا قبر موسى بن جعفر رضي الله عنهما الى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الاولياء والصالحين والسلف الكريم»[١٠٦].

واذا جاز لنا اعتبار تسمية المشهد مقتصرة على مدافن ذوى الصلة بالدين ، والتربة شملت اضافة الى اولئك ، الحكام والامراء ، فانه لا يمكن اعتبار ذلك قاعدة ثابتة لا نجد خرقا لها ، هذا ياقوت يقول في مادة (ده بالا) «قرية بما سبذان بناحية الجبل قرب البندنيجيين بها قبر امير المؤمنين المهدى بن المنصور ، وبه مشهد وعليه قوام يقام لهم بالجراية»[١٠٧] وفي مادة (جي) يقول : «وفي جي مشهد الراشد بن المسترشد معروف يزار»[١٠٨] ويقول ابن خلكان عند حديثه عن وفاة معز الدولة احمد بن بويه المتوفى سنة ٣٥٦هـ /٩٦٧م «ودفن في داره ثم نقل الى مشهد بني له في مقابر قريش»[١٠٩].

اما ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد من ان التربة «قبر ذو مشهد وقبة»[١١٠] فأظنه اعتمد على اقوال ابن خلكان السالف ذكرها ، عند حديثه عن مشهد ابي حنيفة ، من ان شرف الملك ابا سعد بنى على قبر ابي حنيفة مشهدا وقبة[١١١]، وربما ايضا على ابن الجوزي حين يقول في حوادث سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م «بنيت تربة قبر معروف في ربيع الاول وعقد مشهده آزاجا بالجص والاجر»[١١٢] وعندي ان ابن خلكان لم يقل بنى تربة مؤلفة من مشهد وقبة ، كما اني ارجح ان التربة مرادفة للمشهد في نص ابن الجوزي .

ومهما يكن من أمر فأن الدكتور مصطفى جواد قد التبس عليه الامر واضطرب ، حيث نجده مناقضا لقوله السابق ، حين عقب على قول ابن خلكان عند ترجمته للامام موسى الكاظم «وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد»[١١٣] قائلا

---

(٩٨) وفاء الوفا جـ٢ص ١٠١

(٩٩) وفيات الاعيان جـ ٥ ص٤٦

(١٠٠) ن . م . ص٤٧

(١٠١) ن . م .

(١٠٢) رحلة ابن جبير ص٢١٣

(١٠٣) ن . م . ص١٨١

ونلاحظ ان الخزرجي اسمى مشهد الامام موسى بن جعفر بأسم تربة باب التبن : انظر العسجد المسبوك (مخطوط) جـ ٢ ص١٩٠ وفي موضع آخر مشهد باب التبن ، جـ ٢ ص٢٣٩ .

(١٠٤) معجم البلدان جـ ٤ ص٣١٧

(١٠٥) رحلة ابن جبير ص١٥

(١٠٦) ن . م . ص٢١٣ : وانظر ، معجم البلدان جـ ٣ ص١٨٦ الحوادث الجامعة ص١٧٠

(١٠٧) معجم البلدان جـ ٢ ص٤٩١

(١٠٨) ن . م . جـ ٢ ص٢٠٢

(١٠٩) وفيات الاعيان جـ ١ ص١٥٨

(١١٠) العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر (١٩٤٧) جـ ١ ص٤٠

(١١١) وفيات الاعيان جـ ٥ ص٤٦ ـ ٤٧

(١١٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص٢٤٨

(١١٣) وفيات الاعيان جـ ٤ ص٣٩٥

«اراد بالمشهد التربة اى قبة مع مرافقها وهذا من اصطلاحات اواسط القرن الخامس للهجرة فنازلا»[114] ولا عبرة بما يضع للمصطلحات من تقسيمات تاريخية ، حيث لم يأت بدليل واحد يعزز رأيه ، كما اننا لم نعثر على نص يستشف منه ذلك .

موقف الاسلام من الابنية المقامة على القبور

للاسلام اثر بالغ في حياة المجتمع الاسلامي ، منذ تمكنه في الارض وحتى يومنا هذا ، ولا ريب ان هذا الاثر كان يضعف حينا ويقوى حينا آخر ، وفقا للظروف وطبيعة الافراد . والاسلام عالج كل صغيرة وكبيرة من المسائل والقضايا التي ابستجدت في المجتمع الاسلامي ، واعطى رأيه فيها ورأيه في الشيء يعطي نتائج بالنسبة لذلك الشيء سلبا او ايجابا . وموقفه من البناء على القبر ، غير واضح المعالم ، مما ادى الى تباين في الآراء واختلاف في وجهات النظر .

فالقرآن الكريم الذي يعتبر المصدر الاساس الذي تستقى منه الاحكام والتعاليم تعرض الى الموضوع بصورة عرضية ، لكنه لم يبت فيه ، قوله تعالى : «قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا»[115]، هذه الآية جاءت في معرض حديثه عن قصة اصحاب الكهف ، وهي من قصص المواعظ والاعتبار التي طالما حدثنا القرآن الكريم عنها لغرض الذكرىٰ . وقد فسرت هذه الآية الكريمة من قبل المفسرين اعتمادا على الحديث النبوي الشريف ، يقول القرطبي : «وتنشأ هنا مسائل ممنوعة ... ، فأتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها الى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز»[116] بينما يقول ابن كثير «حكى ابن جرير[117] في القائلين ذلك قولين ، احدهما : انهم المسلمون منهم . والثاني : اهل الشرك منهم ، فالله اعلم والظاهر ان الذين قالوا ذلك هم اصحاب الكلمة والنفوذ ، ولكن هل هم محمودون ام لا ؟ فيه نظر ، لان النبي ﷺ قال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد . يحذر ما فعلوا»[118] ويعقب القاسمي على ابن كثير قائلا : «وعجيب من تردده في كونهم غير محمودين مع ايراده الحديث الصحيح بعده المسجل بلعن فاعلي ذلك»[119] بينما يقول الكوثري « ... اي المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم»[120].

اما السنة النبوية (اقوال الرسول وافعاله) التي تأتي بعد الكتاب الكريم كمصدر من مصادر الاحكام والتعاليم ، فقد نهى رسول الله ﷺ في بعض الاحاديث عن البناء على القبر دون تحديد نوعه ، عن جابر بن عبدالله قال «نهى رسول الله ﷺ ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه»[121] وزاد بعضهم «او يكتب عليه»[122] .

يعقب الحاكم النيسابوري على هذا الحديث قائلا : «هذه الاسانيد صحيحة وليس العمل عليها»[123] وفي احاديث اخرى خص رسول الله بناء المساجد على القبور بنهيه[124] .

---

(١١٤) مشهد الكاظمين ص١٠

(١١٥) سورة الكهف ، آية رقم (٢١)

(١١٦) الجامع لاحكام القرآن جـ١٠ ص٣٧٩ ، وانظر ص ٣٨٠ ـ ٣٨١

(١١٧) الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن جـ ١٥ ص١٣٧ (المطبعة الميمنية)

(١١٨) تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٧٨

(١١٩) محاسن التأويل جـ ١١ ص٤٠٣٧ ، وانظر : ابن تيمية ، تلخيص كتاب الاستغاثة او الرد على البكري ص٥٧ ، ٣٠٠

(١٢٠) مقالات الكوثري ص١٥٩ (مطبعة الانوار)

(١٢١) صحيح مسلم (مشكول) جـ٣ ص٦٢

(١٢٢) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين جـ١ ص٣٧٠

(١٢٣) ن . م .

(١٢٤) مالك ، الموطأ ص١١٣ صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص١٠٦ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ مسند احمد بن حنبل جـ ٣ص١٤٧ ، جـ ٤ ص٢٠٦ ، جـ ٥ ص٤٧ ، جـ ١٣ ص٨٧ ـ ٨٨ الطوسي ، تهذيب الاحكام جـ ١ ص٤٦١

وعند وفاة رسول الله ﷺ اقترح بعض الصحابة دفنه في مسجده[125]، غير ان ابا بكر الصديق قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض»[126]. وبناءا على ذلك دفن حيث قبض في بيت عائشة، وطبيعي ان بيتها بناء له سقف وجدران، مما حدا بالبعض الى الشك في احاديث الرسول الكريم التي تنهى عن البناء على القبر،[128] ومنهم من جوز الدفن في البيت استنادا الى هذه الحادثة[129].

ويذهب ابن حزم الى ان الرسول لم ينكر «كون القبر في بيت ولا نهى عن بناء قائم، وانما نهى عن بناء على القبر، قبة فقط»[130] ويبدو ابن حزم مناقضا لقوله السابق حين يقول «فأن بني عليه بيت او قائم لم يكره ذلك»[131] وربما كان قصد ابن حزم كراهية بناء القبة فقط لكن رسول الله (ص) لم يحدد نوعية البناء في نهيه.

وربما كان السبب في دفن الرسول (ص) ببيت عائشة، الخشية من اتخاذ قبره مسجدا كما فعلت اليهود والنصارى بقبور انبيائهم[132]، حيث تعقب عائشة على ذلك قائلة «ولولا ذلك لابرزوا قبره»[133].

والملاحظ ان الرسول ﷺ قد امر بتسوية القبور، قال الامام علي لأبي الهياج الاسدي «الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لاتدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته»[134] وعن فضالة بن عبيد انه سمع رسول الله يأمر بتسوية القبور[135]، يعقب سحنون على هذه الاحاديث قائلا «نهذه آثار في تسويتها فكيف بمن يريد ان يبني عليها»[136].

وعادة نصب الخيمة على القبر نهى عبد الله بن عمر عنها[137]، ومن الصحابة من ذهب مذهب ابن عمر، كأبي هريرة[138]، وابي سعيد الخدري[139]، فاذا كان نصب الخيمة على القبر منهيا عنه، فكيف بالبناء عليه. اما المذاهب الاربعة، المعتمدة لدى اهل السنة، فقد اتفقت جميعها على ان البناء على القبر مكروه[140]. والمكروه عند جمهور الفقهاء «ماطلب الشارع الكف عنه طلبا غير ملزم»[141]، بحيث «لايذم فاعله، ويمدح تاركه»[142].

ومن العلماء من اباح البناء على القبر، كقبة او تربة او حظيرة او بيت، بشرط ان يكون ذلك في الاملاك[143]. وينبغي علينا القول بأن علماء الاسلام قد ميزوا في احكامهم بين ما يبنى على القبر وهو في الاملاك، وبين ما يبنى عليه وهو في المواضع المسبلة، اى التي وضعت للنفع العام.

---

(125) تاريخ الطبري جـ ٣ ص٢١٣ ابن هشام، السيرة النبوية جـ ٤ ص٣١٤ ابن سعد، الطبقات الكبرى جـ ٢ ق٢ ص٧١

(126) السيرة النبوية جـ ٤ ص٣١٤

(127) تاريخ الطبري جـ ٣ ص٢١٣ السيرة النبوية جـ ٤ ص٣١٤ الطبقات الكبرى جـ ٢ ق٢ ص٧١

(128) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية م١ ص٢٥٥

(129) ابن قدامة المقدسي، الكافي جـ ١ ص٣٥٦

(130) المحلى جـ ٥ ص١٣٣

(131) ن.م.

(132) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص١٠٦

(133) ن.م.

(134) صحيح مسلم (مشكول) جـ ٣ ص٦١

(135) ن.م.

(136) انظر، مالك، المدونة الكبرى جـ ١ ص١٨٩

(137) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص١١٤

(138) مسند احمد بن حنبل جـ ١٥ ص٤٠ البيهقي، السنن الكبرى جـ ٤ ص٤

(139) السنن الكبرى جـ ٤ ص٤

(140) الفقه على المذاهب الاربعة جـ ١ ص٤٢١ ومنهم من نسب الى ابي حنيفة تجويزه البناء على القبر انظر: النووي، المجموع جـ ٥ ص٢٦٣ الشعراني، الميزان جـ ١ ص١٩٠ (المطبعة الميمنية) مصر ١٣٠٦هـ

(141) ابو زهرة، اصول الفقه ص٤٥

(142) ن.م.

(143) المرداوي، الانصاف جـ ٢ ص ٥٥٠

١ ـ ان كان في الاملاك : من العلماء من اباحه[١٤٤] ، ومنهم من كره ذلك[١٤٥]. ولكن لاحق لاحد في هدمه[١٤٦].

٢ ـ في المواضع المسبلة : من العلماء من قال : بأنه اشد كراهية من البناء في الاملاك[١٤٧]، ومنهم من حرم ذلك[١٤٨]، ولكل واحد الحق في هدمه[١٤٩]، «لان في ذلك تضييقا على الناس ومنعا لهم عن الدفن»[١٥٠] وقد شاهد الامام الشافعي ١٥٠ ـ ٢٠٤هـ /٧٦٧ ـ ٨١٩ م ولاة مكة يهدمون ما يبنى على القبور[١٥١] ، يقول : «فلم ار الفقهاء يعيبون ذلك»[١٥٢].

ومهما يكن من امر فأن اختلاف آراء فقهاء الاسلام وعلمائه وتباين وجهات نظرهم في مسئلة البناء على القبر ، نابع من حقيقة ان الاسلام قد اكد على القصد من الفعل «انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى»[١٥٣] وعليه فان الاحكام تتعدد في المسألة الواحدة بتعدد المقاصد المحتملة ، لذا نجد من العلماء من اباح البناء على القبر ، ومنهم من حرمه ، وبين هؤلاء واولئك من وقف موقفا وسطا وقال بالكراهية .

علل البعض تجويزه البناء على القبر بحجة صيانة القبر ومن يزوره[١٥٤]، وحبذ جماعة نصب الخيمة على القبر «اذا خيف عليه من نبش او غيره»[١٥٥] وجوز ابن حزم البناء على القبر قائلا «فأن بني عليه بيت او قائم لم يكره ذلك»[١٥٦] وخصص البعض الآخر استحباب البناء على قبور الانبياء والائمة[١٥٧]، وكره جماعة البناء على القبر مع استثناء قبور الانبياء والائمة «لا طباق الناس على البناء على قبورهم عليهم السلام من غير نكير واستفاضة الروايات بالترغيب في ذلك»[١٥٨] وهم لا يستبعدون استثناء قبور العلماء والصالحين من تلك الكراهية «استضعافا لخبر المنع والتفاتا الى ان في ذلك تعظيما لشعائر الاسلام وتحصيلا لكثير من المصالح الدينية»[١٥٩].

ومن العلماء المتشددين في مسألة البناء على القبر ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م وتلميذه ابن قيم الجوزية[١٦٠]، المتوفى سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م ، ومبعث هذا التشدد هو ما كان عليه اهل زمانهم «حتى ان طائفة من اصحاب الكبائر الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح كان اذا رأى قبة الميت او الهلال الذي على رأس القبة خشي من فعل الفواحش ، ويقول احدهم لصاحبه : ويحك هذا هلال القبة ، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والارض»[١٦١]. يقول ابن تيمية ان الرسول ﷺ «لم يشرع لامته ان يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من اهل البيت ولا غيرهم لا مسجدا ولا مشهدا»[١٦٢] بينما اهل زمانه «يعظمون المشاهد المبنية على القبور ، فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون اليها كما يحج الحاج الى البيت العتيق»[١٦٣] وقرن ابن تيمية المشاهد ببيوت الاصنام ووصمها بانها بيوت للشرك[١٦٤]، وعزى ظهور الشرك الى تعظيم قبور الصالحين[١٦٥]، وقال بأن «اصل عبادة الاصنام انما كانت من القبور»[١٦٦] وخلص الى وجوب «هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميت فأن ذلك من اكبر اسباب عبادة الاوثان»[١٦٧].

(١٤٤) ن . م .
(١٤٥) النووي ، المنهاج في شرح صحيح مسلم جـ ٧ ص٣٧ ـ ٣٨
(١٤٦) الهيثمي ، الفتاوى الكبرى الفقهية جـ ٢ ص٧ المجموع جـ ٥ ص٢٦٣
(١٤٧) الحجاوي ، الاقناع جـ ١ ص٢٣٣ الكرمي ، غاية المنتهى جـ ١ ص٢٥١
(١٤٨) المجموع جـ ٥ ص٢٦٣ المنهاج جـ ٧ ص٣٧ ـ ٣٨
(١٤٩) الفتاوى الكبرى الفقهية جـ ٢ ص٧ المجموع جـ ٥ ص٢٦٣
(١٥٠) الحدائق الناضرة جـ ٤ ص١٣٢
(١٥١) الام جـ ١ ص٢٧٧
(١٥٢) ن . م .
(١٥٣) النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص١٣
(١٥٤) البحراني ، الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة جـ ٤ ص١٣٠ ، ١٣١
(١٥٥) العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٨ ص١٣٤
(١٥٦) المحلى جـ ٥ ص١٣٣
(١٥٧) الحر العاملي ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة جـ ١ ص٨٧٠
(١٥٨) الحدائق الناضرة جـ ٤ ص١٣٢
(١٥٩) ن . م .
(١٦٠) انظر اراء ابن قيم الجوزية المتشددة في كتابيه : زاد المعاد في هدى خير العباد جـ ١ ص١٤٦ اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ص٩٧ ـ ١٠٣
(١٦١) ابن تيمية ، الرد على البكري ص٢٩٧
(١٦٢) منهاج السنة جـ ١ ص٣٣٥ ، وانظر ص٣٣٢ ـ ٣٣٤
(١٦٣) ن . م . جـ ١ ص٣٣٢
(١٦٤) الرد على البكري ص٢٩٩ ـ ٣٠٠
(١٦٥) ابن تيمية ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٥
(١٦٦) الرد على البكري ص٥٦
(١٦٧) ابن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص٥٤

وحذا جماعة من العلماء حذو ابن تيمية وابن قيم الجوزية في التشدد بصدد البناء على القبر ، منهم الشيخ محمد عبدالوهاب[١٦٨] وحفيده[١٦٩] والشيخ سليمان بن سحمان النجدي[١٧٠]، واخيرا فقد افتى علماء المدينة المنورة ، جوابا على سؤال تقدم به الوهابيون ، قائلين : «اما البناء على القبور فهو ممنوع اجماعا لصحة الاحاديث الواردة في منعه ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه»[١٧١]، واستنادا على تلك الفتوى فقد اقدم الوهابيون على هدم جميع القباب الموجودة في الحجاز[١٧٢].

اسباب ونتائج

ليس هناك من شك في صحة الاحاديث النبوية التي نهت عن البناء على القبر والذي اراه ان من اسباب ذلك ما يلي : -

١ - كانت دولة الرسول ﷺ دولة فتية ناشئة ، تهددها الاخطار من كل جانب ، فلا بد للرسول وخلفائه من بعده من الالتفات الى الامور المهمة وتقديم الاهم على المهم ، والبناء ضرورة من ضرورات المجتمع الانساني ، ومع هذا كان بسيطا ، منعا للسرف واضاعة الجهود ، روي ان الرسول الكريم ﷺ عندما عاد من غزوة دومة الجندل وجد ان ام سلمة احدى زوجاته قد بنت حجرتها باللبن ، فقال «ما هذا البناء . فقالت : اردت ان اكف ابصار الناس . فقال : يا ام سلمة ان شر ما ذهبت فيه اموال الناس البناء»[١٧٣] ، من هذا المنطلق ، اعتقد : ان البناء على القبر لا محل له في تلك الفترة ، لانهم كانوا بأمس الحاجة الى المال والجهد ، الذي يبذل في امر لا طائل منه ، في جوانب اخرى مستوجبة .

٢ - جاء الاسلام بالتوحيد الخالص وتنزيه الخالق عن كل ما من شأنه ان يشوب هذا التنزيه بأية شائبة ، والعرب يومذاك كانوا قريبي عهد بالوثنية وعبادة الاصنام ، والبناء على القبر نوع من انواع تعظيم الشخص المدفون ، تقول عائشة (لما اشتكي النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بارض الحبشة يقال لها ماريه وكانت ام سلمة وام حبيبة رضى الله عنهما اتتا ارض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال اولئك اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله)[١٧٤]

وكره الامام الشافعي (ان يعظم احد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجدا ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي)[١٧٥] ، وعزى جمع من العلماء ظهور الشرك وعبادة الاوثان الى تقديس القبور وتعظيمها[١٧٦] .

٣ - ومن اسباب تحريم بعض العلماء البناء على القبر في المقبرة المسبله ، ان في ذلك تضييقا على الناس ومنعا لهم عن الدفن[١٧٧] ، واستعمالا للمسبله فيما لم توضع له[١٧٨] .

٤ - وان قصد من البناء على القبر المباهاة فانه حرام[١٧٩] .

٥ - والبناء على القبر اعتبره بعض العلماء نوعا من الزينة[١٨٠] ، وتشبها بأبنية اهل الدنيا[١٨١] ، وفيه (اسراف واضاعة مال)[١٨٢] .

---

١٦٨) انظر ، كشف الشبهات ، مجموعة التوحيد ، ص٧٨ - ٧٩ كتاب التوحيد ، مجموعة التوحيد ص ١٨٢ - ١٩٠ .

(١٦٩) انظر ، بيان المحجة في الرد على صاحب اللجة ، مجموعة التوحيد ص٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٧٠ - ٣٧٧

(١٧٠) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص٨٦ - ٨٨

(١٧١) جريدة ام القرى ، العدد (١٠٤) الجمعة ، ٤ / جمادى الثانية / ١٣٤٥هـ ، وانظر نفس الجريدة ، العدد (٦٩) ١٧ / شوال / ١٣٤٤هـ

(١٧٢) انظر اسماء القباب التي هدمت ، في : الكاظمي ، الرد على فتاوى الوهابيين ، هامش ص١٦ - ١٨ العاملي ، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب ص٥٩ - ٦٠

١٧٣) ابن تيمية ، الرد على الاخنائي ص١٩١

(١٧٤) صحيح البخاري (مشكول) جـ٢ص١٠٨ - ١٠٩

(١٧٥) الام جـ١ص٢٧٨ ، وانظر : المنهاج جـ٧ ص٣٨

(١٧٦) مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص٥٤ الرد على البكري ص٥٦ اغاثة اللهفان ص ٩٧ ، ٩٨ كشف الشبهات ، مجموعة التوحيد ، ص٧٩ محاسن التأويل جـ ١١ ص٤٠٣٧ تفسير المراغي جـ١٥ ص١٣٤

(١٧٧) الرملي ، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج ، جـ ٣ ص ٣٤ المجموع جـ ٥ ص٢٦٣ الانصاف جـ٢ ص٥٥٠ الحدائق الناضرة جـ ٤ ص ١٣٢

(١٧٨) الانصاف جـ ٢ ص ٥٥٠

(١٧٩) الفقة على المذاهب الاربعة جـ ١ ص ٤٢١

(١٨٠) المجموع جـ ٥ ص ٢٦١ الحدائق الناضرة جـ ٤ ص ١٣٠

(١٨١) الانصاف جـ ٢ ص ٥٥٠

(١٨٢) ن . م .

ولقد كان من نتائج موقف الاسلام من مسألة البناء على القبر ، ان جوز ألعلماء هدم ما يبنى على القبور في المواضع التي تعود للنفع العام ، يقول النووي (قال اصحابنا رحمهم الله : ولا فرق في البناء بين ان يبنى قبة او بيتا او غيرهما ثم ينظر فأن كانت مقبرة مسبله حرم عليه ذلك ، قال اصحابنا ويهدم هذا البناء بلا خلاف))[183] وافتى ابن حجر المكي الهيتمي في القبة المبنية في المقبرة المسبلة بانها ((مستحقة الهدم فلكل احد هدمها))[184] ، وشاهد الشافعي ولاة مكة يهدمون قباب القبور ، يعقب قائلا (فلم ار الفقهاء يعيبون ذلك)[185] ، ومنهم من تشدد اكثر كأبن تيميه حين يقول (ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميت فأن ذلك من اكبر اسباب عبادة الاوثان)[186] ويقول تلميذه ابن قيم الجوزية (يجب هدم القباب التي على القبور لانها اسست على معصية الرسول)[187] .

وبناءا على ما تقدم نلاحظ :

١ ـ ان بعض المتمسكين بالاسلام قد اوصى في حياته بعدم البناء على قبره عند وفاته[188] .

٢ ـ هدم الوهابيون ما كان في متناول معاولهم من قباب وابنية مقامة على القبور[189].

وبذلك كان موقف بعض العلماء المتشددين سببا من اكبر الاسباب التي ادت الى ضياع الكثير من معالم العمارة العربية الاسلامية ، ولولا ذلك لكانت سلسلة تاريخ العمارة متصلة الحلقات مترابطة الاجزاء ، واضحة المعالم وضوحا تاما .

حالة العراق السياسية وحدوده الجغرافية

لم تعد الدولة العباسية في عصرها الاخير ، كما كانت عليه في عصرها الاول «كتلة واحدة ، وتخضع خضوعا تاما للخليفة في بغداد ، هو الذي يعين ولاتها ، واليه يجبى خراجها ، واليه ترجع في ادارتها وقضائها وجندها وحل مشاكلها ، وتدعو له على المنابر وتضرب السكة بأسمه ، ونحو ذلك من مظاهر السلطان»[190] ، حيث دب فيها دبيب الضعف والانحلال ، ولم يعد للخليفة من الخلافة الا اسمها . والحقيقة ان خلافة بني العباس بدأت بالضعف التدريجي منذ عهد المتوكل على الله ، حيث اصبحت الدولة «محكومة بالخلفاء اسما ، وبسلطة الاتراك فعلا»[191] ثم استولى بنوبويه على ازمة الحكم ومقاليد الامور سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م «ولم يكن للخليفة العباسي معهم الا الاسم ، والدعاء له على المنابر ، وكتابة اسمه على سكة الدراهم والدنانير»[192]. يقول المسعودي : «ولم نعرض لوصف اخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم اذ كانوا كالمولى عليهم لا امر ينفذ لهم اما ما نأى عنهم من البلدان فتغلب على اكثرها المتغلبون واستظهروا بكثرة الرجال والاموال واقتصروا على مكاتبتهم بأمرة المؤمنين والدعاء لهم واما بالحضرة فتفرد بالامور غيرهم فصاروا مقهورين خائفين قد قنعوا بأسم الخلافة ورضوا بالسلامة»[193].

ثم حل السلاجقة سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م محل بني بويه فجردوا الخليفة العباسي «من كل سلطان فأصبح لا عمل له الا استقبال السلاطين عند قدومهم بغداد للزيارة والتبرك بالخلافة والحصول على ما يؤكد سلطانهم او ارسال الخلع

---

(١٨٣) المجموع جـ ٥ ص ٢٦٣

(١٨٤) الفتاوى الكبرى الفقهية جـ ٢ ص ٧ ، وانظر نهاية المحتاج جـ ٣ ص٣٣ الاقناع جـ ١ ص ٢٣٣ غاية المنتهى جـ ١ ص ٢٥١

(١٨٥) الام جـ ١ ص ٢٧٧ .

(١٨٦) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ٥٤

(١٨٧) انظر ، الاقناع جـ١ ص٢٣٣ غاية المنتهى جـ ١ ص ٢٥١

(١٨٨) السنن الكبرى جـ ٤ ص٤ المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٧ ص ٢٨٩ وفيات الاعيان جـ ٤ ص ١٧٦ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٢١

الدارس في تاريخ المدارس جـ ١ ص ٥٨٠

(١٨٩) انظر ، الرد على فتاوى الوهابيين ، هامش ص١٦ ـ ١٨ كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبدالوهاب ص٥٩ ـ ٦٠

(١٩٠) احمد امين ، ظهر الاسلام جـ ١ ص ٩٠

(١٩١) ن . م . ص٢١٦

(١٩٢) ن . م .

(١٩٣) المسعودى ، التنبيه والاشراف ص٤٠٠

والهدايا الى السلاطين الذين لم تسمح لهم اعباء السلطنة بالقدوم الى بغداد»[194].

ثم ظهرت بوادر محاولات من قبل بعض الخلفاء ، لاستعادة هيبة الخلافة التي فقدت بتحكم العناصر الاجنبية ، وذهب ضحية تلك المحاولات الخليفة المسترشد سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م[195] وابنه الراشد سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م[196] . غير ان المقتفي ٥٣١ - ٥٥٥هـ / ١١٣٦ - ١١٦٠م استطاع الحد من نفوذ السلاجقة ، ومنعهم من دخول بغداد ، فحاصروها ، لكنهم فشلوا حيث اوقع فيهم ضربات قوية ماحقة ، ادت الى تراجعهم ، يقول ابن قنيتو الاربلي : «لم ير بعد المعتصم خليفة في شجاعته وصرامته مع لين جانب ورأفة في لطافة ... ولما قصد السلطان محمد شاه بغداد بعساكره عاد خائبا وكان النصر للمقتفي وجنوده»[197].

وقد توجت تلك المحاولات ، باعتلاء ابي العباس احمد الناصر لدين الله الخلافة سنة ٥٧٥هـ /١١٧٩م حيث يعد اقوى خلفاء تلك الفترة ، يقول عنه الموفق عبد اللطيف «احيا هيبة الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموته وكان الملوك والاكابر بمصر والشام اذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا اصواتهم هيبة واجلالا»[198] وكان الناصر كما يقول ابن النجار «اسد بني العباس تتصدع لهيبته الجبال»[199] وقال ابن الطقطقي «كان الناصر من افاضل الخلفاء واعيانهم ، بصيراً بالامور مجربا ، سائسا مهيبا ، مقداما عارفا شجاعا متأيدا ، حاد الخاطر والنادرة متوقد الذكاء والفطنة بليغا غير مدافع عن فضيلة علم ولا نادرة فهم ، يفاوض العلماء مفاوضة خبير ، ويمارس الامور السلطانية ممارسة بصير»[200].

وفي زمنه استحكم العداء بين الخلافة والسلاجقة فما كان منه الا ان «جرد عزيمته في قطع سلاطين العجم السلجوقية وغيرهم عن بغداد ، ومحا اثارهم»[201] ومما ينسب اليه قوله «ما لنا حاجة ان تكون عندنا آثار الاعاجم»[202]، كما امر بنقض دار السلطنة ، وتسويتها بالارض ، وهي الدار التي كان ينزل فيها سلاطين السلاجقة مدة مقامهم ببغداد ، والسبب في ذلك ان طغرل آخر سلاطينهم ارسل الى الناصر يطلب منه عمارتها لتكون جاهزة عند قدومه بغداد[203]، فكان جواب الناصر ما اسلفنا ذكره .

وفي سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م انقرضت دولة آل سلجوق ، وقتل طغرل آخر سلاطينهم ، اثر معركة بين السلاجقة والخوارزميين[204]، وجيء برأس طغرل الى بغداد ، وقيل ان للناصر اثرا فعالا وكبيرا في القضاء على الدولة السلجوقية[205]. وشملت سيطرة الناصر الفعلية ، بغداد ، هيت ، حديثة الفرات ، الانبار ، الحلة ، الكوفة ، واسط ، البصرة ، داقوق ، تكريت[206].

ولم تكن هذه المدن كلها تحت حكمه عند توليه الخلافة ، فداقوق استولت عليها عساكره سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م[207]، وعنه[208] ، وتكريت[209]، سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ، وحديثة

---

(١٩٤) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ص١٨

(١٩٥) مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٥٦ - ١٥٨ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٧٢ - ٢٧٣ مختصر التاريخ ص٢٢١ - ٢٢٢ تاريخ الدول الاسلامية ص٣٠٣

(١٩٦) مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٦٧ - ١٦٨ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٧٤ - ٢٧٥ مختصر التاريخ ص٢٢٦ - ٢٢٧ تاريخ الدول الاسلامية ص ٣٠٨

(١٩٧) خلاصة الذهب المسبوك ص٢٧٥ - ٢٧٦ ، وانظر مختصر التاريخ ص٢٢٩ - ٢٣٠ تاريخ الدول الاسلامية ص٣١٠

(١٩٨) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب جـ ٥ ص٩٨

(١٩٩) ن . م .

(٢٠٠) تاريخ الدول الاسلامية ص٣٢٢

(٢٠١) مختصر التاريخ ص٢٤٥ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١

(٢٠٢) مرآة الزمان جـ ٨ ص١٨٨

(٢٠٣) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص١٨٩

(٢٠٤) مرآة الزمان جـ ٨ ص٤٤٤ - ٤٤٥ تاريخ الدول الاسلامية ص٢٩٣ ، ٣٢٢ ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ص٦ الذهبي ، العبر في خبر من غبر جـ ٤ ص٢٧٢ البداية والنهاية جـ ١٣ ص٩ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ ٦ ص١٣٤ - ١٣٥

(٢٠٥) خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١ مختصر التاريخ ص٢٤٥

(٢٠٦) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص٣٢٨ تاريخ ابن خلدون م٣ ص١١٠٠ - ١١٠١

(٢٠٧) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص١٦٣ مرآة الزمان جـ ٨ ص٣٧٧ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١ مختصر التاريخ ص٢٤٥

(٢٠٨) تاريخ ابن خلدون م٣ ص١٠٩٢

(٢٠٩) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص٢٠٥ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١ مختصر التاريخ ص٢٤٥ العسجد المسبوك جـ ٢ص١٧٨ تاريخ ابن خلدون م٣ ص١٠٩١ - ١٠٩٢

الفرات سنة ٥٨٦[٢١٠] هـ / ١١٩٠م ولم يقف في فتوحاته عند حد اقليم العراق ومدن الاقاليم المجاورة له بل تعداها الى خوزستان وهمذان واصفهان وبلاد الري وغيرها من بلاد العجم[٢١١] «وقوى جانب الخلافة على الملوك والممالك»[٢١٢].

وعلى الرغم من كل ذلك فأن سلطته الفعلية اقتصرت على اقليم العراق[٢١٣]، لا بل ان عساكره اصيبت بالكثير من النكسات والهزائم[٢١٤]، وتكريت التي افتتحت سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م جرت محاولات عدة لافتتاحها قبل هذه السنة، غير انها باءت بالفشل، حتى قال الشاعر :

في العسكر المنصور نحن عصابة
من دولة اخسس بنا من معشر
خذ عقلنا من عقدنا فبما ترى
من خسة ورقاعة وتهور
تكريت تعجزنا ونحن بعقلنا
نمضي لنأخذ ترمذا من سنجر[٢١٥]

وفي سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م، اي قبيل وفاة الناصر بقليل استولى جلال الدين خوارزم على داقوق واحرقها، وتقدم نحو بغداد للاستيلاء عليها، غير انه غير قصده عن بغداد، بعدما وصل اليه خبر خروج الكرج الى بلاده، فسار اليهم تاركا بغداد[٢١٦].

وفي خلافة المستنصر بالله، احتلت عساكر الخلافة مدينة اربل، وافتتحت سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م فعم الفرح اهالي بغداد يوم وصول الخبر بفتحها، واقيمت الاحتفالات وبولغ في ذلك[٢١٧]، ويهزأ ابن الطقطقي بذلك قائلا «فانظر الى دولة تضرب البشائر على ابواب صاحبها ويزين البلد لاجل فتح قلعة اربل التي هي اليوم في هذه الدولة من احقر الاعمال واصغرها واهونها»[٢١٨].

وفي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م كانت نهاية دولة بني العباس، على ايدي المغول، وقتل آخر خلفاء العباسيين المستعصم بالله، حيث كان «مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة بامور المملكة مطموعا فيه غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الامور»[٢١٩].

ومهما يكن من امر، فان خلفاء الدولة المتأخرين «قد اقتصروا في آخر الامر على مملكة العراق فحسب»[٢٢٠] لا بل ان ابن كثير يذهب ابعد من ذلك قائلا «حتى لم يبق مع الخليفة منهم الا بغداد وبعض بلاد العراق وذلك لضعف خلافتهم»[٢٢١].

وعن العلاقة بين خلفاء العصر العباسي الاخير وملوك وامراء الدول التابعة للخلافة اسما، يقول ابن الطقطقي «كان ملوك الاطراف مثل ملوك الشام ومصر وصاحب الموصل يحملون اليهم - اي الى الخلفاء المتأخرين - في كل سنة شيئا على سبيل الهدية والمصانعة، ويطلبون منهم تقليدا بولاية بلادهم بحيث يتسلطون بذلك على رعيتهم، ويوجبون عليهم طاعتهم بذلك السبب، ولعل الخلفاء قد كانوا يعوضون ملوك الاطراف عن هداياهم بما يناسبها او يفضل عنها»[٢٢٢] كل ذلك من اجل «حفظ الناموس الظاهر، وليكون لهم في البلاد والاطراف السكة والخطبة»[٢٢٣] واصبحت الخطبة والسكة مضرب المثل لمن «له ظاهر الامر وليس له من باطنه شيء ان يقال : قنع فلان من الامر الفلاني بالسكه والخطبه، يعني قنع منه بالاسم دون الحقيقة»[٢٢٤].

في هذه الفترة، وفي ظل هذا الوضع السياسي المتدهور، ازدهر طراز القبة المخروطة، وبلغ اوجه في النمو والتطور، ترى ما حدود العراق في تلك الفترة، وما هي

(٢١٠) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص٢١١ مرآة الزمان جـ ٨ ص٤٠١ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١ مختصر التاريخ ص٢٤٥ العسجد المسبوك جـ ٢ ص١٧٩

(٢١١) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ مرآة الزمان جـ ٨ ص٦٣٦ - ٦٣٧ البداية والنهاية جـ ١٣ ص١١ خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١ مختصر التاريخ ص٢٤٥

(٢١٢) البداية والنهاية جـ١٣ ص١١

(٢١٣) لين بول ، طبقات سلاطين الاسلام ص١٨

(٢١٤) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص١٩٧ ذيل الروضتين ص٦ ، ١٢ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص١٣٥

(٢١٥) تاريخ الدول الاسلامية ص٣١

(٢١٦) ذيل الروضتين ص١٤٤ شذرات الذهب جـ ٥ ص٩٦ - ٩٧

(٢١٧) الحوادث الجامعة ص٤٧ ، وانظر : ن . م . ص٤٤ - ٤٨ تاريخ الدول الاسلامية ص٣٢

(٢١٨) تاريخ الدول الاسلامية ص٣٢

(٢١٩) ن . م . ص ٣٣٣ وانظر العسجد المسبوك (مخطوط) جـ ٢ ص٢٨١

(٢٢٠) تاريخ الدول الاسلامية ص٣١ - ٣٢

(٢٢١) البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٠٥

(٢٢٢) تاريخ الدول الاسلامية ص٣٢

(٢٢٣) ن . م .

(٢٢٤) ن . م .

المدن التي تقع ضمن هذه الحدود ؟

من الصعب علينا بمكان تحديد رقعة العراق الجغرافية من وجهة النظر السياسية للفترة التي نؤرخ لها ، ذلك ان حدود اقليم العراق لم تكن ثابتة ، حيث انها بين امتداد وانكماش لابل وتقلص ايضا ، ومرد ذلك الى مركز الخلافة ، وقوة او ضعف الخليفة ، وبالمقابل قوة وضعف الدول المعاصرة .

ويتفق فقهاء المسلمين[٢٢٥] مع الجغرافيين العرب[٢٢٦] في تحديد رقعة اقليم العراق الجغرافية ، حيث تمتد في الطول من الشمال حديثة الموصل على دجلة وحتى عبادان عند مصب دجلة جنوبا ، وفي العرض : من عذيب القادسية غربا وحتى عقبة حلوان شرقا .

وتدخل ضمن هذه الحدود كل من : البصرة ، واسط ، الكوفة ، بغداد ، سامراء ، حلوان[٢٢٧] .

ولا خلاف حول الموصل وسنجار ، حيث تقعان خارج حدود اقليم العراق وضمن حدود اقليم الجزيرة[٢٢٨] ، كذلك من الناحية السياسية ، لم يتبعا مطلقا اقليم العراق ، حيث لها الاستقلال التام عن خليفة بغداد ، اللهم الا اقامة حكامهم الخطبة له ، وضرب السكة بأسمه ، وخلاصة القول ان تبعيتها لمركز الخلافة بالاسم فقط .

والقباب المخروطة موضوعة البحث تنتشر في وسط وجنوب عراق اليوم ، وهو ما يعرف بأقليم العراق في فترة ازدهار طراز القبة المخروطة .

ومدن اقليم العراق الموجود فيها نماذج القبة المخروطة هي :

(١) بغداد : وفيها قبتا زمرد خاتون والشيخ عمر السهروردي

(٢) الدور : قبة امام الدور

(٣) الحلة : قبة مشهد الشمس

(٤) الكفل : قبة مشهد ذي الكفل

(٥) البصرة : قبة الحسن البصري

كما ان هناك ثلاثة قباب لم يتبق منها سوى الابدان الحاملة لها ، وبعضها امتد النقض ايضا الى جزء من بدنها ، هذه القباب هي قبة ابن البقلي المعروفة بالبجلي وقبة النجمي في منطقة شط النيل ، وقبة علي بن ادريس في منتصف الطريق الواصل بين بعقوبة وبهرز ، ولم نجد موجبا للتحدث عن كل واحدة من هذه القباب وانما ادخلناها ضمن الفصل الخاص بتطور القبة المخروطة المقرنصة .

ديوان الابنية

يواجه الباحث صعوبات بالغة عند البحث في الجوانب الحضارية عند امة العرب ، لاسيما جانبي العمارة والفن ، ذلك ان الكتاب العرب قد كرسوا جل كتاباتهم للنواحي السياسية والعسكرية وما يدور حولها ، ونواحي الحضارة ان وجدت في كتاباتهم ، فأمر عرضي ، وهو بالتالي قليل الفائدة ان لم نقل عديمها .

وبالنسبة لديوان الابنية فالاخبار التاريخية عنه نزرة للغاية ، بحيث لا تعطي صورة واضحة عنه ، ومهما يكن من

---

(٢٢٥) انظر تحديد الفقهاء لرقعة اقليم العراق في : ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ص١٠٤ ـ ١٠٥ ، وفيات الاعيان جـ ٢ ص٢٥٩ ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع جـ٢ ص٩٢٧

(٢٢٦) انظر : الاصطخري ، مسالك الممالك ص٧٨ ـ ٧٩ ابن حوقل ، صورة الارض جـ ١ ص٢٣١ الاعلاق النفيسة ص١٠٤ ـ ١٠٥ المسعودي ، التنبيه والاشراف ص٣٨ المقدسي ، احسن التقاسيم ص١٣٤ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد جـ ١ ص٢٤ ياقوت الحموي ، معجم البلدان جـ ٣ ص٢٧٢ ابو الفدا ، تقويم البلدان ص ٢٩١ مراصد الاطلاع جـ ٢ ص٧٥٠

(٢٢٧) مسالك الممالك ص٨٠ ـ ٨٨ صورة الارض جـ ١ ص٢٣٥ ـ ٢٤٧ احسن التقاسيم ص١١٤ تقويم البلدان ص٢٩١ ـ ٣٠٩

(٢٢٨) مسالك الممالك ص٧٢ ـ ٧٣ احسن التقاسيم ص١١٥ ، ١٣٧ ـ ١٣٨ معجم البلدان جـ ٢ ص١٣٤ ، جـ ٣ ص٢٦٢ تقويم البلدان ص٢٨٣ ، ٢٨٥ المشهداني الجزيرة الفراتية والموصل ص٨٢ ـ ٨٨ ، ١٢١ ـ ١٢٣

(٢٢٩) الايوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ص٩٢ ، ١٧٠ ، ١٧٢ المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص١٧٥ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص١٨٤ ابن الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ص٢٢ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب جـ ٤ ق١ ص٦ ـ ٧ ، ق٣ ص٢٥٢ الحوادث الجامعة ص١١١ ابو شامة ، ذيل الروضتين ص١٢

(٢٣٠) الحوادث الجامعة ص٦٣

(٢٣١) غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ص١٠٩

امر فاننا قد حاولنا الاستفادة من كل النصوص التي امتدت اليها يدنا ، آملين اعطاء صورة ان لم تكن متكاملة الجوانب ، فانها تكاد تقارب التكامل .

عرف هذا الديوان علاوة على تسميته الشائعة في كتابات الكتاب العرب بديوان الابنية[٢٢٩]، بأسم ديوان العقار[٢٣٠] وديوان العمائر[٢٣١].

ولا اظنه من مستحدثات العصر العباسي الاخير ٥٥٢ ـ ٦٥٦هـ / ١١٥٧ ـ ١٢٥٨ م ، كما يذهب اليه الدكتور بدري محمد فهد[٢٣٢]، اذ ورد ذكره في حوادث حصار بغداد من قبل السلاجقة سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، مما يدل على استحداثه قبل هذا التاريخ .

والغرض الذي من اجله استحدث هو تشييد مباني الدولة[٢٣٤]، وما يأمر ببنائه الخليفة[٢٣٥] وافراد حاشيته ،[٢٣٦] كما يقوم باعمال الترميم والاصلاح للابنية التي تحتاج الى ذلك [٢٣٧].

ويبدو ان فاعلية الديوان كانت شبه معدومة ان لم تكن معدومة قبل تولي الناصر لدين الله الخلافة سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م ، حيث ان اخبار الديوان تبدأ بتوليه الخلافة ، وهذا امر ليس بغريب ، اذ بلغت العمارة الاسلامية في عهده درجة عالية من التقدم والرقي والازدهار ، كماً ونوعاً ، وما بقي شاخصاً من عماراته خير شاهد ودليل على ما نقول .

يقول ابن قنيتو الاربلي عنه «لم يبلغ احد ممن قبله ما استجد من الابنية التي يبق ذكرها ويضوع نشرها»[٢٣٨] وكانت له «من المبار والوقوف ما يفوت الحصر ، وبنى من دور الضيافات والمساجد والربط ما يتجاوز حد الكثرة» [٢٣٩] ويقول ابن الكازروني «عمر المساجد ، وجدد المشاهد ، وبنى الاربطة والمدارس واثر الاثار الجميلة»[٢٤٠]. وامتد حب العمارة والولع بها الى افراد اسرته ورجالات دولته ، هذه السيدة والدته ، كانت «من ارغب النساء في فعل الخير واكثرهن له فعلا ... (من اعمالها) عمارة المساجد والمشاهد والاربطة والمدارس وغير ذلك»[٢٤١].

وجرت العادة على ان يتولى استاذ الدار رئاسة ديوان الابنية [٢٤٢]، واول من تولاه في خلافة الناصر استاذ داره مجدالدين ابو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله ابن الصاحب[٢٤٣]، الذي قتل سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م بسبب استبداده ، حيث «كان متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم»[٢٤٤]، ثم تولى استاذية الدار عبدالله بن يونس ، غير ان توليه لهذا المنصب كان في سنة ٥٨٧ هـ/١١٩١م [٢٤٥]، وخلال الفترة بين مقتل ابن الصاحب وتولي ابن يونس منصب استاذ الدار ، تقلب الاخير في عدة مناصب ، ففي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م تولى الوزارة للناصر[٢٤٦]، وفي سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م قاد جيش الخلافة لقتال طغرل آخر سلاطين السلاجقة ، غير انه وقع في الاسر [٢٤٧]، وما لبث ان تخلص من اسره[٢٤٨]، وعاد الى بغداد فتولى امر المخزن والديوان سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م[٢٤٩]، لكنه لم يمكث طويلا في استاذية الدار ، حيث عزله الخليفة[٢٥٠]، وكانت وفاته سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٧م[٢٥١].

ونظرا لكثرة المهام الملقاة على كاهل استاذ الدار ، فقد تطلب وجود نواب ينوبون عنه في مهامه المختلفة ، وبالنسبة لديوان الابنية ، فقد كان هناك منصب نائب استاذ الدار لديوان الابنية ، وتولاه عبد الله بن يونس خلال فترة استاذية ابن الصاحب لدار الخلافة[٢٥٢] .

---

(٢٣٢) تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ص١٦١
(٢٣٣) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص١٧٥
(٢٣٤) مصطفى جواد ، مقدمة تحقيق كتاب : الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص (ظ ـ ض) . مصطفى جواد ، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب لابن الفوطي ، جـ ٤ ق١ هامش ص٧
(٢٣٥) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ـ ١٨٠
(٢٣٦) ن . م . ص٩٢ ، ١٧٩.
(٢٣٧) ن . م . ص١٧٠ ، ١٧٧ ـ ١٧٨
(٢٣٨) خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨١
(٢٣٩) تاريخ الدول الاسلامية ص٣٢٢
(٢٤٠) مختصر التاريخ ص٢٤٣ ـ ٢٤٤
(٢٤١) خلاصة الذهب المسبوك ص٢٨٠
(٢٤٢) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ص٢٢
(٢٤٣) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب جـ ٤ ق٤ ص٨٧٢
(٢٤٤) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص١٨٩
(٢٤٥) ابن رجب الحنبلي ، الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص٣٩٤
(٢٤٦) ن . م . ص٣٩٣
(٢٤٧) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص١٩٧ الراوندي ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ص٤٨٠ ـ ٤٨١ الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص٣٩٣

وبعد تقادم العهد ، ونظرا لكثرة اعمال الديوان وتباعدها لاحظنا وجود عدة نواب بديوان الابنية[253] .

وهناك منصب صاحب ديوان الابنية[254]، وقد تولاه سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م فخرالدين المبارك المخرمي[255]، ونكاد لا نعرف شيئاً عن طبيعة عمله ، وهل انه مستقل عن استاذ الدار ام انه تابع له او احد نوابه ؟ غير اننا نلاحظ قيام استاذ الدار محيي الدين ابن الجوزي في سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦ م بتولي عمارة مسناة دار للخليفة المستنصر على شاطىء دجلة[256] .

ويبدو ان امكانيات ديوان الابنية محدودة بحيث لا يضطلع بالمشروعات الكبيرة لوحدة[257] ، ففي سنة ٦٣٥هـ /١٢٣٧م ، امر الخليفة المستنصر بالله بعمارة سور بغداد ، فكان نصيب ديوان الابنية قطعة منه[258] ، كما ان تولي اعمال البناء لم يكن وقفاً ، او حكرا على ديوان الابنية ، فدار المسناة الناصرية تولى عمارتها الحاجب الاعز[259] .

ولديوان الابنية ناظر[260]، يبدو ان عمله مقتصر على النظر في امور الديوان الادارية والحسابية[261]، وربما كان المسؤول المباشر عن تلك الاعمال امام صاحب الديوان او من ينوب عنه ، ولا اخاله يقوم بهذه الاعمال لوحده ، وربما كان تحت امرته موظفون يقومون بالاعمال هذه بارشاد منه وتحت اشرافه .

ومن الذين تولوا هذه الوظيفة تاج الدين ابو الحسن علي بن الانباري الواسطي ، وقد اعفي من منصبه هذا قبيل وفاته سنة ٦٣١ هـ /١٢٣٤م[262]، وخلفه فخرالدين ابو البركات علي بن عبدالرحيم بن احمد ابن جدا العيثي الحاجب الكاتب المتوفى سنة ٦٣٥ هـ /١٢٣٧م [263]، وفي سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م تولى ذات المنصب اخوه عز الدين ابو العباس احمد بن عبدالرحيم الكاتب المعدل ، وخلع عليه بمناسبة توليه هذا المنصب بدار الوزارة[264]، وهذا يدل على مدى اهمية وظيفة الناظر ، ثم طلب في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م اعفائه من منصبه فاعفي[265].

والاشراف على سير العمل في البناء ومراقبة العمال ، نلاحظها منذ القرن الاول للهجرة ، فالمسجد النبوي الذي اعاد بناءه عمر بن عبد العزيز ابان امرته على المدينة المنورة ، تولى مهمة الاشراف عليه صالح بن كيسان[266] ، والمسجد الاموي بدمشق كان المشرف على اعمال بنائه سليمان بن عبدالملك بتوكيل من اخيه الوليد[267]، والجامع النوري بالموصل الذي امر ببنائه نور الدين زنكي سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م اشرف على بنائه عمر الملاء[268].

وفيما يتعلق بقباب اقليم العراق المخروطة ، نلاحظ ا قبة امام الدور اشرف على بنائها القاضي مؤنس بن حمدان

---

(٢٤٨) ذيل الروضتين ص١٢ الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص٣٩٣ - ٣٩٤

(٢٤٩) ذيل الروضتين ص١٢ الذيل على طبقات الحنابلة ج١ ص٣٩٤

(٢٥٠) ذيل الروضتين ص١٢

(٢٥١) ن . م . الذيل على طبقات الحنابلة ج١ ص٣٩٥

(٢٥٢) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٧٠ وانظر ذيل الروضتين ص١٢

(٢٥٣) الحوادث الجامعة ص١١١

(٢٥٤) ن . م .

(٢٥٥) ن . م . وانظر تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ج ٤ ق٣ ص٢٩٢ - ٢٩٣

(٢٥٦) الحوادث الجامعة ص٢١٠

(٢٥٧) ن . م . ص١١١

(٢٥٨) ن م

(٢٥٩) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص٨٨ ويرى الدكتور مصطفى جواد ان ظهير الدين ابن الكازروني المتوفى سنة ٦٩٧هـ /١٢٩٨م ممن تولى العمل في ديوان الابنية سنة ٦٤٩هـ /١٢٥١م . انظر : مختصر التاريخ ص٩ ، استنادا على صاحب الحوادث حيث يقول «ذكر الشيخ ظهير الدين بن الكازروني رحمه الله في تاريخه بخطه قال : كنت اتولى عمارة الرباط المستجد ...» الحوادث الجامعة ص ٢٥٨ ، وانظر ص٢٦١ مختصر التاريخ ص٢٦٩ ... وهذا لايعني ان الكازروني كان من العاملين في ديوان الابنية ، حيث ان اعمال البناء لم تكن حكرا على هذا الديوان كما ان امكانياته كانت محدودة .

(٢٦٠) الحوادث الجامعة ص٦٣ تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ج ٤ ق١ ص٧ ، ق٣ ص٢٥٢

(٢٦١) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ج٨ ص٢٩٩

(٢٦٢) الحوادث الجامعة ص ٦٣

(٢٦٣) تلخيص مجمع الأداب في معجم الالقاب ج٤ ق٣ ص٢٥٢

(٢٦٤) ن . م . ق١ص٦ - ٧

(٢٦٥) ن . م .

(٢٦٦) معجم البلدان ج ٥ ص٨٧

(٢٦٧) البداية والنهاية ج٩ ص١٤٦

(٢٦٨) الكامل في التاريخ ج ٩ ص١١٠ ابو شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين ج١ ق٢ ص٤٨٠ البداية والنهاية ج١٢ ص٢٦٣

«الذي توفي والبناء بعد لم يتكامل فخلفه الحسين بن رافع»[٢٦٩].

وتربة زمرد خاتون اشرف على بنائها فيما ارى ابو المظفر جلال الدين عبدالله بن يونس، حيث خلف والده في وكالة ام الناصر[٢٧٠]، علاوة على ذلك فانه كان ممن تولوا ديوان الابنية، مما يجعلنا نرجح ان تربة زمرد خاتون قد شيدت بواسطة ديوان الابنية.

وقبة الشيخ عمر السهروردي رجحنا كون متولي الاشراف على اعمال البناء فيها الشيخ جمال الدين عبدالرحمن بن عبد المحمود السهروردي[٢٧١].

ومهما يكن من امر فأن لديوان الابنية وظيفة مشرف، والظاهر ان عمله مشابه لعمل الناظر، غير ان الناظر يكون عمله في مقر الديوان، بينما المشرف يكون واجبه في موقع العمل، حيث يشرف على العمل والعمال، ومن الذين تولوا هذه الوظيفة ابن حمدون حيث رتب مشرفا بديوان الابنية سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م[٢٧٢].

ويبدو ان من اعمال المشرف، تنسيب مراقبين في مواقع العمل، لمراقبة العمل وحث العمال عليه، فعندما بوشر باعمال الترميم بالمدرسة النظامية سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤م «رتب فيها جماعة من غلمان ديوان الابنية يحثون على العمل»[٢٧٣].

وللديوان مهندس «يتولى ترتيب العمائر وتقديرها ويحكم على ارباب صناعتها»[٢٧٤] وممن تولى وظيفة مهندس بديوان الابنية ابو الحسن جعفر بن محمد القطاع المعروف بالسديد البغدادي المتوفى سنة ٦٠٢ هـ/١٢٠٥ م، وكان مسؤولا عن العمارة والقسمة والهندسة[٢٧٥]، وكان متمكناً من عمله حتى ان القفطي وصفه قائلا: بان «له يد طولى في قسمة الادور وعماراتها»[٢٧٦].

وفي بعض الاحيان يقوم متقدم البنائين بديوان الابنية مقام المهندس، بتخطيط ما يعهد اليه من ابنية ويضع تصاميمها[٢٧٧].

اما بالنسبة للبنائين والفنانين والعمال غير المهرة فعملهم موقت في ديوان الابنية، ينتهي بانتهاء الحاجة اليهم، فقد كانوا يجمعون عندما تستجد الحاجة اليهم في امر بناء او ترميم.

وعندما يكون البناء خاصا بالخليفة او احد افراد اسرته فأن العمل يتوقف في مباني الافراد وربما مباني الدولة الاخرى ايضا. فالدار التي امر الناصر ببنائها على انقاض دار الفلك، طلب من استاذ داره «ان لا يمكن احدا من عمارة الى ان يفرغ من هذه الدار فجمع اليها جميع الصناع ... والنجارين، فلم يتخلف احد من الصناع ببغداد الا وحضر اليها»[٢٧٨]. واراد الناصر بناء دار اخرى خاصة به في ناحية حسناباذ، فأمر استاذ دار الخلافة بتعجيل بنائها «فجمع اليها جماعة من الصناع وحشر اليها ارباب الصنائع ففرغت في مدة يسيرة»[٢٧٩]. والرباط الذي عزمت على بنائه زمرد خاتون بالمأمونية، شيده استاذ الدار من ديوان الابنية بأمر الناصر «وجمع له من الصناع والبنائين والنجارين وسائر اصحاب الصنايع جماعة كبيرة»[٢٨٠].

ولديوان الابنية مخازن تحفظ فيها المواد البنائية، ففي عاشوراء سنة ٥٩٨هـ\١٢٠٢م «صلب ثلاثة رجال سرقوا نورة من بعض المخازن المختصة بديوان الابنية الميمونة المعمور»[٢٨١] ويقول الخزرجي في حوادث ٦٣٤هـ «وفي عشية هذا اليوم نقل له من ديوان الابنية احد عشر طبلا واحد عشرقصعة وزوج صنج برسم طبل النوبة في الصلوات الثلاث»[٢٨٢].

وليس بعيداً وجود معامل تتبع الديوان تقوم بعمل الاجر واستخلاص الجص والنورة من المواضع التي تكثر فيها، بغية تموين مشاريع الديوان باحتياجاتها من هذه المواد. وبعد تكامل البناء يجهز بما يحتاج اليه من آلات وادوات ومواد من مخازن ديوان الابنية كالقناديل والأواني والفرش مثل البسط والحصر وغير ذلك[٢٨٣].

---

(٢٦٩) انظر ص ٥٠ من الكتاب

(٢٧٠) ذيل الروضتين ص١٢ الذيل على طبقات الحنابلة جـ ١ ص٣٩٢

(٢٧١) انظر ص ٧١ من الكتاب

(٢٧٢) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٧٢

(٢٧٣) ن . م . ص١٧٠

(٢٧٤) القلقشندي ، صبح الاعشى جـ ٥ ص٤٦٧

(٢٧٥) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص١٨٤

(٢٧٦) اخبار الحكماء ص١٠٩

(٢٧٧) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٧٦

(٢٧٨) ن . م .

(٢٧٩) ن . م . ص١٨٠

(٢٨٠) ن . م . ص٩٢

(٢٨١) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص٧٩

(٢٨٢) العسجد المسبوك جـ ٢ ص٢٩٠ .

(٢٨٣) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص٨٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ـ ١٧٩

عمارات الخليفة الناصر لدين الله

افادنا سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ /١٢٥٦ م حين حصر لنا عمارات الخليفة الناصر لدين الله في فصل خاص ، وهي «رباط الاخلاطية والتربة ورباط الحريم ومشهد عبيدالله وتربة عون ومعين عند تربة الخلاطية وتربة والدته والمدرسة التي الى جانبها والرباط المقابل لها الذي كان دار والدته ومسجد سوق السلطان ورباط المرزبانية ودور المضيف بالمحال ودار ضيافة الحاج ودار المسناة[٢٨٤] ودار الملك[٢٨٥] وجعلها رباط والدار البيضاء التي كان يسكنها عند التاج وغرم على هذه الاماكن اموالا جليلة»[٢٨٦] .

وهذه العمارات منها ما ظل شاخصا حتى يومنا هذا ومنها ما اندرس واصبح اثرا بعد عين ، كما ان السبط اغفل قسما من عمارات الناصر ولم يذكرها ، وسأحاول هنا اعطاء قائمة بمباني الخليفة الناصر استنادا على كتابات الكتاب العرب ، وما صحت نسبته اليه دون ان نجد ذكرا له في كتاباتهم .

١ ـ مسجد سوق السلطان :

وسوق السلطان هو محلة الميدان الحالية[٢٨٧] ، ولم يعد لهذا المسجد اي اثر .

٢ ـ مسجد زمرد خاتون :

يقع على ضفة دجلة الشرقية قريبا من المدرسة المستنصرية ، ويعرف بمسجد الخفافين والحظائر ، ولم يتبق من بنائه الاصلي سوى منارته التي تعد اقدم منارات بغداد ، ولم يتوصل احد من الباحثين الى تاريخ بنائها ، حتى ان الدكتور مصطفى جواد يقول «ولم يعرف بالضبط تاريخ انشاء هذا الجامع الا انه من المعلوم ان زمرد خاتون مشيدته توفيت سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٢م»[٢٨٨] والحقيقة انه شيد سنة ٥٨٠هـ /١١٨٤ م يقول الايوبي في حوادث هذه السنة «وفيها عمرت ام الخليفة مسجدا بمشرعة السقائين على شاطيء دجلة بمشرعة الحطابين وغرمت عليه جملة كبيرة»[٢٨٩] .

٣ ـ منارة مسجد معروف الكرخي :

لا زالت هذه المنارة قائمة في المسجد الواقع في مقبرة معروف الكرخي ، وهي تحمل تاريخ بنائها في واحدة من حناياها ، وهو سنة ٦١٢هـ /١٢١٥م ، التي تقع ضمن سني خلافة الناصر لدين الله ، ولم نجد اية اشارة لها في كتابات المؤرخين العرب .

٤ ـ مسجد قمرية :

يقع على ضفة نهر دجلة الغربية ، قبالة محلة سوق الجديد ، وهو من ابنية الخليفة الناصر لدين الله ، كما يراه التقي الفاسي[٢٩٠] ، ويؤيده الالوسي حيث يقول «والوضع والبناء يشهدان له بذلك» [٢٩١] بينما يرى غيرهم انه من ابنية الخليفة المستنصر بالله[٢٩٢] . والذي اراه ، ان مسجد قمرية ابتدأ بعمارته في خلافة الناصر لدين الله وربما في اواخر سني حكمه ، وتكامل وافتتح في شعبان سنة ٦٢٦ هـ /١٢٢٩م[٢٩٣] ، التي تقع ضمن خلافة المستنصر بالله .

اما تسميته بمسجد قمرية ، فقد سمي بأسم المحلة الواقع فيها[٢٩٤] ، وليس بأسم أمرأة كما يرجح الآلوسي [٢٩٥] .

وقد اضاعت اعمال التجديد والترميم معالمه الاصلية ، ولم يتبق من بنائه الاصل سوى منارته ، وربما مخططه ايضا .

---

(٢٨٤) تصحفت الى دار المنسا

(٢٨٥) يرى الدكتور مصطفى جواد انها دار الفلك وتصحفت الى دار الملك . انظر دليل خارطة بغداد ص١٨٤

(٢٨٦) مرآة الزمان جـ ٨ ص٦٣٧ والتبس الامر على الصفدي حيث نسب هذه العمارات الى الخليفة الظاهر ابن الناصر ، انظر : نكت الهميان في نكت العميان ص٢٣٨ الوافي بالوفيات جـ ٢ ص٩٦ وسبب الالتباس هذا فيما اراه هو ان الصفدي نقل عن السبط ، دون تثبت ، وكان السبط قد قدم بيعة الظاهر على فتوحات الناصر وعماراته . انظر ، مرآة الزمان جـ ٨ ص٦٣٦ ـ ٦٣٧ .

(٢٨٧) دليل خارطة بغداد ص١٨٥

(٢٨٨) ن . م . ص١٨٨

(٢٨٩) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٧٨ ـ ١٧٩

(٢٩٠) التقي الفاسي ، منتخب المختار في تاريخ علماء بغداد ص ١٤٥

(٢٩١) تاريخ مساجد بغداد واثارها ص١١٤

(٢٩٢) ابن رجب الحنبلي ، الذيل على طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٢٩١ مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد ، مجلة سومر ، ١٩٤٧ ، جـ ١ ص ٥٠ دليل خارطة بغداد ، ص ١٩٠ ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية جـ ١ ، هامش ص ٣٦٧

(٢٩٣) الحوادث الجامعة ص٤

(٢٩٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٨

(٢٩٥) تاريخ مساجد بغداد واثارها ص١١٤

٥ ـ مشهد الشيخ علي الهيتي :

يقع في قرية زريران ، بينها وبين بغداد سبعة فراسخ على جادة الحاج اذا ارادوا الكوفة من بغداد(٢٩٦) ، وهي تحت المدائن بيسير فوق ساباط ، من اعمال نهر الملك(٢٩٧).

ينسب الى الشيخ الصالح الزاهد العابد علي بن احمد بن ابي نصر الهيتي المتوفى في جمادى الاولى سنة ٥٦٤ هـ/١١٦٩م(٢٩٨) .

أمرت بعمارة المشهد والرباط السيدة زمرد خاتون سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤م(٢٩٩) ، وكانت قبة المشهد المدفون تحتها الشيخ الهيتي ، كما يقول الايوبي «عجيبة البناء»(٣٠٠) ووصفها ياقوت بانها «قبة عالية» (٣٠١) وارجح انها كانت من نوع القباب المخروطة ، ولم يعد لها اليوم اي اثر يذكر .

وعند تكامل البناء ، اوقفت عليه زمرد خاتون «قرية جميلة يكون ارتفاعها خمسمائة دينار ، وحملت اليها جميع ما تحتاج اليه من فرش وقناديل من جملتها قنديلان احدهما فضة والآخر ذهب ، ثم عملت على قبره صندوقا من الساج وغرمت عليه جملة كبيرة وكتبت اسمها على داير الصندوق : هذا ما اوقفته بحر درة امير المؤمنين»(٣٠٢) .

٦ ـ مشهد عون ومعين :

شاهده الرحالة ابن جبير حين زار بغداد سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤ م يقول «وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من اولاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب»(٣٠٣) وقد جرفته دجلة ولم يعد له اثر ، حيث كان يقع في محلة خضر الياس الحالية على دجلة(٣٠٤).

٧ ـ مشهد عبيد الله :

يقع عند القبر المعروف بأبي رابعة شرقي الاعظمية(٣٠٥) ، وقد تهدم هو والرباط المجاور له اثر فيضان دجلة وغرق بغداد سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م والرباط من ابنية زمرد خاتون(٣٠٧).

٨ ـ تربة المستضيء بامر الله :

توفي الخليفة المستضيء بأمر الله سنة ٥٧٥هـ ـ١١٧٩م ، فأمر ابنه الخليفة الناصر لدين الله ببناء تربة له بجوار جامع فخر الدولة(٣٠٨) ابي المظفر بن الحسن بن هبة الله بن المطلب(٣٠٩) : غربي دجلة من بغداد عند رأس الجسر(٣١٠) .

وتولى عمارتها استاذ الدار ابن الصاحب سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م (٣١١) وتكاملت سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م فنقل اليها جثمان المستضيء(٣١٢) ، وارجح انها من ابنية ديوان الابنية ، حيث ان استاذ الدار كان هو متوليا ديوان الابنية ، ولم يعد لهذه التربة اي اثر .

٩ ـ تربة الاخلاطية :

وهي تربة سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان زوجة الناصر المتوفاة سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨ م ، توفيت قبل تمام تربتها فدفنت فيها ثم اكملت(٣١٣) ، ولم يعد لها اي اثر .

---

(٢٩٦) معجم البلدان جـ٣ ص ١٤٠

(٢٩٧) مراصد الاطلاع جـ٢ ص ٦٦٥

(٢٩٨) معجم البلدان جـ٣ ص ١٤٠

(٢٩٩) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٧٩

(٣٠٠) ن . م .

(٣٠١) معجم البلدان جـ٣ ص ١٤٠

(٣٠٢) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص١٧٩

(٣٠٣) رحلة ابن جبير ص٢١٢ ـ ٢١٣

(٣٠٤) انظر ص ٥٣ من الكتاب

(٣٠٥) دليل خارطة بغداد ص ١٨٥

(٣٠٦) الحوادث الجامعة ص ٣٠٤

(٣٠٧) ن . م . ص ٢٦١

(٣٠٩)وفخر الدولة توفي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م وكان ابوه وزير الخليفة واخوه استاذ الدار فتصوف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعا بالجانب الغربي . الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ١٦٠

(٣١٠)

(٣١١)

(٣١٢)

(٣١٣) ابن الساعي ، جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ص ١١٧ انظر ص ٥٣ ـ ٥٤ من الكتاب

(٣١٤) انظر ص ٥٣ من الكتاب

١٠ ـ تربة زمرد خاتون :

لا تزال قبة تربتها قائمة حتى يومنا هذا ، وقد خصصنا فصلاً خاصا بها [٣١٤] .

١١ ـ مدفن الخليفة الناصر لدين الله :

كان قد اعد لنفسه ضريحا ومدفنا بازاء ضريح محمد الجواد[٣١٥]، فلم يدفنه ابنه الظاهر فيه[٣١٦]، وعندما توفي نصير الدين الطوسي سنة ٦٧٢هـ /١٢٧٣م دفن فيه [٣١٧].

١٢ ـ رباط الشيخ علي بن الهيتي :

شيدته السيدة زمرد خاتون سنة ٥٨٠هـ /١١٨٤م عند تشييدها مشهده الواقع بأزائه[٣١٨].

١٣ ـ رباط السيدة زمرد خاتون بالمأمونية :

كان موضعه دار سنقر الصغير الذي امر الخليفة الناصر لدين الله بنقضه ، فطلبت منه والدته زمرد خاتون الموضع لتبني فيه رباطا للصوفية ، فأذن لها في ذلك ، وأمر الناصر استاذ داره بعمارته من ديوان الابنية ، وبوشر العمل فيه سنة ٥٧٧هـ /١١٨١م [٣١٩] يقول الايوبي «جمع له من الصناع والبنائين والنجارين وسائر اصحاب الصنايع جماعة كبيرة .

فبني الموضع احسن بناء يكون ، وهو في المحلة المعروفة بالمأمونية احسن موضع من بغداد في وسط السوق»[٣٢٠] وتكامل بناؤه سنة ٥٨٠هـ /١١٨٤م[٣٢١] وفيها افتتح ، ولم يعد له اثر .

١٤ ـ رباط الاخلاطية :

بأزاء تربتها ، ولم يعد له وجود[٣٢٢] .

١٥ ـ رباط بالجانب الغربي :

يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٥٨٥ هـ /١١٨٩م «وفيها في صفر فتح الرباط الذي بناه الخليفة بالجانب الغربي من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يوما مشهودا»[٣٢٣].

١٦ ـ رباط الحريم :

يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٥٨٩هـ /١١٩٣ م : «وفيها في ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الذي أمر بأنشائه الخليفة ايضا بالحريم الظاهري غربي بغداد على دجلة وهو من احسن الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من احسن الكتب»[٣٢٤] .

١٧ ـ رباط زمرد خاتون :

بأزاء تربتها ، ولم يعد له وجود[٣٢٥] .

١٨ ـ رباط المرزبانية :

بناه الخليفة الناصرالدين الله سنة ٥٩٩هـ /١٢٠٢م على نهر عيسى للشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، وبنى له الى جانبه دارا واسعة وحماما وبستانا يسكنها بأهله[٣٢٦]، بينما ذكر الاربلي ان الناصر بناه لينقطع فيه ويترك الخلافة زهداً في الدنيا ، ثم بدا له غير ذلك[٣٢٧].

١٩ ـ مدرسة زمرد خاتون :

وهي مدرسة الاصحاب ، كانت تقع بأزاء تربتها ، ولم يعد لها وجود[٣٢٨].

---

(٣١٥) خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨٢ الحوادث الجامعة ص ٣٨٠ البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٦٨

(٣١٦) خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨٢

(٣١٧) الحوادث الجامعة ص ٣٨٠ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٨ ٢٦ ، وانظر : اليونيني ، ذيل مرآة الزمان جـ٣ ص ٧٩ الوافي بالوفيات جـ ١ ص ١٨٣

(٣١٨) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٩

(٣١٩) ن . م . ص ٩٢

(٣٢٠) ن . م .

(٣٢١) الكامل في التاريخ جـ٩ ص ١٦٤

(٣٢٢) انظر ص ٥٣ من الكتاب .

(٣٢٣) الكامل في التاريخ جـ٩ ص ٢٠٥

(٣٢٤) ن . م . ج ٩ ص ٢٢٩ وانظر المسجد المسبوك جـ ٢ ص ١٨٤

(٣٢٥) انظر ص ٥٥ من الكتاب

(٣٢٦) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥١٣ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ٩ ص ٩٩ الحوادث الجامعة ص ٧٤

(٣٢٧) خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨٢

(٣٢٨) انظر ص ٥٥ من الكتاب

(٣٢٩) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٧

٢٠ ـ صومعة لمقدم الفتيان :

شيدها الخليفة الناصر لدين الله لمقدم الفتيان الشيخ عبد الجبار سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م . تحت بغداد «يكون دائرها سور داير»[٣٢٩] وأخذ الناصر يكثر من التردد اليها والتحدث مع الشيخ عبد الجبار في الفتوة ومعرفة الفتيان[٣٣٠] .

٢١ ـ دور الضيافة لافطار الصائمين :

يقول سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦٠٤هـ /١٢٠٧م (وفيها رتب الخليفة في رمضان دور المضيف ببغداد من الجانبين عشرين داراً)[٣٣١]

٢٢ ـ دار ضيافة الحاج :

كانت تقع في الجانب الغربي من بغداد على مقربة من التربة الاخلاطية ، امر الناصر بعمارتها في محرم سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م وتكاملت في نفس السنة[٣٣٢]، واتخذت دار مقام «للحجاج والواردين من البلاد ورتب الخليفة لهم فنون الاطعمة»[٣٣٣] .

٢٣ ـ دار المسناة الناصرية :

وهي أول دار بناها الناصر لنزهته على شاطيء دجلة ، على طرف السور مما يلي دجلة ، وفرغ منها سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م[٣٣٤].

اختلف الباحثون المحدثون في البناية القائمة اليوم والمعروفة بالقصر العباسي ، فنهم من يرى انها دار المسناة الناصرية[٣٣٥]، ومنهم من يذهب الى انها المدرسة الشرابية[٣٣٦].

وكان الناصر قد «رتب فيها جماعة من المماليك والخدم لحفظها وحراستها يلازمون الخدمة فيها دائماً والى الآن ، فاذا كان راكباً في دجلة او على ظهر واراد الدخول اليها تكون مهيأة للقعود فيها والسكنى بها ، وجعل لهذه الدار حرمة قاطعة كحرمة التاج الشريف بحيث لا يقدر احد يقعد تحتها ولا يدنو منها ، الا ان كان سائراً في سفينة فحسب»[٣٣٧]، ويضيف الايوبي قائلاً ، انها «اول دار فرشت طوابيق ملونة : أزرق وأحمر وسائر الألوان»[٣٣٨]. وهذا مما يفيد في البحث الآثاري لتوكيد النسبة او نفيها .

٢٤ ـ دار الفلك :

عرفت الدار بهذه التسمية نسبة الى رجل ضرير اسمه الفلك ، توفي في خلافة المستضيء ولم يكن له وارث سوى بيت المال[٣٣٩] ، فأمر الناصر سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بهدم الدار وتسويتها بالارض ، وبنائها داراً خاصة به ، وضع تصميمها بنفسه ، وعندما تكاملت زوقوها بالصور الادمية «وزخرفت الدار بالذهب والفضة حتى ذكر انه لم يعمر مثلها»[٣٤٠] كما «رتب في الدار جماعة كثيرة لحفظها وجعل لهذه الدار حرمة كحرمة التاج»[٣٤١]، وكانت تقع على دجلة بينها وبينه خطوات[٣٤٢] .

وهذه الدار هي غير دار الفلك التي جعلت رباطاً ، يقول سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م «بنى الخليفة دار الفلك ورتب فيها ابنة السيد العلوي ويقال لها ست الخدور»[٣٤٣] ، وموقعها حسبما يراه الدكتور مصطفى جواد في دار الخلافة[٣٤٤] .

---

(٣٣٠) ن . م .
(٣٣١) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٣٤ ، وانظر الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٢٩٨ خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨١ مختصر التاريخ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦
(٣٣٢) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٣٩ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨١ مختصر التاريخ ص ٢٤٥ العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٢٤
(٣٣٣) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٣٩
(٣٣٤) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٨٨
(٣٣٥) يعقوب سركيس ، مباحث عراقية جـ ٢ ص ١ ـ ١٤ مصطفى جواد ، القصر العباسي في القلعة ببغداد ، مجلة سومر (١٩٤٥) جـ ٢ ص ٦١ ـ ١٠٢
(٣٣٦) ناجي معروف ، المدارس الشرابية ص ١٣٣ ـ ١٤٤
(٣٣٧) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٨٨
(٣٣٨) ن . م .
(٣٣٩) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٥
(٣٤٠) ن . م . ص ١٧٦
(٣٤١) ن . م . ص ١٧٧
(٣٤٢) ن . م . ص ١٧٦ ، وانظر وصفها الكامل ص ١٧٥ ـ ١٧٦
(٣٤٣) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٠١
(٣٤٤) دليل خارطة بغداد ص ١٨٥
(٣٤٥) الحوادث الجامعة ص ٢٧٤ ، وانظر ص٢٦٥

وفي سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م اوقف الخليفة المستعصم بالله دار الشط المجاورة لدار الفلك واتخذت رباطاً للنساء ، جعلت شيخته الشريفة بنت المهدي[٣٤٥] ، وبناءاً على ذلك فان هذه الدار التي اتخذت رباطاً للنساء اخذت اسمها من دار الفلك حيث تقع بأزائها .

٢٥ ـ دار للناصر في ناحية حسناباذ :

من معاملة نهر ملك ، امر الناصر لدين الله استاذ داره سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بعمارتها والتعجيل فيه ، ففرغ منها في مدة يسيره[٣٤٦] ، وكان يخرج اليها «ومعه جماعة لرمي البندق ويلبس ثياب الرماة ويرمي مع جماعة منهم ليلاً وبكرة وعشية»[٣٤٧] ، واولع الناصر برمي البندق وصيد الحمام وتربيته ، وقد امر اصحابه «ان يعمروا مبارح ودوراً للحمام وكثر ذلك»[٣٤٨] وكانت تلك خير مادة للتشنيع عليه ، يقول ابن الاثير «وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة»[٣٤٩] .

٢٦ ـ الدار البيضاء :

وهي التي كان يسكنها عند التاج[٣٥٠] .

٢٧ ـ داراً خاصة بالناصر :

تقع علىّ دجلة وسط بستان . يلصق البيمارستان العضدي ، أمر بعمارتها سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م «فعمرت على احسن ما تكونُ العمارة»[٣٥١] وكان دائم الخروج اليها للفرجة والتنزه[٣٥٢] .

٢٨ ـ دور لبعض خواصه :

وكان يمنح خواصه دوراً خاصة بهم ، فقد اعطى ابن الداية داراً حسنة بالريحانيين[٣٥٣] وللربيب بن رزين داراً جميلة في درب الصاغة[٣٥٤] ، ولمحمد بن يحيى الفراش داراً عند عقد الجديد بجوار حمام الوراقين[٣٥٥] ، ولا اق سنقر داراً في درب نصير[٣٥٦] .

٢٩ ـ باب الحلبة او باب الطلسم :

قام الخليفة الناصر لدين الله بتجديد اسوار بغداد الشرقية ، كما جدد باب الحلبة وانشأ برجاً ضخماً فوقه وذلك في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م كما هو مثبت على البرج ، وقد نسفه الاتراك العثمانيون عند خروجهم من بغداد سنة ١٩١٧م[٣٥٧] .

ومما لا ريب فيه ان عمارات اخرى للناصر قد اغفلها الكتاب العرب ، او ذكروها غير ان كتاباتهم لم تقع بين ايدينا .

اما ترميم الابنية واجراء الاصلاحات الضرورية التي تتطلبها فوصلتنا بعض الاخبار التاريخية التي تشير الى قيام ديوان الابنية بهذه الاعمال ، في ٢٧/رمضان/ سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، قام الخليفة الناصر لدين الله بزيارة المدرسة النظامية فوجدها شعثة قد تخرب كثير من اجزائها ، فأمر استاذ الدار بعمارتها من ديوان الابنية وان ينفذ اليها كل ما تحتاج اليه من آلات وفرش وغير ذلك ، وتولى ذلك ابن يونس نائب استاذ الدار[٣٥٨] وفي سنة ٥٨٩هـ «امر الخليفة

---

(٣٤٦) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٨٠
(٣٤٧) ن . م .
(٣٤٨) ن . م .
(٣٤٩) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٣٦١ ، وانظر مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٣٧ الحوادث الجامعة ص٢٠٣
(٣٥٠) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٣٧
(٣٥١) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٣
(٣٥٢) ن . م .
(٣٥٣) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٨٥
(٣٥٤) ن . م .
(٣٥٥) ن . م .
(٣٥٦) ن . م . ص ١٧١ ـ ١٧٢
(٣٥٧) دليل خارطة بغداد ص ١٦١ ورد في حوادث سنة ٥٩٥هـ ما نصه «وفي هذه السنة امر الخليفة بعمارة سورنان على بغداد» المسجد المسبوك جـ ٢ ص ١٩٤
(٣٥٨) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٠
(٣٥٩) المسجد المسبوك جـ ٢ ص ١٨٤

الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة الوفاً لا يوجد مثلها»[٣٥٩].

وفي ذات السنة زار هو والسيدة والدته مشهد الحسن العسكري ، فأمر : «استاذ الدار ان يعمر مشهد سر من رأى وان يشيده وينفذ اليه فرشاً وبسطاً وجميع ما يحتاج اليه»[٣٦٠] .

وامر ايضاً لمشهد يعرف بأسم صدوديا على مقربة من مشهد الحسن العسكري بمثل ما امر لمشهد العسكري[٣٦١] .

وفي نفس السنة ايضاً خصص الناصر مبلغ الف دينار تصرف على عمارة مشهد الامام موسى الكاظم[٣٦٢] .

اسباب ندرة المباني الاسلامية

سبق وان خلصنا الى ان موقف بعض من علماء الاسلام المتشددين من البناء على القبر كان واحداً من الاسباب التي لعبت دورها في ندرة مثل هذه الابنية ، وهذا لا يعني ان الموقف الذي وقفته بعض الطوائف والمعاكس للموقف السابق ، وهو تحبيذ البناء على قبور الأئمة والعلماء والصالحين وعمارتها بحجة تعظم شعائر الدين كان مفيداً لنا ، بل على النقيض من ذلك ادت الى كثرة اعمال الهدم والبناء مجدداً ، وبطبيعة الحال نجم عن ذلك ضياع الكثير من المعالم الاثرية ، حيث فقدنا جملة حلقات من سلسلة تاريخ العمارة الاسلامية .

ومهما يكن من امر فأن هناك عوامل فعلت فعلها في اندراس الكثير من المباني الاسلامية ومن ضمنها ابنية القبور ، كالزلازل[٣٦٣] ، والصواعق[٣٦٤] ، والحرائق[٣٦٥] ، والفيضانات[٣٦٦] علاوة على الفتن الطائفية والمذهبية[٣٦٧] وما يعقبها من هدم للمباني ، اضافة الى ذلك ، فأن اسباباً كثيرة ادت الى التعمد في نقض المباني ، منها محاولة طمس اسماء مشيديها ، فقد هدم الحجاج بن يوسف الثقفي دار الامارة في محاولة منه لطمس ذكر زياد بن ابيه[٣٦٨] ، ومنها ان الخلفاء العباسيين ما ان يحل سخطهم على احد صنائعهم ، فلا يكتفون بالسجن ومصادرة الاموال ، بل يعمدون الى مبانيهم فينقضونها[٣٦٩] .

ومحاولة الاستفادة من المواد البنائية في بناء مبان جديدة ، ادت الى نقض الكثير من المباني[٣٧٠] ، فقد حاول ابو جعفر المنصور نقض طاق كسرى عندما عزم على بناء مدينته المدورة ، وبالفعل بوشر في ذلك ، غير انه لاحظ ان تكاليف النقل اكثر مما لو عمل آجراً جديداً فأوقف النقض[٣٧١] .

---

(٣٦٠) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٨ وانظر ص ١٧٧ ولا تزال اثار عمارة الناصر لمشهد الحسن العسكري ماثلة حتى يومنا هذا في سرداب باب الغيبة ، انظر مديرية الآثار القديمة ، باب الغيبة في سامراء ص ٦ ـ ٨

(٣٦١) ن . م . ص ١٧٧ ـ ١٧٨ وورد اسم المشهد ص ١٧٧ ، بأسم مشهد صندوديا ، بينما في ص ١٧٨ مشهد صدوديا ، ولست ادري ايهما اصح . فالمصادر التاريخية ملازمة الصمت ولم اعثر له على اي ذكر .

(٣٦٢) ن . م . ص ١٧٨

(٣٦٣) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢١١

(٣٦٤) ن . م . جـ ١٣ ص ٩١

(٣٦٥) القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ص١٦٨ ـ ١٦٩ المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ص١٥٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٧٤ ، ٧٩ ابن دحية الكلبي ، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص١٣٧ مرآة الزمان جـ ٨ ص ٧٠ ، ٩٦ الحوادث الجامعة ص٣٣٠ البداية والنهاية جـ١٣ ص ١٥٩ ، ١٧٥

(٣٦٦) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٢٧٢ ، جـ ١٠ ص ٦٥ ، ١٩٠ الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٦٦ ، ١٢١ مرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ الحوادث الجامعة ص٣٠٤ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٧

(٣٦٧) الصولي ، اخبار الراضي بالله والمتقي بالله ص ١٣٦ ، ١٩٨٠ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٦ ص ١٩٥ الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٦٠ النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ١٣٧ وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٨ تاريخ الدول الاسلامية ص ٢٣٧

(٣٦٨) فتوح البلدان ق ٢ ص ٤٢٨

(٣٦٩) انظر ، الهمداني ، تكلمة تاريخ الطبري ص ٢٢ المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٦ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، جـ ١٠ ص ٣٦ ، ٨١ ، ١٤٧ مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ الذهبي ، تاريخ الاسلام (مخطوط) ص ٤٤ ، ٥٢

(٣٧٠) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٣٠ معجم البلدان جـ ٣ ص ١٧٦ ، ٣١٦

(٣٧١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ٢٢٩ ، ونسبها للرشيد تاريخ بغداد جـ ١ص ١٣٠ ـ ١٣١ مناقب بغداد ص ٨ ـ ٩ وفي رواية للطبري ان المنصور امر بترميم القصر الابيض وتغريم من وجد عنده من آجر الايوان تاريخ الطبري جـ ٨ ص ٥٧

(٣٧٢) معجم البلدان جـ ٣ ص ١٧٧

وعندما انتقل بنو العباس من سامراء عائدين بخلافتهم الى بغداد ، نقضت الكثير من ابنيتها ، وحمل النقض الى بغداد لعمارة بعض ابنيتها ، يقول ابن المعتز :

قد اقفرت سر من رآ
ى وما لشيء دوام
فالنقض يحمل منها
كأنها آجام
ماتت كما مات فيل
تسل منه العظام[٣٧٢]

حتى اننا وجدنا اقوال مأثورة بخصوص نقض الابنية واستخدامها في ابنية جديدة ، منها : «الحجر المغصوب في البناء اساس الخراب ، ليت الحلال سلم فكيف الحرام»[٣٧٣] ، ومنهم من نسبه الى الرسول الكريم بهذه الصيغة «اتقوا الحجر الحرام في البنيان فأنه اساس الخراب»[٣٧٤] ، وقيل ايضاً «كل دار بنيت على وجه الاغتصاب يكون مآلها الى الاندراس»[٣٧٥] .

كما كانت اعمال الغزو وما يعقبها ذات اثر كبير في نقض الكثير من الابنية ، فترب الخلفاء العباسيين لو قدر لها ان تظل شاخصة لاغتنتا ولأستطعنا بواسطتها ان نسلسل حلقات ابنية القبور ، غير انها بعد دخول المغول بغداد ، نبشوا قبور الخلفاء واحرقوا الترب ، حتى قال الشاعر :

ان ترد عبرة فتلك بنو العـ
باس حلت عليهم الآفات
استبيح الحريم اذ قتل الاحـ
ياء منهم واحرق الاموات[٣٧٦]

ونبش القبور من السنن الذميمة التي استنت ايام بني امية ، فقد نبش قبر زيد بن علي ومثل بجثمانه ، وكان هذا اول نبش حدث في الاسلام ، وعندما قامت دولة العباسيين سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م تعقب العباسيون قبور بني امية فنبشوها واحرقوا ما تبقى من جثث الخلفاء الامويين[٣٧٧] ، وخشي ابو جعفر المنصور على قبره من النبش «وحفروا له مائة قبر ليغموا على الناس ودفن في غيرها»[٣٧٨] ويقول الطبري «وحفر للمنصور مائة قبر ، ودفن في كلها ، لئلا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس ودفن في غيرها للخوف عليه»[٣٨٠] ويضيف قائلاً «وهكذا قبور خلفاء ولد العباس ، لا يعرف لاحد منهم قبر»[٣٨١] ، ولقد سبق وان اختلف في موضع قبر الامام علي عليه السلام[٣٨٢] ، غير ان احدى الروايات تشير الى ان قبره قد اخفي عن عمد[٣٨٣] ، بسبب العداء السياسي والمنهجي الذي حصل في تلك الحقبة الزمنية وما بعدها .

وفي سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠م ، امر المتوكل على الله بهدم قبر الامام الحسين عليه السلام ، فسوي بالارض وازيل اثره[٣٨٤] .

ثم كان للخلاف المنهجي اثره البالغ في الكثير من حوادث الفتن والاضطرابات ، حيث نجم عنها تعرض المشاهد الى اعمال الهدم واضرام النيران فيها ، ففي سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م حدثت فتنة بين العامة ادت الى احتراق مشهد الامام الكاظم[٣٨٥] «حتى اراد بعض من لا يتقي الله ولا يراقب رسول الله نبش قبر الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد»[٣٨٦] وفي سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م «كثر العبث من بني خفاجة واتوا الى المسجد بالحائر فتظاهروا فيه بالمنكر فوجه اليهم سيف الدولة عسكراً فكبسوهم في المشهد واخذوا عليهم ابوابه وقتل منهم خلق عند الضريح»[٣٨٧] .

---

(٣٧٣) مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٨ ـ ١٩
(٣٧٤) سيوطي ، الجامع الصغير جـ ١ ص ٨
(٣٧٥) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٩٧
(٣٧٦) الحوادث الجامعة من ٣٣٥
(٣٧٧) المسعودي ، مروج الذهب جـ ٣ ص ١٤١
(٣٧٨) ن . م .
(٣٧٩) الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٤٤
(٣٨٠) تاريخ الطبري جـ ٨ ص ٤ ١١
(٣٨١) ن . م .
(٣٨٢) تاريخ الطبري جـ ٤ ص ١١٧ (مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) ابن قتيبة ، المعارف ص ٢٠٩ مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٥٨ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٩ الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٧٧ وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٢٢٢
(٣٨٣) المعارف ص ٢٠٩ تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٣٥ تاريخ الدول الاسلامية ص ١٠١
(٣٨٤) مروج الذهب جـ ٤ ص ١٣٥
(٣٨٥) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٥٩ البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٦٢
(٣٨٦) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ١٣٧
(٣٨٧) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٩ ص ٩٧
(٣٨٨) الحوادث الجامعة ص ٢٧١ ـ ٢٧٢

وفي سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م نكل بدر الدين لؤلؤ باصحاب الطريقة العدوية ، اتباع عدي بن مسافر ، ولم يكتف بذلك بل «ارسل من نبش قبر الشيخ عديا من ضريحه واحرق عظامه»[٣٨٨] . غير ان هذا لم يفت في عضد العدويين ، حيث ظلوا اقوياء يخشى جانبهم ، وكان بدر الدين لؤلؤ قد بنى مجموعة من المشاهد نسبها الى آل علي لا يصح واحد منها ، ومن تلك المشاهد ، مشهد يحيى بن القاسم بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، علماً بان القاسم قتل مع الامام الحسين وهو غلام لم يتزوج[٣٨٩] ومهما يكن من امر فأن بدر الدين لؤلؤ دفن في هذا المشهد[٣٩٠]، مما يجعلنا نرجح انه قصد من وراء ذلك اخفاء قبره ليكون بمأمن من العبث .

(٣٨٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ص ٣٩ ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ٦٠ ـ ٦١ ابن عنبه ، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٥٣

(٣٩٠) انظر ، الحوادث الجامعة ص ٣٣٧ البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٤

القسم الثاني

قبة مشهد امام الدور

تقع بلدة الدور التي يقوم فيها مشهد امام الدور ، على ضفة دجلة الشرقية ، وعلى بعد حوالي ٤٠ كم شمال سامراء .

ودور سامراء موضعان[١]، احدهما يعرف باسم دور عربايي[٢] واليه ينسب محمد بن الفرخان بن روزبه ابو الطيب الدوري المتوفى بعد سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م[٣]، والدور الحالية التي يقع فيها المشهد الذي نحن بصدده .

ينسب المشهد استنادا الى لوحة رخامية غير منتظمة تعود الى سنة ٨٧١هـ /١٤٦٦م[٤]، ثبتت على يمين المدخل الحالي ، الى محمد العابد بن موسى الكاظم . (انظ صورة رقم ٩) .

وتجمع المصادر العربية على ان لموسى الكاظم عددا كبيرا من البنين ، احدهم يدعي محمد العابد[٥] .

ويرى الشيخ يونس السامرائي ان الدور الحالية هي دور عربايا وامام الدور هو محمد بن فرخان ابو الطيب الدورى[٦] ، الذي هو نفسه محمد العابد بن موسى الكاظم[٧] وجل اعتماد الشيخ السامرائي في رأيه هذا على تطابق الاسمين ولأن ابا الطيب الدوري منسوب الى دور سامراء (دور عربايا) ويرى ان البناء ربما يعود الى القرن السادس الهجري[٨] . وهذا الرأي غير صحيح للاسباب التالية : -

١ - ان الدور الحالية هي غير دور عربايا المنسوب اليها ابو الطيب الدوري[٩] .

٢ - ان ابا الطيب توفي بعد سنة ٣٥٩هـ [١٠] ، والامام موسى الكاظم توفي سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م[١١] وقيل سنة ١٨٦هـ / ٨٠٢م[١٢] / ٨٠٢م . فلا يعقل ان ابنه محمد قد عاش اكثر من (١٧٠) سنة .

٣ - ان تاريخ البناء ثابت وهو يعود الى اواخر القرن الخامس واوائل القرن السادس الهجريين .

ومن الباحثين من التبس عليه الامر ، فنفى ان يكون هناك دليل على ان امام الدور هو ابو الطيب الدوري[١٣] ، ثم عاد من حيث لا يعلم فنسب مشهد امام الدور الى ابي الطيب المذكور[١٤]، ومنهم من كان يذهب الى ان امام الدور

---

(١) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٨١
تاج العروس جـ ١١ ص ٣٤٠
ويسميها الخطيب البغدادي بدور سر من رأى . تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٦٧ ، وفي موضع آخر يسميها بدور العربان . ن . م ص ١٦٩ .

(٢) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٨١

(٣) تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٦٩

(4) Bell, Amurath to Amurath, P. 214

(٥) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤١٥ (طبعة بيروت ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م) الشيخ المفيد ، الارشاد ص ٣٤٠
ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ص ٦١
سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ص ٣٦٠
الاربلي ، كشف الغمة في معرفة الائمة جـ٣ ص ٢٩ - ٣٠
ابن الصباغ ، الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة ص ٢٢٤
الشبلنجي ، نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار ص ٢٠٥
ابن شهر اشوب ، مناقب آل ابي طالب جـ ٣ ص ٤٣٨
عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ١٨٥ - ١٨٦
والغريب ان احمد مغنية مؤلف كتاب ، موسى الكاظم وعلي الرضا ، ذكر ان للكاظم عشرين ولدا ، ولم يذكر بينهم من اسمه محمد . ص ٥٢ .

(٦) تاريخ الدور ص ١٨ .
بينما قال الاستاذ العزاوي ((ولعله صاحب المشهد)) انظر :
رحلة المنشيء البغدادي ، هامش ص ٨٨

(٧) تاريخ الدور ص ١٨ - ٢٠
((الامام محمد الدوري)) مجلة بغداد (١٩٦٤) العدد ١٤

(٨) ن . م .

(٩) احمد سوسه ، ري سامراء جـ ١ ص ٥٨
بلدان الخلافة الشرقية ، (تعليق للمترجمان) هامش رقم (١) ص ٨٢

(١٠) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٦٩
بينما يرى البعض انه توفي قبل سنة ٣٠٠هـ ، انظر :
السمعاني ، الانساب جـ ٥ ص ٣٩٧
تاج العروس جـ ١١ ص ٣٤٠

(١١) تاريخ الطبري جـ ٨ ص ٢٧١

(١٢) المسعودي ، مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٧٣

(١٣) القباب المخروطية في العراق ، هامش رقم (٢) ص ١٩

(١٤) ن . م . ص ١٩ ، يقول المؤلفان : ((محمد الدري توفي قبل الثلثمائة)) ، وقد اعتمدا على بشير فرنسيس وكوركيس عواد في تعليق لهما على :

رحله تافرنيه او العراق في القرن السابع عشر ص ١٤٧
واعتمد المعلقان على :
الدجيلي ، مقالة عن الدور ، مجلة لغة العرب ، م ١ ص ٤٧٤
واعتمد الدجيلي بدوره على الزبيدي حيث ينص على ان المتوفى قبل سنة ٣٠٠هـ هو محمد بن الفرخان بن روزبه ابو الطيب الدوري ، انظر :
تاج العروس جـ ١١ص ٣٤٠

هو محمد بن رستم الكردي الحنبلي المعروف بجاكير[١٥] . لكن جاكير هذا توفي سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م[١٦] . والبناء اقدم من ذلك بكثير .

اما محمد العابد بن موسى الكاظم الذي ينسب اليه المشهد ، استنادا الى اللوح الذي اسلفنا ذكره ، فالاختلاف حاصل في موضع قبره ، وليس هناك اية اشارة تشير او تلمح الى انه مدفون في االدور :-

١ - يرجح صاحب التكلمة انه مدفون في نواحي يزد[١٧]

٢ - يرى البعض انه مدفون في شيراز[١٨]

٣ - تنسب اليه القبة المعروفة بقبة الشيخ حديد في حديثه[١٩]

ويرى الدكتور عبدالعزيز حميد ان محمد الدوري من نسل موسى الكاظم وليس من صلبه[٢٠] ، اعتمادا على ما قاله نظمي زاده في ترجمته لمحمد الدوري «ان هذا الشيخ ينتهي نسبه الى الامام موسى الكاظم»[٢١] .

ويرى هرتسفلد ان مسلم بن قريش الامر ببناء هذا المشهد عندما قتل سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م دفن في بادىء الأمر بحلب ، ولما عاد الهدوء واستتب الامن ، نقل جثمانه ، تنفيذا لوصية له ، الى الدور ودفن في هذا المشهد[٢٢] .

ويقول عادل عبو ((من المحتمل جدا ان مسلم بن قريش شيد هذا البناء ليكون ضريحا له))[٢٣] وفي موضع آخر يقول ان مسلم شيده ((ليكون مدفنا له الى جانب احد أئمة العلويين وهو محمد بن موسى بن جعفر ربما ليكسب الضريح قدسية تضمن بقاءه))[٢٤] .

والحقيقة ان ابن العديم الذي اعتمد عليه كل من هرتسفلد وعادل عبو قد نص على ان جثمان مسلم قد نقل الى سامراء[٢٥] ، والدور غير سامراء ، ثم اذا كان مسلم قد بنى هذا المشهد ليكون مدفنا له الى جانب احد الائمة العلويين ، لتكون جثته بمأمن من العبث ، فما هي الرابطة التي تربط مسلم بالذين تعاقبوا على تكلمة البناء ؟ لا رابطة تربطهم به سوى المصالح والمطامع السياسية التي انتهت وانقطعت بموته ، ثم لماذا لم يتممه ابنه محمد ان كان مدفنا خاصا بأبيه مسلم ، وهو اولى الناس باكماله ، خصوصا وانه قد ((عقد له السلطان على الرحبة والرقة وحران والاعمال النميرية ...

---

(١٥) مصطفى جواد ، مشهد الكاظمين ص ١٠

وقد تراجع عن رايه هذا ، حيث يقول عن جاكير

((وقبره معروف اليوم بالعيث في جنوب سامراء الشرقي وكنا نظنه صاحب القبر المعروف بالدور فوق سامراء بمحمد الدوري)) .

تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ج ٤ ق ٢ هامش ص ١١٥٢ - ١١٥٣

(١٦) يراجع عن جاكير :

الذهبي ، العبر في خبر من غبر ج ٤ ص ٢٧٥

الشعراني ، الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩

شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٠٥ - ٣٠٦

الشطنوفي ، بهجة الاسرار ومعدن الانوار ص ١٦٨ - ١٧٠

(١٧) المامقاني ، تنقيح المقال ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣

(١٨) حمدالله المستوفي ، نزهة القلوب (فارسي) ص ١١٦

معين الدين شيرازي ، شد الازار في حط الاوزار عن زوار المزار ص ٢٩٢

تنقيح المقال ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣

ويقول الطباطبائي ، عن محمد العابد ، ان ((مرقده في شيراز معروف بعد ان كان مخفيا الى زمان اتابك بن سعد بن زنكي فبنى له قبة في محلة باغ قتلغ وقد جدد بنائه مرات ...)) تحفة العالم ج ٢ ص ٣١ .

ويرى السيد الجزائري ايضا انه مدفون في شيراز وان الشيعة تكثر من زيارته هناك وتتبرك بقبره . البحار ، نقلا عن : تحفة العالم ج ٢ ص ٣١

(١٩) هرتسفلد ((حديثة)) دائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٣٤٨

(٢٠) عمارة الاربعين في تكريت ، مجلة سومر ، (١٩٦٥) ص ١٣٨

(٢١) جامع الانوار في مناقب الاخيار (مخطوط) ص ٣٧٩ ، وانظر ، نفس المخطوط بعنوان مغاير هو :

تراجم وجوه الاعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان ص ٥٩٧ - ٥٩٨وانظر نفس المخطوط بعنوان مغاير وهو :

اولياء بغداد ، ترجمة احمد بن حامد فخري زاده الورقة ١١٥ ، مخطوط برقم (١٤/٣ خياط)

محفوظ في مكتبة اوقاف الموصل ونسخة اخرى .

الورقة ٦٦ ، مخطوط تحت رقم (٢٢/٤ حسن باشا) محفوظ في مكتبة اوقاف الموصل ايضاً .

والملاحظ ان من احفاد محمد العابد من لقب بالدوريستي . تنقيح المقال ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

يقول ياقوت في مادة دوريست : ((من قرى الري ، ينسب اليها عبدالله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر ابو محمد الدرويستي ... احد فقهاء الشيعة الامامية ، قدم بغداد سنة ٥٦٦ واقام بها مدة وحدث بها عن جده محمد بن موسى بشيء من اخبار الائمة من ولد علي ، رضي الله عنه ، وعاد إلى بلده ، وبلغنا انه مات بعد سنة ٦٠٠ بيسير)) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٨٤ .

2) Herzfeld, Op. Cit., P. 19

(٢٣) القباب العباسية في العراق ج ١ ص ٥٩

(٢٤) ن . م .

(٢٥) زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٩٨

وزوجه السلطان بأخته من الرضاع ...))(٣٦) او اخوه ابراهيم بن قريش ، الذي عاد سنة ٤٧٩هـ /١٠٨٦م ((من اصفهان الى الموصل وقد قرره السلطان على الموصل والجزيرة وزوجه خاتون صفية عمته))(٣٧). فلو كان المشهد كما قالوا خاصا بمسلم او مدفنا له بجوار واحد من العلويين لكان ابنه واخوه اولى الناس باكماله ، ومهما يكن من أمر فان ابن العديم يقطع الشك باليقين فيقول عن مسلم بن قريش ((وزرت قبره في قبة بناها ونقل اليها من حلب بمشهد الحسن العسكري في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وستمائة))(٣٨).

وبعد ان تبين لنا ان لاعلاقة بين هذا المشهد وبين محمد بن الفرخان بن روزبه ابي الطيب الدوري ، وبعد ان ثبت لنا بما لا يقبل الشك ان مسلم بن قريش دفن بمشهد الحسن العسكري ، وبعد ان حامت الشبهات حول مدفن محمد العابد بن موسى الكاظم ، واصبح مشكوكا في صحة النقش الذي ينسب المشهد اليه ، ترى لمن يعود هذا المشهد ؟

هذا ما لا يمكن البت فيه بالوقت الحاضر لان النصوص التاريخية المتعلقة بهذا الخصوص شحيحة لا تسعفنا بشيء ، والذي اراه ان هذا المشهد قد يكون مدفنا لأحد أئمة آل البيت . ذلك لان الذي امر ببناء القبة شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي كان من المتشيعين لال البيت ، يقول عنه ابن خلكان ((كان يصرف الجزية في جميع بلاده الى الطالبيين لا يأخذ منها شيء))(٢٩) وكان من المتفقدين لمشاهد آل البيت ، ففي فيضان دجلة سنة ٤٦٦هـ /١٠٧٣م غرقت بغداد وتهدم سور مشهد الامام الكاظم ع ((اطلق شرف الدولة الف دينار تصرف في عمارته))(٣٠) وله في مدح آل البيت قصيدة ، يعارض فيها قصيدة دعبل الخزاعي التي مطلعها :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

يقول فيها :

اشهد الله بصدق ويقين وثبات
ان قتلي في هو الغر الميامين حياتي(٣١)

واذا عدمنا اسم الشخصية التي بنيت لاجلها المشهد ، فاننا لم نعدم معرفة تاريخ البناء والآمر به والمتابعين في الانفاق عليه والمشرفين والمعمار الذي قام بتشييده ، كل ذلك ثبت في بواطن اشكال نجمية مثبتة على الجدران الداخلية لبدن القبة .

وقبل البدء ، اود الفت النظر الى ان المتعاقبين في الانفاق على البناء ، كل واحد منهم لعب دورا بارزا في الحياة السياسية وكان له تأثيره فيها ، مما يدل على ان البناء لشخصية دينية كبيرة وبارزة ، وغريب ان نجد كتب التاريخ ملازمة الصمت فلا خبر ولا اشارة تتعلق به .

والاشكال النجمية هذه عددها ثمانية ، على كل جدار اثنان ابتداءاً من ضلع المدخل ، غير ان كتابات الاشكال النجمية الثلاث الاولى قد انطمست ، واحتمال قوي ان اسم من بني له المشهد كان مسجلا في الاشكال النجمية هذه ، والغريب ان الشكل النجمي الرابع يبتدىء بالبسملة ، مما يشعر بان النصوص الكتابية تبدأ من هذا الشكل النجمي .

ومهما يكن من امر فأن الكتابات هذه تحتاج الى تحليل وايضاح واستعانة بالنصوص التاريخية لكي نصل او نقارب حقيقة تاريخ البناء .

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ هذا ما امر بعمل القبة الامير
٣ ـ شرف الدولة مسلم بن قريش رحمه الله

---

(٣٦) مراة الزمان ص ٢٣٨
الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٤٤
(٣٧) مرآة الزمان ص ٢٣٨
(٢٨) المختار من الكواكب المضيئة ، نقلا عن :
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ١ ص ٣٥٢
(٢٩) وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦
(٣٠) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١١٩
(٣١) العماد الاصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ج ٢ ص ٢٦٥ ، وترجمة مسلم ص ٢٥٥ ـ ٢٦٥
وانظر عن تشيع مسلم :
العبر في خبر من غبر ج ٣ ص ٢٩٢
شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٦٢
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ١ ص ٣٥٤

من خـلال النص هذا يتبين لنا ، ان الامير ابا المكارم (ابو البركات)[32] شرف الدولة مسـلم بن قريش العقيلي هو الذي امر ببناء هذه القبة غير اننا نجهل سنة البدء بها ، لكنهـا بعد سـنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، وهي السنة التي توفي فيها قريش بن بدران وتولى ابنه مسـلم الامارة[33]، وقبل سـنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م[34]، او ٤٧٨هـ ١٠٨٥م[35]، السنة التي قتل فيها مسلم اثر معركة وقعت بين عساكره وعساكر سليمان بن قتلمش[36].

ان وجود عبارة رحمه الله في النص ، اضـافة الى وجـود نص يعقـب هذا النص ، يذكر لنا قيام بعض الاشخاص بالانفاق على البناء ، تدلنا على ان مسـلم قتل والبناء بعد لم يتكامل .

وهناك احتمال حدوث توقف في العمل بسبب مقتل مسلم ولوجود الصراعات السياسية .

١ ـ وبعده عميدى العزاز ابو الفتح
٢ ـ طاهر وابو المحاسن عبد
٣ ـ الجليل ولدي علي بن محمد
٤ ـ الدهستا (ني) آجرهما الله

اغلب الظن ان المباشرة بالعمل مجددا لم تكن بعد سـنة ٤٧٩هـ /١٠٨٦م ، وربما كانت قبلهـا ان لم تكن فيها ، حيث نجد في هذه السنة كمال الملك ابا الفتح طـاهر بن علي بن محمد الدهسـتاني متوليا عمادة العراق[37]، لكنه لم يلبث طويلا في منصبه هذا ، حيث عزل منه سـنة ٤٨٢هـ /١٠٨٩م[38]، وحـل محله في العمادة اخـوه ابو المحـاسن العميد الاعز عبدالجليل الدهسـتاني[39]، واستمر العمل في ظـل عمادة عبد الجليل .

ان ورود عبارة آجرهما الله جعلت البعض يذهب الى ان البناء تكامل والاخـوان طـاهر وعبدالجليل على قيد الحياة[40]، ولما كان ابو الفتح طاهر الدهستاني قد توفي سـنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م[41]، فأن البناء قد تكامل قبل سنة وفاته هذه .

والذي أراه ان الكتابة التي تحمل اسم الاخـوين طـاهر وعبد الجليل قد ثبتت وابو الفتح طـاهر على قيد الحياة ، أي بين سنة عزله ٤٨٢هـ وسنة وفاته ٤٨٦هـ والبناء طبعـا لم يتكامل بعـد ، والا بماذا نعلل وجـود نص آخر يعقـب هذا النص يشـير الى ان تمام البناء كان على يد الوزير الخطير .

والملاحـظ على هرتسـفلد[42]، انه قد رتب الاشكال النجمية غير هذا الترتيب حيث قدم اللوح الخـاص

(٣٢) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١١٩
(٣٣) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٩١
(٣٤) يقول سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٧٧هـ :
((والاصح ان مسلما قتل في هذه السنة)) مرآة الزمان ص ٢٣٥ ، وانظر :
البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٢٦
النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١١٩
(٣٥) معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٢٢
الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٣٧
زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ ٢ ص ٩١
البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٧١
ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١١٨
وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٣٥٦
تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٥٧٦
شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٦٢
(٣٦) اختلف الكتاب العرب في تحديد موضع المعركة التي قتل فيها مسلم ، يقول ياقوت في مادة : قرازحل ((من نواحي حلب ثم من نواحي العمق ، قتل بها مسلم بن قريش العقيلي)) معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٢٢ . ويقول ابن القلانسي :
((على نهر سفين في موضع يقال له قرزاحل)) ذيل تاريخ دمشق ص ١١٨ .
ومنهم من قال انه قتل في موضع يقع ضمن اعمال انطاكية ، انظر :
الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٣٧
وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٣٥٦
البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٢٦
تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٥٧٦
وانفرد البنداري برواية مفادها : ان مسلما قتل خنقا في الحمام بيد خادمه ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٧١
وذكر الحادثة هذه ابن خلكان ، وبين ان المحاولة فشلت ونجا مسلم ، انظر :
وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٣٥٦
(٣٧) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٤٤
(٣٨) ن . م . ص ١٥٢
(٣٩) ن . م .

(40) Herzfeld, Op. Cit., p. 20
الدكتور عبدالعزيز حميد ، عمارة الاربعين في تكريت ، مجلة سومر (١٩٦٥) ص ١٣٩ .
(٤١) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٦٩

(42) Herzfeld, Op. Cit., P. 19

بالوزير الخطير على لوح الاخوين طاهر وعبد الجليل ، وتابعه في ذلك كل من الدكتور عبدالعزيز حميد[43]، وعادل عبو[44]، وهذا غير صحيح للاسباب التالية : -

١ - ان تسلسل نصوص الاشكال النجمية داخل المشهد مغاير لتسلسلها عند هرتسفلد ومن تابعه ، ومطابقة لترتيبنا .

٢ - تطابق تسلسل الالواح داخل المشهد مع تسلسل بروز الشخصيات المذكورة اسماؤها في الالواح على مسرح الاحداث السياسية .

٣ - ورود عبارة (هذا ما امر بتمامه الحاجب ابي جعفر ...) تدل على ان البناء تكامل في عهده .

ونتيجة لترتيب هرتسفلد الخاطىء للالواح ، فقد وقع ومن تابعه في الخطأ ، فيما يتعلق بتاريخ البناء .

ولكن متى تخلى عبد الجليل الدهستاني عن الانفاق على البناء ؟ كما ذكرت سابقا ان عبد الجليل تولى عمادة العراق سنة ٤٨٢هـ ، وظل فيها حتى سنة ٤٩٣هـ /١١٠٠م ، حيث ارتقى الى منصب وزير للسلطان بركيارق[45]، غير ان الاحداث لم تمتعه طويلا بمنصبه الجديد ، حيث وقع في الاسر اثر معركة هزمت فيها جيوش السلطان بركيارق من قبل عساكر اخيه السلطان محمد[46]، غير ان مؤيد الملك بن نظام الملك اكرمه ((وضمنه عمادة بغداد واعاده اليها))[47] ولم يلبث بركيارق طويلا حتى ثأر لهزيمته تلك بالانتصار على اخيه السلطان محمد سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١م[48] واعيد عبدالجليل الى الوزارة من جديد[49] واصبح متنفذا ببغداد[50]، وصحب عبدالجليل السلطان بركيارق عند دخوله بغداد سنة ٤٩٤هـ [51]، ثم غادرها برفقته ايضا الى اصفهان[52]، وقبل ان يقتل في ١٢/صفر/٤٩٥هـ (١١٠٢م) على باب اصفهان اثناء حصار اصفهان من قبل السلطان بركيارق[53]، ارسل اخاه العميد المهذب ابا المجد الى بغداد نائبا عنه ، غير انه وصل بعد مقتل اخيه في ربيع الاول من نفس السنة ، فقبض عليه ايلغازي الذي كان في طاعة السلطان محمد[54].

والذي اراه ان البناء ظل على عهدته حتى سنة مقتله ، والا لما أرسل اخاه ليكون نائبا عنه ببغداد ، مع تخلل فترة تنفذه بعض التقطع عن العمل بسبب الاحداث السياسية وانعدام الهدوء .

١ - هذا ما امر بتمامه الحاجب
٢ - ابي[55]؟ جعفر محمد بن
٣ - الاصفهلار الخطير
٤ - ابي[56]، منصور آجره الله

وفي عهد الوزير خطير الملك ابي منصور محمد بن الحسين الميبذي تكامل البناء ، لكن متى ؟ اول اشارة الى الوزير الخطير هي توليه وزارة السلطان محمد ، وبرفقته قدم بغداد بعد ان غادرها السلطان بركيارق[57]، وبعد مقتل عبدالجليل الدهستاني سنة ٤٩٥هـ استوزره السلطان بركيارق[58].

وكانت وزارة السلطان بركيارق صنفين كما يقول الحسيني ((دست الوزارة لابن نظام الملك والاستيفاء للخطير))[59] وفي سنة ٤٩٧هـ /١١٠٤م تم الصلح بين السلطان بركيارق واخيه محمد ، واقر الصلح من قبل الخليفة

(٤٣) عمارة الاربعين في تكريت ، مجلة سومر ، (١٩٦٥) ص ١٣٨ - ١٣٩
(٤٤) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٥٨
(٤٥) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٩٣
(٤٦) ن . م .
(٤٧) ن . م .
(٤٨) ن . م . ص ١٩٧
(٤٩) ن . م .
(٥٠) ن . م .
(٥١) ن . م . ١٩٨
(٥٢) ن . م .
(٥٣) ن . م . ص ٢٠٨
(٥٤) ن . م . ص ٢١٣
(٥٥) قرأت (ابو) في : القباب المخروطية في العراق ص ٩٢
(٥٦) قرأت (بن) في : القباب المخروطية في العراق ص ٢٢
(٥٧) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٩٨ - ١٩٩
(٥٨) ن . م . ص ٢٠٨
(٥٩) اخبار الدولة السلجوقية ص ٨٣

المستظهر بالله . فأرسل الخلع الى السلطان بركيارق والاميراياز والوزير الخطير . وخطب ايلغازي ببغداد للسلطان بركيارق[60].

وعزم بركيارق على القدوم الى بغداد سنة ٤٩٨هـ ، لكن المنية عاجلته وهو في طريقه اليها ((فلما سمع الامير اياز بموته امر وزيره الخطير المبيذي وغيره بان يسيروا مع تابوته الى اصبهان))[61] وفي سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م عزل السلطان محمد ، ابن نظام الملك عن الوزارة واستوزر بدلا منه الوزير الخطير[62]. وفي سنة ٥١١هـ /١١١٧م توفي السلطان محمد فتولى السلطنة محمود[63] الذي لم يستوزر الخطير المبيذي ، غير انه اصبح وزيرا للملك سلجوق ابن السلطان محمد ، وظل في منصبه هذا حتى وفاته سنة ٥١٥هـ /١١٢١م بفارس[64].

وبناءا على ما تقدم فالذي اراه ان تاريخ البناء ينحصر بين الربع الاخير من القرن الخامس والعقد الاول من القرن السادس الهجريين .

١ ـ كان المتولي القاضي مؤنس

٢ ـ ابن حمدان رحمه الله

٣ ـ وتولى بعده الحسن ابن[65]

٤ ـ رافع آجره الله

وهؤلاء هم المشرفون على العمل . توفي الاول والبناء بعد لم يتكامل وتم تحت اشراف الثاني . وغريب عدم معرفتنا شيئا عن هاتين الشخصيتين حيث ان المصادر العربية ملازمة للصمت بخصوصهما . والاغرب من ذلك ان الاول قاضي وربما كان الثاني ايضا قاضيا .

١ ـ هذا صنعة يدي

٢ ـ ابو شاكر ابن[66] الفرج

٣ ـ ابن ناسوه البناء آجره الله

ويبدو ان ناقش هذه الكتابة قد اخطأ في اسم البناء ، فقد تكرر الاسم في نص آخر يبدو ان البناء هو الذي سطره بنفسه بين الزخارف الحصيرية الموجودة في اعلى واجهة البدن الشمالية نصها :

(هذا عمل ابي شاكر ابن ابي الفرج بن ناسوه البناء آجره الله) .

وفي بناء بايران يعرف بمزار الامام حمزة سبزيوش نجد نصا فيه توقيع البناء :

عمل محمد بن ابي الفرج العراقي غفر الله له

في رمضان .... وخمس مائة[67]

ويبدو لي ان معمار امام الدور ربما كان هو نفسه معمار مزار حمزة ، وان الاسم الكامل له هو ابو شاكر محمد بن ابي الفرج بن ناسوه البناء العراقي . والاسباب التي تجعلني اذهب هذا المذهب هي : ـ

١ ـ ان كلا البنائين مزار او مشهد لأحد الأئمة . والفترة الزمنية جدا متقاربة . فلقد رجحت كون انتهاء البناء في امام الدور في العقد الاول من القرن السادس الهجري ومزار حمزة اكتمل في القرن السادس الهجري . وربما كان بعد امام الدور بفترة قليلة .

٢ ـ احتواء كلا البنائين على زخارف جصية . منها محراب في مزار حمزة ، معمول من الجص ، ومزخرف بزخارف نباتية ملونة . وفي امام الدور محاريب معمولة من الجص ربما كانت ملونة . (انظر صورة رقم ١٠)

٣ ـ الاسماء متشابهة . كما ان عبارة آجره الله التي تعقب اسم بناء امام الدور ترادف عبارة غفر الله له في مزار حمزة .

٤ ـ واخيرا فان لقب البناء في مزار حمزة هو العراقي . وهو بذلك يؤكد ما نذهب اليه ذلك ان اي شخص لا يتلقب بلقب بلده الا اذا خرج منه الى بلد غريب عنه .

ومهما يكن من امر فان مشهد امام الدور اول بناء من نوعه . ومعماره عراقي كما ذكرنا . فهذا ان دل على شيء انما يدل على ان هذا الطراز ولد في العراق ومنه خرج الى بقية انحاء العالم الاسلامي الموجود فيها هذا النوع من الابنية . **تقوم قبة امام الدور على بدن ذي تخطيط مربع (انظر**

---

(٦٠) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١

(٦١) ن . م . ص ٢٢٤

(٦٢) ن . م . ص ٢٦٢

(٦٣) ن . م . ص ٢٧٧

(٦٤) ن . م . ص ٣٠٤

(٦٥) قرأت (بن) في : القباب المخروطية في العراق ص ٢٢

(٦٦) قرات (بن) في : ن . م .

(٦٧) مصطفوي . اقليم بارس ص ٥ ـ ٦

ادارة كل عتيقات ((مزار حمزة)) مجلة اثار ايران . جلد اول (١٣١٤ شمسي) ص ٢٧ .

مخطط رقم ١)[٦٨] طول الضلع فيه من الداخل قريب من ٧ م[٦٩] ومن الخارج حوالي ١١م باضافة الابراج اليه وارتفاعه ١٣م تقريباً. (انظر صورة رقم ٢)

دعم البدن من الخارج بابراج نصف اسطوانية اقيمت على قواعد منشورية مربعة ، تستدق كلما تقدمت بالارتفاع حيث تنتهي عند حافة البدن من اعلى بشكل مخروط . زخرفت الابراج هذه بزخارف حصيرية قوامها معينات معمولة بواسطة التلاعب بوضعيات الاجر كما نجد الزخرفة ذاتها داخل اشرطة عريضة تحدد جدران البدن من الاعلى ، وهي عبارة عن معينات متداخلة متصلة مع بعضها ، يتخلل احدها (انظر صورة رقم ٦) وهو المحدد لاعلى الواجهة الشمالية كتابة نصها :

هذا عمل ابي شاكر بن ابي الفرج بن ناسوه البنا (ء) آجره الله[٧٠] تنتصب فوق البدن عالياً قاعدة منشورية مثمنة ، فتحت في اربعة من اضلاعها نوافذ اربعة حديثة وتعقب القاعدة المنشورية هذه ثلاث طبقات منشورية ، كل طبقة عبارة عن منشور ثماني الاضلاع شبيه بقاعدة القبة ، غير ان كل ضلع من اضلاع المنشورات الثلاث هذه تتوسطه حنية مقعرة من الداخل ومحدبة من الخارج . تأخذ صفوف القبة بالضمور التدريجي كلما تقدمت نحو الاعلى حيث تنتهي بقمة القبة .

ارتفاع البدن حوالي ١٣م ، اما القبة فحوالي ٩,٥م وبذلك يكون الارتفاع الكلي ٢٢,٥م تقريبا[٧١].

يؤدي الى غرفة الضريح مدخل ارتفاعه ـ ٢م ، فتح في جدار البدن الشمالي ، اختلف الباحثون فيه فنهم من يراه مستحدثا في عصر لاحق على عصر البناء[٧٢]، بينما يراه آخرون أصلي مجدد[٧٣] ، والحقيقة انه لا يمكن البت في ذلك بالوقت الحاضر بسبب اعمال الترميم وخصوصا طلاء المناطق المحيطة بالمدخل بمادة الجص والذي يلفت النظر ان المدخل الحالي لا يتوسط الجدار الشمالي كما هو مألوف بل يقع في الطرف الشمالي الغربي منه ، اضافة الى ذلك فان القبر الذي من المفروض ان ينتصف غرفة القبة نجده قريبا من الزاوية الشمالية الشرقية .

الجدران الداخلية الاربعة للبدن متشابهة تقريباً في تقسيماتها فكل جدار (انظر مخطط رقم ٢) ينقسم بواسطة عقدين من النوع المدبب المندمج ، كل عقد محمول على عمودين جصيين ، ترتفع منطقة العقود هذه ٢/٩ م عن الارضية ، يليها شريط فاصل بينها وبين المنطقة التي تليها ، عرضه ٦٦ سم واسفل كل عقد شكل نجمي يتضمن كتابات تذكارية سبق الحديث عنها وقد ملئت كوشتا العقد بزخرفة نباتية قوامها مروحة نخيلية من النوع المفلوق المركب ، بين كل عقدين من الاعلى عقد مفصص محمول على عمودين جصيين مندمجين . (انظر صورة رقم ٤) وفي الجدار الجنوبي محرابان قليلا العمق ، كل محراب يقع اسفل احد العقدين المدببين المندمجين ، الاول (انظر صورة رقم ٧) المقابل للمرقد ، ارتفاعه اعتباراً من الارضية وحتى قمة العقد المدبب الذي يتوجه والمحمول على عمودين مندمجين ٤٢/ ١ م وعمقه ١٥ سم وقوام زخرفته اشكال هندسية عبارة عن معينات ومسدسات معمولة بواسطة آجر على هيئة مثلث بارز عن سطح المحراب ، اما الثاني المواجه للمدخل الحالي فيظلله عقد مفصص ، زخرفته عبارة عن اشكال نجمية ذات ستة رؤوس عملت بواسطة آجر على هيئة معين ، بارز عن سطح المحراب وتحف بالعقد من الاعلى اشكال نجمية حديثة معمولة من المرايا . (انظر صور رقم ٨)

---

(٦٨) انظر مخطط مشهد امام الدور في : القباب المخروطية في العراق ص ٢٣ والملاحظ عليه انه لا يتطابق مع المقاسات المأخوذة من قبل المؤلفين ، ومقياس الرسم المرسوم بموجبه .
فقياس الرسم ١/١٠٠ يعني : كل متر واحد على الارض يقابله سنتمتر واحد على الورق ، ومقاسات البدن الحامل للقبة ، من الداخل ٧,٨٠×٧,٨٥م ، ومن الخارج ٨,٥٠م واذا ما اضيفت اليه الابراج يصبح ١١,٥٠م (انظر : ن . م . ص ٢٢) واذا ما طبقنا مقياس الرسم على المخطط نجده : من الداخل ٣,٩٠×٤,١٠م ، ومن الخارج عدا الابراج ٤,١٠×٤,٢٠م .

(٦٩) ذكرت نجاة تونجي ان طول الضلع ٥ م ، وهذا غير صحيح ، انظر : المحاريب العراقية ص ٢٠٢

(٧٠) قرأ النص كالاتي :
هذا عمل ابو ؟ شاكر بن ابو ؟ الفرج .. ، انظر : القباب المخروطية في العراق ص ٢٤ ، ٩٤

(٧١) ذكر مؤلفا القباب المخروطية ان ارتفاع البدن ١٢,٥م (ص ٢٢) بينما ذكرا في (ص ٩٠) ان ارتفاعه ١٢,٧٠م .

)27(Sarra und Hrzteld, Archaolgische Reise im Euphrat und Tigris. Gebiet, I.P. 232

القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٦٠

ويبدو ان ارضية الغرفة قد ارتفعت كثيرا عما كانت عليه اصلا ، اذ ان قسما من اسفل المحرابين قد انطمر . وبالنسبة للمحراب ذي العقد المدبب فان نجاة توتونجي تراه مستحدثا في عصر لاحق وربما يعود الى سنة ٨٧١هـ /١٤٦٦م[٧٤].

تعقب منطقة العقود هذه افريز من الحنايا يلف حول جدران البدن ، في كل جدار اربعة ، والحنية عبارة عن محارة محمولة على عمودين جصيين مندمجين ، يتوسطها من الاسفل عقد مفصص ، يلي صف الحنايا هذا مقرنصات منطقة انتقال القبة ، وهي حنايا متوجة بمحارات ، تحيط بالمحارات عقود مفصصة ، تؤطر العقود المفصصة عقود مدببة ، في كل زاوية واحدة تختلف عن الحنايا التي تتوسط الاضلاع المحورية ، من ناحية توسطها اخدود طولي عميق ، اعتبرها عادل عبو اقدم المقرنصات المنشطرة في العراق[٧٥] (انظر صورة رقم ٥) . وبواسطة هذه الحنايا يتم تحويل الشكل المربع الى مثمن ملائم لاقامة القبة .

يتألف غطاء القبة من اربعة صفوف من الحنايا المقعرة (انظر صورة رقم ٣) تبدأ بالضمور التدريجي كلما تقدمت نحو الاعلى حيث تنتهي بشكل نجمي ذي ثمانية رؤوس .

قبة تربة زمرد خاتون

تقع القبة المسماة بقبة الست زبيدة في مقبرة الشيخ معروف الكرخي[٧٦] (انظر صورة رقم ١١) عند طرفها الجنوبي .

ونسبة القبة الى السيدة زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ، زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد وام ولده محمد الامين المتوفاة سنة ٢١٦هـ /٨٣١م لا اساس لها من الصحة ، اذ انها قد دفنت في مقابر قريش بالكاظمية[٧٧]. ولكن كيف نسبت هذه القبة الى السيدة زبيدة وهي المدفونة في مقابر قريش ؟ اقول : من الصعب علينا بمكان البت في ذلك ، اذ اننا مهما قلنا فانه سيكون من قبيل الحدس والتخمين الذي لا اساس له ، ولقد حاول البعض تعليل ذلك بعلل واهية لا تستقيم امام النقد[٧٨].

ولا صحة لما قيل : من ان الرحالة نيبور الذي زار بغداد سنة ١١٨٠هـ /١٧٦٦م هو اول من وصف هذا القبر بأنه قبر السيدة زبيدة[٧٩]، اذ سبقه نظمي زاده المتوفي[٨٠] سنة ١١٣٦هـ /١٧٢٣م ، وكمال الدين الصديق الدمشقي[٨١] الذي زار بغداد سنة ١١٣٩هـ /١٧١٦م والمتوفى سنة ١١٦٢هـ /١٧٤٩م .

وقد اعتمد كل من الشيخ الصديق ونيبور في نسبة القبة الى السيدة زبيدة على شاهد القبر الذي استحدثه حسن باشا والي بغداد عند وفاة زوجته عائشة سنة ١١٣١هـ /١٧١٨م ، حيث دفنها في هذه القبة[٨٢].

ويبدو لي ان حسن باشا قد اعتمد في نسبة القبة ، اما على شاهد قبر سابق . لا كما يقول عادل عبو ((والمتأمل في النص الذي كان مسجلا على القبر والذي نقله نيبور يتضح له بالتأكيد عدم نقل النص عن نص سابق له))[٨٣]، او على

---

(٧٣) القباب المخروطية في العراق ص ٢٢

(٧٤) المحاريب العراقية ص ١٩٨

(٧٥) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٦٢ .

(٧٦) تقع مقبرة معروف الكرخي في محلة الكرخ احدى كبريات محال الجانب الغربي من بغداد ، وكانت تعرف قبل ان يدفن الشيخ الكرخي فيها سنة ٢٠٠هـ /٨١٥م ، باسم مقبرة باب الدير ، نسبة إلى دير كان يقع بازائها ، انظر :

تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٢١

ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ٢٩ ـ ٣٠

معجم البلدان جـ ٢ ص٥٠٢ ، جـ ٤ ص ٣٧٤

ابن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع جـ ٢ ص ٥٥٥

ويعرف هذا الدير باسم دير الجاثليق ، كما انه كان يسمى ((دير كليليشوع اودير مر أومار كليليشوع وهي لفظة سريانية بمعنى اكليل يسوع)) .

كوركيس عواد ، الذيل السادس على ديارات الشابشتي ص ١٢١ ، وانظر : دليل خارطة بغداد ص ٨٩ ـ ٩٠

وقد اخطأ الخالدي حين اسماه بدير الثعالب . معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٠٢

(٧٧) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٥٩

البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٦٢

(٧٨) مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر ١٩٤٧ جـ ١ ص ٤٦

مصطفى جواد ، سيدات البلاط العباسي ص ١٨١

(٧٩) العمارات الاسلامية العتيقة ، مجلة سومر ١٩٤٧ جـ ١ ص ٤٨

دليل خارطة بغداد ص ١٦٩ ـ ١٧٠

حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص ٢٩٦

التكريتي ، (مترجم) رحلتي الى العراق لبكنغهام ، هامش رقم (١١) جـ ٢ ص ١٢٨

عادل نجم عبو ، القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٠٢

الاعظمي ، الزخارف الجدارية في آثار بغداد ، هامش رقم (٣) ص ٦٩

(٨٠) كلشن خلفا ص ٤٩ ، وكان نظمي زاده قد انهى مؤلفه هذا سنة ١١٠٠هـ ، انظر : ن . م . ص ١٥ .

(٨١) كنشط الردا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان (مخطوط) ص ٣١

(٨٢) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ص ٣٨

(٨٣) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٠٢

شبوع النسبة عند العامة ، بدليل نسبة نظمي زادة هذه القبة الى السيدة زبيدة وهو السابق على تاريخ استحداث الشاهد بأكثر من ثلاثين سنة ، وهذا ايضا ينقض ما يقوله عادل عبو ((ويبدو ان التسمية جاءت على اثر وفاة عائشة بنت مصطفى باشا))[84].

وبعد ان انتفت نسبة القبة عن السيدة زبيدة ، ترى لمن تعود هذه القبة ؟ هذا ما اختلف الباحثون فيه ، فالالوسي يقول ((لعله تربة امرأة من بنات الامراء او زوجاتهم او تربة ملك من الملوك))[85] ورجح لسترنج ان تكون هذه القبة ، قبة مشهد عون ومعين[86] ، الذي وصفه ابن جبير قائلا ((وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من اولاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب))[87]. وقد اخطأ لسترنج في ترجيحه هذا[88]، حيث ان مشهد عون ومعين غير هذه القبة ، اذ يقع بجوار تربة الاخلاطية[89]، وهي تربة سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان ، زوجة الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٨٤هـ /١١٨٨م ، يقول ابن الاثير عند حديثه عن وفاة هذه السيدة ((وبنى - اي الخليفة الناصر لدين الله - على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة))[90] والرملة ((محلة خربت نحو شاطيء دجلة مقابل الكرخ ببغداد))[91] والراجح انها محلة خضر الياس الحالية ★ .

وظلت هذه التربة شاخصة بعد سنة ١٢٣٧هـ /١٨٢٢م ، حيث شاهدها المنشيء البغدادي[92]، وكان نيبور قد زارها واسماها تكية الدراويش للطريقة البكتاشية[93]، والظاهران دجلة قد جرفها فأصبحت اثرا بعد عين[94].

ومن الباحثين[95]، من نسب القبة الى السيدة زبيدة ابنة السلطان بركيارق ، زوجة السلطان مسعود بن محمد ملكشاه ، المتوفاة سنة ٥٣٢هـ ١١٣٧ م ، لكن زبيدة هذه توفيت في همذان[96]، وليس هناك ما يشير الى نقل رفاتها الى بغداد .

وجزم العزاوي بأن هذه القبة تعود الى السيدة زبيدة بنت هارون الجويني[97]، زوجة ظهير الدين محمد بن الحسن بن عبدالرحمن بن محاسن الحنبلي الصرصري المتوفى سنة ٧٠٦هـ /١٣٠٦م[98]، والادلة التي اعتمدها العزاوي هي : -

أ - التشابه في الاسماء : يقول العزاوي ، والذي دعى الناس الى الاشتباه في نسبة القبة الى زبيدة زوج الرشيد ، اولا : العلاقة الموجودة ، فهذه عباسية من جهة امها[99]، وثانيا : الاشتراك في الاسم فأن هذه زبيدة وتلك زبيدة ، وثالثا : الصلة الصهرية يضاف الى ذلك ان اخوتها سمو بالامين والمأمون وابوها هارون[100]، والتشابه في الاسماء ليس دليلا ، كما انه ليس

---

(٨٤) ن . م .

(٨٥) تاريخ مساجد بغداد واثارها ص ١٢٩

(٨٦) بغداد في عهد الخلافة العباسية ج ٢ ، هامش رقم (١) ص ٣٠٠

(٨٧) رحلة ابن جبير ص ٢١٢ - ٢١٣

ويدعي ابن بطوطة انه شاهد قبر عون ومعين ، واحسبه صادقا في دعواه ولكنه جريا على العادة التي اتبعها في نسخ اقوال ابن جبير يقول : ((وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون من اولاد علي بن ابي طالب)) .

رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤١

(٨٨) دليل خارطة بغداد ص ١٦٨

(٨٩) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ج ١٧ ص ٥٧

الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ج ٩ ص ٢٥٨ - ٢٥٩

ابن الساعي ، جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ص ١١٧

مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٣٧

(٩٠) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٩٨

وانظر العسجد المسبوك ج ٢ ص ١٧٨

(٩١) معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩

★ دليل خارطة بغداد ص ١٨٥

(٩٢) رحلة المنشيء البغدادي ص ٣٠

(٩٣) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ص ٣٦ - ٣٧

(٩٤) سيدات البلاط العباسي ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وللشاعر سبط ابن التعاويذي من قصيدة له في رثاء سلجوقة خاتون ، يقول محددا لنا موضع قبرها :

فيا قبر ما بين الصراة ودجلة
الى نهر عيسى جادك الغيث من قبر

ديوان سبط ابن التعاويذي ص ٢٢٣

(٩٥) قبر الست زبيدة ، مجلة دار السلام ، العدد (٦) سنة ١٩١٩ ص ١٩٧

قبر الامام ابي يوسف ، مجلة لغة العرب ، ج ١٠ ، السنة السادسة هامش ص ٧٥٥ الحسني ، بغداد ، دائرة المعارف الاسلامية ، م ٤ ، هامش ص ١٧

(٩٦) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٧٤

والظاهر ان على قبرها قبة لا تزال قائمة ، حيث ورد ذكرها : ((وفي همذان اما مزاده زبيدة خاتون))

ايرانشهر م ٢ ص ١٣٩٧

(٩٧) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٠٩

(٩٨) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ج ٣ ص ٤٢٠

(٩٩) امها رابعة بنت احمد بن الخليفة المستعصم بالله اخر خلفاء بني العباس المقتول على يد المغول سنة ٦٥٦هـ : انظر الحوادث الجامعة ص ٤٤٩

(١٠٠) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٠٩

هناك ما يشير الى ان زبيدة الجويني «دفنت في الجانب الغربي فضلا عن ان تكون دفنت في مقبرة معروف الكرخي وبنيت لها تربة»[١٠١]، وربما كانت قد دفنت بمقبرة عبيدالله العلوي المعروفة بمشهد النذور شرقي الاعظمية[١٠٢].

٢ ـ واتخذ من قبة السهروردي القائمة اليوم والتي شادها محمد بن الرشيد سنة ٧٣٥هـ /١٣٣٤م دليلا على صحة ما ارتآه ، يقول ((واعتقد انه لم يبق اشكال ... انها من عمارات المغول ، والتاريخ متقارب ، والبنايتان متماثلتان وكأنهما بناء واحد))[١٠٣]. واذا كان هناك وجه شبه بين القبتين فأن اوجه التباين والاختلاف اكبر واوسع ، بحيث لا يمكن ان تعود كلتا القبتين الى فترة زمنية واحدة .

ولعل اكثر الاراء قوة واحتمالا ، الرأي القائل بنسبة القبة الى السيدة زمرد خاتون[١٠٤] زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وام ولده الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ، ذلك ان العناصر العمارية والزخرفية المتمثلة في هذه القبة تجعلنا نرجح ذلك ، ولقد سبق هرتسفلد ان جعلها من ضمن مباني عصر الخليفة الناصر لدين الله[١٠٥]، علاوة على ذلك فأن الكتاب العرب ذكروا هذه التربة وقالوا بانها تقع عند[١٠٦]، بجوار[١٠٧]، بقرب[١٠٨]، الى جانب[١٠٩] ، قبر معروف الكرخي. لقد كانت تربة السيدة زمرد خاتون تتألف من القبة التي لاتزال قائمة حتى يومنا هذا وقد دفن فيها كل من : ـ

١ ـ بنفشا بنت عبدالله ، زوجة الخليفة المستضيء بامر الله المتوفاة سنة ٥٩٨هـ /١١٠٢م[١١٠].

٢ ـ زمرد خاتون ، صاحبة التربة[١١١].

٣ ـ ابو الحسن علي بن الخليفة الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م[١١٢].

٤ ـ عائشة بنت مصطفى باشا المتوفاة سنة ١١٣١هـ / ١٧١٩م[١١٣].

واما بداخل التربة بجوار القبة ، فكثيرون ، في سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م توفيت آي خطلح بنت عبدالله المعروفة بحجرة الساجة فدفنت على باب القبة[١١٤]، وكذلك ابنة عزالدين نجاح الشرابي المتوفاة سنة ٦٠٤هـ / ١١٠٧م[١١٥]، وفي سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م توفي الامير علم الدين قزل بن عبدالله التركي الناصري فدفن داخل التربة[١١٦]، وبين يدي القبة دفن نجاح بن عبدالله الشرابي ، شرابي الخليفة المتوفى سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م[١١٧].

---

(١٠١) مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد ، مجلة سومر ، ١٩٤٧ جـ ١ ص ٤٧ .

(١٠٢) ن . م . وانظر :
الحوادث الجامعة ص ٤٤٩ ، حيث ان امها رابعة كانت قد دفنت في مشهد عبيدالله .

(١٠٣) تاريخ العراق بين احتلالين ، ملحق جـ ٣ ص ٢٦ .

(١٠٤) الراوي ، مسجد الست زبيدة ، جريدة البلاد ، العدد (٦٠٧) الخميس ٢٥/ تموز/١٩٣٥ ص ٧ .
سيدات البلاط العباسي ص ١٧٤
دليل خارطة بغداد ص ١٧٠

(105) Sarra und Herzfeld, Op. Cit., II. P. 176

(١٠٦) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٣١٠
مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٢٢ ، ٥١٣ ـ ٥١٤
الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص ٢٤٨
التكملة لوفيات النقلة م ٣ ص ٤٤٦ ، م ٥ ص ٩٠٨ (طبعة رونيو)
ذيل الروضتين ص ١٠
ابن واصل ، مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٢٩
البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٦ ، ٣٤
تاريخ ابن الفرات م ٥ جـ ١ ص ١٧٠
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ص ١٨٢
العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٣٥

(١٠٧) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤١٥ ، ٤٩٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٤
الجامع المختصر جـ ٩ ، ٨٩ . ١٧٧ .
ذيل الروضتين ص ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٣
مختصر التاريخ ص ٢٤٨

(١٠٨) التكملة لوفيات النقلة م ٣ ص ٤٧٨ (طبعة رونيو)
البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٦٩ .

(١٠٩) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٦

(١١٠) سيدات البلاط العباسي ص ١٦٣ وما بعدها

(١١١) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٧٢

(١١٢) ن . م .

(١١٣) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ص ٣٨
السويدي ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ص ٨٢

(١١٤) الجامع المختصر جـ ٩ ص ١٧٧

(١١٥) ن . م . ص ٢٤٨

(١١٦) ن . م . ص ٢٧٥

(١١٧) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٠٠

كما اشتملت التربة على مدرسة عرفت باسم مدرسة ام الناصر[118]، كذلك عرفت بمدرسة الاصحاب[119]، حيث قصرتها زمرد خاتون على المذهب الشافعي[120]، وقد افتتحت سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م[121].

علاوة على ذلك فقد تضمنت التربة ، رباط[122] وربما مسجد[123] ومساكن للطلبة[124]. اما تاريخ بناء التربة ، فكان قبل سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢ م ، يقول ابن القادسي في حوادث هذه السنة ((وفي جمادى الاولى جلس الشيخ ابو الفرج ابن الجوزي عند تربة ام الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي - للوعظ -))[125].

وهناك بعض الملاحظات على النصوص التاريخية المتعلقة بتربة السيدة زمرد خاتون تحتاج الى بعض الايضاح ، اذ ربما تثير اللبس ، وتبعث الحيرة عند الباحث :

١ - تقع القبة الى الجنوب الغربي من قبر معروف الكرخي وعلى بعد حوالي ٢٥٠ - ٣٠٠ م ، والنصوص التاريخية تذكر ان تربة زمرد خاتون تقع عند او بجوار او بجانب او بقرب قبر معروف .

الحقيقة ان القبة جزء من التربة ، وهي اهم المرافق التي تتألف منها ، والذي اراه ان تربة زمرد خاتون كانت تمتد من منارة جامع الشيخ معروف وحتى القبة القائمة .

٢ - يقول ابن الاثير عند حديثه عن وفاة ابي الحسن علي بن الخليفة الناصر سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م ((ولما توفي اخرج نهارا ومشى جميع الناس بين تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها ولما ادخل التابوت اغلقت الابواب))[126].

كما قلت ان القبة جزء من التربة ، والقبة القائمة ليس لها سوى مدخل واحد ، وهذا النص يدلنا على ان لتربة زمرد خاتون عدة ابواب .

٣ - يقول الذهبي والصفدي وابن ابي عذيبة ، عند وفاة زمرد خاتون ((حملت الى تربة معروف الكرخي))[127] والمقصود بالتربة هنا المقبرة ، وكما بينت سابقا ، من ان للتربة معان ومدلولات عدة ، احدها يعني المقبرة .

٤ - توجد كتابة بخط النسخ داخل احدى حنايا منارة معروف الكرخي نصها :

«بنيت هذه المنارة سنة اثنى - اثنتي - عشرة وستماية» (انظر صورة رقم ١٢و ١٣) .

والمعروف ان سنة ٦١٢ هـ تقع ضمن سني حكم الناصر ، اي انه هو الذي شادها كما انه في ذات السنة توفي علي ابو الحسن بن الخليفة الناصر ودفن تحت قبة جدته زمرد خاتون ، مما حمل العزاوي على القول : المراد بمدرسة زمرد خاتون ((جامع الشيخ معروف تغلب اسمه عليها وان تاريخ المنارة ينطق بذلك))[128].

شيدت قبة زمرد خاتون على بدن مثمن (انظر صورة رقم ١٤) ، ارتفاعه من الخارج متباين ، وسبب ذلك عدم استواء

---

(١١٨) السبكي . طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٢٦ (المطبعة الحسينية)

(١١٩) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب جـ ٥ (حرف الكاف) ص ١٩٩

(١٢٠) الذهبي . المختصر المحتاج اليه جـ ١ ص ١٦٥

(١٢١) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٢٢ ، وانظر عن هذه المدرسة :
عماد عبدالسلام رؤوف ، مدارس بغداد في العصر العباسي ص ١٢٣ - ١٣١

(١٢٢) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٣٧
الحوادث الجامعة ص ٧٩

(١٢٣) انظر : تاريخ مساجد بغداد واثارها ص ١٢٥
رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ص ٣٨
حديقة الزوراء في سيرة الوزاره ص ٨٢ - ٨٣

(١٢٤) كشط الردا وغسل الران ص ٣١
حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ص ٨٣

(١٢٥) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤١٥

(١٢٦) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٣١٠
ويضيف ابن الاثير من ان الناصر كان من بين المشاركين في التشييع . ن . م .
بينما يقول سبط ابن الجوزي ((... واخرج التابوت وبين يديه ارباب الدولة لم يتخلف سوى الخليفة ...)) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٧٢ .
ويقول الملك الاشرف «ولما توفي اخرج نهاراً ومشىٰ الناس قدامه الى تربة جده - كذا - (والصواب جدته) عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها» العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٣٥

(١٢٧) انظر : دليل خارطة بغداد هامش ص ٣٠٢ - ٣٠٣
تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من اهل الزمان
(مخطوط) ص ٢٩٥

(١٢٨) تاريخ العراق بين احتلالين جـ ٥ ص ١٩٩

الارضية المحيطة بالقبة . واعلى ارتفاع فيه ٩,٧٥ م تقريبا ، اما من الداخل فيبلغ ارتفاعه حوالي ٨,٣٠ م ، وامتد التفاوت في القياسات الى اضلاع المثمن ، من الداخل والخارج على حد سواء ، فهي من الداخل تتراوح بين ٢,٨٨ ـ ٢,٩١ م ، ومن الخارج بين ٥,١٤ ـ ٥,٢٠ م (انظر مخطط رقم ٣) ومرد ذلك الى كثرة اعمال الترميم التي تعاقبت على هذا البناء وعدم الدقة في كون سمك الكساء الجصي للبدن من الداخل واحد ، علاوة على ذلك فاني ارجح عدم انتظام القياسات اصلا .

يتألف البدن كما قلنا من ثمانية اضلاع ، سبعة من اوجه الجدران الخارجية تتشابه في تقسيماتها وزخارفها (انظر صورة رقم ١٦) مع اختلافات بسيطة سنشير اليها في موضعها . اما الحائط الثامن فهو الذي يتخلله المدخل ، حيث يتشابه مع بقية الجدران في النصف العلوي ، ويختلف بطبيعة الحال في نصفه السفلي ، وان كانت تحجبه عنا غرفة المدخل المستحدثة .

ينقسم كل جدار بواسطة شريطين متقاطعين الى اربعة اقسام ، كما يقوم شريط آخر بتأطير الجدار من جهاته الاربعة ، تبرز هذه الاشرطة عن سطح الجدار حوالي ٥سم ، اما عرضها فحوالي ٤٤سم .

يتألف من تقاطع الشريطين مربعان في الاعلى ومستطيلان في الاسفل ، قوام الزخرفة هندسية ونباتية (انظر صورة رقم ١٩) ، والغالب هو تضمن الاشكال الهندسية المؤلفة من اشكال نجمية ومعينات زخارف نباتية عملت بواسطة الحفر في الآجر ، والزخارف النباتية عبارة عن مراوح نخيلية ، منها الكاملة ، خماسية الفصوص وثلاثية علاوة على انصافها .

ولم تقتصر الزخارف على ذلك فحسب ، بل نجد المزخرف قد عمل تشكيلة من الزخارف البديعة بواسطة التقابل والتناظر ، من خلال تلاعبه بوضعيات الاجر ، حيث نجد الاجر العمودي والافقي والمائل ، البارز والغائر والاعتيادي ، علاوة على تلاعبه ايضاً باحجام الاجر ، كل ذلك اعطاه معينا لاينضب لتشكيل الزخارف .

يبلغ عدد المربعات (١٦) مربعا ، تتشابه جميعها ، طول ضلع المربع ١,٩٠ م ، يعلو البدن من الاعلى ومن جهاته الثمانية شريط زخرفي غائر ، تتخلله زخارف حصيرية عبارة عن معينات تتصل بعضها بالبعض الاخر ، وتبرز بروزا خفيفا عن سطح الجدار ، وهي تمتد في كل ضلع بامتداد المربعين معا ، هذا النوع من الزخارف نلاحظه في بدن قبة امام الدور ، في اعلى البدن من الجهات الاربعة ، وعلى الابراج الاسطوانية الاربعة . اما المستطيلات فعددها (١٤) مستطيلاً ، قياسات كل مستطيل ٢,٩٠×١,٩٠ م ، تتوسطه حنية عمقها ٣٧ سم متوجة بعقد منفرج مطول ، ارتفاعها من قمة عقدها وحتى ارضيتها ١,٩٦م ، سعة فتحة العقد ١,٢٥م ، تبدأ زخرفة باطنها من على ارتفاع ١,٠٨ م عن ارضيتها ، قوام الزخرفة ، في المركز نجمة ذات ستة رؤوس تبرز عن السطح بروزا خفيفا ، تحيط بها اشكال هندسية ، وتتخللها والاشكال الهندسية زخارف نباتية عملت بواسطة الحفر في الآجر .

تعلو كل حنية كتيبة ، على هيئة مستطيل ضلعه الاسفل منبعج الى الداخل بحيث اصبح على هيئة عقد مدبب ، هذه الكتائب عددها (١٤) كتيبة وهي على نوعين من حيث قوام زخرفتها وكتائب كل ضلع تختلف عن كتائب الضلع الذي يليه .

١ ـ النوع الاول : (انظر صورة رقم ١٧) يحتوي على زخارف حصيرية عبارة عن معينات متصلة مع بعضها تبرز عن السطح بروزاً خفيفا ، وهي متطابقة مع الزخارف التي باعلى البدن .

٢ ـ النوع الثاني : (انظر صورة رقم ١٨) عبارة عن قطع آجرية منحوتة الجوانب بحيث اصبحت على شكل معينات رصفت في وجه الكتيبة ، معين بجوار آخر ، ولكنها غير متصلين ، كما تخلو المعينات من اي نوع من انواع الزخرفة ، والنوع الاول اجمل واكثر تعقدا . تقوم فوق غرفة الضريح المثمنة ، قاعدة ايضا مثمنة ،

ترتفع حوالي ٣٠ سم عن سطح البدن ، وابعادها غير منتظمة اذ تتراوح بين ٣,٣١ ـ ٣,٤٥ م ، وتنتصب القبة فوق هذه القاعدة ، تتألف قاعدة حنايا الصف الاول من ثلاثة عشر ضلعا ، وهذه الاضلاع ايضا غير منتظمة ، في الوقت الذي نجد عشرة منها تتراوح مقاساتها بين ١,٢٠ ـ١,٣١ م ، نلاحظ ان قياسات الاضلاع الثلاثة الاخرى كالتالي (٢,٤٠ ، ٢,٣٥ ، ٢,٣٥ م) ويقابل كل ضلع من الاضلاع الثلاثة هذه ضلع من اضلاع القاعدة المثمنة ، في حين يقابل كل ضلعين من الاضلاع العشرة ضلع واحد من اضلاع القاعدة ذاتها .

تتألف القبة من عشرة صفوف (انظر مخطط رقم ٤) من الحنايا المقعرة من الداخل والمحدبة من الخارج . فتحت ثلاثة حنايا(١٢٩) من حنايا الصف الاول فأصبحت بمثابة النوافذ لادخال الهواء والضوء وربما لتخفيف الثقل ، وقد نصبت فيها ثلاثة شبابيك من قبل هيئة الصيانة الاثرية لمديرية الاثار العامة ، علاوة على ذلك فان في كل حنية من حنايا القبة اعتبارا من الصف الثاني فتحة من اعلاها ربما للاضاءة وتخفيف الثقل ، وقد اغلقت هذه الفتحات بواسطة اطباق زجاجية من قبل هيئة الصيانة الاثرية .

يفصل بين صف وآخر من صفوف حنايا القبة صف من الاشكال المنشورية ، كذلك بين حنية وأخرى . يتألف كل صف من الصفوف السبعة الاولى من ستة عشرة حنية بينما الثلاثة الباقية تتألف من ثمانية ، حيث تنتهي بقمة القبة المضلعة وهي ذات ثمانية اوتار . تبدأ الاشكال المنشورية بالبروز التدريجي (انظر صورة رقم ١٥) ، حتى ان حجمها يطغى على حجم الحنايا لا سيما في الصف الثالث والخامس والثامن ، والانتقال من الصف السابع ذى الحنايا الستة عشر الى الثامن ذى الثمانية حنايا بواسطة ما يشبه العقود وهي صغيرة نسبيا تجمع رأسي كل حنيتين من حنايا الصف السابع .

كما يلاحظ على حنايا القبة انها تأخذ بالضمور التدريجي كلما تقدمت بالارتفاع علاوة على الميل نحو الداخل ، كل ذلك لاجل تضييق فتحة القبة بغية اغلاقها ، غير اننا فجأة نجد حنايا الصف التاسع كبيرة اذا ما قورنت بالصفوف السابقة عليها ، لكنها في الوقت ذاته تميل الى الداخل اكثر من غيرها ، لكي تنتصب عليها القمة المضلعة ، حيث اصبحت الفتحة مهيأة لذلك .

ترتفع القبة حوالي ١٣ م ، وبذلك يكون الارتفاع الكلي ٢١,٦٠ ـ ٢٢ م تتقدم بدن القبة غرفة استحدثت سنة ١١٣١ هـ عندما دفن حسن باشا والي بغداد زوجته داخل القبة .

وكما اجريت على القبة اعمال ترميم وصيانة كذلك اجريت على هذه الغرفة ايضا ، في سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م اعاد كاظم باشا بناء الغرفة بعد ان آلت الى الانهدام(١٣٠) واخيرا فان مديرية الآثار العامة اوفدت هيئة لصيانة قبة زمرد خاتون ، وكان ذلك لموسم سنة ١٩٧٢ / ١٩٧٣ ، فعملت الهيئة على صيانة الغرفة وتقويتها ايضا ، وكان المفروض بها هدم الغرفة واستظهار المدخل الاصلي ، غير انها صرفت مالا ووقتا وجهدا في امر لا طائل منه ، ذلك ان ابسط قواعد الصيانة الاثرية ، هو ازالة المباني المضافة على البناء الاصل في واحد من ثلاثة احوال :

١ ـ اذا كان البناء حديثا وغير اثري .

٢ ـ اذا كان هدم البناء المضاف ربما يؤدي الى الكشف عن

---

(١٢٩) ذكر البعض ان عدد الحنايا النافذة في الصف الاول اربعة وهذا غير صحيح .
انظر :
القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٠٧
الزخارف الجدارية في اثار بغداد ص ٧١

(130) Sarra und Herzfeld, op. Cit., II. p. 174

Saints Musuvmans EnLerres A Bagdad, p. 2.

وانظر : حاشية ليعقوب سركيس على نفس الصفحة ، وعلى ص ٨ يقول يعقوب سركيس «وفي مرآة العراق التي كانت تصدر في البصرة في عددها المؤرخ في ١٥/ أذار / ١٩١٩ ان الفريق كاظم باشا جدد بناءها» وقد راجعت المجلة المذكورة فلم اجد شيئا من هذا القبيل .
وانظر ايضا ، مصطفى جواد ، سيدات البلاط العباسي ص ١٧٤

شيء هام يتوقع الكشف عنه .

٣ ـ اذا كان هذا البناء يحجب جزءا هاما من البناء الاصل .

هذه الحالات الثلاث اذا توفر واحد منها في بناء ما ، ينبغي هدمه . فكيف اذا توفرت كلها فيه .

ومما يؤسف له ان المديرية لم تحاول هدم هذه الغرفة ، لذا الفت النظر الى الاسباب التي تدعوني الى اقتراح هدمها وهي :ـ

١ ـ ان هذه الغرفة حديثة في بنائها ، وليس فيها ما يثير الانتباه او يدعو الى ابقائها .

٢ ـ ان هذه الغرفة تحجب المدخل الاصلي للقبة وتطمس معالمه ، ونحن نعلم ان المعمار والفنان المسلم يصب كل جهده على مدخل البناء ، واعتقد ان هدم الغرفة سيؤدي الى كشف هام ، ان لم يكن مدخلا من اجمل المداخل ، فأنه ربما يكشف لنا عن بعض الكتابات التي قد تميط اللثام عن تاريخ القبة خصوصا وان الشك لا يزال يحوم حول عائدية القبة الى زمرد خاتون .

ومهما يكن من امر فانه بواسطة الغرفة المستحدثة هذه يدخل الى غرفة الضريح الاصلية ، حيث يواجهنا المدخل الذي فتح في جدار البدن الشمالي ، وقد تغيرت معالمه الاصلية كثيرا من جراء بناء هذه الغرفة ، حيث اصبح عقده نصف دائري للمواجه له من الغرفة الحديثة ، بينما هو عقد منفرج للمشاهد من داخل الغرفة الاصلية ، يرتفع كثيرا (انظر صورة رقم ٢٠) عرضه ١٫١٩ م .

على يسار الداخل درج فتح في سمك صلب الجدار ، (انظر صورة رقم ٢١) يلف حول الجدار الذي يلي جدار المدخل وجزء من الجدار الذي يليه ، عرضه بين ٦٥ ـ ٧٠ سم وعدد مراقيه (٢٩) مرقاة يرتقى بواسطته الى اعلى سطح البدن .

يقابل الداخل القبر (انظر صورة رقم ٢٢) الذي اعيد بناؤه مجددا من قبل هيئة الصيانة ، حيث ان الايدي العابثة كانت قد امتدت اليه ، وكان سابقا قد حوط بالرخام المزخرف ، اعادت الهيئة ما تبقى منه ، وهو ايضا ليس اصليا وربما كان يعود الى سنة ١١٣١ هـ .

وفي منتصف الجدار الداخلي للقبة محراب مدبب ، عرضه حوالي ٩٦سم ، وعمقه في الوسط ٣٣ سم ، اما من الجوانب فحوالي ١٣ سم ، وقد اعيد اكساؤه بالجص من قبل الهيئة ، مثله مثل بقية اجزاء البدن الداخلية والقبة من الداخل والخارج .

وعلى العموم فانه ليس في الداخل ما يلفت النظر سوى مقرنصات منطقة الانتقال (انظر صورة رقم ٢٤) وحنايا غطاء القبة التي هي انعكاس لحناياها الخارجية ، (انظر صورة رقم ٢٣) حيث تتألف من عشرة صفوف تنتهي من الاعلى بشكل نجمي ذي ثمانية رؤوس .

اما مقرنصات منطقة الانتقال ، فكما هو معروف ان الغرض منها عماري بحت وهو تحويل الشكل المثمن الى سطح مضاعف الرؤوس ليكون مهيئا لاستقبال اقامة القبة ، وقد كان بامكان المعمار الاكتفاء بحنية واحدة لكل زاوية ، غير انه لم يستسغ ذلك ، حيث نجده وقد جعل مقرنصات منطقة الانتقال تتألف من ثلاثة صفوف من الحنايا المختلفة في احجامها واشكالها ، وكل صف عبارة عن حلقة من الحنايا بحيث لا تجد متسعا من فراغ ، كذلك بين صف وآخر .

قبة مشهد الشمس

تقع قبة مشهد الشمس الى الشمال الشرقي من الحلة ، على يسار الطريق الخارج منها والواصل بينها وبين كربلاء .

والمشهد هنا مشتق من المشاهدة ، اذا ان الاماكن التي شوهد فيها الامام علي كرم الله وجهه او اقام بها عرفت بالمشهد والمقام ، وبما ان البقعة المقام عليها القبة موضوع البحث قد شوهد فيها الامام علي ، فقد عرفت بالمشهد حينا والمقام حينا آخر .

---

١٣١ ـ المنقري ، وقعة صفين ص ١٣٦
الشيخ المفيد ، الارشاد ص ٢٠٠ ـ ٢٠١
الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ص ١٢٩
الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٧٦
البداية والنهاية ج ٦ ص ٨٧
مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة ص ١٠٠
الموسوي ، نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ج ١ ص ٢٩٦
رحلة ابي طالب خان ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥
حرز الدين ، مراقد المعارف ج ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ وهامشها ، ج ٢ ص ٣٧٥
الحسني ، العراق قديما وحديثا ص ١٤٤

عرفت هذه القبة بمشهد الشمس استنادا الى رواية مفادها : ان الشمس ردت للامام علي بعد غروبها في هذه البقعة[131] كما عرف ايضا بمسجد الشمس [132]

وقيل ايضا ان الشمس ردت ليوشع[133] وقيل لحزقيال[134] ويقال ان قبر يوشع في مشهد الشمس[135] وليس هناك ثمة دليل على ذلك ، كما انه لا يوجد قبر ظاهر داخل قبة مشهد الشمس .

وبالنسبة للامام علي فلم تكن هذه هي المرة الاولى التي رجعت له فيها الشمس ، اذ قيل انها ردت له ابان حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .[136]

والقبة القائمة اليوم يرى البعض انها تعود الى الربع الاول من القرن السابع الهجري[137] ومنهم من استدرك فقال بعائديتها الى بداية القرن ذاته .[138] والحقيقة ان هناك اوجه شبه بين هذه القبة وقبة زمرد خاتون التي تعود الى ما قبل سنة ٥٨٨ هـ [139] خصوصا من حيث التخطيط اذ ان كلاهما اعتمد على تخطيط مثمن ، كذلك الشبه الكبير في مقرنصات منطقة الانتقال ، علاوة على ذلك فان صفوف حنايا القبة تتألف من (٢٤ حنية) مما يدل على حصول مرحلة تطور على قبة زمرد خاتون التي تتألف صفوفها السبعة الاولى من (١٦ حنية) .

اضافة الى ما تقدم فان الذين تناولوا قصة رجوع الشمس للامام علي لم يذكر واحد منهم مشهد الشمس بهذه التسمية سوى السائح الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م ، ونحن نعلم ان المشهد كمصطلح عماري يعني قبة تحيط وتلحق بها مبان ومرافق اخرى ، وفي بعض الاحيان تكون لفظة المشهد مرادفة للقبة ،[140] وعليه فاني ارجح ان الهروي قد شاهد قبة مشهد الشمس القائمة اليوم ، ولكن متى ؟

تشير الاخبار التاريخية الى ان الهروي كان في حلب قبل سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١ م ،[141] وحتى وفاته سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م ، وانه قبل القائه عصا الترحال في حلب كان ببغداد حيث ((صنف خطبا وقدمها للناصر لدين الله فوقع له بالحسبة في سائر البلاد واحياء ما شاء من الموات والخطابة بحلب ، وكان هذا التوقيع له شرف ولم يباشر شيئا من ذلك))[142] كما ان مادة كتابه الاشارات تجمعت خلال مدة سياحته وتجواله في الممالك والبلدان ، ولم يؤلفه الا بعد سنين كثيرة كما يذكر هو .[143]

وبناءا على ما تقدم فالذي اراه ان العقد الاخير من

---

(١٣٢) ورد في نهاية مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي مانصه «نسخه حمزه بن الشيخ محمود الحلي متولي مسجد الشمس سنة ١٠٨٥ هـ»
اعلام الدين في صفات المؤمنين وكنز علوم الدين لابي محمد الحسن الديلمي
(١٣٣) تاريخ الامم والملوك جـ ١ ص ٤٤٠
الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٧٦
الكامل في التاريخ جـ ١ ص ١١٤
وفيات الاعيان جـ ٦ ص ٢٢٧
الجامع لاحكام القرآن جـ ٦ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، جـ ٩ ص ٢٧٠
البداية والنهاية جـ ١ ص ٣٢٣
(١٣٤) الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٧٦
(١٣٥) مراقد المعارف جـ ٢ ص ٣٧٥
(١٣٦) ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ ٢ ص ٧٨ ، جـ ٥ ص ٣ ـ ٤
روضة الواعظين ص ١٢٩ ـ ١٣٠
الخوارزمي ، المناقب ص ٢١٧
سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ص ٥٥ ـ ٥٩
مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٤٩ ـ ١٥٠
الكنجي ، كفاية الطالب ص ٣٨١ ـ ٣٨٨
الاربلي ، كشف الغمة جـ ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦
البداية والنهاية جـ ١ ص ٣٢٣ ، جـ ٦ ص ٧٧ ـ ٨٧
مراقد المعارف جـ ١ ص ١٤٣ ـ ١٤٦
الاميني ، الغدير جـ ٣ ص ١٢٦ وما بعدها
(١٣٧) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٤٦
العزاوي ، العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ص ١٥٥
القباب المخروطية في العراق ص ٤٨
(١٣٨) عادل عبو ، القباب البرجية المقرنصة ، مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد السادس ص ٦٨ .
(١٣٩) انظر : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤١٥ ، والفصل الخاص بقبة زمرد خاتون من هذا الكتاب .
(١٤٠) انظر ص ٢٢ ـ ٢٣ من الكتاب
(١٤١) المنذري ، التكملة لوفيات النقلة م ٥ ص ٨٦١ (طبعة رونيو)
(١٤٢) ابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال ، هامش ص ٢٠٦
(١٤٣) الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٣ ، وانظر عن حياة الهروي :
وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٣١ ـ ٣٣
تكملة اكمال الاكمال ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦
التكملة لوفيات النقلة م ٥ ص ٨٦٠ ـ ٨٦١ (طبعة رونيو)
شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٩

القرن السادس الهجري انسب فترة يمكن ان نؤرخ بها قبة مشهد الشمس .

وليس بعيدا ان يكون مشهد الشمس من ابنية الخليفة ابي العباس احمد الناصر لدين الله ، حيث ان القرائن كلها تشير الى انه من ابنية فترته ، كما ان الكتاب العرب يجمعون على تشيع الخليفة الناصر[١٤٤] ومشهد الشمس من الابنية الخاصة بالشيعة . ولقد كان الناصر يرى نفسه نائبا للمهدي المنتظر ،[١٤٥] آخر أئمة الشيعة الاثنى عشر ، كما اهتم بسرداب غيبته .[١٤٦] علاوة على ذلك فانه ابدى اهتماما خاصا بمشهد الامام موسى الكاظم من حيث عمارته[١٤٧] . وجعل منه مأمنا لمن يلجأ اليه .[١٤٨] واتخذ فيه لنفسه ضريحا ومدفنا بازاء محمد الجواد .[١٤٩] وحتى ابنه ابو الحسن علي الملك المعظم المتوفى سنة ٦١٢ هـ اوقف مصحفا بالمشهد الكاظمي كان قد خطه بيده .[١٥٠] واخيرا فان للناصر كتابا في فضائل الامام علي[١٥١].

تنتصب قبة مشهد الشمس (انظر صورة رقم ٢٥) على بدن مثمن (انظر مخطط رقم ٥)[١٥٢] قياساته غير متساوية ، من الخارج ، لا يظهر من اضلاعه الثمانية سوى ثلاثة ، قياساتها بين ـر٣ ـ ٥٠ر٣م ، عدا البرجين اللذين يكون نصف محيطها بين ـر٢ ـ ١٥ر٢م ، حيث اضيف الى قبة المشهد مبان اخرى حديثة ، حجبت جدران البناء . غير ان اضلاعه من الاعلى تظهر جميعها ، وهي ايضا غير متساوية ، وهي كالاتي اعتبارا من ضلع المدخل والضلع الذي يليه من اليسار (٣٠ر٤ ، ٤٨ر٣ ، ١٢ر٤ ، ٦٨ر٣ ، ٢٨ر٤ ، ١٢ر٤ ، ٢٤ر٤ ، ٨٨ر٣م) وهذا التفاوت بين مقاسات اضلاع البدن من الاسفل والاعلى راجع الى كون البناء يميل نحو الداخل كلما تقدم بالارتفاع . اما ارتفاع البدن فهو ٥ر٦ م ، مدعم من الخارج ببرجين نصف اسطوانيين ، وربما كان في الاصل مدعم بثمانية .

تقوم فوق البدن قاعدة مثمنة ارتفاعها ٢م ، وطول ضلعها حوالي ١٢ر٣ م ، فتح في منتصف كل ضلع من اضلاعها الثمانية نافذة لادخال الضوء والهواء ، وفي الضلع الجنوبي الغربي للبدن من اعلى درج مقطوع يتألف من مرقاتين ويستمر في قاعدة القبة حيث نجد ستة مراقي ، ويبدو انه كان متصلا ببناء ملاصق له من هذه الجهة ، وعندما هدم اصبح الدرج مقطوعا .

تقوم القبة المؤلفة من ثلاثة عشر صفا على القاعدة المثمنة ، ويتألف كل صف من ٢٤ حنية ، ابتداءا من

(١٤٤) تاريخ الدول الاسلامية ص ٣٢٢
الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٣٩٤
مختصر اخبار الخلفاء ص ١١١
القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ج ٢ ص ٦٢ ـ ٦٣
الصفدي ، نكت الهميان ص ٩٤
السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٤٥١
شذرات الذهب ج ٥ ص ٩٨
القمي ، الكنى والالقاب ج ٣ ص ٢٠٢
السخاوي ، مجالي اللطف ص ٤١
العاملي ، اعيان الشيعة ج ٨ م ٩ ص ٤١ ـ ٥٥
الكليدار ، تاريخ كربلاء ص ١٧٥
الرويشدي ، امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ص ٣٩ ـ ٤٠
القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص ١٦٥ ـ ١٦٨
(١٤٥) اعيان الشيعة ج ٨ م ٩ ص ٤٥
(١٤٦) مديرية الاثار القديمة ، باب الغيبة في سامراء ص ٦ ـ ٨ ، وانظر : مضمار الحقائق ص ١٧٧ ـ ١٧٨
(١٤٧) مضمار الحقائق ص ١٧٨
(١٤٨) مختصر اخبار الخلفاء ص ١١١ ـ ١١٢ .
تاريخ الخلفاء ص ٤٥٢
(١٤٩) مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٣٦
خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨٢
ذيل الروضتين ص ١٤٥
الحوادث الجامعة ص ٣٨٠
البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٦٨
الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٨٣
ذيل مرآة الزمان ج ٣ ص ٧٩
تحفة العالم ج ٢ ص ٢٢
(١٥٠) مختصر التاريخ ص ٢٤٨
(١٥١) اعيان الشيعة ج ٨ م ٩ ص ٤٢
(١٥٢) انظر مخطط مشهد الشمس في : القباب المخروطية في العراق ص ٤٦ والملاحظ ان المقاسات المأخوذة من قبل المؤلفين لا تتطابق مع مقاسات المخطط وفق المقياس المرسوم بموجبه ، فالمخطط مرسوم بمقياس ١/٥٠ ، اي كل متر على الارض يقابله نصف سنتمتر على الورق وطول الضلع ١/٨٠ م (ن م ، ص ٤٥) . واذا ما طبقنا مقياس الرسم على المخطط نجد طول الضلع ٢,٢٠م.

الصف الاول من اسفل وحتى الثامن ، وفي التاسع تتقلص الى اثنتى عشرة حنية ،(١٥٣) وحتى الصف الاخير حيث تنتهي بقمة القبة المضلعة . وهذه الحنايا محدبة من الخارج مقعرة من الداخل يفصل بين حنية واخرى نصف منشور رباعي ، كما يفصل بين صف واخر من صفوف الحنايا صف من المنشورات نصف الرباعية ، عددها بقدر عدد حنايا كل صف .

وتحدب الحنايا يأخذ بالتلاشي كلما تقدمت صفوفها بالارتفاع ، حيث تبدأ رؤوس انصاف المنشورات بالبروز التدريجي حتى انها تطغى في بعض الصفوف على الحنايا ، فتكون هذه الحنايا مسطحة ، ويبلغ بروز هذه المنشورات اشده في الصف الثامن .

وفي الصف التاسع كما قلنا تتقلص الحنايا الى اثنتى عشرة حنية ، غير انها تعود محدبة كما بدأت في الصفوف الاولى لا بل اكثر تحدبا ، وهذا راجع الى تقلص عددها ، فلا بد اذن من ان يكبر حجمها ، حتى يكون هناك تدرج في تضييق فتحة القبة .

ترتفع القبة فوق البدن حوالي ١٢ م ، وبذلك يكون الارتفاع الكلي حوالي ٢٠٫٥ م . يدخل الى غرفة المشهد بواسطة مدخل فتح في منتصف الجدار الغربي ، عرضه ٩٥ سم وارتفاعه حوالي ٢٫ م ، ويبدو ان اعمال الترميم التي اجريت عليه قد افقدته معالمه الاصلية ، بحيث بدى بسيطا ساذجا معطلا من اي نوع من انواع الزخرف .

البدن من الداخل مدعم بثمانية دعامات تبرز عن وجه الجدار ١٫١٥ ـ ١٫٢٩ م ، عرضها بين ٧١ ـ ٧٦ سم ، يوسط عرضها انبعاج الى الداخل خفيف . طول كل ضلع من اضلاع البدن الداخلية (المسافة بين دعامتين) تتراوح بين ١٫٥٥ ـ ١٫٦٧ م ، اما السمك فحوالي ٦٢ سم واذا ما اضفنا اليه سمك الدعامات فانه يكون بين ١٫٧٧ ـ ١٫٩١ م .

ينصف الضلع الجنوبي محراب مجوف (انظر صورة رقم ٢٧) عمقه ٥٤ سم وسعة فتحة عقده ١٫٠٤م وارتفاعه من قة العقد وحتى ارضية الغرفة ١٫٩٨ م ، على ارتفاع ١٫٢٣ م . يوجد صفين من المقرنصات المعمولة من الجص ، وهي تبرز عن السطح ، غير ان الرطوبة علاوة على التقادم قد اتلفا مقرنصات الصف الاسفل وامتد الى الصف الآخر ، والمحراب متوج بعقد مدبب .

تبدأ مقرنصات منطقة الانتقال (انظر صورة رقم ٢٨) من على ارتفاع ٢٫٥٤ ـ ٢٫٥٥م عن ارضية المشهد ، وتتألف من ثلاثة صفوف ، يكون ارتفاعها الكلي ٤٫١٠ م ، وصفوف المقرنصات الثلاثة هذه تملأ الفسحة الحاصلة بين الدعامات ، وهي عبارة عن حنايا معقودة في الزوايا متراكب بعضها فوق البعض الاخر ، وكلما تقدمت بالارتفاع كلما ازداد سمكها ، وبرزت الى الامام اكثر ، بغية القضاء على الفراغ الحاصل بين كل دعامتين ، ولتهيئة السطح الملائم لأقامة القبة .

تبدأ حنايا غطاء القبة من على ارتفاع ٦٫٦٥ م اعتبارا من ارضية الغرفة ، تتألف صفوف حنايا القبة من اثنى عشر صفا ، يتألف كل صف اعتبارا من الاول وحتى التاسع من ٢٤ حنية (انظر صورة رقم ٢٦) ، وتتقلص في العاشر الى اثنتى عشرة حنية ،(١٥٤) حيث ترتكز كل حنية من حنايا الصف العاشر على رأس حنيتين من حنايا الصف التاسع ، يلي الصف الثاني عشر شكل نجمي ذو اثنى عشر رأسا ، حيث يغلق فتحة القبة .

---

(١٥٣) ذكر عادل عبو انها تتقلص الى (١٦) حنية ، وهذا غير صحيح ، انظر القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٤٥ .

(١٥٤) ذكر البعض ان عدد الحنايا في كل صف من الاول وحتى الاخير اربعة وعشرين حنية وهذا غير صواب ، انظر : القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٤٥
القباب المخروطية في العراق ص ٤٧ .

والملاحظ وجود ثمة تباين بين صفوف الحنايا الداخلية والخارجية ، فمن الخارج ثلاثة عشر صفا ثم تقوم القبة المضلعة ، بينما من الداخل اثنا عشر صفا حيث تنتهي بالشكل النجمي ذي الاثني عشر رأسا ، علاوة على ذلك فأن الصف الاول من الداخل لا يناظر الصف الاول من الخارج ، بل يكون اسفل منه ، حيث ينصف القاعدة المثمنة التي ترتكز عليها القبة ، ويمكن تمييز ذلك بوضوح تام ، حيث ان ثمانية نوافذ فتحت في الصف الاول ، شغلت كل نافذة الحنية التي تتوسط كل ضلع من اضلاع المثمن ، ونشاهد هذه النوافذ كل نافذة تنصف القاعدة المثمنة ، مما يدل على ان للقبة غطائين داخلي وخارجي ، عمل كل واحد بمعزل عن الآخر ، فهما ليسا متقابلين ولا متناظرين .

قبة الحسن البصري

تقع قبة الحسن البصري في الزبير «خارج المربد في البادية»[١٥٥] بالمقبرة المعروفة باسمه ، وكانت تعرف بمقابر الصالحين[١٥٦]، ايام ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ /١٣٧٢م . ولد ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري في مدينة الرسول المنورة سنة ٢١هـ /٦٤٢م ، وانتقل مع والديه الى البصرة سنة ٣٦ هـ /٦٥٦م[١٥٧]. كان الحسن سيد التابعين وامام اهل البصرة وشيخها بلا منازع ، علما وتقى ، زهدا وورعا ، يقول الامام الذهبي في حقه «ومناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة كان رأسا في العلم والحديث اماما مجتهدا كثير الاطلاع رأسا في القرآن وتفسيره رأسا في الوعظ والتذكير رأسا في الحلم والعبادة رأسا في الزهد والصدق رأسا في الفصاحة والبلاغة ....»[١٥٨]، وفي ليلة الجمعة الاول من رجب سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م ، توفي الحسن البصري ، وخرجت البصرة عقيب صلاة الجمعة تشيع امامها ، وازدحم الناس عليه ، حتى ان صلاة العصر لم تقم يومذاك في جامعها الكبير[١٥٩]، يقول الراوي «ولا اعلم انها تركت منذ كان الاسلام الا يومئذ ، لانهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر»[١٦٠].

وتقوم على قبر الحسن البصري قبة مخروطة ، تباينت الآراء حول تأريخها ، فقد ارجعها هرتسفلد الى حوالي سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م[١٦١]، بينما نسبها غيره الى نهاية القرن السادس للهجرة[١٦٢]، ومنهم من ذهب الى انها تعود الى الربع الاول من القرن السابع الهجري[١٦٣]، وكان عادل عبو قد نسبها الى النصف الاول من القرن السابع الهجري[١٦٤]، ثم بدا له غير ذلك فجعلها من ابنية القرن السابع الهجري دون تحديد[١٦٥].

وليس لدينا ما يساعد على تاريخ القبة بصورة دقيقة ، حيث لا توجد كتابة فيها ، كما ان الاخبار التاريخية عنها نزرة للغاية . فالسائح الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ /١٢١٤م ذكر لنا قبر الحسن البصري دون الاشارة الى وجود قبة عليه[١٦٦]، بينما نص ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م على وجود قبة على قبر الحسن مكتوب عليها اسمه وتاريخ وفاته[١٦٧].

وادعى نيبور الذي زار البصرة سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ، بان قبة الحسن البصري قد هدمت من قبل الايرانيين بقيادة نادر شاه سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م ، ثم اعيد بناؤها مجددا ، غير انها مالبثت ان سقطت فشيدت هذه القبة القائمة اليوم[١٦٨]. وليس هناك ما يشير الى صحة

---

(١٥٥) الاصطخري ، مسالك الممالك ص ٨٠ ـ ٨١

ابن حوقل ، صورة الارض ج ١ ص ٢٣٦

(١٥٦) البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٠٩

(١٥٧) انظر عن حياة الحسن البصري :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٧ ق ١ ص ١١٤ ـ ١٢٩

ابي نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ج ٢ص ١٣١ ـ ١٦١

ابن الجوزي ، الحسن البصري

احسان عباس ، الحسن البصري

(١٥٨) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج ٤ص ٩٩

(١٥٩) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٥٥

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج ٤ص ١٠٦

(١٦٠) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٥٥

(161) HerZfeld Op. Cit. p. 26.

(١٦٢) منذر البكر ، ضريح الحسن البصري ومسجد الكواز ، مجلة الجامعة (١٩٦٩) ج ٦ ص ٣٩٥ .

(١٦٣) القباب المخروطية في العراق ص ٣٨

(١٦٤) القباب العباسية في العراق ج ١ ص ١٧٧

(١٦٥) القباب البرجية المقرنصة ، مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد السادس ص ٦٩

(١٦٦) الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٨١

(١٦٧) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١١٧

(١٦٨) مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧١٥ ص ٢٤ ـ ٢٥

أدعاءات نيبور لامن حيث البناء ، ولا من ناحية الاخبار التاريخية المتعلقة بحصار نادر شاه للبصرة ، حيث انه انفرد بالخبر هذا لوحده .

والاحتمال الوحيد هو ان القبة التي سقطت هي قبة محمد بن سيرين الراقد بأزاء الحسن البصري في الغرفة الاخرى التي بلصق غرفة الحسن ، ذلك ان لدينا من القرائن ماتشير لابل تؤكد ان قبة ابن سيرين كانت على غرار قبة الحسن البصري الا انها اصغر حجما منها ، خصوصا مقرنصات منطقة الانتقال ، حيث انها نسخة طبق الاصل ، علاوة على وحدة البناء وترابطه .

ومهما يكن من امر فان قبة الحسن البصري فيها ثمة شبه بقبة تربة زمرد خاتون التي تعود الى ما قبل سنة ٥٨٨هـ من حيث كون عدد حنايا صفوفها (١٦) كما هو حاصل في كلا القبتين ، كما انها حتما تعود الى مابعد زيارة الهروي للعراق التي تمت في العقد الاخير من القرن السادس الهجري على الارجح .

واذا ما تطلعنا الى تاريخ البصرة على عهدي الخليفتين الناصر والمستنصر[١٦٩]، وجدنا حركة عمرانية واسعة لا اظن ان البصرة قد شهدتها من قبل .

كانت البصرة ولاية تابعة الى مركز الخلافة بغداد ، ولاتها يعينون من قبل الخليفة العباسي ، فكان واليها من قبل الناصر لدين الله ، الامير ابو المظفر شمس الدين باتكين بن عبدالله الرومي الناصري ، ولكنا لا نعرف بالضبط متى تولى امارة البصرة ، حيث لا توجد اشارة الى ذلك ، غير انه بالامكان التعرف الى سنة توليه ، من خلال مدة امارته حيث انها بلغت على البصرة ثلاثة وعشرين سنة[١٧٠]، فاذا ما علمنا انه تولى اربل بدلا من البصرة سنة ٦٣٠هـ /١٢٣٣م[١٧١]، فان هذا يعني ان سنة توليه البصرة بحريها وخراجها سنة ٦٠٦هـ /١٢٠٩م او ٦٠٧هـ /١٢١٠م .

وعند توليه البصرة «عمرها وجدد مدارس كانت بها قد دثرت وانشأ مدرسة للحنابلة ولم يكن يعرف بالبصرة لهم مدرسة ، وعمل مدرسة يقرأ فيها علم الطب ، وعمر مارستانا كان قد خرب وتعطل»[١٧٢] وبلغ اهتمامه بامور الثقافة ونشر العلم حدا ، حيث «بنى في دهليز الجامع حجرتين ، جعل في احداهما كتبا ووقف في جميع المدارس كتبا وانتشر العلم في زمانه وكان العلماء وغيرهم يقصدونه من جميع الآفاق فرفدهم»[١٧٣].

وفي سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٧م ، احترق جامع البصرة الكبير[١٧٤]، وتهدم معظمه فأمر الخليفة المستنصر باتكين بعمارته «وتجديده واحكامه وتشييده وانشاء مارستان هناك وان يكون الغرامة عليه من خالص مال الخليفة وان توقف عليه وقوف سنية موفرة الحاصل»[١٧٥] فـ «اعاد عمارته واحضر حجارة اساطينه من جبل الاهواز وجلب له الخشب الصنوبر والساج من البحر وشيراز ورحبة الشام»[١٧٦]. ومن اعماله في البصرة ، انه «بنى سورا على بني مازن وسورا على المدينة محكما بالابواب الحديد وجدد في البصرة الخانات للبز»[١٧٧]، وكان باتكين «متعبدا كثير التلاوة للقرآن والمذاكرة في العلوم والسير والتاريخ والاخبار والاشعار وله نظم حسن»[١٧٨]

---

(١٦٩) بين الخليفتين الناصر والمستنصر ، حكم الخليفة الظاهر بامر الله ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده الناصر ، غير ان فترة خلافته قصيرة جدا حيث بلغت حوالي تسعة أشهر ، لذا اعتبرنا خلافته متصلة بخلافة السابق له والاحق به .

(١٧٠) الحوادث الجامعة ص ١٨١

(١٧١) ن . م . ص ٤٨

العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٨١

(١٧٢) الحوادث الجامعة ص ١٨١

(١٧٣) ن . م .

(١٧٤) ن . م .

(١٧٥) ن . م . ص ٣٣

العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٧٨

(١٧٦) الحوادث الجامعة ص ١٨١

(١٧٧) ن . م . ص ١٨٢

(١٧٨) ن . م .

واهتم بالزهاد والمتصوفة ، فـ «انشأ رباطا متصلا بالجامع ، ورباطا اخر قريبا منه ، واسكن فيها جماعة من الصوفية»[١٧٩] كما اهتم بقبور الصحابة فـ «بنى على قبر طلحة بن عبيدالله بنيانا حسنا ، وجعل فيه الفرش والقناديل وكذلك على قبر الزبير بن العوام»[١٨٠].

وفي سنة ٦٣٠هـ تولى امارة اربل بدل البصرة ، فحل محله اميرا على البصرة ارغش الرومي الناصري[١٨١]، غير انه لم يستمر طويلا في امارة اربل حيث فارقها معزولا سنة ٦٣٥هـ /١٢٣٧م[١٨٢]، فلزم داره ببغداد حتى واتته المنية سنة ٦٤٠هـ /١٢٤٢م[١٨٣]. ولا اظن ان شمس الدين باتكين قد غفل عن سيد التابعين الحسن البصري والبناء عليه وان اغفل المؤرخون ذكر ذلك . والذي اراه ان قبة الحسن القائمة تتناسب وفترة امارة باتكين على البصرة التي تقع بين سنتي ٦٠٧ ـ ٦٣٠هـ /١٢١٠ ـ ١٢٣٣م ، وعليه يمكن ارجاع القبة الى الفترة هذه .

تقوم قبة الحسن البصري المخروطة (انظر صورة رقم ٣٠) على بدن ابعاده غير متساوية وان كانت متقاربة (انظر مخطط رقم ٦) ، وهي : ٣,٨٨×٣,٢٠م ، يدخل اليه بواسطة مدخل فتح تقريبا في منتصف جداره الشمالي ، وتتقدمه ظلة اظنها مستحدثة .

تخلو الغرفة من اى نوع من انواع الزخرف ، اللهم الا اذا استثنينا المقرنصات ، حيث تبدأ حنايا منطقة الانتقال من على ارتفاع ٢,٩٥م عن ارضية الغرفة[١٨٤]، وعددها اربعة ، لكل زاوية واحدة ، وهي عميقة وكبيرة نسبيا ، يحددها عقد مدبب ، مقرنصان من المقرنصات الاربعة هذه ، يقوم كل واحد منها في الزاويتين الحاصلتين من تعامد عقد مزدوج من النوع المدبب ، يفصل بين هذه الغرفة والغرفة الثانية التي بلصقها ، كما يقوم مقرنصان اخران في الوجه الثاني من العقد ، وللغرض ذاته ، في الغرفة الثانية .

بواسطة الحنايا الاربعة تتهيا قاعدة مثمنة تكون صالحة لاقامة القبة ، بعد ذلك تتعاقب صفوف حنايا القبة الاحد عشر (انظر صورة رقم ٣١) ، كل صف يتألف من ست عشرة حنية ، وهذه الحنايا مسطحة ومحددة بعقود مدببة ، ثم يلي الصف الحادي عشر عنق اسطواني حيث تنتصب عليه قبة القبة النصف كروية .

تلحق بهذه الغرفة اخرى مقاساتها ٣,ـ ×٢,٩٠م ، يفصل بينها وبين الغرفة السابقة عقد مزدوج مدبب عريض نسبياً حيث يبلغ عرضه حوالي ١,٣٠ ، وتقوم في زواياه الاربعة من الجهتين مقرنصات منطقة الانتقال بالنسبة للغرفتين ، في كل وجه مقرنصان .

وهذه الغرفة تتطابق مع الاولى في جميع النواحي ، خصوصا مقرنصات منطقة الانتقال ، مما يجعلنا نجزم بان القبة التي كانت تظللها مخروطة ، غير انها اصغر حجما من قبة الحسن ، وقد اقيمت عوضاً عنها قبة نصف كروية تستطيل قليلا الى الاعلى ، وقد اعتمد في اقامتها على مقرنصات منطقة الانتقال الاصلية .

اما من الخارج فان الغرفتين متصلتان مع بعضها ، بحيث يكونان على هيئة مستطيل ابعاده ٨,٥×٥,١٠م ، وارتفاعه ٣,٢٠م .

تنتصب فوق بدن ضريح الحسن البصري قاعدة مثمنة ، ترتفع حوالي متر واحد ، واطوال اضلاعها يتراوح بين ١,٩٦ ـ ٢,٠٥م .

تقوم فوق هذه القاعدة القبة المخروطة المؤلفة من ستة صفوف يرتفع الصف الاول عن القاعدة ١,٢٨م ، والثاني عن الاول ١,٣٠م ، والثالث ١,١٩م ، ثم تبدأ بالتناقص التدريجي ، كما ان هذه الصفوف تبرز في الاولى بروزا شديدا بحيث يبلغ حوالي ٢٥ سم ويبدأ هذا البروز بالتناقص التدريجي ايضا .

العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٨١

(١٧٩) الحوادث الجامعة ص ١٨١

(١٨٠) ن . م . ص ١٨١ ـ ١٨٢

(١٨١) ن . م . ص ٥٠

(١٨٢) ن . م . ص ١١١

(١٨٣) ن . م . ص ١٨٣

(١٨٤) ذكر البعض ان ارتفاع مقرنصات منطقة الانتقال عن الارضية متر واحد ، وهذا غير صحيح ، انظر :
القباب المخروطية في العراق ص ٣٧

ومهما يكن من امر فان هذه الصفوف يتناقص ارتفاعها وبروزها تدريجيا حيث تنتهي في الصف السادس الذي تنتصب عليه قاعدة شكلها الحالي مضلع ذو عشرة اوجه ، حيث يحمل قمة القبة النصف كروية .

يتألف كل صف من ست عشرة حنية كما هو حاصل بالنسبة للصفوف الداخلية ، والحنايا هنا ايضا مسطحة ومحددة بعقد مدبب ، غير ان رأس العقد يبرز بروزا شديدا وكلما تقدمنا بالارتفاع كلما تناقصت حجوم الحنايا وازداد بروز رؤوس عقودها .

الارتفاع الكلي للقبة ، من اسفل البدن وحتى قمتها حوالي ـ‚١٣م وبذلك يكون ارتفاع القبة حوالي ثلاثة امثال ارتفاع البدن .

اما مادة البناء فهي الآجر والجص ، كما انها كسيت من الداخل والخارج ، البدن والقبة معا بمادة الجص ايضا .

وللقبة فتحات بمثابة نوافذ لادخال الضوء والهواء ، وربما لتخفيف ثقل القبة ايضا ، والنوافذ هذه عددها اربعة من الداخل في الصف الاول من حنايا غطاء القبة ، كل نافذة تتوسط واحد من اضلاع البدن الاربعة ، وهذه النوافذ تتطابق من الداخل والخارج حيث تكون في الصف الاول ، غير اننا نلاحظ وجود ثلاث نوافذ اخرى تقع في الصف السادس من الداخل ، بينما من الخارج تقابل الصف الثالث ، ويبدو ان حنايا القبة الداخلية لم يقصد منها سوى الزخرفة والناحية الجمالية ، وكل صفين من صفوفها يقابلان صفا خارجيا واحدا .

اضافة الى ذلك فانه قد فتحت نوافذ اخرى في بدن القبة ، كما ان اعمال الصيانة الاخيرة قد عملت على اغلاق النوافذ الموجودة في القبة ، حيث كانت في كل حنية من حنايا صفوف القبة من الثالثة وحتى السادسة من اعلى نافذة . (انظر صورة ٢٩) ومن ضمن الاعمال التي قامت بها هيئة الصيانة تغيير العنق الذي تقوم عليه قلة القبة حيث انه كان اسطوانيا ، غير ان الهيئة جعلته مضلعا ذا عشرة اوجه ، ونحن لا نعترض على ذلك ، اذ ربما كان مضلعا وخلال اعمال ترميم لاحقة جعل اسطوانيا ، فاعادته الهيئة الى سابق عهده ، غير اننا في الوقت ذاته نتسائل ، لماذا مضلعا ذا عشرة اوجه ؟ ولماذا لا يكون ذا ستة عشر وجها ، حيث ان حنايا كل صف من الاولى وحتى السادسة وهي الاخيرة تتألف من ست عشرة حنية .

اما بالنسبة لقبري الحسن وابن سيرين فقد امتدت اليها يد التجديد ، بحيث لا يمكن تمييزهما عن القبور الحديثة ، كما انه ليس هناك ما يشير الى كون هذا القبر للحسن وذاك لابن سيرين ، والاعتماد في ذلك على ماهو شائع بين الناس ومتعارف عليه بينهم .

قبة مشهد ذي الكفل

يقع مشهد النبي حزقيال الشهير بذي الكفل[١٨٥] ، في ناحية الكفل التابعة لمحافظة بابل ، وكانت هذه البقعة تعرف باسم برملاحه[١٨٦] ، قبل غلبة تسمية الكفل عليها .

وهذا المشهد من المزارات المقدسة للمسلمين واليهود على

---

(١٨٥) عن ذي الكفل انظر :

الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن جـ ١٧ ص ٥١ ـ ٥٢

ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير جـ ٥ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠

القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن جـ ١١ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨

ابن حيان الاندلسي ، البحر المحيط في تفسير القرآن جـ ٦ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥

لسان العرب جـ ١١ ص ٥٩٠

البداية والنهاية جـ ١ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦

الكرملي ، الكفل ، مجلة المشرق (١٨٩٩ م) جـ ٢ ص ٦١ ـ ٦٦

كولد سيهر ، ذو الكفل ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٩ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٨

(١٨٦) الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٧٦

معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٠٢ ، جـ ٤ ص ٣٧٤

المشترك وضعا المختلف صقعا ص ٢٧٨

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع جـ ١ ص ١٨٨ ، جـ ٢ ص ٨١٩

وتصحفت الى بير ملاحة في :

نزهة القلوب (فارسي) ص ٣٢

عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٣٣٤

وبئر ملاحة في :

رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٣٨

ودار المليحة في :

رحلة بنيامين ص ١٤٤

حد سواء[١٨٧] . تناوبوا سدانته تبعا للظروف والاحوال السياسة السائدة[١٨٨] .

وتقوم فوق المرقد المنسوب لذي الكفل قبة مخروطة الشكل ، تباينت في تاريخها آراء الباحثين المحدثين ، فقد ارجعها هرتسفلد الى سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م[١٨٩] ، يؤيده في ذلك عادل عبو[١٩٠] ، غير ان البعض يرى ان القبة الخارجية تعود الى القرن السادس الهجري ، بينما الداخلية الى القرن الثامن الهجري[١٩١] .

والحقيقة ان مرقد ذي الكفل كان موضع رعاية واهتمام المسلمين واليهود على حد سواء ، فقد كانت تعلوه كما يقول بنيامين ٥٦١ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٦ - ١١٧٣ م «قبة كبيرة هي آية في حسن الانشاء»[١٩٢] وبعد حوالي عقدين من تاريخ زيارة بنيامين ، وصف الرحالة فتاحيه المشهد قائلا بانه «اجمل بناء تقع عليه العيون . جدرانه الداخلية موشاة بالذهب . وفوق القبر ضريح يرتفع نحو القامة مكسو بخشب الارز المطعم بالذهب ... تعلوه قبة منهبة مرصعة بالبلور تتدلى منها السجوف الجميلة ... »[١٩٣] . ويبدو انه قد حدثت تغييرات كبيرة على مشهد ذي الكفل ، حيث ان القبة القائمة اليوم لا تتطابق ووصف الرحالتين سابقي الذكر ، فهل يا ترى ان البناء هدم كليا واعيدت عمارته مجددا ، ام انه تم هدم بعض من اجزائه واستحدثت مباني اخرى عليه ؟

والذي اراه هو ان كلا القبتين الداخلية نصف الكروية والخارجية المخروطة المقرنصة تعود ان الى القرن الثامن الهجري ، ولكن قبل ان نحاول تحديد تاريخها بالدقة المطلوبة اراني ملزما بمناقشة الاراء الاخرى .

فهرتسفلد حين ارخ القبة بسنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م ، اعتمد على الكتابات المثبتة على منارة الكفل القائمة[١٩٤] ، والقبة لا علاقة لها بالمنارة ، واعتقد انها تكاملت قبل المنارة ، والحقيقة ان العمل بالمنارة بدأ في عهد السلطان اولجايتو ٧٠٣ - ٧١٦هـ / ١٣٠٣ - ١٣١٦م ، غير انه توفي قبل تكاملها ، فأتمت في عهد ابنه وخليفته السلطان (ابو سعيد) بهادر خان ٧١٦ - ٧٣٦ هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٥ م ، ومما لا يقبل الشك انه قد فرغ من المنارة قبل سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م ، وهي السنة التي انهى فيها حمد الله المستوفي تأليف كتابه (تاريخ كزيده)[١٩٥] ، حيث اشار الى هذه المنارة[١٩٦] .

اما الرأي القائل بعائدية القبة الخارجية الى القرن السادس الهجري والداخلية الى القرن الثامن للهجرة فلا اوافق القائلين به ، ولو قالوا العكس ، لكان فيه نوع من وجاهة النظر ، ذلك ان القبة الداخلية كما هو معلوم نصف كروية ، وهذا النوع من القباب يبنى بواسطة القوالب الخشبية او الجصية ، بحيث يكون عمل البناء من الخارج وبشكل آلي ، فاذا كانت القبة الخارجية وهي المخروطة قائمة فكيف يستطيع البناء بناء القبة الداخلية[١٩٧] ، علاوة على ذلك فأن وصف الرحالتين بنيامين وفتاحيه للمشهد لايتطابق وما هو عليه الآن .

---

(١٨٧) رحلة بنيامين ص ١٤٤ ، وهامشها عن : رحلة فتاحيه

(١٨٨) رحلة بنيامين ص ١٤٢ - ١٤٤

عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٣٣٤ - ٣٣٥

مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة ص ٨٨ - ٨٩

معارف الرجال جـ ٢ ص ١١٨ - ١٢١

مراقد المعارف جـ ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٨ وهوامشها

العراق قديما وحديثا ص ١٤٦

(189) Herzfeld, Op. Cit., pp. 29-30

(١٩٠) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٨٨

القباب البرجية المقرنصة ، مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد السادس ص ٧٢ .

(١٩١) القباب المخروطية في العراق ص ٨٣

(١٩٢) رحلة بنيامين ص ١٤٣

(١٩٣) رحلة فتاحيه ، نقلا عن ، رحلة بنيامين ، هامش رقم (٢) ص ١٤٢ .

(194) Herzfeld, Op. Cit., p. 29.

الحديثي ، مئذنة الكفل ، مجلة سومر (١٩٧٢) ص ١٢٥ - ١٢٦

(١٩٥) الصياد ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني ص ٢٠٥

(١٩٦) تاريخ كزيده ص ٦٠

(١٩٧) اثناء اعمال الصيانة في القبة وكشط طلاءها الجصي فتحت احدى الحنايا ، وقد لاحظت ان باطن القبة المقرنصة عبارة عن لطوشات جصية بحيث ان منظرها ساذج وبسيط لابل وسمج ، مما يدل على ان الغرض من بناءها ان هو الا مظهرها الخارجي .

ومهما يكن من امر فأن قبتي الكفل والسهروردي تعودان الى فترة زمنية واحدة ، وينضويان تحت طراز واحـد ، وهو الطراز العراقي في بناء القباب المخروطة ابان سيطرة المغـول ، حيث مر هذا الطراز بمرحلة تطور على المرحلة التي كان عليها ايام اواخر دولة بني العباس .

وبعـد كل ما تقـدم ، ترى ما هو التاريخ المناسب لقبة الكفل القائمة اليوم ؟ مما لاشك فيه ان لمشـهد الكفـل مكانة عظيمة في نفوس المسلمين واليهود على السواء . ولقد بلغت سطوة اليهود اوجها ، حيث كانوا سدنته ، بعد سـقوط دولة بني العباس وقيام دولة المغول ، فعـانى المسـلمون من جـراء ذلك الكثير من العنت والاضطهاد[١٩٨] ، لكن الامور تغيرت عندما اسلم بعض سلاطين المغول[١٩٩] .

وعند تولى السـلطان اولجـايتو محمد خـدابنده الحكم ٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ / ١٣٠٣ ـ ١٣١٦ م اهتم بمشهد الكفـل ، فبنى فيه مسـجدا ومنارة[٢٠٠] ، او بعبارة ادق عليه ، بعـد ان تم هدم البناء السابق الذي كان يتسم بالسمة اليهودية .

وكان متولي ذلك والمشرف عليه كما ارى تاج الدين ابو الفضل محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن زيد ، حيث كان واعظا ، نال اعجاب واسـتحسان اولجـايتو ، فأضحى اثيرا عنده ، فولاه نقـابة نقباء الممالك بأسرها ، العـراق والري وخـراسان وفارس وسـاير ممالكه[٢٠١] ، واليه ينسـب تشيع اولجايتو[٢٠٢] .

ومن الاعمال التي قام بها تاج الدين بمشهد الكفل ، انه نصب منبرا في صحنه كما اقام فيه الجمعة والجماعة ، ومنع اليهـود من قربه ومن ثم زيارته[٢٠٣] ، حيث لا يجوز لغـير المسلمين دخول المساجد الاسلامية[٢٠٤] ، مما اوغر صدر رشيد الدين فضل الله الهمداني وزير السلطان اولجـايتو الذي كان متهما باليهودية[٢٠٥] ، يقـول الدكتور الصـياد بعـد دراسـة مستفيضة عن رشيد الدين «في ضوء هذه المصادر وأكثر هذه الادلة تعد مسألة اتهام رشيد الدين باليهـودية ثابتة ومفـروغة منها»[٢٠٦] .

وفي ذي القعـدة سـنة ٧١١هـ / ١٣١١م ، قتل تاج الدين[٢٠٧] ، وامتدت اصابع الاتهام نحو رشيدالدين[٢٠٨] .

والذي اراه ان القبة القائمة اليوم يمكن تأريخها بين سنة ٧٠٣ هـ /١٣٠٣ م وهي السنة التي تولى فيها اولجايتو الحكم وبين السنة التي قتل فيها تاج الدين وهي ٧١١هـ /١٣١١م .

تقع قبة ذي الكفـل ضـمن مبان ومرافق تحيط وتلحق بهـا ، يختلف شكلهـا من الداخـل عن تلك التي نراها في الخارج ، فهي من الداخل قبة نصف كروية ، (انظر صورة رقم ٣٣) ، بينما من الخارج مخروطة مقرنصة .

---

(١٩٨) الحوادث الجامعة ص ٤٤١ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ، ٤٦١
مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين ص ٦١ ـ ٦٨
حتى ان المسيحيين تسلطوا على المسلمين وتحكموا فيهم ، كما استحوذوا على بعض مبانيهم ، كرباط دار الفلك ، وحولوه الى مقبرة لهم . انظر : الحوادث الجامعة ص ٤٨٤ .
(١٩٩) انظر ، تاريخ العراق بين احتلالين جـ ١ ص ٣٠٤
(٢٠٠) تاريخ كزيده ص ٦٠
نزهة القلوب ص ٣٢ ، وقد وردت هنا لفظة منبر بدلا من منارة ، لكن لسترنج استعاض عن لفظة المنبر بالمنارة ، انظر :
Hamad Alla Al Mustawfi, Nuzhat Al-Qulub, p.39
كما استبدل عزرا حداد لفظة المسجد واستعاض عنها بالقبة ، انظر : رحلة بنيامين ، هامش رقم (٢) ص ١٤٢ .
(٢٠١) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٣٣٤
(٢٠٢) حافظ آبرو ، ذيل جامع التواريخ ص ٤٨ ، نقلا عن :
مؤرخ المغول رشيد الدين ص ١٥٧
(٢٠٣) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥
(٢٠٤) الجامع لاحكام القرآن جـ ٨ ص ٨٩ ، ١٠٤ ـ ١٠٦
(٢٠٥) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨٧
الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة جـ ٣ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣
عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٣٣٥
برتلز ، «رشيد الدين الطبيب» دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٠ ص ١١٧
معارف الرجال جـ ٢ ص ١٢٠
مراقد المعارف جـ ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٨
جامع التواريخ (المقدمة) م ٢ جـ ١ ص ٨ ـ ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ـ ٣١
مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين ص ٩٤ ـ ١٠٤
(٢٠٦) مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين ص ١٠٣ ـ ١٠٤
(٢٠٧) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٣٣٥
(٢٠٨) ن . م .

غرفة الضريح ذات تخطيط مستطيل (انظر مخطط رقم ٧) . قياساته من الداخل (٥,١٠ ، ٥,٢٠) ×١٠,٦٠م ، يدخل اليها بواسطة مدخلين فتحا في جدار البدن الشمالي ، الرئيسي ينصفه تقريبا . والثاني بازائه على اليسار ، ويقوم بمواجهة الداخل الضريح المنسوب لذي الكفل ، غلف بصندوق خشبي حديث مفتوح من الاعلى .

يبدو ان كثرة اعمال الترميم والتصليح التي اجريت على البدن الحامل للقبة من الداخل ، قد افقدها الكثير من المعالم الاصلية التي كانت عليها ، ومع ذلك نلاحظ زخارف نباتية رسمت على الجص وبالوان متنوعة غاية في الدقة والبداعة ، تبدأ هذه الزخارف على البدن من على ارتفاع حوالي ٣م عن الارض وحتى قمة القبة من الداخل ، كما نلاحظ بعض الزخارف المضافة في عصور لاحقة خصوصا تلك المعمولة بواسطة قطع زجاجية ذات اشكال هندسية متنوعة ، كذلك كتابات بالعبرية .

وبغية اقامة القبة تم تحويل الشكل المستطيل الى مربع بواسطة عقدين متقابلين اقيما على الجدارين الشمالي والجنوبي بحيث قاما مقام الجدارين الشرقي والغربي ، احد هذين العقدين مقصوص والاخر منفرج ، اسفل كل واحد منهما نافذة فتحت في منتصف كل من الجدارين الشرقي والغربي ، ولغرض تحويل الشكل المربع هذا الى سطح مثمن يسهل اقامة القبة نصف الكروية عليه ، انتصبت في كل من الزوايا الاربعة حنية عميقة محددة بعقد مدبب (انظر صورة رقم ٣٤ و ٣٥) وبذلك تهيأ للقبة شكل مثمن ، تعقب هذه الحنايا ثلاثة صفوف من الحنايا صغيرة في حجمها متصلة مع بعضها ، وتتخلل هذه الحنايا نوافذ اربعة ، واحدة في منتصف كل من الاضلاع التي تقوم على محاور البدن الاربعة .

اما من الخارج فالبدن ذو تخطيط مستطيل قياساته ٨,٧٠×١٣,٧٠ م يرتفع حوالي ٨م ، وتنتصب فوقه قاعدة مثمنة ترتفع عن سطح البدن حوالي متر واحد ، وهي غير منتظمة في مقاساتها حيث تتراوح بين ٢,٣٩ ـ ٣,١٨ م ، فتحت نافذة في كل من جدرانها الواقعة على محاور جدران البدن الاربعة ، وتقوم فوق القاعدة المثمنة هذه قبة مخروطة مقرنصة تتألف من عشرة صفوف (انظر صورة رقم ٣٢) عدا قمتها المضلعة ، يتألف كل من الصفوف الستة الاولى من ستة عشرَ حنية مسطحة كتلك التي لاحظناها في قبة الحسن البصرى ، غير انها اقل دقة وجمالا منها ، والملاحظ على الصف السادس أن ثمانية من حناياه تبرز قمة عقودها بروزا شديدا عن الحنايا الباقية التي تتعاقب معها ، وهذا البروز نلاحظه في قبتي زمرد خاتون والسهروردي ، والهدف منه هنا هو الانتقال من السطح المؤلف من ستة عشر رأسا الى الشكل المثمن الذي يعقب الصف السادس ويستمر حتى الصف العاشر ، حيث تنتصب عليه قمة القبة وهي ذات ثمانية اضلاع .

والملاحظ على صفوف حنايا القبة ، ان ارتفاعها يبدأ بالتناقص التدريجي ، فنجد ارتفاع الصف الاول ٩٣ سم والثاني ٨٦ سم والثالث ٨٢ سم وهكذا ، كما ان قطرها يتناقص تدريجيا بغية تضييق فتحة القبة لاغلاقها . وترتفع القبة فوق البدن حوالي ٨ م وبذلك يكون الارتفاع الكلي ١٧م تقريبا .

قبة مشهد الشيخ عمر السهروردي

تقع قبة الشيخ السهروردي في المقبرة الوردية[٢٠٩] ، المعروفة حاليا بمقبرة الشيخ عمر في المحلة الحاملة لنفس الاسم ، على مقربة من باب الظفرية[٢١٠] ، احد أبواب بغداد الشرقية الذي مازال قائما حتى يومنا هذا حيث يعرف بالباب الوسطاني .

والشيخ عمر هو بن محمد بن عمويه السهروردي شهاب الدين ابي حفص ، ولد سنة ٥٣٩ هـ /١١٤٤ م في سهرورد[٢١١] ، واليها ينسب ، وما ان بلغ السادسة عشر من العمر حتى غادرها الى بغداد[٢١٢] مصاحباً عمه الشيخ ابا النجيب السهروردي والشيخ عبدالقادر الجيلي ، وعنهما وعن غيرهما من العلماء اخذ علوم عصره[٢١٣] .

وبعد ان بلغ من العلم المبلغ الذي يؤهله لتصدر مجالس العلم ، اخذ في عقد مجالس وعظ ، اصاب شهرته من خلالها ، حيث كان عليه قبول عظيم[٢١٤] ، ثم تولى مشيخة عدة ربط للصوفية كرباط الزوزني ورباط المأمونية[٢١٥] ، كما شيد له الخليفة الناصر لدين الله رباط المرزبانية[٢١٦] ، حيث انه قد اصاب حظوة لدى الناصر ، فقد اصبح سفيرا له الى الملوك والامراء[٢١٧] ، ذلك ان هؤلاء «الملوك الذين يرد عليهم يبالغون في اكرامه وتعظيمه واحترامه اعتقادا فيه وتبركاً»[٢١٨] وكان كما يقول ابن النجار المتوفي سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م «شيخ وقته في علم الحقيقة وانتهت اليه الرياسة في تربية المريدين ودعاء الخلق الى الله وتسليك طريق العبادة والزهد»[٢١٩] وللشيخ عمر تصانيف اشهرها عوارف المعارف في احوال الصوفية[٢٢٠] .

وفي سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م توفى الشيخ السهروردي ببغداد[٢٢١] ، «ودفن من الغد بالوردية»[٢٢٢] في «رباطه عند باب سور بغداد»[٢٢٣] بـ «تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية»[٢٢٤] .

وتقوم حاليا على قبر السهروردي قبه مخروطة ، اختلف الباحثون المحدثون في تاريخها ، فمنهم من ادعى بانها تعود الى سنة وفاة الشيخ السهروردي[٢٢٥] ، ويرى القسم الآخر انها

(٢٠٩) الوردية «مقبرة ببغداد بعد باب ابرز من الجانب الشرقي قريبة من باب الظفرية»
معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٧١ ، وهي والعالية كما يقول ابن الجوزي «مقبرتين في نهر معلى»
المنتظم جـ ١٠ ص ٣٨

(٢١٠) الظفرية «محلة بشرقي بغداد كبيرة والى جانبها محلة اخرى كبيرة يقال لها قراح ظفر وهي في قبلي باب ابرز والظفرية في غربيه اظنهما منسوبتين الى ظفر احد خدم دار الخلافة» . معجم البلدان جـ ٤ ص ٦١

(٢١١) وهي «بلدة قريبة من زنجان بالجبال» معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٨٩ .

(٢١٢) تاريخ مساجد بغداد ص ٥٥

(٢١٣) وفيات الاعيان جـ ٣ ص ١١٩

(٢١٤) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٧٩
الجامع المختصر جـ ٩ ص ١٤٥
الحوادث الجامعة ص ٧٤

(٢١٥) الحوادث الجامعة ص ٧٤

(٢١٦) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥١٣
الجامع المختصر جـ ٩ ص ٩٩
الحوادث الجامعة ص ٧٤

(٢١٧) معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٩٠
مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٧٩
وفيات الاعيان جـ ٣ ص ١٢٠
الحوادث الجامعة ص ٧٤
البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٨

(٢١٨) الحوادث الجامعة ص ٧٤

(٢١٩) السبكي ، طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٤٤ (المطبعة الحسينية)

(٢٢٠) الزركلي ، الاعلام جـ ٥ ص ٢٢٣

(٢٢١) ذيل الروضتين ص ١٦٣
وفيات الاعيان جـ ٣ ص ١٢٠
شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٥٣
والغريب ان سبط ابن الجوزي ارخ وفاته بسنة ٦٣٠ هـ ، انظر :
مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٧٩
البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ، ١٤٣

(٢٢٢) وفيات الاعيان جـ ٣ ص ١٢٠

(٢٢٣) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٧٩

(٢٢٤) الحوادث الجامعة ص ٧٤

(225) Sarra und Herzfeld, Op. Cit., II. p. 179
Herzfeld, Op. Cit., p. 26.
دليل خارطة بغداد ص ٢٣٦
القباب المخروطية في العراق ص ٤٣

تعود الى سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م[٢٢٦] . والذي اراه ان قبة السهروردي الحالية تعود الى سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م . استنادا الى ما يلي : -

١ - الكتابات الموجودة فوق مدخل القبة (انظر صورة رقم ٤١) ، وعلى البدن الحامل لها والتي هي بخط الثلث[٢٢٧] ، ونصوصها :

بسم الله الرحمن الرحيم . الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . جدد هذه العمارة المباركة ...[٢٢٨] لضريح الشيخ القدوة الرباني قطب الاولياء والعارفين[٢٢٩] .
شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي روض الله مرقده .
محمد بن[٢٣٠] الرشيد[٢٣١] .

اصلح الله شأنه وذلك في شهور سنة خمس وثلاثين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلواته على نبيه محمد وآله .
اما النص الذي على بدن القبة (انظر صورة رقم ٤٢) فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم
فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ، امر بتجديده بعد دثوره ....
والنص هذا مبتور من نهايته ، اذ اندرست العبارة التالية :
«محمد بن الرشيد سنة ٧٣٥»[٢٣٢] .

ويرى الدكتور مصطفى جواد ان الكتابة التي فوق مدخل القبة تشير الى تجديد التربة من قبل محمد بن الرشيد ، فيقول «ولعل بعضها كان قد انهدم واسترم فجدده»[٢٣٣] ، ولست ادري ، هل ان الدكتور مصطفى جواد لم يشاهد عبارة :

أمر بتجديده بعد دثوره . ام انه شاهدها وتغافل عنها . ومع ذلك فان كلمة (جدد) لاتعني ما عناه الدكتور مصطفى جواد ، بل المقصود منها : ان البناء يهدم لسبب ما من الاسباب ، ثم يعاد بناؤه مجددا ، ودليلنا على ذلك هو الحريق الذي شب في تربة معروف الكرخي سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م حيث امتدت النار «الى السقوف فأتت على الكل فاحترقت القبة والساباط وجميع ما كان»[٢٣٤] ، فأمر الخليفة القائم بأمر الله عمارة التربة مجددا ، يقول ابن الاثير ان ابا سعد الصوفي شيخ الشيوخ «جدد تربة معروف الكرخي بعد ان احترقت»[٢٣٥] .

٢ - من مقارنة قبة السهروردي بقبة ذي الكفل ، نجدهما متناظرتين تماما بحيث تعودان الى فترة زمنية جدا متقاربة ، واذا ما علمنا ان قبة ذي الكفل تعود الى الفترة الزمنية الواقعة بين سنتي ٧٠٣ - ٧١١ هـ/١٣٠٣ - ١٣١١ م ، فأن سنة ٧٣٥ هـ/١٣٣٤ م انسب فترة تؤرخ بها قبة الشيخ السهروردي .

---

(٢٢٦) عبدالحميد عبادة ، العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع (مخطوط) ص ٢٩
تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ ٣ (ملحق) ص ٢٦
القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٨٠
القباب البرجية المقرنصة ، مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد السادس ص ٧١
(٢٢٧) اخطأ السيد خالد خليل الاعظمي حين اعتبرها خطوطا نسخية ، انظر :
الزخارف الجدارية في آثار بغداد ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٩٧
(٢٢٨) اندرست الكلمة وقد قرأت من قبل البعض بالشريفة ، انظر :
تاريخ العراق بين احتلالين ، ملحق جـ ٣ ص ٢٧
القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٨١
الزخارف الجدارية في آثار بغداد ص ١٣٣
القباب المخروطية في العراق ص ٤١ ، ١٣٠
(٢٢٩) فاتت كلمة (العارفين) على العزاوي ، انظر :
تاريخ العراق بين احتلالين ، ملحق جـ ٣ ص ٢٧
(٢٣٠) فاتت كلمة (بن) على السيد الاعظمي ، انظر :
الزخارف الجدارية في اثار بغداد ص ١٣٤
(٢٣١) حذفت الالف واللام في قراءة كل من :
القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٨١
القباب المخروطية في العراق ص ٤١ ، ١٣٠
(٢٣٢) العقد اللامع باثار بغداد ص ٣٠
(٢٣٣) دليل خارطة بغداد ص ٢٣٦
(٢٣٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٢٤٦ ، انظر :
الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٠٥
البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٩٥
(٢٣٥) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ١٤٤

والغريب ان البعض اتخذ مما قاله المؤرخ البغدادي احمد بن عبدالله المتوفى سنة ١١٠٢هـ / ١٦٩١م حجة ودليل على ان قبة السهروردي تعود الى سنة وفاته[٢٣٦]، حيث يقول عند ترجمته للسهروردي في حوادث سنة ٦٣٢هـ «ولما توفي دفن قريبا من الباب الوسطي داخل بغداد على قبره ميل»[٢٣٧] . وهذا المؤرخ متاخر وليس فيما يقول اي دليل على عائدية القبة القائمة الى سنة ٦٣٢ هـ ، كما انه ليس لدينا اي اعتراض على انه قد اقيمت على قبر السهروردي قبة بعيد وفاته ، غير ان اعتراضنا هو ان تلك القبة ليست القائمة اليوم .

وختاما فأنه ربما كان المشرف على بناء القبة هذه ، جمال الدين عبد الرحمن بن عبد المحمود بن عبد الرحمن بن ابي جعفر محمد بن الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي المقتول سنة ٧٣٧ هـ /١٣٣٦ م حيث انه «كان ناظر اوقاف العراق وتزوج بنت رشيد الدولة الوزير فعظم شأنه»[٢٣٨] .

تقوم قبة الشيخ السهروردي (انظر مخطط رقم ٨) على بدن ذي تخطيط مربع تقريبا ابعاده تتراوح بين ٤,٨٥ ـ ٤,٩٥ م ، للدخول الى غرفة الضريح هذه لابد من اختراق اما : المسجد الملحق بالقبة والعائد الى عصر لاحق بها ، حيث ان المدخل الرئيس وهو احد مدخلي القبة يقع بموازاة الجدار القبلي لبيت الصلاة ، او اجتياز غرفة كبيرة نوعا ما ذات تخطيط مستطيل تعود الى عصر بناء القبة ملاصقة للبدن من جهته الغربية ، اتخذت كمقبرة خاصة بآل السهروردي ، حيث يصل بينها وبين غرفة القبر مدخل ، ذهبت بمعالمه الاصلية اعمال الترميم والتجديد .

اما المدخل الرئيس للقبة فقد امتدت اليه يد التصليح ، غير انه لازال محافظا على شكل العقد الاصلي الذي كان يتوجه والزخارف التي تحليه ، وان كان باطنه قد أسند بجدار حامل له ، بحيث اصبحت اسكفة المدخل مستقيمة ، ومهما يكن من امر فان عقد المدخل من النوع المنفرج ، حلي بزخارف نباتية معمولة بواسطة الحفر في الآجر ، هي غاية في دقة الصنعة ، كما ملئت خاصرتا العقد والكتيبة القائمة فوقه بزخارف قوامها خطوط متكسرة تؤلف اشكالا هندسية متنوعة تتخللها زخارف نباتية حفرت في الآجر ، تليها الكتابة التذكارية السابق ذكرها (... الا ان اولياء الله لاخوف ...) يكون بمواجهة الداخل قبر الشيخ عمر ، مقام عليه صندوق خشبي حديث مفتوح من الاعلى ، والغرفة على كل حال ليس فيها اي من انواع الزخرف ، وعلى يسار الداخل يوجد مدخل يصل بين غرفة الضريح وحجرة صغيرة مربعة تقريبا ، يتوسطها قبر يقال انه قبر المستعصم بالله آخر خلفاء دولة بني العباس ، المقتول على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨م .

وعلى ارتفاع حوالي ٦ م نلاحظ صفا من الحنايا تدور حول جدران البدن الاربعة ، عددها اثنتا عشرة حنية (انظر صورة رقم ٤٠) في كل جدار ثلاثة ، الوسطية متوجة بعقد مفصص محمول على عمودين جصيين مندمجين ، والحنيتان المحيطتان بها متوجتان بعقدين مدببين ، يعلو صف الحنايا هذا نص قرآني يلف حول جدران البدن الاربعة وبموازاة الحنايا السابق ذكرها ، نصه :

---

(٢٣٦) القباب المخروطية في العراق ص ٤٣

ويضيف مؤلفا القباب قائلين «كما ان الزخارف النباتية الملونة وطريقة تصفيف المقرنصات التي اكتشفت بصيانة تجري حاليا للمرقد داخل باطن القبة ، وهي تؤكد هذا التأريخ (صورة ٢٨ ، ب) وبهذا يكون تأريخ القبة في سنة وفاة الشيخ السهروردي وهي سنة ٦٣٢ هـ» ن ، م .

اقول : لم اجد لهذه الصورة من وجود في الكتاب المذكور ، كما انه لا يوجد في ترقيم صور الكتاب (آ و ب) اما صورة رقم (٢٨) فهي أحد نصوص مشهد السهروردي .

(٢٣٧) عيون اخبار الاعيان ممن مضى في سالف العصور والازمان ق ٢ ، ص ٢٩١ وانظر :

تاريخ مساجد بغداد ص ٥٥

مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة في بغداد ، مجلة سومر (١٩٤٧) ص ٤٠ .

والعجيب ان البعض اعتبر مؤلف المؤرخ البغدادي احمد بن عبد الله : (اصول التاريخ والادب) انظر :

القباب المخروطية في العراق ص ٤٣

وما علم مؤلفا القباب ان : اصول التاريخ والادب ، ما هو الا مجموع نصوص تاريخية وادبية ، انتقاها الدكتور مصطفى جواد ، واختار لهذا المجموع هذه التسمية .

(٢٣٨) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة جـ ٢ ص ٣٣٤ .

بســم الله الرحمن الرحـيم . الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شـديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصـالحات ان لهـم اجـرا حسـنا . ماكثين فيه ابدا . وينذر الذين قالوا اتخـذ الله ولدا ، ما لهم به من علم ولا لابائهـم كبرت كلمة تخـرج من افواههـم ان يقـولون الاكذبا . فلعلك باخـع نفسـك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهـذا الحـديث اسفا . صدق الله العلي العظيم ٧٣٥ .

تلي النص القرآني هذا ، حنايا منطقـة انتقـال القبة (انظر صورة رقم ٣٩) ، الصـف الاول في كل زاوية حنية عميقـة تحف بهـا نصـفا حنيتين ، بين حنايا زاوية واخـرى حنية كبيرة مسطحة ، الغرض منها زخرفي ولاشغال الفـراغ الحاصل بين حنايا زاوية واخـرى ، يليهـا صـف آخـر من الحنايا ، حنية في كل زاوية ترتكز على الحنية السـابقة ، بين كل حنية زاوية واخـرى ثلاثة حنايا ، فتحـت الوسـطية كنافذة ، وهذا الصـف يقـابل منتصـف القـاعدة المثمنة من الخارج ، يلي هذا الصف شكل نجمي ذو ستة عشر رأسـا ، حيث تقوم بعـده القبة القـريبة من النصـف كرة ، يتوسـط باطنها دائرة (على شكل طرة) قسمت الى مناطـق تضمنت الآية القرآنية (قل كل يعمل على شاكلته) وقد تكررت ثلاثة مرات ، وهي عثمانية اذ نجد ما يناظرها في باطـن قبة مصلى الحضرة الكيلانية ، غير ان التي في باطـن قبة السـهروردي أقدم واجمل .

أما من الخـارج فالقبة تختلف في شكلهـا عن تلك التي بالداخل ، فهي هنا قبة مخروطة من النوع المقـرنص (انظر صـورة رقم ٣٧) ، وبذلك تكون شـبيهة بقبة ذي الكفـل السابق ذكرها .

تخطيط القبة من الخـارج مربع تقـريبا ، ابعـاده تتراوح بين ٧،٢٠ ـ ٧،٥٠ م ارتفـاعه حـوالي ٧،٧٠ م ، غير ان ارتفاعه من الداخل اكثر ، ذلك ان ارضية القبة من الداخل قد حافظت على مستواها ، بينما ارتفعت من الخـارج بسـبب الدفن حول بالقبة .

لقـد سـببت اعمال الصيانة والاصـلاح في البدن من الخـارج خصـوصا الجـداران المطلان على المقبرة عن طمس الزخارف الحصيرية التي تعـد من أجمل الزخـارف وابدعهـا (انظر صورة رقم ٣٦) ولا تزال بعض الزخـارف موجـودة في اعلى جـدار المدخـل الرئيسي ، وهي عبارة عن حنايا صماء ملئت بزخارف هندسية ، خطوط متكسرة تتألف منها اشكال زخـرفية كالصـليب المعقـوف والمعينات وغيرها ، ضـمنت زخـارف نباتية عملت بواسـطة الحفـر في الآجـر ، يعلوها شريط كتابي ، سـبق ذكره (... فانظر الى آثار رحمة الله...) عرضه ٦٥ سم ، ويشـغل طـوله جـدار المدخــل الرئيس تقـريبا . والنص معمول بواسـطة الآجـر على ارضـية من الزخارف النباتية الدقيقة الصنع .

تقـوم فوق البدن المربع هذا قاعدة مثمنة ترتفـع حـوالي ١،٥ م ، وهذه القـاعدة من الاعلى عبارة عن بائكة من العقود المدببة (انظر صـورة رقم ٣٨) ، فتحـت اربعـة منهـا كنوافذ ، وهي التي تقع على محاور جدران البدن الاربعة .

تنتصـب القبة المخـروطة المقـرنصة على القـاعدة المثمنة هذه ، وهي تتألف من عشرة صـفوف ، الصـفوف السـبعة الاولى تتألف من ست عشرة حنية محـدبة من الخـارج ، بين حنية واخرى نصف منشور رباعي ، كما يفصـل بين صـف وآخر صف من انصاف المنشورات الرباعية .

يلي الصف السـابع ثمانية بروزات كتلك التي شـاهدناها في قبتي زمرد خـاتون والكفـل ، وهي اشـبه ما تكون بمنطقـة انتقال من الشكل ذي الستة عشر رأسا الى ثماني الرؤوس ، حيث نلاحظ ذلك في الصـفوف الثلاثة الاخـيرة ، ثم تنتهي بقمة القبة المضلعة وهي ايضا ذات ثمانية اوجه .

القسم الثالث

مراحل بناء القبة

مما لاشك فيه ان لابنية القبور مراحل عدة تمر بها ، تبدأ باختيار البقعة وتنتهي باقامة القبة وتكاملها

واول مرحلة هي اختيار المكان ، فقد كانوا يختارون مواضع دفنهم ابان حياتهم ويوصون بان يدفنوا فيها بعد مماتهم ، لا بل ان بعضاً منهم حفر قبره بنفسه[1]، وكان جعفر بن محمد بن الحسن المتوفى سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م «قد حفر لنفسه قبرا في مقابر ابي ايوب قبل موته بخمس سنين فكان يمر اليه فيقف عنده»[2]، غير ان غيره حفر قبره قبل موته بعشرين سنة[3].

وبدهي ان يكون المغزى من ذلك هو التفكر بالموت ، بغية العظة والاعتبار ، وليكون دائم الذكر لله وثيق الصلة به ، يقول زائدة بن قدامة «تبعت الاعمش يوما فأتى المقابر ، فدخل في قبر محفور ، فاضطجع فيه ، ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول : واضيق مسكناه»[4] وكانوا يشترون مواضع دفنهم[5]، كما هو حاصل في يومنا هذا ، حيث يشتري البعض ارضا في المقبرة العامة تكون خاصة باسرته .

وفيما يتعلق بابنية القبور فان كثيرا من الخلفاء والامراء وافراد اسرهم وغيرهم قد شيدوا لانفسهم قبابا تكون برسم دفنهم بعد مماتهم ، ومن هؤلاء سلجوقة خاتون زوجة الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م غير انها توفيت قبل تمام تربتها فدفنت ثم اكملت[6]، وزمرد خاتون شيدت تربتها قبل سنة ٥٨٨هـ /١١٩٢م وكانت وفاتها سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م حيث دفنت في قبة تربتها[7] والامثلة على ذلك لا حصر لها .

وكانوا يفضلون ان تكون مواضع دفنهم بجوار الائمة والاولياء والصالحين ، ولم يكن القصد من ذلك هو ان تكون مدافنهم بمأمن من العبث فحسب بل لاعتقادهم بانها بقاع مقدسة ، وفضلوا بقعة على اخرى ، فمنهم من اوصى ان يدفن بمكة المكرمة[8]، وبعضهم في المدينة المنورة[9]، او بجوار الامام علي[10] وهذا عضد الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م اوصى ان يدفن بجوار الامام علي ، فكان من ضمن الكتابة المنقوشة على صندوق قبرة « ... احب مجاورة هذا الامام التقي لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»[11] وسئل عبدالله بن الامام احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م «اين تحب ان تدفن ؟ قال صح عندي ان بالقطيعة نبيا مدفونا ولان اكون في جوار نبي احب الي من ان اكون في جوار ابي»[12] يقول ابن الحاج عن اختيار بقعة الدفن «وينبغي لولي الميت ان يختار له الدفن

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٩ ص ٢٤٧
وفيات الاعيان جـ ١ ص ٧٧ ، جـ ٢ ص ١٣٨
(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٦ ص ١٢٤ ـ ١٢٥
(٣) معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٤٤
(٤) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٣٨
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٧ ص ٢٤٠
معجم البلدان جـ ٢ ص ٥١٧
معجم الادباء جـ ٢ ص ١١٠ ـ ١١١
وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٥١
(٦) ابن الساعي ، جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ص ١١٧
(٧) انظر الفصل الخاص بقبة تربة زمرد خاتون
(٨) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٢٠٩
وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٢٧٦
الحوادث الجامعة ص ٢٦٣
(٩) الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ٨٨
الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص ١٢٧
مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٤٨ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٥
وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٣٦
(١٠) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٩ ص ٤٢ ، جـ ١٠ ص ٧٨
الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص ١٨٦
مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٢٨
الحوادث الجامعة ص ١٨ ، ٤٨٠
ومنهم من دفن بجوار الامام الحسين ، انظر :
المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٧ ص ٢٤٠
معجم الادباء جـ ٢ ص ١١٠ ـ ١١١
(١١) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٧ ص ١٢٠
(١٢) ن . م . جـ ٦ ص ٤٠
مناقب بغداد ص ٢٨
معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠٦

عند العلماء والاولياء والصالحين للتبرك بهم لما ورد : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، ولما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه . فلعل بركة الجوار وهو الغالب ان تعود على من جاورهم ونزل ساحتهم ، وقد مضت عادة السلف رضي الله عنهم ان يختاروا الدفن عند قبور الاباء والاقارب عند عدم القدرة على الدفن عند الاولياء والصلحاء فان اجتمعا فيا حبذا»[13].

والملاحظ ان الشاعر ابن عنين عندما هجا جمال الدين المصري المتوفى سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م ، وكان قد دفن في داره ، قد عبر في هجاءه عن فكرة جوار القبور ، قائلا :

ما قصر المصري في فعله — اذ جعل التربة في داره
اراح الاحياء من ريحه — وابعد الاموات من ناره»[14]

وجدير بالذكر ان البعض كان يبني مدرسة او اي مؤسسة اخرى ، ويتخذ لنفسه فيها مكاناً برسم الدفن ، ومن هؤلاء الوزير ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م فدفن في مدرسته التي تكاملت سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م[15] ، غير انها ما لبثت بعد دفنه فيها ان خرجت وذهبت اوقافها واندرس قبره ، يعقب السبط قائلا ولو كانوا دفنوه عند احمد بن حنبل لكان احيا لذكره»[16] ، لذا نجد المقابر العامة تسمى باسماء الاولياء والصالحين ، كما انها تتكون من خلال الدفن بجوارهم .

وبعد ان يتم اختيار البقعة المنوي اقامة البناء عليها ، تبدأ المرحلة الثانية ، وهي اعداد المخطط الارضي للبناء ، ويثبت عادة على الورق او القماش ثم يعرض على الآمر بالبناء ، فان اقره بوشر بنقله على الارض ، حيث يجري التخطيط بواسطة الكلس او اي مادة تنوب عنها ، اما النماذج المجسمة فانها موجودة غير انها نادرة ، ذلك ان هذه النماذج تعمل للابنية الجديدة المبتكرة التي لا نظير لها ، اما اذا كان له ما يناظره ، فان نظيره يكون نموذجا له مع بيان التعديلات والاضافات التي يؤمل اجراؤها في البناء الجديد .

ومن القباب التي عمل لها نموذج مجسم ، قبة الصخرة التي شادها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ / ٦٩١م ، ونموذجها هي قبة السلسلة حيث شاهدها عبد الملك فاعجبته وامر ببناء قبة الصخرة على غرارها[17].

والمعروف ان تخطيط الابنية ووضع التصاميم لها من اختصاص المهندس[18] غير ان متقدم البنائين يقوم في بعض الاحيان مقام المهندس في هذا العمل[19]، وفي كثير من الاحيان نلاحظ الامراء والسلاطين لا بل الخلفاء على علم تام بالمخططات الارضية وقضايا هندسة البناء . فالبيهقي يقول عن جوسق السلطان مسعود الغزنوي الذي فرغ منه سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م «ولم يراحد مثل هذا الجوسق في اي بلد ولم يشيد ملك مثله . وقد تم تشييده بمعرفة السلطان الذي رسم تخطيطه واتم هندسته بيديه الكريمتين ، فقد كان رضي الله عنه آية في مثل هذه الامور وخاصة الهندسة»[20] ويقول البيهقي عند دخوله غزنه سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م «وجدت معالم تلك المباني والدواوين والدهاليز قد تغيرت بامر هذا السلطان فقد كانت معرفته في فن البناء بحيث لم يكن لمعمار قدر ازائه . وان القصر الحديث الذي يشاهد اليوم في غزنه لدليل كاف على ذلك ولم يكن بشاد ياخ نيسابور مدخل ولا ميدان فخططه بيده كما خطط قصرا فخما وعدة جواسق صغيرة وساحات ما تزال حتى الان ماثلة للعيان واضاف الى معسكر والده السلطان في دشت جوكان ببست مبان كثيرة لم يزل بعضها باق للان فكان هذا الملك آية في كل شيء»[21].

---

(١٣) المدخل لابن الحاج جـ ٣ ص ٢٥٧ ، وانظر القرطبي ، التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة ص ٩٢ ـ ٩٧
(١٤) الدارس في تاريخ المدارس جـ ١ ص ١٨٨
(١٥) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١
(١٦) ن . م . ص ٢٦٠
(١٧) العليمي ، الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل جـ ١ ص ٢٤١
(١٨) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص ١٨٤ القفطي ، اخبار الحكماء ص ١٠٩ .
(١٩) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٦
(٢٠) تاريخ البيهقي ص ٥٣٧
(٢١) ن . م . ص ١٥٧

والخليفة الناصر لدين الله كان متمكنا من عمل التخطيطات الارضية . فعندما اراد عمارة دار الفلك سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م قال لاستاذ داره «اريد ان تقسم هذه الدار وانا حاضر فانني قد كرهت عدة دور لاجل قسمتها . فقسمها متقدم البنائين واستاذ الدار . فابطل ماقسموه جميعا واخذ ورقة بياض كبيرة وخط فيها صورة الدار»[٢٢] .

والقباب المخروطة موضوعة بحثنا منها ماهو ذو تخطيط مربع ومستطيل ومثمن ، غير انه لا يوجد بناء واحد مقاساته منتظمة ، وربما كان السبب في ذلك عدم ضبط المقاسات اساسا ، او في النقل عند تنفيذ المخطط على الارض . غير اني ارى السبب في ذلك هو ان صغر مساحة هذه الابنية لا يتطلب رسم مخطط لها ، وان فكرة المخطط تنفذ رأسا على الارض .

وبعد اقرار المخطط ينفذ على الارض . روي ان علاءالدين الركني ناظر اوقاف القدس والخليل المتوفى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م «خط حماما في بلد الخليل عليه السلام ورسم الاساس بيده وذره بالكلس للصناع»[٢٣] ثم يشرع بحفر الاسس . وبالنسبة لاسس القباب المقامة على القبور ينبغي ان تكون عميقة . فعندما امر ابو سعد مستوفي سلطنة آل سلجوق ببناء القبة على مرقد ابي حنيفة سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م «حفر اساس القبة وكانوا يطلبون الارض الصلبة فلم يبلغوا اليها الا بعد حفر سبعة عشر ذراعا في ستة عشر ذراعاً فخرج من هذا الحفر عظام الاموات الذين كانوا يطلبون جوار النعمان ... » . والسبب في عمق الاسس هو ان الارض تصبح رخوة هشة بسبب تفسخ جثث الموتى .

ثم تعقب ذلك مرحلة البناء . واذا كانت المباني الاسلامية الاخرى التي تشيد على ارض بكر صلبة ذات جدران سميكة ، فمن باب اولى ان تكون الجدران الحاملة للقباب المقامة على القبور اسمك . يروى عن محمد بن ابي الفرج بن رئيس الرؤساء المتوفى سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م «انه احضر بناء وامره ببناء دار يكون حائطها في غاية الاحكام والعرض بحيث اذا شرع العيارون في نقبه من آخر الثلث الاول من الليل يفرغون منه وقت السحر . فجعل البناء عرضه ست آجرات بالقالب الكبير . فلما فرغ امر جماعة ان ينقبوه من الثلث الاول من الليل ففعلوا ففرغوا منه نصف الليل . فقال للبناء زد ثلاث آجرات»[٢٥] والمباني الاثرية الشاخصة حتى يومنا هذا نلاحظ عليها هذه الظاهرة . اما قباب القبور القائمة اليوم فقد بلغ سمك جدران بعضها كقبة زمرد خاتون مثلا حوالي ٥ / ٢م . وهذا السمك بطبيعة الحال ساعد على بقاء هذه القباب .

ومن القباب ما دعمت جدرانها بابراج من الخارج كقبة امام الدور وقبة مشهد الشمس . وهذا بطبيعة الحال يساعد على بقاء البناء ومقاومته . كما ان جدران قبة مشهد الشمس دعمت من الداخل بدعائم تبرز عن وجه الجدار بحوالي متر . وهذا يضاف الى سمك الجدران . وادى الى قوة تحمل الجدران الحاملة للقبة .

والمرحلة الاخيرة هي مرحلة اقامة القبة وطريقة بنائها تختلف باختلاف اشكالها . فالقبة الكروية وما شابهها تعتمد اعتمادا كليا على القالب الخشبي . بحيث يكون عمل المعمار فيها آليا . كما ان شكلها يتحدد بشكل القالب الخشبي ايضا . يقول ابو شامة في حوادث سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م وفيها «احضرت الاوتاد الخشب لاجل قبة النسر في الجامع بدمشق وعدتها اربعة طول كل واحد منها اثنان وثلاثون ذراعا بذراع النجارين حيث كانت قطعت من الغوطة والدخول بها من باب الفرج الى المدرسة العادلية الى باب الناطفانيين . واقيم هناك لها الصاري ورفعت ثم وضعت»[٢٦] .

اما بالنسبة للقباب المخروطة وخصوصا المقرنصة فمن المستحيل بناؤها بواسطة القالب الخشبي . حيث ان استطالتها كبيرة . كما انها تعتمد على التحدب والتقعر والاستواء . وهذا امر من الصعب تكييف الخشب له . كما ان عمل المعمار فيها يكون من الداخل بعكس القباب

(٢٢) مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٦
(٢٣) الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان ص ١٢٣
(٢٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٢٤٥
(٢٥) الحوادث الجامعة ص ٢٥٦

(٢٦) ذيل الروضتين ص ٩٢ . وانظر :
البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٧١
الدارس في تاريخ المدارس جـ ٢ ص ٣٩٣

الكروية وما شابهها . اما كيفية بنائها فيتم بتثبيت وتد (صاري) في النقطة المركزية ويكون ارتفاعه بارتفاع قمة القبة . وبواسطة الوتد يستطيع المعمار من السيطرة على وحدة المسافة من جميع الجهات . ولكي يقلص المسافة بحيث يتضاءل القطر كلما تقدم نحو الاعلى حتى ينتهي عند قمة الوتد . وهي المنطقة التي يتم عندها اغلاق فتحة القبة . ومثل هذه القباب تعتمد بالدرجة الاولى على تمكن المعمار ومهارته في فن البناء .

المواد البنائية

مما لا يقبل الشك ان ظروفا كثيرة وعوامل عديدة ، تتحكم في شكل البناء ونمطه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى في قوته ومتانته . ولعل العامل الرئيسي في ذلك المواد البنائية المستعملة .

وبالنسبة لاقليم العراق ، فالمواد الاولية لصناعة الاجر والجص والنورة متوفرة في معظم بقاعه ، لذا كانت هي الرئيسية في ابنيته .

ولهذا المواد خصائص تميزت بها عن غيرها ، وقد احس بها البناء العراقي فاستغلها احسن استغلال . فالآجر يمتاز بصغر الحجم وخفة الوزن وشدة التماسك وسهولة التكيف لأعقد الزوايا واصعبها ، كان عاملا مهما في ظهور القباب المخروطة من النوع المقرنص ، كما ان الآجر امتاز بسهولة حفر الزخارف عليه ، وعملها منه سواء بالتلاعب بحجمه او وضعه ، ومثل هذه الزخارف نجدها قد استخدمت بكثرة الى حد الافراط في الفترة التي نؤرخ لها وعلى الابنية عموما ، والقباب المخروطة خصوصا .

اما الجص فخير مادة للربط بين قطع الآجر ، من حيث سرعة جفافه وقوة تماسكه ، كما ان تميز الآجر بخفة الوزن وصغر الحجم كان عاملا مساعداً للجص في عملية الربط ، ولم يستعمل الجص كمادة رابطة فحسب ، بل استخدام لاكساء الجدران وعمل الزخارف عليه ، والزخارف الجصية لا تجهد القائم بعملها ، لكنه في الوقت ذاته يتطلب فيه الدقة والمهارة لكون الجص مادة هشة .

والنورة فأنها نعم المادة في بناء الاسس وقواعدها ، لتميزها بقوة التصلب وشدة التماسك ، ومن ثم تؤدي بطبيعة الحال الى متانة الاسس وقوة تحملها .

الآجر[٢٧]

الآجر لفظه فارسية معربة[٢٨] ، وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر بالطابوق ، وهو على انواع ، فما يستعمل لبناء الجدران هو غير المستعمل للاسس وقواعدها ، كما ان الارضيات تطبق بآجر مغاير ، يعرف بالطابق ، وهو كما يقول ياقوت : «آجر كبار تفرش به دور بغداد»[٢٩] ، ويبدو ان في بغداد منطقة خاصة بعمل الآجر ، عرفت بدرب الآجر[٣٠] ، ومما يؤكد ذلك ان هذا الدرب من ضمن نواحي نهر طابق .[٣١]

ويمر الآجر بمراحل عدة قبل ان يكون صالحا للاستعمال ، تبدأ باختيار التربة النقية الخالية من الاملاح ، يقول ابن بسام المحتسب : ان على عامل الآجر «ان لا يقطع طينا سبخا»[٣٢] ثم تعبأ قوالب الآجر الخشبية بالطين ، ومن وصايا المحتسب للطوابين «ان يعرف عليهم عريفا ثقة ويحلفهم بالنصحية في اشغالهم بخلط المعاجن وملء القالب»[٣٣] ، وبعد جفافه بواسطة الهواء واشعة الشمس يدخلونه بالتنانير بغية

(٢٧) للآجر عدة تسميات منها :
الطوب والطوبة ، وهي لغة اهل الشام ، وربما كانت رومية الاصل ، الجواليق ، المعرب من الكلام الاعجمي ص ٢٢٩ ، وانظر : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٦
الطابق : وهي ايضا لفظة فارسية معربة : المعرب من الكلام الاعجمي ص ٢٥٥ لسان العرب جـ ١٠ ص ٢١٥

(٢٨) المعرب من الكلام الاعجمي ص ٢١
لسان العرب جـ ٤ ص ١١

(٢٩) معجم البلدان جـ ٤ ص ٤
يقول ابو عبيد «البلاط : الحجارة المفروشة وهي دار مبلطة» ابن سيده ، المخصص جـ ٥ ص ١٢٣

(٣٠) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جـ ٨ ص ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٤٨

(٣١) ن . م . جـ ٨ ص ١٤٨

(٣٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٥٥

(٣٣) ن . م .

فخره .[٣٤] ومن ضمن وصايا المحتسب للطوابين «ان لا يغشوا في طبخه ونضجه»[٣٥] كما يجب على البنائين «اذا بنوا الحيطان ، ان لا يبنوها بالطوب القليل النضج اللين ، فانه يتفتت بعد مدة ، فيسقط ما فوقه ، ويخرب الحائط ، فيأمرهم ان يجعلوه حشوا مع الطوب» .[٣٦]

ومن اوامر المحتسب للطوابين ، عرض الآجر على الناس للبيع ، وان يشهروه لكل صاحب بناء ، وان لا يكون هناك تمايزا بين واحد واخر ، كما ان عليهم تجريد الآجر المعد للبيع من الانصاف والاثلاث والارباع ، وعلى المحتسب مباغتتهم ليتبين عدم غشهم سواء في صناعته او بيعه .[٣٧]

الجص :

استخدم الجص ولا يزال في الابنية كمادة رابطة ، كما استعمل في طلاء الجدران ، وهو لفظه فارسية معربة[٣٨] ، ويستخرج من حرق مادة الجبس ، والجبس منه النقي ، وهو الذي يسمى بالبورق ، وغير النقي الذي يكون مصدر صناعة الجص ، وهو متوفر في مناطق كثيرة من العراق .

وهناك طريقتان لحرق الترسبات الجبسية ، بغية الحصول على مادة الجص ، في بعض المناطق تكشط قشرة الارض الجبسية ، وتحرق بعد وضع الوقود عليها ، ثم تسحق الكتل الجبسية ، حيث يكون الجص قابلا للاستعمال .

والطريقة الثانية ، وهي وضع كتل الجبس داخل الكور او التنانير ، وتسلط عليها النار بغية حرقها ، ولابد من ضبط درجة الحرارة ومدتها ، اذ ان الاخلال بهما يؤدي الى رداءة نوعية الجص .

ومما يوصي به المحتسب ان يحلف البناءوون بعدم اخذهم من «الجباسين رشوة ولا هدية ليكفوا عنهم قلة نضج الجبس ورداوته وايضا مهما حضر يسدون به ويعملونه وكل ذلك تدليس»[٣٩] وان لا يستعملوا الجص الرجيع[٤٠]

وعلامة الجص الناضج الجيد «ان يصفر لونه في الفرن قبل طحنه فاذا خلط بالماء ، فان دخل في القصرية وجف بسرعة فهو جبس ناضج»[٤١] ، بينما يرى ابن بسام ان الجبس اذا بسط على الحائط ولم يجف بسرعة فهو ناضج جيد ، وان ادخل في القصرية او بسط على الحائط وجف بسرعة فهو قليل النضج[٤٢]

ولطلاء الجدران وكسوتها وعمل الزخارف عليها ، استخدم الجص في القباب المخروطة والابدان الحاملة لها .

وتخلط النورة مع الجص عند استخدامه للطلاء ، وعلى المبيضين ان «لا يكثروا من اخلاط الجير في جبس البياض وقت عجنه ليسهل عليهم بسطه على الحيطان بغير تعب فانه يكون كثرة الجير سببا الى سقوط الجبس على الحيطان وقت حفظه لها وبنائه عليها ويلزم الصانع تجربة البياض الجديد ليحصل منه النصح للمستعمل»[٤٣] ويعرف عامل الطلاء بالجصاص ، يقول السمعاني : «هذه النسبة الى العمل بالجص وتبييض الجدران»[٤٤] .

---

(٣٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ١٤١

(٣٥) ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٥٥

(٣٦) ن . م . ص ١٤٦

(٣٧) ن . م . ص ١٥٥

(٣٨) لسان العرب جـ ٧ ص ١٠ ، ويسمى عند اهل الحجاز بالقصة ، انظر :
ابن السكيت ، اصلاح المنطق ص ٤٢٤
المخصص جـ ٥ ص ١٢٣ ، ويسمى بالشيد ، انظر :
اصلاح المنطق ص ٢٦٥ ، ٤٢٤
المخصص جـ ١٥ ص ١٢٢ كما عرف بالحرض ، انظر : ن . م . ص ١٢٣ ، والجبس ، انظر :
ابن الاخوة ، معالم القربة في احكام الحسبة ص ٢٣٥ ، والجبسين ، انظر :
ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية جـ ١ ص ١٥٩ ، والجبصين ، انظر الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٦٥

(٣٩) معالم القربة في احكام الحسبة ص ٢٣٥

(٤٠) ن . م . ص ٢٣٦

(٤١) ن . م .

(٤٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٤٥

(٤٣) معالم القربة في احكام الحسبة ص ٢٣٦ ، وانظر ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٤٦

(٤٤) الانساب جـ ٣ ص ٢٨٢

ومما يحكى عن طاهر بن الجصاص شيخ الصوفية في عصره بهمذان ، انه قال : «ما تركت العمل حتى رأيت الجص على الحائط يلمع كالفضة فاحترزت من الشهرة وتركت العمل»[45] وعن احدى الدور ورد انها كانت «مبيضة بياضاً سلطانياً يرى الانسان وجهه فيها»[46] فلا غرابة اذا ما اثبت التحليل العلمي بان جص سامراء اكثر نقاوة من الجص الحالي ، حيث تبين ان كبريتات الكالسيوم المائية بلغت في زخارف سامراء الجصية ٩٢٪ وفي الابنية ٨٧٪ في حين بلغت في الجص الحالي ٧٥٪[47].

الملاط :

استخدم الملاط من قبل العرب المسلمين كمادة لاصقة في بعض ابنيتهم ، كالصهاريج والقنوات[48] وما شاكل ذلك ، كما انه استخدم في بناء المسنايات واسس وقواعد الابنية .

والملاط لفظة حديثة ، تطلق على مزيج من النورة وما يعادلها بثلاث مرات من الرمل او التراب ، وبعد مزجها بواسطة الماء يكون صالحا كمادة رابطة لاصقة في البناء .

والنورة تستخرج من التسخين الشديد لحجر الكلس ، حيث يتحول الى كتل هشة من السهولة سحقها ، وهو ما يعرف بالنورة (الجير الحي) وعندما يراد استعمالها في البناء ، يرش الماء عليها لكي تطفأ وتتحول الى الجير المطفأ .

والملاط يتألف كما يقول ابن بسام ، من خلط «خمسة عيارات جير مصفى بالماء العذب وعيار واحد منها اصطال مسحوق من الطوب العتيق والمتوسط واربعة رماد من رماد الاتاتين وما يشاكله . وما بين جير مصفى ودونه خمسة رماد واثنين جير»[49] وتحتاج مادة الملاط فترة من الزمن لكي تتصلب كما هو الحال بالنسبة للاسمنت في يومنا هذا ، فيكون بعد ذلك صعب التفكك ، والتعليل العلمي لشدة تماسك الملاط وقوة تصلبه ، هو ان مادة النورة عند تعرضها للهواء تمتص ثاني اوكسيد الكربون ، وتتألف من تفاعلها معه كربونات الكالسيوم ، وهي مادة صخرية صلبة ، اما المادة المضافة كالرماد او الرمل فعامل مساعد على اكساب الملاط مسامية يدخل من خلالها ثاني اوكسيد الكربون ويخرج بخار الماء ، وبذلك تتم عملية التصلب .

ويبدو ان مادة الرماد افضل من غيرها ، وان حلول مادة اخرى غيرها ، ليس لعدم صلاحية الرماد ، وانما لندرته وعدم سده الحاجة ، اما لماذا اقتصر استعمال الملاط على المباني المذكورة آنفا ، وعدم استخدامه في الدور والمساجد وما شابهها فالذي اراه ان اسباب ذلك مايلي : -

١ - اذا شيد البناء بالملاط ، فانه يحتاج الى فترة ليست بالقصيرة لزوال الرطوبة ، كما ان تعرضه للمياه يؤدي الى استمرارها ، وهو بذلك غير صحي .

٢ - ان البناء بالملاط يحتاج الى فترة اطول ، ولابد من فترات تقطع عن العمل ، حيث انه كلما انتهي من جزء منه تطلب تركه لمدة معينة لكي يجف وهكذا ، وهو غير عملي من هذه الناحية .

٣ - عدم توفر مادة الرماد وبالكمية التي يحتاج اليها في الخليط .

قبة القبر

من الامور المسلم بها لدى الباحثين : هو ان القبة من العناصر العمارية السابقة على الاسلام ، ونظراً لوجود نماذج لها قديمة في اماكن عدة ، متباعدة فانه من الصعوبة بمكان التعرف على كيفية ظهورها ، ومتى واين ؟ والآراء حول ذلك كثيرة متباينة .

ومما لا ريب فيه ان العرب المسلمين قد اقتبسوا القبة واستخدموها في المباني التي شادوها ، غير انهم توسعوا في مجال استعمالها ، ولم يقفوا عند حد الشكل الذي اخذوه ، بل طوروه وادخلوا الكثير من التحسينات عليه ، عمارية وجمالية ، وابتكروا اشكالا لم تكن معروفة قبلهم ، وهذا هو

(٤٥) ن . م . ص ٢٨٣

(٤٦) الف ليلة وليلة جـ ١ ص ٧٨

(٤٧) وزارة الاقتصاد والمواصلات / مديرية المباحث الصناعية ، صناعة الجص في العراق (سنة ١٩٣٧) ص ١٢ .

(٤٨) ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٤٥

(٤٩) ن . م . ص ١٤٦

ديدنهم في كل شيء اخذوه عن غيرهم . وللقبة وظائف تختلف باختلاف البناء المنوي اقامتها فيه . فقبة المسجد هي غير قبة القصر ، كما ان قبة الضريح تختلف عن غيرها من القباب في الغرض الذي من اجله شيدت . علاوة على ذلك فانها تميزت عن قباب المباني الاخرى بشكل خاص بحيث اصبح طابعا مميزا لها .

ومهما يكن من امر فان اقدم قبة وصلنا خبر اقامتها على قبر هي القبة التي شادها هارون الرشيد على ضريح الامام علي كرم الله وجهه(٥٠) . تعقبها قبة البرمكية زينب بنت منيرام الفضل بن يحيى البرمكي التي كانت قائمة على مقربة من دير ما سرجس بعانة . ذلك ان «الرشيد لما شخص من الرقة الى بغداد يريد الحج شخص معه البرامكة فتوفيت ام الفضل ... فأمر الرشيد فاشتريت لها عشرة اجربة من بستان عند وادي القناطر على شاطىء الفرات ، فدفنت هناك وبنيت عليها قبة ، فهي تعرف بقبة البرمكية»(٥١) . وهذه القبة بطبيعة الحال تعود الى ماقبل سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م . السنة التي نكب الرشيد فيها البرامكة .

وفي سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩م ، توفي هارون الرشيد فبنى ابنه المأمون على قبره قبة(٥٢) . وكان على قبر الشاعر ابي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥م قبة شادها ابو نهشل بن حميد الطوسي(٥٣) . وبوران بنت الحسن بن سهل زوجة الخليفة المأمون توفيت ببغداد سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٤م فدفنت تحت قبة كانت قائمة(٥٤) .

هذه القباب وغيرها اكثر ، لم يبق منها شيء ، كما اننا لا نعرف عنها سوى ما ذكرناه ، غير انه لحسن الحظ تخلفت لنا بناية كانت تعلوها في يوم ما قبة ، هذه البناية هي قبة الصليبية .

قبة الصليبية

تقع قبة الصليبية في سامراء على جانب دجلة الغربي غير بعيد عن قصر المعشوق ، تتألف من مثمنين (انظر مخطط رقم ٩) يفصل بينهما رواق سقفته مديرية الاثار العامة بسقف مسطح ، في حين يرى بعض الباحثين انه كان مغطى اصلا بقبوات نصف اسطوانية(٥٥) ترتكز على جداري المثمنين(٥٦) ، تتوسط المثمن الداخلي قاعة مربعة ، كانت تعلوها قبة يبدو انها كانت نصف كروية ذات دبب خفيف (انظر صورة رقم ٤٤) استناداً الى شكل عقود القبة ، حيث انها من النوع المدبب المطول .

للقبة ثمانية مداخل في جدار المثمن الخارجي ، لكل ضلع مدخل ، في حين نجدها اربعة في جدار المثمن الداخلي ، تتجه نحو الاتجاهات الاربع الرئيسية .

لم يتبق من البناء الاصل سوى المثمن الداخلي وجزء من المثمن الخارجي ، (انظر صورة رقم ٤٣) ، فقامت مديرية الاثار العامة باعادة بنائه مؤخرا كما اعادت بناء القبة بهيئة نصف كرة ذات دبب خفيف .

اختلفت الاراء حول القبة من حيث التسمية والغرض الذي من اجله شيدت . فبالنسبة للاسم قيل انه مأخوذ من قبيلة صليب(٥٧) وقيل انها كانت موضعا لصلب الخارجين على الدولة(٥٨) بينما يذهب عادل عبو الى ان الصليبية ما هي الا تحريف لكلمة السليبية حيث انها اصبحت مكمنا لقطاع الطرق بغية النهب والسلب(٥٩) . ويعتقد العزاوي ان التسمية جاءت من خلال كون مخطط القبة يتصالب ويتعامد(٦٠) .

اما الغرض الذي من اجله شيدت ، فقد قيل انها منظرة الجسر الرابط بين ضفتي دجلة ، ومقر اقامة حرس

---

(٥٠) اختلف في تاريخ بنائها ، فقد قيل سنة ١٥٥ هـ وقيل سنة ١٧٠ هـ ، انظر : آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ٣٠
سعاد ماهر ، مشهد الامام علي في النجف ص ١٢٨
والحقيقة ان الرشيد العباسي ولد سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦م وقيل سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢م وتولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، انظر :
تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٣٠
فلا يعقل بناء القبة سنة ١٥٥ هـ ، وربما كان بعد سنة ١٧٠ هـ .

(٥١) الشابشتي ، الديارات ص ١٤٨

(٥٢) القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ص ٣٩٢

(٥٣) وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٣٩

(٥٤) ن . م . ج ١ ص ٢٦٠

(55) Creswell, A short Account of E.M.A., p. 288

(٥٦) القباب العباسية في العراق ج ١ ص ٥١

(57) Sarra und Herzfeld . , op . cit . , I. p. 85

(٥٨) انظر : احمد سوسه ، ري سامراء ج ١ ص ٩٣

(٥٩) القباب العباسية في العراق ج ١ ص ٤٥

(٦٠) العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ص ١٢٧

الجسر[٦١] ، وذهب العزاوي الى انها برج مراقبة لمدخل مدينة سامراء[٦٢] ويرى هرتسفلد انها قبة ضريح[٦٣] ، وهو ما ارجحه للاسباب التالية : ـ

١ ـ ان القبة مفردة لا يتصل بها اي بناء آخر ، فلو كان برج مراقبة لمدخل سامراء او منظرة جسرها لارتبط بناؤها بمبان اخرى ، ونحن نعلم ان قباب الاضرحة تكون عادة مفردة لا يتصل بها بناء وانما تحيط بها .

٢ ـ وقوع القبة فوق مرتفع يتفق وما اعتاد الناس عليه من دفن موتاهم على المرتفعات كالتلول وغيرها[٦٤] ولا تزال هذه العادة قائمة حتى يومنا هذا خصوصا في القرى والارياف .

٣ ـ تعدد مداخل القبة يتفق وما ذكره الكتاب العرب عن قباب الاضرحة في تلك الفترة ، فقد ذكر ابن حوقل ان ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان المتوفى سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م قد ابتنى على ضريح الامام علي كرم الله وجهه «قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب»[٦٥] ، كما ان القبة المنسوبة لاسماعيل الساماني المتوفى سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧ م والتي لا تزال قائمة في بخارى ، تعتبر اقدم قبة ضريح في ايران[٦٦] ، ذات مداخل اربعة[٦٧] . (انظر صورة رقم ٤٥) .

ويبدو ان ظاهرة تعدد المداخل لم تكن قاصرة على قباب الاضرحة ، فقد شيدت بامر الخليفة المهتدي المتوفى سنة ٢٥٥هـ /٨٦٩م «قبة لها اربعة ابواب ، وسماها قبة المظالم»[٦٨] . وقباب القصور غالبا ما تكون مفتوحة الجوانب ، حيث ان الغرض منها الاضاءة وادخال نور الشمس ، لان القبة يمكن رفعها اكثر من بقية الاجزاء .

٤ ـ قد يقول قائل : انه ليس هناك ثمة اثر في قبة الصليبية يدل على وجود قبر فيها والحقيقة ان هناك كثير من القباب لا يبرز القبر فيها ، بل يكون جثمان الميت تحت ارضية القبة بحيث لا يوجد اي اثر ينم على وجود قبر ، ولعل احسن مثال على ذلك القباب الموجودة في المقبرة الواقعة بازاء مشهد الشمس (انظر صورة رقم ٤٧) ، حيث ان القبر لا يبرز وانما بمستوى الارضية .

٥ ـ ومن الادلة التي تؤيد كون هذه القبة قبة ضريح هو طرازها ، فقد انتقل طراز قباب القبور هذا الى مصر كغيره من طرز العمارة والفنون التي حملها احمد بن طولون معه من سامراء الى مصر[٦٩] ، ولا تزال هناك قباب قبور قريبة الشبه من قبة الصليبية قائمة في مقابر اسوان الاثرية[٧٠] . (انظر صورة رقم ٤٦) كما ان هذا

---

(٦١) ري سامراء جـ ١ ص ٩١

(٦٢) العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ص ١٢٧

(٦٣)نقلا عن :
Creswell , op. cit. , p. 288

(٦٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ١٠
معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٦ ـ ٤١٧ ، جـ ٤ ص ٤٤٢
مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٥٩
الحوادث الجامعة ص ٢٣٧

(٦٥) صورة الارض جـ ١ ص ٢٤٠ ولا تزال هذه الظاهرة موجودة في مشاهد الأئمة ، حيث نلاحظ وجود مداخل عدة لها ، والغرض هو التخفيف من شدة ازدحام الزائرين .

(66) Diez, E. «Islamic Architure, Principle and types» A Survey of Persian Art III , p. 924
الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ص ٤٨
ومنهم من نسبها للفترة الواقعة بين ٣٠٠ ـ ٣٣١ هـ / ٩١٣ ـ ٩٤٣ م ، انظر :
Hill and Grabar, Islamic Architecture and its Decoration , p.49
اي انها تعود لفترة حكم الامير نصر بن احمد بن اسماعيل الساماني الذي تولى الامارة سنة ٣٠١هـ ، وتوفي سنة ٣٣١هـ ، انظر :
النرشخي ، تاريخ بخارى ص ١٢٧ ـ ١٢٨
والحقيقة انه ليس لدينا اي اشارة تشير الى كون هذه القبة هي قبة اسماعيل الساماني مما دفع بعض الباحثين الى القول «و ليست هناك نقوش تدل على ان هذا الضريح ضريحه حقا لا على البناء نفسه ولا على ناووسه» .
بارتولد «اسماعيل بن احمد» دائرة المعارف الاسلامية م٢ ص ١٧٧
وكل الذي لدينا هو قول النرشخي عند وفاة اسماعيل الساماني سنة ٣٠١هـ «وجاءوا به الى بخارى ودفنوه في قبر جديد» تاريخ بخارى ص ١٢٦ .

(٦٧) كريستي ويلسن ، تاريخ صنايع ايران (فارسي) ص ١٣٨ ـ ١٣٩

(٦٨) مروج الذهب جـ ٤ ص ١٢٤

(٦٩) انظر عن اثر عمارة سامراء وفنونها في العمارة والفن الاسلامي في مصر في العصر الطولوني :
زكي محمد حسن ، الفن الاسلامي في مصر جـ ١ ص ٢١ ـ ٣٤
حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية جـ ١ ص ٤٣ ـ ٤٤
فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، م ١ ص ٤٢٢ وما بعدها ، ٤٦٨ ، ٤٧٧ ـ ٤٧٩ ، ٤٨٢
وعن حياة ابن طولون ، انظر :
البلوي ، سيرة احمد بن طولون
عكوش ، تاريخ ووصف الجامع الطولوني ص ١١٤ ـ ١٣٩

(٧٠)انظر :
Creswell, Muslim Architecture of Egypt, I.pp. 131-145
العمارة العربية في مصر الاسلامية م١ ص ٥٢٢ وما بعدها

الطراز ذاته استمر في العراق حتى الوقت الحاضر . نلاحظه في مناطق كثيرة ، ولاسيما في المقبرة التي بازاء مشهد الشمس .

ومهما يكن من امر فأن هرتسفلد كشف اثناء حفرياته داخل القبة في كانون الاول سنة ١٩١١ م (١٣٢٩ هـ) عن جثث ثلاث نسبها الى ثلاثة خلفاء من بني العباس هم المنتصر والمعتز والمهتدي[٧١] .

والحقيقة ان المنتصر بالله المتوفى سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م يعد اول من اظهر قبره من الخلفاء العباسيين باشارة من امه[٧٢] ، وهي ام ولد رومية تدعى حبشية[٧٣] ، وفي سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م توفي المعتز بالله فدفن بازائه[٧٤] ، وعندما توفي المهتدي بالله سنة ٢٥٦هـ /٨٧٠م دفن بجوارهما[٧٥] .

ومما يعزز هذا الرأي ويسنده تسمية القبة بالصليبية التي هي تحريف لكلمة (السليبية) ، حيث ان السليب تعني المرأة التي يموت عزيز لها فتسلب عليه[٧٦] ، والسلب : الثياب السود التي تلبسها النساء في المآتم واحدها سلاب[٧٧] ، وتسلبت المرأة : مثل احدث : قال قوم : هذا من السلب ، وهي الثياب السود[٧٨] ، وقال بعضهم ، الفرق بين الاحداد والتسلب ، ان الاحداد على الزوج والتسلب قد يكون على غير الزوج[٧٩] .

وبناءا على ما تقدم فخلاصة الامر بالنسبة لقبة الصليبية كالتالي : -

توفي الخليفة المنتصر بالله سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٨م مسموما[٨٠] ، فحزنت امه عليه ولم يكن لها غيره ، فالتمست من اولي الأمر ابراز قبره ، اي البناء عليه ، ومن كثرة ترددها على موضع قبره ، واقامتها بجواره ، عرفت القبة من قبل الناس بقبة السليبية ، اي قبة المرأة التي فقدت وحيدها ، وبمرور الزمن تحرفت السليبية الى الصليبية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الطبري ذكر بان المنتصر دفن في ناحية من قصر الصوامع[٨١] ، وهذا القصر لم نجد له ذكرا عند احد من الكتاب والمؤرخين الذين تعرضوا في مدوناتهم لبناء سامراء وعمرانها ، وفي الوقت ذاته لا نجد ذكرا لوجود مقبرة خاصة بالخلفاء العباسيين وافراد اسرهم في سامراء كما هو حاصل في بغداد حيث كانت الرصافة مقبرتهم الخاصة ، ويبدو لي ان قصر الصوامع ربما كان مقبرة العباسيين الخاصة ، ذلك لان الدفن تحت الصومعة او بناء الصومعة على القبر وارد[٨٢] ، كما ان بعضهم كان يبني على القبر طربالا[٨٣] ، والطربال اشبه ما يكون بالصومعة[٨٤] ، وطرابيل

---

(٧١) نقلا عن :
Creswell, A Short Account of E.M.A., p. 288

(٧٢) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٢٥٤
ابن مسكويه ، تجارب الامم جـ ٦ ص ٥٦١
مروج الذهب جـ ٤ ص ٨١
تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٢١
الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٣١٠
البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٥٤

(٧٣) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٢٥٤
تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٢٠
مروج الذهب جـ ٤ ص ٨١

(٧٤) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٣٩٠
تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٢٦
الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٣٤٢
البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٦

(٧٥) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٤٦٢
مختصر التاريخ ص ١٥٩
البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٣
وقد اخطأ البعض حين احل اسم الخليفة المقتدر بالله محل المهتدي ، انظر :
Diez, E., Op. Cit., III. P. 923 الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ص ٤٨
القباب المخروطية في العراق ص ١٢
في حين ان المقتدر بالله قتل بباب الشماسية ببغداد سنة ٣٢٠هـ /٩٣٢م ودفن فيها واخفي قبره ، انظر :
صلة عريب ص ١٨٠
مختصر التاريخ ص ١٧٣
خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٤٠

(٧٦) الازهري ، تهذيب اللغة جـ ١٢ ص ٤٣٤
لسان العرب جـ ١ ص ٤٧٣
تاج العروس من جواهر القاموس جـ ٣ ص ٦٨ - ٦٩ ، ٧٢

(٧٧) تهذيب اللغة جـ ١٢ ص ٤٣٥

(٧٨) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة جـ ٣ ص ٩٣

(٧٩) ن . م .

(٨٠) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٢٥١ - ٢٥٣
مروج الذهب جـ ٤ ص ٨١
تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٢١
الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٣١٠

(٨١) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٣٩٠

(٨٢) شد الازار ص ٢١٠ ، ٢١١

(٨٣) معجم البلدان جـ ٤ ص ١٩٨

(٨٤) المخصص جـ ٥ ص ١٣٤

الشام لها يقول الجوهري صوامعها[٨٥] ، وبه الصليبيه كما ذكرنا براها البعض منظرة للجسر يقيم فيها الحرس[٨٦] ، يقول ابو عبيد عن الطربال «هو شبيه بالمنظرة من مناظر العجم كهيئة الصومعة»[٨٧] ، أما ورود كلمة القصر فلا اظن ان المقصود منه القصر المعروف لدينا ، اي كقصر المعشوق وامثاله ، وربما كان يقصد بقصر الصوامع ما قصد من كلمة القصر الواردة في الكتابة التذكارية الموجودة على قبة قابوس بن وشمكير التي تعود الى سنة ٣٩٧ هـ /١٠٠٦م والتي نصها : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا القصر العالي للامير شمس العالي ...»[٨٨] واغلب الظن ان قبة الصليبية كانت واحدة من صوامع قصر الصوامع ، والملاحظ ان الطبري ينص على ان المهتدي «دفن في مقبرة المنتصر»[٨٩] ، والمقبرة في بعض الاحيان ترادف القبة المقامة على القبر[٩٠] ، ومما يعزز ذلك ان مديرية الاثار العامة كشفت خلال التنقيبات التي اجرتها حول القبة من جميع الجهات مؤخرا عن مبان تدور حول جدران المثمن الخارجي وتتعامد مع اضلاعه ، وهذه المباني اقبية منخفضة منحدرة[٩١] ، غير ان ارتفاع هذه الاقبية يختلف من واحد لآخر ، لا بل انه يختلف ايضا في المبنى الواحد[٩٢] ، والذي اراه ان المباني هذه مضافة في عصر لاحق على بناء القبة ، وان الغرض منها ما هو الا مباني على قبور .

ويرى عادل عبو ان قبة الصليبية ربما كانت قبة ضريح الخليفة المعتمد على الله[٩٣] ، المتوفى ببغداد سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م حيث نقل جثمانه الى سامراء فدفن فيها[٩٤] ، وادلته التي اعتمدها هي :[٩٥]

١ ـ ان نقل جثمان المعتمد على الله الى سامراء يدل على ان المعتمد كان قد هيأ لنفسه في حياته مدفنا .

٢ ـ قرب القبة من قصر المعشوق الذي هو من ابنية المعتمد على الله ، علاوة على ذلك وجود مادة بنائية غريبة وهي اللبن الجصي في كلا البنائين الصليبية والمعشوق ، وعدم وجودها في مباني سامراء الاخرى .

والذي اراه ان نقل جثمان المعتمد على الله الى سامراء لا يعني بالضرورة وجود بناء مهيأ برسم دفنه ، وربما كان دفنه في سامراء اتباعا للتقليد المتعارف عليه وهو الدفن بجوار الاهل والاقارب[٩٦] ، ولنا من نقل جثث اخوة المعتمد خير دليل على ما نقول فأسماعيل بن المتوكل على الله توفي في واسط سنة ٢٧٣ هـ ٨٨٦م ، فنقل جثمانه الى سامراء حيث دفن فيها[٩٧] ، وفي سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م توفيت ميمونة بنت المتوكل ببغداد فحملت الى سامراء حيث دفنت فيها[٩٨] ، فلماذا لا نقول ان المعتمد كغيره تم نقل جثمانه الى سامراء ليدفن فيها بجوار اهل بيته .

اما قصر المعشوق فليس هناك ادنى شك في كونه من ابنية المعتمد على الله[٩٩] ، ٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ ـ ٨٩٢م ، غير اننا نجهل سنة البدء به والانتهاء منه ، وان كنا نعلم ان تمامه كان قبل سنة ٢٧٥ / ٨٨٨م ، حيث ان ياقوت الحموي ذكر لنا اسم المشرف على بناءه وهو علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم[١٠٠] الذي توفي سنة ٢٧٥هـ بعد ان تم انجاز اكثره على يده[١٠١] .

ومهما يكن من امر فانه تكامل قبل سفر المعتمد الى بغداد ذلك السفر الذي توفي فيه سنة ٢٧٩هـ /٨٩٢م ، اذ ذكر اليعقوبي نزول المعتمد في قصر المعشوق ، لكنه لم يتمتع

---

(٨٥) الصحاح جـ ٥ ص ١٧٥١

(٨٦) ري سامراء جـ ١ ص ٩١

(٨٧) تاج العروس جـ ٧ ص ٤١٦

(٨٨) انظر ص ٨٩ من الكتب

(٨٩) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٤٦٢

(٩٠) المتبي ، اليمني جـ ٢ ص ١٧٨

(٩١) عيسى سلمان ، تقديم ، مجلة سومر (١٩٧٥) ص (ن)

(٩٢) عيسى سلمان ، تقديم ، مجلة سومر (١٩٧٤) ص (ل)

(٩٣) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٥٢

Abbu, A. «Qubbat Al- Sulaibiya» sumer(1973) pp. 115-116

(٩٤) تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٦١ ـ ٦٢

الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٧٣

مختصر التاريخ ص ١٦٢

خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٣٤

البداية والنهاية جـ ١١ ص ٦٥

النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٨٢

(٩٥) القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٥٢

Abbu, A., op. cit., pp. 115-116

(٩٦) انظر ص ٧٦ من الكتاب

(٩٧) مختصر التاريخ ص ١٤٧

خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٢٦

(٩٨) مختصر التاريخ ص ١٤٧

(٩٩) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٦٨

معجم البلدان جـ ٥ ص ١٥٦ ـ ١٥٧

(١٠٠) معجم الادباء جـ ١٥ ص ١٧٤

(١٠١) ن .م . ص ١٤٤ ، ١٧٤

به طويلا لاضطراب حبل الامن في سامراء فغادرها الى بغداد .[١٠٢]

ويبدو لي ان خروج المعتمد الى بغداد كان قبل وفاته بقليل ، ذلك لان خروجه من سامراء كان بسبب التسلط الحاصل عليه اضافة الى استمرار الاضطرابات والفتن ، فلم يرق خروجه لاولئك المتسلطين ، اذ توقعوا ان الزمام ربما سيفلت منهم ان لم يحسموا الامر ، وبالفعل تمكنوا من المعتمد ، اذ كانت ميتته فجائية ،[١٠٣] ولم تكن طبيعية .[١٠٤]

وقصر المعشوق الذي لا زالت اطلاله شاخصة قائمة يدل على عظمة وجلال وان بانيه كان في بحبوحة وعيش رغيد بحيث لم يتوقع ان يقلب له الزمن ظهر المجن ، فكانت مجالسه مجالس أنس وطرب الى ما هنالك من وسائل اللهو ،[١٠٥] فهل يعقل والحال هذه ان يحفر المعتمد قبره بنفسه ، ويشيد بناءا يكون برسم دفنه ، كلا لا ارى مثل هذا يحصل .

اما اللبن الجصي المستعمل في الصليبية والمعشوق ، فليس بدليل ، ذلك ان القبة حسبما نراها كمدفن للخليفة المنتصر ، تؤرخ بين سنتي ٢٤٨ ـ ٢٥٥ هـ / ٨٦٢ ـ ٨٦٩م ، وقصر المعشوق يقع ضمن خلافة المعتمد بين سنتي ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ /٨٧٠ ـ ٨٩٢م ، فالفترة الزمنية متقاربة ، بحيث يمكننا القول ان اللبن الجصي استخدم في قبة الصليبية ، ثم استخدم ايضا بعد ذلك في قصر المعشوق ، ومع ذلك من ذا الذي يضمن لنا عدم استخدامه في مبان عفى عليها الزمن واصبحت اثرا بعد عين .

القبة المخروطة المضلعة

تباينت الاراء حول اصل القبة المخروطة من النوع المضلع ، فقد حاول البعض ارجاعها الى اصول مسيحية حيث ادعى شتروفسكي انها مقتبسة من ابراج الكنائس الارمنية[١٠٦] وقبة قابوس بن وشمكير ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م ، المخروطة من النوع المضلع يراها بارتولد مشيدة «على الطراز الخاص المعروف كثيرا في البلاد الواقعة على ساحل بحر الخزر والقوقاز والظاهر في منارات الكنائس ايضا»[١٠٧] وتذهب تمارا رايس الى ان كلا من القباب المخروطة المضلعة وابراج الكنائس الارمنية ربما استوحيت اشكالها من اصل واحد وهو الاكواخ الطينية المستخدمة كمساكن في سمرقند في القرن الخامس الميلادي والتي ظلت مستعملة بعد الفتح الاسلامي[١٠٨] .

غير اننا لا نعرف شكل هذه الاكواخ ، كما ان الكاتبة لم تعطنا وصفا لها ، وجدير بالذكر ان ابن فضلان اخبرنا في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م بان الاتراك الغز كانوا : «اذا مات الرجل منهم حفروا له حفيرة كبيرة كهيئة البيت ... ثم اجلسوه فيه فسقفوا البيت عليه وجعلوا فوقه مثل القبة من الطين» ،[١٠٩] فلماذا لا نقول انها مرحلة تطور عليها ، وربما كانت هناك صلة بين القباب المخروطة المضلعة وبين القباب الخشبية وان كنا نجهل تاريخ استخدام القبة الخشبية الا اننا نعلم ان الايرانيين استخدموها لاسيما في قزوين ونيسابور[١١٠] ، غير ان شكلها مجهول لدينا ، ولدينا خبر عن

---

(١٠٢) البلدان ص٢٦٨ . ولم يكن المعتمد قد نقل العاصمة من سامراء الى بغداد ، كما يذهب البعض . انظر : القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٥٢

يقول ابن الكازروني ان المعتمد «ورد بغداد لمهم عرض له ثم عاد الى سر من رأى ميتا وانما المعتضد اول من سكنها بلا خلاف» مختصر التاريخ ص ١٦٥ ، وانظر : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٣٥ . تحسين علي ، المعتضد بالله الخليفة العباسي ص ١٤٦ وهامشها كما ان مغادرته سامراء الى بغداد كانت قبل وفاته بقليل ، وفي رواية ، انها كانت سنة ٢٧٨هـ . تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ٢٩ وليس سنة ٢٧٥ هـ

كما يراه البعض ، انظر : القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ٥٢

(١٠٣) مختصر التاريخ ص ١٦٢ خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٣٤

(١٠٤) العيون والحدائق في اخبار الحقائق جـ ٤ ق ١ ص ١٣٣

(١٠٥) الديارات ص ٦٤ وما بعدها ، مروج الذهب جـ ٤ ص ١٥٧ التنبيه والاشراف ص ٣٦٧

(١٠٦) تمارا تالبوت رايس ، السلاجقة ص ١٧٢

(١٠٧) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٨٠

(١٠٨) السلاجقة ص ١٧٣

(١٠٩) رسالة ابن فضلان ص ٩٩

(١١٠) الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ص ٤٥

قبتين من الخشب من العراق في حوادث سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م عندما حدثت الفتنة بين العامة والتي ادت الى احتراق المشهد الكاظمي ، يقول ابن الاثير «واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد والقبتان الساج اللتان عليها» .[١١١] ويبدو ان هاتين القبتين قد اقيمتا سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م من قبل معز الدولة احمد بن بويه[١١٢] . وربما كان شكل هاتين القبتين من النوع المضلع ، ذلك ان لكل مادة قابلية معينة لعمل الشكل المراد ، ولا اظن ان عمل قبة كروية او دائرية من الخشب اسهل مما لو عملت مضلعة .

ولدينا اخبار كثيرة عن قباب خشبية ، كانت بمثابة خيمة او هودج[١١٣] ، وتعرف في بعض الاحيان باسم البرج[١١٤] يقول ابن خلكان واصفا احتفال الملك المعظم مظفر الدين ابي سعيد كوكبري صاحب اربل المتوفى سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨م بالمولد النبوي «ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة اربع او خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة واكثر منها قبة له ، والباقي للامراء واعيان دولته لكل واحد قبة ، فاذا كان اول صفر زينوا تلك القباب بانواع الزينة الفاخرة المتجملة ، وقعد في كل قبة جوق من الاغاني وجوق من ارباب الخيال ومن اصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى رتبوا فيها جوقا»[١١٥]

ويضيف قائلا «وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك الى الموضع الذي فيه الناس والكرسي وشبابيك اخر للبرج أيضا الى الميدان»[١١٦]

غير ان الذي اراه هو ان القبة المخروطة من النوع المضلع لعب في ظهورها عاملان هما ، فكرة نصب الخيمة على القبر التي كانت سائدة عند العرب المسلمين والتي نقلوها معهم الى اقليم خراسان ، واستعمالهم الخيمة التركية المضلعة عند استيطانهم لهذا الاقليم . فالفكرة زائدا التشابه الحاصل بين الخيمة التركية والقبة المخروطة المضلعة (انظر صورة رقم ٤٨ ـ ٥٣) هو الاساس في ظهور هذا النوع من القباب .

من العادات التي كانت سائدة عند العرب في العصر السابق على الاسلام مجاورتهم لقبر الميت اعتقادا منهم بان الميت يشعر بوجودهم ويأنس بهم[١١٧] ، واستمر هذا الاعتقاد بعد الاسلام فعندما حضر عمرو بن العاص الموت كان من ضمن ما اوصى به « ... فاذا فرغتم من قبري فامكثوا عند قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها فاني استأنس بكم حتى اعلم ماذا اراجع به رسل ربي»[١١٨] ويذهب الدكتور جواد علي الى ان عرب ما قبل الاسلام نصبوا على قبور موتاهم الخيام لاقامة اهل الميت فيها حيث يستقبلون من يفد للزيارة والتعزية[١١٩] . ولست ادري على من اعتمد الدكتور جواد علي في ذلك ، اذ ان اول خبر وردنا عن نصب الخيمة على القبر عندما توفيت زينب بنت جحش زوج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم سنة ٢٠هـ / ٦٤١م ، وذلك بامر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٢٠] ، يقول السيوطي : «مر عمر بن الخطاب على حفارين يحفرون قبر زينب بنت جحش في يوم صائف فقال : لو اني ضربت عليهم فسطاطا فكان اول فسطاط ضرب على قبر»[١٢١]

---

(١١١) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٥٩ ، وانظر :
المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ١٥٠
(١١٢) السماوي ، صدى الفؤاد الى حمى الكاظم والجواد ص ١١ ـ ١٢ ، وانظر :
آل ياسين ، تاريخ المشهد الكاظمي ص ٢٤
(١١٣) وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٢٧٧
(١١٤) ن . م . جـ ٢ ص ٢٣٨
(١١٥) ن . م . جـ ٣ ص ٢٧٤
(١١٦) ن . م . جـ ٣ ص ٢٧٥
(١١٧) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٥ ص ٢٩٢
(١١٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى جـ ٤ ق ٢ ص ٦
(١١٩) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٥ ص ٢٩٢
(١٢٠) العيني ، عمدة القاريء جـ ٨ ص ١٣٤
(١٢١) الوسائل الى مسامره الاوائل ص ٢٢ ـ ٢٣ ، وانظر :
البسنوي ، محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر ص ١٥٣
ويرى الدكتور عادل نجم عبو ان نصب الخيمة على القبر ان هو الا تقديس له ، يقول الدكتور عادل «ويمكننا ان نذهب ابعد من ذلك للقول بان بعض القبور قدست خلال القرن الاول الهجري . فقبر عبدالله بن عباس المتوفى سنة ٦٨ هـ ظلل بخيمة كما ان خيمة اخرى نصبت على قبر الحسن بن علي بن ابي طالب» انظر «التربة في العمارة الايوبية في سوريا» مجلة سومر (سنة ١٩٧٤ ، م ٣٠ ص ٢٧٥) والحقيقة ان فكرة نصب الخيمة على القبر هي ان تكون ظلة للعاملين في القبر وليس تقديسه ، كما انه لم تنصب على قبر الحسن بن علي خيمة انما على قبر الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المتوفى سنة ٩٧هـ/٧١٥م

واستمرت هذه العادة فعندما توفي عبد الرحمن بن ابي بكر سنة ٥٣هـ /٦٧٣م ضربت اخته عائشة على قبره فسطاطا[١٢٢] ، وفي سنة ٦٨هـ /٦٨٧م توفي بالطائف عبد الله بن عباس فنصب محمد بن الحنفية على قبره الخيمة .»[١٢٣]

ولما توفي الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب سنة ٩٧هـ /٧١٥م ضربت زوجته القبة على قبره ، وظلت مقيمة فيها سنة كاملة[١٢٤] . والملاحظ ان الامام احمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ /٧٨٠ ـ ٨٥٥م) قد ابدى كراهيته من نصب الفسطاط على القبر[١٢٥] ، مما يشير الى شيوع هذه العادة في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

ان فكرة نصب الخيمة على القبر بدأت كما بينا في خلافة عمر بن الخطاب غير ان القصد منها كان هو ان تكون ظلة للعاملين في القبر ، غير ان الفكرة سرعان ما تطورت واصبحت لتظليل القبر بدليل قول عبد الله بن عمر لغلام عائشة عندما شاهد الخيمة على قبر عبد الرحمن بن ابي بكر «انزعه يا غلام فانما يظله عمله»[١٢٦] ، ثم تطورت واصبحت محلا لمجاورة القبر .

ويبدو ان هذا التقليد ظل متبعا في سنة ٦٤٦هـ /١٢٤٨م[١٢٧] ، كما انه لا يزال قائما حتى يومنا هذا ، حيث تكون الخيمة المنصوبة على القبر مأوى لقراء القرآن الكريم وبعض من اقارب صاحب القبر ، وغالبا ما تكون مدة اقامتهم ثلاثة ايام[١٢٨] .

ومما يجدر ذكره ان ياقوت الحموي ذكر ان في السلامة احدى قرى الطائف قبة على قبر عبد الله بن عباس[١٢٩] ، وكنا قد ذكرنا ان محمد بن الحنيفة كان قد نصب الفسطاط على قبر ابن عباس ، من خلال ذلك يبدو ان قول الدكتور جواد علي «ومن هذه القباب المؤقتة ظهرت الاضرحة الثابتة ذات القباب السامقة الشامخة»[١٣٠] مقبولا .

ومما يسند هذه الفكرة ان بعض المباني كانت في بداية امرها تعمل من مواد يسهل حملها ونقلها من محل لآخر ، فمعابد اليهود وعرب ماقبل الاسلام كانت من الخيام[١٣١] ، ومسجد البصرة الجامع ايام عتبة بن غزوان كان من القصب «فكانوا اذا ماغزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزوفاذا رجعوا اعادوا بناءه»[١٣٢] ولم تكن المساجد فقط هي المتنقلة ، بل وجدنا مدارس عرفت بالمدارس السيارة[١٣٣] ، والمستشفيات ايضا منها السيارة[١٣٤] ، علاوة على ذلك فان الفرنج كانت لهم كنائس متنقلة من الخيام[١٣٥] .

ولقد كان من نتائج الفتح العربي ان انتقلت الكثير من العوائل العربية الى البلدان المفتوحة مستوطنين اياها ، وبطبيعة الحال انتقلت معهم العادات والتقاليد العربية التي كانوا يلتزمون بها في مواطنهم الاصلية .

ومن ضمن البلدان التي قطنها العرب بعد الفتح اقليم خراسان ، حيث طاب لهم المقام فيه ، علاوة على ذلك فان زياد بن ابيه نقل اليه سنة ٤٥هـ /٦٦٥م خمسين الفا من

---

(١٢٢) صحيح البخاري جـ ٢ ص ١١٤
عمدة القاري، جـ ٨ ص ١٣٤
كشف الغمة عن جميع الامة جـ ١ ص ١٤٢
(١٢٣) تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ٩
عمدة القاري، جـ ٨ ص ١٣٤
بدائع الصنائع جـ ١ ص ٣٢٠
(١٢٤) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص ١٠٦
كشف الغمة عن جميع الامة جـ ١ ص ١٤٢
(١٢٥) الانصاف جـ ٢ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠
اغاثة اللهفان ص ١٠٣
غاية المنتهى جـ ١ ص ٢٥١
عمدة القاري، جـ ٨ ص ١٣٤
(١٢٦) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص ١١٤
(١٢٧) الحوادث الجامعة ص ٢٢٥
(١٢٨) لا يمانع ابن حبيب من نصب الخيمة على القبر ، ولكنه يقول : «اراه في اليوم واليومين والثلاثة واسعا اذا خيف عليه من نبش او غيره»
انظر : عمدة القاري، جـ ٨ ص ١٣٤
(١٢٩) معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٣٤
(١٣٠) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٥ ص ٢٩٢
(١٣١) ن . م .
(١٣٢) فتوح البلدان ق ٢ ص ٤٢٦ ، وانظر ص ٤٢٥
(١٣٣) تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب جـ ٤ ق ٤ ص ٧١٤ ـ ٧١٥
(١٣٤) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٣١
(١٣٥) ذيل الروضتين ص ١٠٠

اهل البصرة والكوفة(١٣٦) ، هذا بالنسبة للمقاتلة ، وبطبيعة الحال هاجرت معهم عوائلهم ، ويرى ولهاوزن ان العدد لا يتجاوز (٢٠٠،٠٠٠) نسمة(١٣٧) ، بينما يذهب الدكتور صالح العلي الى ان العدد يتجاوز ماخمنه ولهاوزن اذ ان هناك احتمالا قويا بان بعض المهاجرة العرب لم تسجل اسماؤهم بالديوان(١٣٨) ، والغالبية العظمى من الذين استوطنوا خراسان هم من اهل البصرة مما حدا بولهاوزن الى القول بان خراسان ماهي الا مستعمرة بصرية .(١٣٩)

وكما قلنا عن انتقال عادات العرب وتقاليدها الى البلاد المفتوحة ، وجدنا ان الصحابي بريدة بن الحصيب الاسلمي كان من ضمن المقاتلة العرب التي غزت خراسان في زمن عثمان ، ثم استوطن مرو حتى وفاته سنة ٦٢هـ /٦٨١م او ٦٣هـ /٦٨٢م ايام يزيد بن معاوية(١٤٠) ، يقول ياقوت في مادة مرو «فقدمها بريدة غازيا واقام بها الى ان مات وقبره بها الى الان معروف عليه راية رايتها»(١٤١) .

والمعروف ان العرب كانت تبني على قبور موتاها اعلاما ، يقول ياقوت في مادة أمرة مفروق ، ان مفروق بن عمرو بن قيس بن الاصم لما توفي «بنوا عليه أمرة وهو علم ، فهي تسمى امرة مفروق وهي في ارض بني يربوع»(١٤٢) والامر : الحجارة ، والامرات الاعلام ، وواحدة الامر والامرات : امرة وهي العلم الصغير من اعلام المفاوز من حجارة(١٤٣) ، يقول ابو زبيد من قصيدة له في رثاء عثمان بن عفان :

ان كان عثمان امضى فوقه امر
كراقب العون فوق القبة الموفى(١٤٤)

ومن الباحثين من يرى ان القباب التي تشاد على القبور قد اخذت طريقها من الخيام التي تنصب على القبور(١٤٥) ، والبعض الاخر يذهب الى ان القباب المخروطة قد اقتبست من خيام بدو اسيا الوسطى المعروفة بالخيمة التركية .(١٤٦)

ولم يقتصر رأي الباحثين على ان القبة المخروطة فقط هي التي اقتبست من الخيمة بل يقول احد الباحثين ، ان هذه «الابراج بقطاعها المثمن في اسطونها الاوسط وقبابها البصلية الشكل انما تحاكي نمط الخيمة الذي يتسم به كثير من مباني العصر» .(١٤٧)

ويرى الدكتور احمد فكري ان معمار مسجد القيروان الجامع ربما استوحى شكل القباب من خيام العرب التي تنصب في الصحاري .(١٤٨)

عرف العرب الخيمة التركية منذ عهد الرسالة حيث وردت في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٤٩) ، وربما كانت معرفتهم بها اقدم ، وعندما انساح العرب المسلمون في الارض فاتحين مبشرين بالاسلام ، كانت ايران وبلاد ما وراء النهر من ضمن البلدان التي افتتحها العرب ، وكان من ضمن الاشياء الكثيرة التي لفتت نظرهم واثارت انتباههم في تلك البلدان الخيام التركية ، يقول مالك بن الريب المتوفى في حدود سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م :(١٥٠)

تذكرني قباب الترك أهلي
ومبدأهم اذ نزلوا سفاحا

يقول اليعقوبي واصفا الخيمة التركية من خلال حديثه عن احد اجناس الترك «وليس لها منازل ولا حصون وانما ينزلون القباب التركية المضلعة ومساميرها سيور من جلود

---

(١٣٦) تاريخ الطبري ، جـ ٥ ص ٢٢٦
(١٣٧) الدولة العربية وسقوطها ، هامش ص ٣٤٠
(١٣٨) استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد (٣) حزيران ١٩٥٨ ص ٤٠ .
(١٣٩) الدولة العربية وسقوطها ص ٣١٦
(١٤٠) ابن قتيبة ، المعارف ص ٣٠٠
ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة م ١ ص ١٧٥ ـ ١٧٦
ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة جـ ١ ص ١٤٦
العبر في خبر من غبر جـ ١ ص ٦٦
شذرات الذهب جـ ١ ص ٧٠
(١٤١) معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٣
(١٤٢) معجم البلدان جـ ١ ص ٢٥٣ ، وانظر جـ ٥ ص ٢٥٤
(١٤٣) ابن منظور ، لسان العرب جـ ٤ ص ٣٢
(١٤٤) ن . م .
(١٤٥) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٥ ص ٢٩٢
(146) Bell, op. cit., p. 353
Diez, E., op. cit., III. p. 926
تمارا رايس ، السلاجقة ص ١٧١ ـ ١٧٢
(١٤٧) ارثر اوبري ، تراث فارس ص ١٣١
(١٤٨) المسجد الجامع بالقيروان ص ٤٩
(١٤٩) صحيح البخاري جـ ٢ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ (طبعة مصر ١٣٤٥ هـ)
صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٨ ص ٦١
سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٥٤
(١٥٠) حسين عطوان «مالك بن الريب» مجلة العربي ، العدد (١٣٩) حزيران ١٩٧٠ ص ٩٧
(١٥١) معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٦٠

الدواب والبقر واغشيتها لبود»[١٥٢]

وخلاصة ما اراه بالنسبة لاصل القبة المخروطة من النوع المضلع ، هو ان العرب الذين استوطنوا اقليم خراسان «الذي ظهر فيه هذا الطراز»[١٥٣] حملوا معهم فيما حملوه من العادات والتقاليد الى هذا الاقليم عادة نصب الخيمة على القبر ، وبطبيعة الحال استعمل العرب القبة (الخيمة) التركية التي تمتاز بشكلها المضلع وقمتها الشبيهة بالقمع (انظر صورة رقم ٤٨) ، علاوة على ظروف البيئة المناخية من حيث كثرة تواتر الامطار في خراسان وفي المناطق التي انتشر فيها هذا الطراز ، ذلك ان هذا النوع من القباب عملي في مثل هذه الظروف المناخية ، يقول صاحب الحوادث عن انطالية التي تتمتع بظروف مناخية مشابهة «ليس بها دار بسطح مسطح بل مسنم كالجمل جميعه ميازيب لكثرة تواتر الغيوث»[١٥٤].

من خلال ماتقدم استوحى معمار خراسان تصميم القبة ذات البدن المضلع او الاسطواني المتوج بما يشبه القمع في القرن الرابع الهجري ، ومنها انتشر الى بقية الاقاليم ، (انظر صورة رقم ٤٨ ـ ٥٣) .

قبة ضريح قابوس بن وشمكير

تقع هذه القبة في جرجان وتنسب الى الامير قابوس بن وشمكير امير جرجان و بلاد الجيل وطبرستان الذي تولى الامارة بعد وفاة اخيه سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م[١٥٥] .

تتألف القبة من بدن مضلع ذي عشرة اوجه (انظر صورة رقم ٥٤) ، يرتفع شاهقا بحيث لا يتناسب والقبة التي تتوجه والتي تشبه القمع ، يبلغ الارتفاع الكلي (١٧٥ قدم / ٥٢,٥٠م) وسمك الجدران اربعة اذرع ، ومادة البناء الآجر .[١٥٦]

تعد هذه القبة اقدم ما وصلنا من هذا النوع من القباب ، يقول الكرماني عند حديثه عن الامير قابوس «وقبره بجرجان في القبة المعروفة بها ، وحكى لي غير واحد من الثقات ؟ [الثقاة] انه راى مكتوبا على اضلاعها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا القصر العالي للامير شمس المعالي الامير بن الامير قابوس بن وشمكير امر ببنائه في حياته سنة سبع وسبعين وثلثمائة»[١٥٧] والصواب سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م ، حيث لا يعقل ان يكون بناؤه سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م ، ذلك لان جرجان خرجت من حوزة قابوس سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م ، حين استولى عليها عضد الدولة البويهي[١٥٨]، ولم يبسط نفوذه عليها الا سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م .[١٥٩]

والكتابة التذكارية هذه بالخط الكوفي (انظر صورة رقم ٥٥) ، نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا القصر العالي
للامير[١٦٠] شمس المعالي
الامير بن الامير
قابوس بن وشمكير
امر ببنائه في حياته
سنة سبع وتسعين
وثلثمائة قمرية
وسنة خمس وسبعين
وثلثمائة شمسية[١٦١]

---

(١٥٢) البلدان ص ٢٩٥ وانظر :
رسالة ابن فضلان ص ٨٥ ، ١٠١

(١٥٣) فنون الاسلام ص ٨٨

(١٥٤) الحوادث الجامعة ص ١٨٦
يقول ياقوت الحموي عن انطالية : «بوزن التي قبلها وحروفها (اي انطاكية) الا ان هذه باللام مكان الكاف : بلد كبير من مشاهير بلاد الروم ... وانطالية حصن للروم على شط البحر منيع واسع الرستاق كثير الاهل ...» معجم البلدان جـ ١ ص ٢٧٠

(١٥٥) عن حياة قابوس ، انظر :
اليميني جـ ١ ص ١٠٥ وما بعدها ، ٣٨٩ وما بعدها
جـ ٢ ص ١٢ وما بعدها ، ١٧٢ وما بعدها
يتيمة الدهر جـ ٤ ص ٥٦ وما بعدها
اثار البلاد واخبار العباد ص. ٣٠٠ ، ٣٣٠ ـ ٣٣١
الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ٨٧ ، ١٠٦ ـ ١٠٢ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ١٩١ ـ ١٩٢ محب الدين الخطيب «قابوس بن وشمكير» مجلة المجمع العلمي العربي م ٣ ص ٢٧١ ـ ٢٧٥ ، ٣٣٢ ـ ٣٣٦

(١٥٦) بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٨٠

(١٥٧) المنيني ، الفتح الوهبي على تاريخ ابي نصر العتبي جـ ١ ص ١٠٥

(١٥٨) الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ١٠٨

(١٥٩) ن . م . ص ١٩١

(١٦٠) قرأت الامير ، والصواب ما ثبتناه

Mechakati, N. Moumuments Et Sites Historiques
De L, Iran PP. 176-177

(161) Ibid

وانظر ، فنون الاسلام ص ٨٨

وفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، توفي قابوس فدفن في قبته هذه ، يقول العتبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م «فطابوا نفوسا حين عدموا شمس المعالي قابوسا وواروه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان على سمت خراسان» .[١٦٢]

قبة ضريح محمود الغزنوي

بناء ذو بدن مثمن ينتهي بقبة مضلعة منخفضة نسبيا ، بحيث لا يوجد ثمة تناسب بين ارتفاعها وبين الارتفاع الشاهق للبدن ، وزخارف البدن غاية في الروعة والجمال (انظر صورة رقم ٥٦) .

هذه القبة تنسب للسلطان سيف الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي المتوفى سنة ٤٢١ هـ /١٠٣٠ م ، حيث دفن جثمانه في حديقة النصر بغزنه[١٦٣]، والقبة لم تشيد بعد ، وربما بدىء بها في حياته او بعيد وفاته[١٦٤] ، ففي يوم الخميس الثامن من جمادى الاخر سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م ، نجد السلطان مسعود بن محمود الغزنوي متوجها «شطر حديقة النصر (باغ فيروزي) في ناحية بست زار ، ليزور ضريح والده رضي الله عنه ، حيث بكى هنالك وامر بعشرين الف درهم للقوم الذين يعملون به ، وخاطب نبيه الفقيه ونصر بن خلف قاضي العسكر بقوله : ينبغي ان تحشدوا الكثير من العمال حتى يتم هذا الرباط ، كما يجب مراقبة اوقاف هذا الضريح ليصرف ريعها في طرقها وسبلها . وقد كان ابي يحب هذا البستان ، ولذلك اوصى بدفنه فيه ، وقد حرمنا هذه البقعة على انفسنا ، ولا نأت لغير الزيارة حرمة له»[١٦٥] وعلى غرار هذه القبة اقيمت قبة اخرى للسلطان مسعود الغزنوي (انظر صورة رقم ٥٧) .

القبة المخروطة المقرنصة

امتازت قباب اقليم العراق بكونها من النوع المقرنص ، وقد اسماها بعض الباحثين بالقبة المقرنصة[١٦٦]، والبرجية المقرنصة[١٦٧]، والصنوبرية[١٦٨]، وغيرها .

والحقيقة انها اشبه ما تكون من الخارج بكوز من كيزان الصنوبر ، اما من الداخل فكأنها خلية نحل .

وما من جديد يظهر الا ويثار حوله الجدل ويحتدم النقاش ، والقباب المخروطة عموما ، تباينت الاراء فيها ، كيف ظهرت ومتى واين[١٦٩]؟ وبقدر تعلق الامر بالقبة المخروطة المقرنصة ، فقد زعم لوفتس انها تقليد لكيزان الصنوبر المنقوشة على منحوتات الاشوريين البارزة[١٧٠]، وهذا الرأي لا يؤبه له ، ذلك ان الفاصل الزمني بين الالواح الآشورية هذه وبين بداية ظهور هذا النوع من القباب كبيرة جدا ، مما يجعل التفكير بالربط بينهما امرا مستحيلا .

ولو اعتمدنا على اوجه الشبه فقط لكان لنا من الاخبار التاريخية التي اوردها الكتاب العرب عن قباب ومنارات من

---

(١٦٢) اليميني جـ٢ ص ١٧٨ ، وانظر :
تاريخ البيهق ص ٤٧٩ ، حيث اورد البيهق خبر مرور السلطان مسعود الغزنوى بقبة قابوس ، في يوم الاحد ، ٢٦/ ربيع الاول/ سنة ٤٢٦هـ /١٠٣٥م

(١٦٣) تاريخ البيهق ص ١٣ ، وانظر عن حياة محمود الغزنوي :
الكامل في التاريخ جـ ٧ ص ١٦٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٩

السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ ٥ ص ٣١٤ ـ ٣٢٧ (طبعة مصر ١٩٦٧)
عبدالمنعم النمر ، تاريخ الاسلام في الهند ص ٨٠ ـ ٩٧

(١٦٤) أرخ البعض قبة محمود بسنة وفاته ٤٢١هـ ، وهذا غير صحيح ، انظر : الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ، لوحة رقم (٨) .
كما أرخها ديماند بفترة حكم محمود الغزنوي (٣٨٩ ـ ٤٢١هـ /٩٩٩ ـ ١٠٣٠م) وهذا ايضاً غير صواب . انظر :
الفنون الاسلامية ص ٩٧

(١٦٥) تاريخ البيهق ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

(١٦٦) المنجد : بيمارستان نور الدين ص ٢٤
عبدالعزيز حميد ، ((عمارة الاربعين في تكريت)) مجلة سومر (١٩٦٥) هامش رقم (١٩) ص ١٣٠

(١٦٧) عادل عبو ((القباب البرجية المقرنصة)) مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد الثاني ، ص ٦١

(١٦٨) النقشبندي ، تقرير عن مشهد الشمس ، (اضبارة مديرية الاثار العامة برقم ٤٢/١٣٩) .
واسماها البعض بالمخروط الصنوبري ، انظر
Costa and Lochart, Persia, P. 42.

(١٦٩) انظر ص ٨٥ من الكتاب

)071(LoftusÆ CHaldaea and SusianaÆ p. 53.

رؤوس وحوافر الحيوانات ، لابل ورؤوس البشر ايضا ، معينا لا ينضب من الخيال ، روى ابن الفقيه الهمداني[١٧١]، ان سابور بن اردشير بنى في همذان ذات الحوافر «وهي منارة عظيمة مبنية من حوافر حمر الوحش مسمرة بمسامير حديد»[١٧٢] والسبب الذي حداه الى ذلك ، هو ان هذه الحمر الوحشية كانت قد أذته كثيرا . فقال لاتباعه «من اراد كرامتي فليصد لي منها ما امكن لاني من حوافرها بنيانا يبقى ذكره لنا على غابر الدهر وعلى مر الليالي والايام فتفرق الناس في صيدها فصيد منها ما لايحصى كثرة ثم امر بقطع ايديها وارجلها واخذ حوافرها واحضر البنائين فبنوا له منارة عظيمة تكون ثلثين ذراعا في عرض عشرين ذراعا وبناها مصمتة بالكلس والحجارة ثم ركب فيها الحوافر وسمر بمسامير حديد فصارت كأنها منارة من حوافر ... فالمنارة باقية الى يومنا هذا»[١٧٣].

وفي سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م ، بنى السلطان ملك شاه بن الب ارسلان منارة من قرون الظباء وحوافر الحمر الوحشية في ناحية الكوفة ، قيل ان فيها اربعة آلاف رأس ، فعرفت باسم منارة القرون[١٧٤] ، ويعقب ياقوت الحموي على عمل ملك شاه هذا قائلا «كأنه اقتدى بسابور في ذلك»[١٧٥].

يقول ابن جبير واصفا لها حيث شاهدها يوم الخميس ، ٢٧ / محرم / سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م «وهي منارة في بيداء من الارض لابناء حولها قد قامت في الارض كأنها عمود مخروط من الآجر قد تداخل فيها من الخواتيم الآجرية مثمنة ومربعة اشكال بديعة ومن غريب امرها انها مجللة كلها قرون غزلان مثبتة فيها فتلوح كظهر الشيهم وللناس فيها خبر يمنع ضعف سنده من اثباته»[١٧٦].

ومهما يكن من امر ، فان اي عنصر مها كان لا ينمو ويزدهر الا بعد مراحل عدة يجتازها ، يبدأ بسيطا ساذجا ، ولكن له جذوراً تنبع من المحيط الذي بدأ فيه والجماعة التي ظهر فيها ، ثم يأخذ في النمو والتطور ومن ثم التعقد ، بحيث يبلغ الكمال او يكاد ان يقاربه ، ان وجد بطبيعة الحال من يأخذ به ويرعاه ، حتى تكون شقة الخلاف بين بداية ظهوره وبين ما بلغه شاسعة ، ثم يعود ليمر بمراحل الانحطاط التدريجي ، ومن ثم الافول والسقوط ، ليحل محله غيره القادر على الصمود ، هذه هي سنة الحياة وطبيعتها ، تنطبق على كل شيء .

والقبة المخروطة المقرنصة لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تكون قبة مشهد امام الدور ، التي بدأ العمل بها قبل سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م اول نماذجها ، وان كانت اقدم ما بقي ، ليس في العراق فحسب بل وفي المنطقة التي ساد فيها هذا الطراز وانتشر باسرها ، ورغم كون عدد طبقاتها اقل بكثير من عدد طبقات القباب التي تلتها ، ذلك انها بلغت من الجمال الفني والمعماري المبلغ الذي لا نلحظه في كثير من القباب التي تلتها .

واعتقد ان هناك نماذج سبقت قبة امام الدور ، غير انها درست وذهبت ادراج الرياح بفعل التقادم وعوامل اخرى عديدة ، سبق ان تكلمنا عنها .

ويبدو لي ان القبة المشيدة على قبر الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ، من قبل شرف الملك ابي سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي

---

(١٧١) اختلفت الاقوال حول تاريخ وفاة ابن الفقيه الهمداني احمد بن محمد بن اسحاق ، ففي الوقت الذي يرى عمر رضا كحالة انه توفي سنة ٣٦٥هـ /٩٧٥م ، انظر ، معجم المؤلفين ج ٢ ص ٨٠ - ٨١
نلاحظ غيره يعتبره من علماء أواخر القرن الثالث الهجري ، وان مصنفه هذا قد الفه سنة ٢٧٩هـ /٨٩٢م ، انظر ،
اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٢٠٦
(١٧٢) مختصر كتاب البلدان ص ٢٤٧ - ٢٤٨
(١٧٣) ن . م . ص ٢٥٠ ، وانظر ص ٢٥١
(١٧٤) انظر ، رحلة ابن جبير ص ١٩٦
المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٩ ص ٣٥ ، ٧٠
معجم البلدان ج ٥ ص ٢٠١
راحة الصدور وآية السرور ص ٢٠٦
(١٧٥) معجم البلدان ج ٥ ص ٢٠١
(١٧٦) رحلة ابن جبير ص ١٩٦
وعن القباب والمنارات المعمولة من رؤوس البشر ، انظر
ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١١٨
المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ١٢٣
معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠٤
الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٥
الحوادث الجامعة ص ٤٥٢

السلطنة السلجوقية سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م(١٧٧) من نوع القباب المخروطة هذه(١٧٨) . فقد وصفها بعض المؤرخين بانها «قبة عالية عظيمة»(١٧٩) والمعروف ان الكتاب العرب غالبا ما ينعتون القباب المخروطة بالقباب العالية . ولعل ابلغ دليل على ذلك هو استبدال ابن عبد الحق البغدادي عبارة «القبة المخروطة»(١٨٠) الواردة في معجم ياقوت بالقبة العالية(١٨١) . كما ان الرحالة ابن جبير شاهدها ابان زيارته لبغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، فقال عنها «قبة بيضاء سامية في الهواء»(١٨٢) . والقباب المخروطة هي القباب الوحيدة التي تجتمع فيها صفتا الارتفاع الشاهق ، وكونها تكسى عادة بمادة الجص البيضاء .

ومما يؤسف له ان هذه القبة قد هدمت في سنة ٩٤١هـ /١٥٣٤م بأمر السلطان سليمان القانوني وشيدت اخرى غيرها(١٨٣).

ويبدو ان قبة ابي حنيفة التي شادها مستوفي سلطنة آل سلجوق سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م ، كانت اول قبة تبنى على قبر في بغداد تحت ظل نفوذ السلاجقة ، الذي بدأ فعليا منذ منتصف القرن الخامس للهجرة ، وتحت اشرافهم ، والامر الذي اود ان الفت النظر اليه هو : انه لم يكن في نية شرف الملك ابي سعد بناء القبة على قبر ابي حنيفة قبل وصوله بغداد ، الا انه عندما حل فيها «وجد نواب نظام الملك الوزير قد شرعوا في بناء المدرسة فاغتنم اقداره على الاقتداء وبنى على ضريح ابي حنيفة رحمه الله بباب الطاق مشهدا ومدرسة لاصحابه»(١٨٤) فكان «القطاعين والمهندسين»(١٨٥) الذين استخدمهم في بناء القبة من اهل بغداد ، وبناء على ذلك فانه من الحيف تسمية هذا الطراز ، بالطراز السلجوقي ، والاولى تسميته بالطراز العراقي في العصر السلجوقي .

ذلك ان السلاجقة لم يكن لهم اي اثر في العمارة العربية الاسلامية ، سوى رعايتهم لها .

وفي ذات السنة التي شيدت فيها القبة على قبر ابي حنيفة ، احترقت تربة معروف الكرخي وامتدت النار «الى السقوف فأتت على الكل فاحترقت القبة والساباط وجميع ما كان»(١٨٦) . فأمر الخليفة القائم بامر الله شيخ الشيوخ ابا سعد الصوفي عمارة التربة(١٨٧). فاكتملت في ربيع الاول سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م(١٨٨). حيث «عقد مشهده آزاجا بالجص والاجر» .(١٨٩)

وعلى الرغم من غموض النص وعدم توضحه ، فانه ربما قصد منه قبة مخروطة من النوع المقرنص ، ذلك ان المقصود بالمشهد هنا فيما ارى قبة فقط ، والازج : ضرب من الابنية التي تستطيل عموديا(١٩٠) . وفي سنة ٥٦١

(١٧٧) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص ٢٤٥
الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٠٥
مرآة الزمان ص ١٣٤
وفيات الاعيان ج ٥ ص ٤٦ ـ ٤٧
تاريخ دولة آل سلجوق ص ٣١ ـ ٣٢
اخبار الدولة السلجوقية ص ٦٩
العبر في خبر من غبر ج ٣ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥
البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٥

(١٧٨) مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد ، مجلة سومر ، (١٩٤٧) ج ١ ص ٣٩
الاعظمي ، تاريخ جامع الامام الاعظم ج ١ ص ٢٨

(١٧٩) مرآة الزمان ص ١٣٤
تاريخ الاسلام (مخطوط) ج ٩ ص ٢٨٢

(١٨٠) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٧٦

(١٨١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ج ٢ ص ٥١٢

(١٨٢) رحلة ابن جبير ص ٢١٣

(١٨٣) عيون اخبار الاعيان ممن مضى في سالف العصور والازمان ق ٣ ص ٣٦

(١٨٤) تاريخ دولة آل سلجوق ص ٣١

(١٨٥) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص ٢٤٥

(١٨٦) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص ٢٤٦ ، وانظر :
الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٠٥
البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٥

(١٨٧) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٤٤

(١٨٨) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص ٢٤٨/

(١٨٩) ن ـ م .

(١٩٠) الازج : البيت يبنى طولا ، وازجه تأزيجا : بناه وطوله ، وازج العشب :
طال ، مما يدل على ان الطول مقصود منه الارتفاع العمودي ، انظر :
لسان العرب ج ٢ ص ٢٠٨
تاج العروس ج ٥ ص ٤٠٥

هـ/ ١١٦٥ م توفي الشيخ عبد القادر الجيلي «ودفن بمدرسته في بلدة بغداد وبني على قبره ميل ولما جاء السلطان سليمان الى بغداد هدم الميل وبنى عليه قبة شاهقة» .[١٩١]

السلاجقة

السلاجقة بطن من بطون قبيلة الغز التركية ، استمدوا تسميتهم من اسم مقدم عشيرتهم سلجوق بن دقاق[١٩٢]، الذي «جمع عشيرته ومن تبعه وحالفهم ، واستجلب من اطاعه ، وصار قائدا معظما للغز ، ونفر بهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين . فلما دخلها اظهر الاسلام ، ليكون المسلمون عونا له وليمكنوه من المراعي والمساكن»[١٩٣]

وفي القرن الخامس للهجرة تعاظمت قوة السلاجقة ، وبدأ نفوذهم السياسي والعسكري يتسع ويمتد ، فوصل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان ، سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م ، حيث دخلها السلطان طغرلبك[١٩٤]، معلنا نهاية تحكم آل بويه بخلافة بني العباس ، واصبحت الخلافة تتفيأ بظلال السلاجقة ، وظل الخليفة اسما ورمزا ، كما كان ايام بني بويه .

والسؤال هنا هو : ما مدى تقدم السلاجقة وتحضرهم ، وهل انهم حقا اثروا في الحضارة العربية الاسلامية ، وادخلوا طرازا جديدا في العمارة والفن ، بحيث يسمى كما يحلو للبعض تسميته بالطراز السلجوقي ؟

السلاجقة كانوا بدوا رحلا يتنقلون وراء الكلأ والماء ، او بعبارة اخرى وراء معاش ماشيتهم[١٩٥]، واعتناقهم الاسلام ، ودخولهم دياره ، ان هو الا ليكون المسلمون عونا لهم ، وليمكنوهم من «المراعي والمساكن»[١٩٦]، ومما يؤثر عن طغرلبك عند دخوله نيسابور سنة ٤٣١هـ /١٠٣٩م ، انه «رأى لوزينجا فأكله وقال هذا قطاج طيب الا انه لا ثوم فيه»[١٩٧]، وشاهد السلاجقة في نيسابور «الكافور فظنوه ملحا وقالوا هذا ملح مرو ونقل عنهم اشياء من هذا كثير» .[١٩٨]

وتعجب تمارا رايس من منهب الكثير من الكتاب الى ان السلاجقة ماهم الا «جماعة بربرية شبه بدوية يكمن السبب الرئيسي لشهرتها في الخراب الذي زرعوه في آسيا الصغرى»[١٩٩]، غير انهم مالبثوا بعد ان احكموا سيطرتهم على ايران ان حاولوا التكيف للمجتمع الجديد الذي لم يألفوه ، وسرعان ما اصبح عصرهم من ازهى عصور الحضارة الاسلامية في ايران ، لان «الاتراك البدو الاميين سرعان ما وضعوا الفرس في المناصب الرئيسية وانقلبوا هم انفسهم الى رعاة وحماة للعلوم والفنون» ،[٢٠٠] ولم يكن سلاطينهم قد اصابوا شيئا من العلم ، لكنهم «اوتوا القدرة على تقدير قيمة ما حرموا منه»[٢٠١] واستطاعوا «في شيء كثير من البراعة وبعد النظر ان يستغلوا مزايا الحضارة العربية الفارسية ويصطنعونها لمنفعتهم»[٢٠٢]، اما في ميدان العمارة والفن ، فيقول كونل «لكن العنصر التركي نفسه لم يكن في هذا النشاط خلاقا الا في القليل النادر ، بل كان يكتفي بتشجيع القوى الوطنية»[٢٠٣] ويقول الدكتور زكي محمد حسن «كان الامراء السلاجقة يشملون الفنون برعايتهم في آسيا الصغرى والعراق وايران ، ولكن العنصر التركي الذي ينتمون اليه لم يظهر تأثيره في العمائر والتحف الفنية في عصرهم»[٢٠٤]، اما التطور

---

(١٩١) عيون اخبار الاعيان ممن مضى في سالف العصور والازمان (مخطوط) ق ٢، ص ٢١١

(١٩٢) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٢

(١٩٣) تاريخ الدول الاسلامية ص ٢٩٢

(١٩٤) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٧١

(١٩٥) راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٥٣ تارخ دولة آل سلجوق ص ٥

(١٩٦) تاريخ الدول الاسلامية ص ٢٩٢

(١٩٧) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٦

(١٩٨) ن . م .

(١٩٩) السلاجقة ص ١٣ ، وانظر عن همجية السلاجقة وما الحقوه بايران من خراب ودمار :

الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٣٧ - ٣٤٣

عبدالنعيم محمد حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص ١٨ - ٢١

المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ٣٩٢ وما بعدها غرابية ، العرب والاتراك ص ٧٥ وما بعدها

(٢٠٠) ترك مذاهبهم وحضرهم ص ٥٩

(٢٠١) «السلاجقة» دائرة المعارف الاسلامية م ١٢ ص ٢٩

(٢٠٢) ن . م . ص ٣٠

(٢٠٣) الفن الاسلامي ص ٥٨

(٢٠٤) فنون الاسلام ص ٨٦

الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ص ١٨

وانظر ، الدكتور عيسى سلمان ، الواسطي يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخرف ص ٥٢

الذي حصل في اساليب الزخرفة ورسوم الموضوعات الادمية فكان على ايدي رجال الفن الذين استخدمهم السلاجقة في الاقاليم الخاضعة لهم[٢٠٥].

وبعد كل ما تقدم نرى كثيرا من الباحثين يسمون طراز القبة المخروطة بالطراز السلجوقي . يقول الدكتور زكي محمد حسن «واقدم هذه الابراج في العصر السلجوقي جنبد قابوس في اقليم جرجان»[٢٠٦] في حين ان قبة قابوس سابقة على ظهور السلاجقة ، وهي مؤرخة بسنة ٣٩٧هـ /١٠٠٦م ، والسلاجقة في هذه الفترة لم يكن لهم اي تاثير ، فهم يحاولون التودد الى الغزنويين لايجاد موطىء قدم لهم ، والدولة الغزنوية هي الدولة القوية المهيمنة من النواحي السياسية والعسكرية وحتى الفنية في اقليم خراسان وما يجاورها . ويرى الدكتور كمال الدين سامح ان القباب التي تشاد على الاضرحة دخلت العراق مع دخول السلاجقة[٢٠٧] وهذا غير صحيح ، كما ويذهب الدكتور عبدالعزيز حميد الى ان القباب المفردة نادرا ما كانت تشاد قبل دخول السلاجقة ايران والعراق ، والمثال الوحيد الذي يسبق السلاجقة في نظره ، هو قبة الصليبية .[٢٠٨]

وهذا الرأي غير صحيح ايضاً ، اذ سبق لنا ان ذكرنا عدة قباب شيدت بالعراق في القرنين الثاني والثالث الهجريين[٢٠٩] ، وهناك اشارات تاريخية كثيرة تشير الى بناء القباب على القبور في الفترة السابقة على دخول السلاجقة ، اما في ايران فيكفي ان نذكر الدكتور عبدالعزيز حميد بما هو شاخص حتى يومنا هذا كالقبة المنسوبة الى اسماعيل الساماني ، وقبة قابوس بن وشمكير وقبتي محمود وابنه مسعود الغزنوي .

وخلاصة ما اراه ، ان السلاجقة ما هم الا جماعة غايتهم السيطرة وبسط النفوذ من الناحيتين العسكرية والسياسية . ولم يكن لهم في مجال الحضارة لاسيما العمارة والفن اي تاثير سواء في ايران او العراق ، ذلك ان فاقد الشيء لا يعطي ، وانه يتأثر ولا يؤثر ، والحضارة العربية الاسلامية في الفترة التي تسلموا فيها مقاليد الحكم كانت قد بلغت شأوا بعيدا من حيث التقدم والرقي والازدهار ، وما لا يمكن انكاره على السلاجقة من فضل ، هو انهم رعوا هذه الحضارة وساعدوا على تقدمها وازدهارها .

انتشار القبة المخروطة المقرنصة

انتشر طراز القبة المخروطة المقرنصة ، في مناطق واسعة ، يدل على ذلك اماكن وجودها ، واقليم العراق يعد من اكثر المناطق احتواءا لمثل هذا النوع من القباب ، ونماذجه الشاخصة تكاد تكون متسلسلة ، من حيث تاريخها ومراحل تطورها ، اعتبارا من القرن الخامس وحتى الثامن الهجريين ، ابتداءا بقبة امام الدور وانتهاءا بقبة الشيخ عمر السهروردي ، ولا خلاف حول موطن ظهور هذا الطراز ، فهرتسفلد يراه وسط وجنوب العراق[٢١٠]، في حين يرى عادل عبو ان وسط العراق[٢١١] هو موطن نشأة طراز القبة المخروطة المقرنصة .

والذي اراه ان هذا الطراز نشأ وتطور في اقليم العراق وفي بغداد بالذات ، ذلك ان بغداد تعد حاضرة العالم الاسلامي ، وما من طراز يظهر الا وبغداد هي السباقة اليه ، واول قبة من هذا النوع وردنا خبر بنائها على قبر ، هي قبة ابي حنيفة التي شادها المعماريون البغادة سنة ٤٥٩هـ /١٠٦٧م ، ولا تزال بغداد تحتوي على قبتين مقرنصتين ، هما قبتا زمرد خاتون والسهروردي بين القرنين السادس والثامن الهجريين ، وخلال تلك الفترة وقبلها ، شيدت قباب كثيرة على غرارهما فعندما زارها مطراقي زادة في القرن العاشر الهجري ، كان فيها حوالي خمس عشرة قبة من هذا

(٢٠٥) ديماند ، الفنون الاسلامية ص ٩٦ ـ ٩٧

(٢٠٦) فنون الاسلام ص ٨٨ .

(٢٠٧) «تطور القبة في العمارة الاسلامية» مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٥٠ ، م ١٢ ج ١ ، ص ٢٥

(٢٠٨) «عمارة الاربعين في تكريت» مجلة سومر (١٩٦٥) هامش رقم (١٨) ص ١٣٠ .

(٢٠٩) انظر ص ٨١ من الكتاب

(٢١٠) Herzfeld, Op. Cit., P.37

(٢١١) «القباب البرجية المقرنصة» مجلة بين النهرين (١٩٧٤) العدد الثاني ص ٧٤ .

النوع .[211]

ومن بغداد انتقل هذا الطراز ليشمل مدن اقليم العراق ، ففي الدور تقوم قبة امام الدور التي تعد اقدم وابسط نماذج هذا النوع من القباب ، وقد رجحنا انتقال معارها الى ايران حيث شاد مزار حمزة سبزيوش[213]، وقبة مشهد الشمس في الحلة ، وقبة ذي الكفل في الكفل ، وفي منطقة شط النيل قبتا البقلي والنجمي ، وفي بعقوبة قبة علي بن ادريس ، وقبة الحسن البصري في البصرة ، وبذلك يكون اقليم العراق من اكثر الاقاليم الحاوية لهذا النوع من القباب ، حيث بلغت تسعة .

ومن اقليم العراق انتقل طراز القبة المخروطة الى اقليم الجزيرة ، نجده ممثلا في قبة داقوق على مقربة من كركوك ، وفي الموصل ، في القباب الداخلية للجامع النوري التي هدمتها الاوقاف ، ومشهد عون الدين بن الحسن ، ومشهد يحيى بن القاسم ، وفي قباب حديثة الفرات .

وانتقل هذا الطراز الى الخليج العربي ، نلحظه متمثلا في قبة امام زاده محمد بجزيرة الكرخ (انظر صورة رقم ٦٣) المؤرخة بسنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م [214]. وامتد طراز القبة المخروطة المقرنصة الى ايران ، فقبة الشيخ عبد الصمد الاصفهاني الداخلية المؤرخة بسنة ٧٠٧هـ /١٣٠٧م ، من هذا النوع (انظر صورة رقم ٦٤و٦٥) محمولة على بدن مربع قياساته ٥,٩٠م ، تحمل كتابات تذكارية ، نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله . هذه القبة المشرفة مزار الشيخ الرباني نور الملة والدين عبدالصمد ابن علي الاصفهاني المقيم بنطنزا . امر ببنائها الصاحب الاعظم زين الدنيا والدين خليفة الماستري في سبع وسبعمائة»[215].

وفي جنوب ايران قبة بابا منير (انظر صورة رقم ٦٦) المؤرخة بسنة ٨٩٥هـ /١٤٩٠م ، من هذا النوع من القباب[216]، وفي سوسه قبة النبي دانيال ، (انظر صورة رقم ٦٧) ، وهي عبارة عن «برج شبيه بقمع السكر يعلو المسجد وينتهي بقبة هرمية حادة الطرف يتوجها هلال»[217]، وهي تتألف من اكثر من عشرين صفا من صفوف المقرنصات ، غير انها متأخرة في بنائها على القباب السالفة .

والى سورية انتقل طراز القبة المخروطة المقرنصة ، نجده ممثلا في قبتين ما زالتا قائمتين في دمشق ، الاولى تقوم فوق مدخل البيمارستان النوري ، الذي شيده نور الدين زنكي سنة ٥٤٩هـ /١١٥٤م ، عند دخوله دمشق ، وهو يعد اول بناء له[218]، والثانية قبة المدرسة النورية ، حيث تقوم على ضريح نور الدين زنكي[219] المتوفى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م ، فعند وفاته «دفن بالقلعة ثم نقل الى تربة تجاور مدرسته التي بناها لاصحاب ابي حنيفة بجوار الخواصين ... وقبره بها يزار ويخلق شباكه ويطيب»[220].

وتعلوا مدخل المدرسة كتابة تذكارية نصها :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشا [ء] هذه المدرسة المباركة الملك العادل الزاهد نور الدين ابو القاسم محمود بن زنكي بن اق سنقر .

٢ ـ ضاعف الله ثوابه ووقفها على اصحاب الامام سراج الامة ابي حنيفة رضي الله عنه ووقف عليها وعلى الفقهاء والمتفقهة .

٣ ـ بها جميع الحمام المستجد بسوق القمح والحمامين المستجدين بالوراقة في باب السلامة والدار المجاورة لها والوراقة بعوضة الحمى وجزه .

٤ ـ الوزير والنصف والربع من بستان الجوزة بالارزة والاحد والعشرين حانوتا خارج باب الجابية والساحة الملاصقة لها من .

---

(٢١٢) انظر صورة بغداد لمطراقي زاده في : كليان هور ، خطط بغداد ، مقابل ص ١١

(٢١٣) انظر ص ٥٠ من الكتاب

(٢١٤) مصطفوي ، اقليم بارس ص ١٤٤

وارجعها هرتسفلد الى حدود سنة ٧٠٠هـ بينما هي مؤرخة ، انظر :

Herzfeld, Op. Cit., P. 30

(٢١٥) ادارة كل عتيقات «قبة الشيخ عبدالصمد الاصفهاني» مجلة اثار ايران ، (١٣١٤ شمسي) جلد اول ، ص ٤٠ ـ ٤١

(216) Herzfeld, Op. Cit., P. 31.

(٢١٧) سترك «السوس» دائرة المعارف الاسلامية م ١٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥

(٢١٨) المنجد ، بيمارستان نور الدين ص ٢٤ ـ ٢٥

(٢١٩) الريحاوي ، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية ص ١١٦

(٢٢٠) قاضي شهبه ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ص ٢٢٩ ، وانظر مرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٢١

٥ ـ الشرق والتسعة الحقـول بداريا على مانص وشرط في كتب الوقف رغبة في الاجر والثواب وتقـدمة بين يديه يوم الحساب فمن .

٦ ـ بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وذلك في مدة اخرها شعبان سنة سبع وستين وخمس ماية"[٢٢١].

وهذا الطراز حمله نور الدين معـه من العـراق[٢٢٢]، ولا نظير لهاتين القبتين في كل المباني التاريخية في سورية[٢٢٣] (انظر صورة رقم ٦٢،٦١) .

مراحل تطور القبة المخروطة المقرنصة

اذا مااستعرضنا قباب اقليم العراق المخروطة المقرنصة ، نلاحـظ حـدوث تطورات كبيرة من قبة الى اخـرى ، وهذه المراحل هي :

المرحلة الاولى :

وتتمثل بقبة امام الدور ، التي تميزت بكونهـا اقدم وابسـط نماذج هذا النوع من القباب ، نجـد ان المعمار قد اعتمد في بنائها على تقسيم الكتلة الى خمس طبقات ، قاعدة منشورية مثمنة تميزت بعلو ارتفاعها ، حيث لا نلحـظ مثل هذا الارتفاع في كل قواعد القباب الاخـرى ، تعقبها ثلاثة منشورات مثمنة ايضا ، تتوسط كل ضلع من اضلاعها حنية كبيرة نسبيا ، مقعرة من الداخل ، ومحدبة من الخـارج ، اما الطبقة الخامسة فقمة القبة على هيئة قبة نصف كروية .

والذي اراه ان القصـد من الحنايا جمالي بحت ، اذ ان ارتكاز الثقل يكون على المنشورات المثمنة ، وتقسيم الكتلة التي تستطيل عموديا على شكل طبقـات تتضـاءل احجـامها وتتقلص كلما تقدمت بالارتفاع ، ليست بالفكرة الغريبة على معمار وادي الرافدين حيث نجـدها ممثلة خـير تمثيل في الزقورات ، كما نلاحظها في ملوية جامع سـامراء الكبير وفي ملوية مسجد المتوكلية الجـامع المعروف بابي دلف ، غير ان هذه الابنية صلدة .

اما من الداخل فقد تألفت القبة من خمسـة صـفوف . كل صـف يتألف من ثمانية مقـرنصات ، وهذا امر طبيعـي ، ذلك ان البدن الحـامل لهـا مربع الشكل ، فحـول الى مثمن بواسطة مقرنصات منطقة الانتقال ، لكي يكون السطح ملائما لارتكاز الحـواف السـفلى للقبة ، واستمرت صـفوف القبة الخمسـة بنفس عدد المقرنصات ، ولتضـييق الفتحـة لاغلاقها ، قلص في حجم المقرنصات كلما تقدم بهـا نحـو الاعلى ، وبالتبعية ، تقلصت حجوم الصفوف واخذت بالميل نحو الداخل .

والخـلاصة ان المعمار اعتمد في تجـزئة الكتلة على المنشورات المثمنة التي تطغى على الحنايا ، واسـتطاع من ان يزيد في ارتفـاع القبة بواسـطة الطبقـات ، حيث اصـبح ارتفاعها في قبة امام الدور ما يقارب ثلثي ارتفاع بدنها .

المرحلة الثانية :

والمرحلة اللاحقـة بقبة امام الدور نلاحـظها في قبة زمرد خاتون ، ويبدو ان بين هاتين القبتين مرحلة على اقل تقدير ، ذلك ان الفـاصل الزمني بينهما يزيد على قرن من السـنين علاوة على التطور الكبير الحـاصل في قبة زمرد خـاتون على قبة امام الدور .

فقبة زمرد خاتون تألفت من عشرة صفوف ، اعتمت فيها على المقرنصات او الحنايا ، بحيث لم يعد للمنشـورات اي دور ، حيث تجـزأ كل صـف الى سـتة عشر مقرنصا ، يفصل بين واحد وآخر نصف منشـور رباعي ، والثقل هنا يرتكز على الحنايا ، بحيث اصـبحت تؤدي غرضـا عماريا علاوة على اكسابها القبة مظهرا جماليا اخاذا . وبما ان البدن الحامل للقبة مثمن ، فأن عمل مقرنصات منطقة الانتقال هو الانتقال به الى سـطح ذي ستة عشر رأسـا ، ولما كان عدد مقرنصات كل صف ستة عشر ، اذا لابد من تدرج طبيعي وبطيء لاغلاق فتحة القبة ، فكانت الصفوف السـبعة الاولى ، يتألف كل صف فيها من ستة عشر ، قلص المعمار في احجامها بغية تضييق الفتحة ، وفي الصـف الثامن قلص

(٢٢١) عند زيارتي للمدرسة النورية في دمشق بتاريخ ١٩٧٩/٩/٢ تمت بقراءة هذه الكتابة التذكارية .

(٢٢٢) بيارستان نور الدين ص ٢٤ ـ ٢٥

(٢٢٣) مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية ص ١١٦

في عددها فاصبحت ثمانية ، واستمر الى العاشر حيث يكون بمثابة قمة مضلعة للقبة .

وتجزئة الصف الى عدد اكبر من المقرنصات ، نتج عنه زيادة في عدد صفوف القبة ، بحيث ادى الى ارتفاع القبة اكثر من سالفتها ، فاصبحت هنا حوالي ١٣،ـم ، بينما البدن الحامل لها ٨،٥م .

اما قبة الحسن البصري التي جزئت صفوفها الى ستة عشر مقرنصا ، مثلها في ذلك مثل قبة زمرد خاتون ، غير ان مقرنصات قبة الحسن لم يكن لها اي تأثير عماري ، اذ قصد منها غرض جمالي بحت ، ذلك ان صفوفها الداخلية لا تتطابق مع الخارجية ، فالخارجية ستة بينما الداخلية احد عشر صفا ، ويبدو لي ان القبة شيدت ملساء كمرحلة اولية ، ثم عملت عليها صفوف الحنايا من الداخل والخارج لغرض الزينة ، ومع ذلك فان ارتفاع القبة حوالي ١٠م ، بينما البدن الحامل لها ٣،٢٠م وبذلك يكون ارتفاع القبة ثلاثة امثال ارتفاع البدن .

المرحلة الثالثة :

وفي هذه المرحلة زاد المعمار في تجزئة صفوف المقرنصات ، فاصبح الصف يتألف من ٢٤ مقرنصا ، وتتمثل هذه المرحلة في قبتي مشهد الشمس والبقلي ، وقبة البقلي سقطت ، غير انه بقي منها البدن وقاعدة القبة وصف من صفوف غطائها (انظر صورة رقم ٦٨) ويتألف هذا الصف من ٢٤ مقرنصا (انظر صورة ٧٠) وهذه القبة تقع الى الجنوب الشرقي من بلد الروز وعلى بعد حوالي ٤٠ كم[٢٢٤]، وتعرف بالبجلي واظنها تحريف للبقلي ، وربما كانت هي القبة التي ورد ذكرها في حوادث سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ، حيث يقول صاحب الحوادث «في شهر رمضان من هذه السنة ظهر في سواد الحلة رجل يعرف بابي صالح ادعى انه نائب صاحب الزمان ... قصد قبة الشيخ ابن البقلي بناحية النجمية من قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ونهب اموال اهل الناحية»[٢٢٥]، وقوسان كما يقول ياقوت «كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط»[٢٢٦]، اما النجمية فتصحيف لكلمة النجيمة وهي قرية من نواحي النيل[٢٢٧].

ومنهم من ذهب الى ان البجلي هو محمد البقلي اليماني [٢٢٨]. يقول البندنيجي معقبا على ما ذهب اليه مرتضى زاده من ان مرقد هذا الشيخ قرب قرية بهرز[٢٢٩] ((لم يكن قرب تلك القرية مشهد اشتهر بين سكان تلك القرية باسم الشيخ احمد المذكوربل قرب بلد الروز وهي قرية من قرى بغداد ايضا مشهد وقع على نهر تلك القرية واشتهر بين عربانها بالبجلي والظن الغالب ان الشيخ البقلي المذكور هو هذا)) .[٢٣٠]

والحقيقة ان محمد البقلي كان من اصحاب الشيخ علي بن ادريس المدفون قرب قرية بهرز ، غير اننا لا نعرف عن الشيخ البقلي هذ شيئا ، خصوصا تاريخ وفاته وموضع دفنه ، وحتى اسمه مختلف فيه فهو يسمى احمد ومحمد .

اما قبة مشهد الشمس فالبدن الحامل لها ذو تخطيط مثمن ، يحف بكل ضلع من اضلاعه الداخلية دعامتان ، بحيث اصبحت منطقة الانتقال اكثر تهيوءا لاستقبال صفوف غطاء القبة المؤلف كل صف من صفوفها التسعة الاولى من ٢٤ مقرنصا ، غير ان صفوف القبة الداخلية لا تتطابق مع الخارجية ، وأن الغرض من تجزئة الصفوف جمالي اكثر مما هو عماري .

المرحلة الرابعة :

وتتمثل هذه المرحلة في قبتي علي بن ادريس في بعقوبة والنجمي في منطقة شط النيل ، وعلى الرغم من سقوط هاتين القبتين ، الا انه يمكن تبين كون صفوف غطائها قد اعتمدت على تجزئتها الى ٣٢ مقرنصا .

---

(٢٢٤) القباب العباسية في العراق ص ١٣٧
(٢٢٥) الحوادث الجامعة ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠
(٢٢٦) معجم البلدان جـ ٤ ص ٤١٣
(٢٢٧) مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٣٦١
(٢٢٨) القباب العباسية في العراق ص ١٤١ ـ ١٤٢
(٢٢٩) جامع الانوار في مناقب الاخيار (مخطوط) ص ٢٨١ ، وانظر نفس المخطوط بعنوان مقابر ، تراجم الوجوه والاعيان ص ٦٠٠
(٢٣٠) ن . م .

تقع القبة المسماة حاليا بمقام ابي ادريس على يمين الطريق الخارج من بعقوبة ، والواصل بينها وبين قرية بهرز ، في منتصفه ، وهي ما كانت تعرف ايام علي بن ادريس بالروحاء .[٢٣١]

وابو ادريس هو الشيخ الزاهد العابد ابو الحسن وقيل ابو محمد علي بن ابي بكر بن ادريس الادريسي الروحائي المعروف باليعقوبي ،[٢٣٢] يقول الذهبي عنه ((سيد زاهد عابد رباني متأله بعيد الصيت))[٢٣٣] صاحب جمعا من العلماء والصالحين ، كالشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ علي بن احمد بن ابي نصر الهيتي وغيرهما .[٢٣٤]

وفي سلخ ذي القعدة سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، توفي الشيخ علي بن ادريس ((ودفن من الغد في رباطه))[٢٣٥]

وفي سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م ، توفي الشيخ نجم الدين احمد بن القش شيخ رباطي جهير وعلي بن ادريس ((ودفن تحت اقدام الشيخ علي بن ادريس واوصى بعده في مشيخة الرباطين الى الشيخ عفيف الدين عبد الرحمن بن النجح الباجسري))[٢٣٦]

ويبدو ان هذه القبة التي كانت في الاصل موضع رباط الشيخ ابن ادريس ، اصبحت ملحقة او مجاورة للرباط الذي شيد بعد وفاته وظل يحمل اسمه .

اختلف الباحثون في تاريخ القبة ، فالدكتور مصطفى جواد يرى انها شيدت في خلافة المستنصر بالله[٢٣٧] ((٦٢٣ - ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م) ، بينما يربط السيد عادل عبو بين سنة وفاة الشيخ ابن ادريس وبين تاريخ البناء ، ويذهب الى ان بناءها ان لم يكن في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، فانه قبلها وليس بعدها .[٢٣٨]

والذي اراه ان بناء مثل هذه القبة في حياة الشيخ علي بن ادريس امر غير معقول ، اذ انه يتنافى واهداف الشيخ وغاياته في الزهد والتقشف والبعد عن مباهج الحياة الدنيا وزينتها ، وقباب الاولياء والصالحين جرت العادة في تشييدها على قبورهم بعد مماتهم ، من قبل مريديهم واتباعهم ، وربما من قبل اصحاب السلطة والنفوذ لكسب العامة والتقرب اليها ، اما راى الدكتور مصطفى جواد فليس هناك نص يسنده ، وربما كان بناء القبة بعيد وفاة ابن ادريس بقليل .

لم يتبق من القبة سوى البدن الحامل لها (انظر صورة رقم ٧١) ، ومقرنصات منطقة انتقالها ذات الصفوف الثلاث ، غير ان الصف الثالث تساقطت اجزاء منه . البدن ذو تخطيط مربع تقريبا ، قياساته من الخارج بين ١٣٫٨٠ - ١٤ م ومن الداخل بين ١٠٫١٠ - ١٠٫٢٥ م ، وارتفاعه حوالي ٨ م وسمك جدرانه ١٫٨٠ م .

يدخل الى غرفة الضريح بواسطة مدخل (انظر صورة رقم ٧٢) يتوسط الجدار الشمالي .

يواجه الداخل ضريح الشيخ ابن ادريس الذي يقابل المحراب المجوف المنصف لجدار البدن الجنوبي، وهو ذو عقد مدبب (انظر صورة رقم ٧٤) على ارتفاع ٥م من ارضية الغرفة تبدأ مقرنصات منطقة الانتقال ،حيث ترتفع حوالي ٣م ، وللبدن من الداخل اربع دخلات تتصف اضلاعه ، مدخل وحنيتان ربما كانتا نافذتان (انظر صورة رقم ٧٣) وقد اغلقتا حديثاً ومحراب مجوف تحف بكل دخلة نقطتا ارتكاز ، (انظر صورة رقم ٧٥) تبرز وتتسع كلما

---

(٢٣١) التكملة لوفيات النقلة م ٦ ص ١١٦١ ، ١١٦٢ (طبعة رونيو)
بهجة الاسرار ومعدن الانوار ص ٢٣٠
(٢٣٢) انظر عنه :
التكملة لوفيات النقلة م ٦ ص ١١٦١ - ١١٦٢ (طبعة رونيو)
بهجة الاسرار ومعدن الانوار ص ٢٢٧ - ٢٣٠
العبر في خبر من غبر ج ٥ ص ٧٧
النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٥٤
شذرات الذهب ج ٥ ص ٨٥
(٢٣٣) العبر في خبر من غبر ج ٥ ص ٧٧
(٢٣٤) التكملة لوفيات النقلة م ٦ ص ١١٦٢ (طبعة رونيو)

(٢٣٥) ن . م .
بهجة الاسرار ومعدن الانوار ص ٢٣٠
(٢٣٦) الحوادث الجامعة ص ٤٣٤
يقول ابن الفوطي عنه ((شيخنا العالم العارف الزاهد نجم الدين احمد بن القش رأيته وترددت الى خدمته ونعم الشيخ كان))
تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ج ٤ ق ١ ص ٤٨٨
(٢٣٧) ((معالمنا التاريخية في لواء ديالى)) جريدة الاخبار ، العدد (٥٥٩٠) ٦ /كانون الاول/ ١٩٦٠ .
(٢٣٨) القباب العباسية في العراق ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩

تقدمت بالارتفاع بحيث يشكلان اسفل قة الدخلة عقدا مفصصا ، هذه النقاط عددها ثمانية ، وهي بمثابة منطقة الانتقال اضافة الى نقاط الزاوية الاربعة ، والنقاط الاربعة التي تقوم فوق قة الدخلة ، وبذلك يتهيأ سطح ملائم لاستقبال غطاء القبة الذي يكون عدد مقرنصات صفه الاول ٣٢ مقرنصا ،والظاهر ان السبب في تجزئة الصف الى مثل هذا العدد من المقرنصات راجع الى سعة المساحة التي تظللها القبة ، بحيث آثر المعمار الزيادة في عدد المقرنصات على الزيادة في احجامها ، ومثل هذا العدد في الصف الواحد يتطلب مهارة ودقة في التدرج بالارتفاع ، ومن ثم تقليص في الوحدات والاحجام ، بغية اغلاق فتحة القبة ، والتدرج يجب ان يكون بطيئا ، وبذلك يكون ارتفاع القبة شاهقا .

وعلى غرار قبة ابن ادريس (انظر مخطط رقم ١٠ ، ١١) ، نجد قبة النجمي في منطقة شط النيل ، غير ان هذه القبة ليست احسن حالا من القبة السالفة ، بل على العكس امتد النقض الى اجزاء كبيرة من بدنها ايضا (انظر صورة رقم ٧٨,٧٦) .

المرحلة الخامسة :

والمرحلة الاخيرة تتمثل في قبتي الكفل والسهروردي ، حيث اصبحت القبة المخروطة المقرنصة ترتكز على قبة داخلية نصف كروية ، اي ان هناك قبتين داخلية وخارجية مخروطة مقرنصة ، الغاية منها الفات النظر وابراز مكانة المدفون تحتها ، وهاتان القبتان ما هما الا تقليد لقبة زمرد خاتون ، غير ان معمارهما لم يرق الى مستوى معمار قبة زمرد خاتون .

وخلاصة ما اراه هو ان القبة المخروطة المقرنصة ما هي الا تطور طبيعي على القبة نصف الكروية ، اذ ان الغرض من اقامة القبة على القبر ان ماهو الا ابراز مكانة المدفون تحتها ، غير ان القبة نصف الكروية لاتؤدي هذا الغرض على اتم وجه ، ذلك ان الجدران الحاملة للقبة ينبغي ان يتناسب ارتفاعها مع المساحة المحددة بواسطتها ، وبما ان المساحة صغيرة فان الارتفاع لا يمكن ان يكون عاليا ، والقبة نصف الكروية يكون قطرها عادة ضعف ارتفاعها ، كما ان الارتفاع في الغالب لا يزيد على ثلث ارتفاع البدن .

فاذا ما تصورنا قبة بمثل هذه المواصفات تحيط بها ابنية ملحقة بها ، فانها حتما لا تؤدي الهدف الذي من اجله شيدت ، وهو ابراز مكانة المدفون تحتها ، اذاً لا بد من قبة تضيق افقيا وتستطيل عموديا بحيث يكون ارتفاعها ضعف قطرها على اقل تقدير ، واذا ارتفعت القبة مثل هذا الارتفاع فلابد من بدن يتناسب في ارتفاعه مع ارتفاعها ، وبذلك تبرز القبة على بقية المباني المحيطة بها .

ثم كانت الخطوة الثانية في هذه المرحلة وهي : تجزئة الكتلة ورغم ان عملية التجزئة هذه قد اكسبت القبة مظهرا جماليا اخاذا ، الا انه في الوقت ذاته هدف منها ايضا غرضا عماريا ، وهو تجزئة الثقل وتوزيعه والانتقال به من نقطة الى اخرى بغية تخفيف وطأته .

ومثل هذه العملية تتطلب يدا ماهرة ذكية بغية الحفاظ على التوازن والتثبت من نقاط الارتكاز ، اذ ان اي خلل يحصل يؤدي بطبيعة الحال الى سقوط القبة .

واستطاع المعمار العراقي بمهارة فائقة وقابلية فذة من استخدام المقرنص في عملية التجزئة ، وتدرج به من اسفل القبة حتى اعلاها حيث تنتهي بقمة القبة ، وكلما تقدم نحو الاعلى كلما قلص في قطر الدائرة ، وبالتبعية يقلص ايضا حجم المقرنص وعدده .

ونظرا للتعقيدات الفنية الكبيرة التي تصاحب عملية بناء مثل هذه القباب ، فيبدو لي ان السبب في اكساء هذه القباب بالجص ان هو الا لتلافي العيوب التي تنشأ من جراء ذلك .

القسم الرابع
العناصر العمارية والجمالية

المداخل والابواب

من المميزات العمارية التي امتاز بها العصر الذي ازدهر فيه طراز القبة المخروطة ، سعة المدخل وعظمته ، وعدم تناسب واجهته مع سعة وارتفاع فتحته التي ترتكز فيها الباب .

ومن ميزات مداخل هذا العصر ، هو ان المعمار صب كل جهده وبذل غاية وسعه في سبيل ابرازها واظهارها بمظهر يلفت النظر ويشد الانتباه ، من حيث الفخامة والزخرفة ، فقد زخرفها بشتى انواع الزخارف واجملها ، من هندسية ونباتية الى كتابات تذكارية ، والسبب فيما اراه راجع الى ان اول ما يواجه الداخل الى المبنى مدخله ، فالمدخل يعكس قيمة البناء وعظمته .

ومما يؤسف له انه لم يصلنا من قباب اقليم العراق المخروطة مدخل يلفت النظر ويستحق الدراسة ، وهذا لا يعني انها كانت اصلا كذلك ، والذي اراه ان كثرة اعمال الترميم غير الفنية من جهات غيرمتخصصة ادت الى اتسامها بالبساطة لا بل والسذاجة ايضا ، حيث انها معطلة من كل زخرف ، علاوة على ذلك ان معمار القباب المخروطة ركز كل اهتمامه على القبة فحاول ابرازها بشكل يطغى على بقية الاجزاء ، وهو بذلك على نقيض معمار المؤسسات الاخرى كالقصور والمدارس وغيرها ، ولعل احسن الامثلة على ذلك مدخل البناية المعروفة بالقصر العباسي ومدخل المدرسة المستنصرية ، وهذه الميزة استمرت بعد العصر العباسي نلاحظها ممثلة في المدرسة المرجانية خير تمثيل .

ولعل اهم ما يميز مداخل قباب اقليم العراق المخروطة هي انها تقع عادة في الجدار الشمالي وغالبا ما تنصفه بحيث تكون بمواجهة المحراب ، علاوة على تعددها في القبة الواحدة رغم صغر مساحتها ، ويبدو ان هذه الظاهرة ان هي الا استمرار لما كان سائدا في قباب القبور السابقة على فترة ازدهار القبة المخروطة المقرنصة .

واذا ما حاولنا استعراض مداخل القباب موضوعة البحث نجد ان قبة امام الدور ذات مدخل واحد فتح في الجدار الشمالي غير انه لا ينصفه ، مما حدا بالبعض الى ترجيح كونه مستحدثا في عصر لاحق ، ومع ذلك فانه يقابل احد محرابي القبة ، ومدخل قبة زمرد خاتون ينصف الجدار الشمالي كما يواجه المحراب ، غير انه للاسف حجب من قبل الغرفة المستحدثة ، ولو قدر وهدمت هذه الغرفة لظهر لنا مدخلا ربما كان من احسن المداخل واجملها .

ومدخلا قبة مشهد الشمس وقبة الحُسن البصري ليس فيهما ما يلفت النظر سوى ان الاول فتح في الجدار الشمالي الغربي .

وفي قبة مشهد الكفل مدخلان فتحا في جدارها الشمالي ، اما في قبة السهروردي فمدخلان ايضا ، الرئيسي ينصف الضلع الشمالي ، ولا تزال اجزاء كبيرة من زخارفه قائمة علاوة على ان الكتابات التذكارية تعلوه ، اما الثاني فينصف الجدار الشرقي ويؤدي الى قاعة مستطيلة اتخذت كمقبرة لآل السهروردي .

وفي قبة ابن البقلي مدخل ملفت للنظر ، وهو ايضا ينصف جدار القبة الشمالي غير انه يبرز عنه ، وقد توج بعقد مدبب ، تخللت واجهته زخارف هندسية وكتابات بخط النسخ (انظر صورة رقم ٦٩) هذه الزخارف عبارة عن خطوط متكسرة ومتقاطعة ، تشكلت بواسطتها اشكال سداسية وانصافها ، تضمن الشكلان السداسيان عبارة الله اكبر ، في كل مسدس كلمة ، كما تخللتها ايضا معينات واشكال دائرية صغيرة ، يفصل بين الكتيبة التي تعلو العقد والمتضمنة هذه الزخارف شريط يعقبه صفان يتضمنان الكتابة التالية : -

بسم الله الرحمن الرحيم فبشر[1] عبادي
الذين يستمعون[2] القول فيتبعون احسنه أولئك الذين

(١) قرأت (بشر) وهذا غير صحيح من قبل :
عادل عبو ، القباب العباسية في العراق ج ١ ص ١٣٩
Costa, P. «Islamic Shrines on the» Sat Al NiL"Annali dell" istituto orientale di napoli, Vol. 31 (Nuova Serie XXI) p. II

(٢) قرأت (يسمعون) وهذا خطأ ، انظر :
القباب العباسية في العراق ج ١ ص ١٣٩
Costa, P. OP., Cit., P. 11

هداهم[3] ..... ويبدو ان هذه الكتابة لم تكن معمولة اصلا لهذا المدخل[4] ، وانما قلعت من مبنى آخر وحشرت في واجهة هذا المدخل حشرا غير طبيعي ، علاوة على ذلك فأن السطر الثاني لم تستوعبه المنطقة المحدده له ، مما ادى الى قلع الآجر المؤطر للمدخل بغية استمرار النص ، ومع ذلك فان النص ناقص وليس هناك مجال لاستيعاب اي كلمة اخرى .

وقبة النجمي فيها مدخل ذو عقد مدبب ، وهو ينصف الجدار الشمالي ايضا ، غير ان فتحته قد اغلقت بسبب الانقاض (انظر صورة رقم ٧٧) وواجهته تكاد تكون قريبة الشبه من واجهة مدخل ابن البقلي ، غير ان الزخارف والكتابات قد قلعت ، وربما كانت واجهة مدخل ابن البقلي قد نقلت من قبة النجمي ، حيث نجد محل شكلين سداسيين قد قلعا ايضا ، يعلو الواجهة عقد مدبب مندمج يبرز عن وجه الجدار ، وهو من هذه الناحية مشابه لما هو موجود في قبة علي بن ادريس .

واذا كان الباب ضرورة من ضرورات الدار ، فأن الامر يختلف بالنسبة لقباب القبور ، حيث ان الحاجة اليه تكاد تكون منتفية ، روي عن احمد بن ابي الحواري انه قال : «بينا انا ذات يوم في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب الاكساء قد اسبلته ...»[5]، والمعروف ان معظم القباب تلحق بها ابنية تحيط بها ، وقلما تكون مفردة ، مما يؤدي بطبيعة الحال الى انتفاء الحاجة الى الباب ، والملاحظ ان فتحات مداخل قباب الاولياء والصالحين تسدل عليها ستارة ، وحتى ان وجد الباب فانه نادرا ما يستخدم .

وفيما يتعلق بالقباب المخروطة في اقليم العراق فانه لم يصلنا باب واحد اصيل ، حيث ان جميع الابواب القائمة اليوم حديثة الصنع .

والباب اذا كان قطعة واحدة يقال له فرد[6]، واذا كان زوجا فهما مصراعان[7]، وصفاقتان[8]، ويكون المصراعان عادة داخل اطار خشبي تعرف الخشبتان الماسكتان للمصراعين من الجانبين الايسر والايمن بالعضادتين[9]، اما العارضة فهي التي تربط العضادتين من الاعلى[10]، والاسكفة من الاسفل .[11]

ومهما يكن من امر فأن بالامكان اعطاء صورة عن ابواب القباب للفترة التي نؤرخ لها من خلال باب قبة عون الدين بن الحسن (انظر صورة رقم ٧٩) وهذه القبة لاتزال قائمة في الموصل ، وهي من مباني بدر الدين لؤلؤ ، شيدها سنة ٦٤٦هـ ، وتتألف من قبتين مزدوجتين ، الداخلية شبيهة بقباب اقليم العراق ، اما الباب فمصنوع من الخشب المصفح بصفائح النحاس الاصفر ، بحيث يبدو وكأنه معمول من النحاس الاصفر ، وهو مؤلف من مصراعين ، اما الزخارف فغاية في الدقة والروعة ، وهي عبارة عن زخارف هندسية معمولة بواسطة اشرطة نحاسية تثبت في الباب بواسطة المسامير ، اما الكتابات فقد ثبتت بواسطة الطرق ، ونصها :

المصراع الايمن :

عمل عمر بن الخضر ولي آل محمد

المصراع الايسر :

الملكي البدري رحمه الله[12]

---

(٣) قرأت من قبل عادل عبو (هداهم الله) والحقيقه انه لاتوجد كلمة (الله) في النص . القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٣٩ بينما قرأها كوسته (الذين هم) وهذا غير صحيح :

Costa, P., OP. Cit., P.11

وهذا النص آية رقم (١٧ ، ١٨) من سورة الزمر .

(٤) القباب العباسية في العراق جـ ١

(٥) إبي نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء جـ ١٠ ص ١١ ، ١٨١ ص ١٠٨

(٦) الالوسي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب جـ ٣ ص ٣٩٦

(٧) المخصص جـ ٥ ص ١٣١

لسان العرب جـ ٨ ص ١٩٩.

بلوغ الارب جـ ٣ ص ٣٩٦

(٨) الديوه جي ، مشهد الامام يحيى بن القاسم ، مجلة سومر ، مجلد ٢٤ لسنة ١٩٦٨ ص ١٧٧

(٩) المخصص ، جـ ٥ ص ١٣١

تاج العروس جـ ٨ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١

(١٠) معجم مقاييس اللغة جـ ٤ ص ٢٧٧

المخصص جـ ٥ ص ١٣١

(١١) بلوغ الارب جـ ٣ ص ٣٩٧ ، وانظر :

لسان العرب جـ ٩ ص ١٥٦

(١٢) عن هذا الباب انظر :

الديوه جي ، الموصل في العهد الاتابكي ص ١٦٨

مشهد الامام يحيى بن القاسم ، مجلة سومر ، مجلد ٢٤ لسنة ١٩٦٨ ص ١٧٧

اعلام الصناع المواصلة ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

القباب العباسية في العراق جـ ١ ص ١٦٣ ـ ١٦٤

الاثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق ص ٧٨ ـ ٧٩ القباب المخروطية في العراق ص٦٦

من خلال هذا النص ، نجد اسم الصانع ، اضافة الى كونه من مماليك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وبما ان بدر الدين لؤلؤ يلقب نفسه دوما بلقب ولي آل محمد ، فان مماليكه بالتبعية يلقبون انفسهم بهذا اللقب ، والولي[١٣] هنا من الموالاة اي المحب والنصير لآل بيت رسول الله ، كما ان وجود عبارة رحمه الله تشير الى ان صانع الباب توفي بعد ان عمل الباب ، غير ان الكتابة ثبتت بعد وفاته

العقود

العقد هو البناء الرابط لطرفي بناء[١٤] ، وفيما يتعلق بالعمارة العربية الاسلامية فقد تعددت اشكال عقودها وتنوعت ، في حين نلاحظ سيادة العقد نصف الدائري في عمائر الامم السابقة على الاسلام . ولكل عقد من العقود العربية الاسلامية خاصية انفرد بها ، واضحت ميزة له تميزه عن بقية العقود .

والعقد يعمل عادة بواسطة القالب الخشبي وعلى هيئته يكون ، والهدف الاساس منه عماري ، غير اننا كثيرا ما نلاحظه يؤدي غرضا جماليا بحتا ، وطالما اجتمعا معا .

وقلما نجد فتحة سواء كانت نافذة او صماء في عمائر العرب المسلمين الا وهي متوجة بعقد .

وبالنسبة لقباب اقليم العراق المخروطة فقد استخدمت فيها انواع من العقود ، الغالب عليها المدبب والمنفرج ، في حين نجد العقد المفصص وقد استخدم لاغراض جمالية بحتة لاسيما في قبتي امام الدور والسهروردي .

ولعل اكثر العقود استعمالاً في العمارة العربية الاسلامية ، هو العقد المدبب ، بحيث اصبح من اخص خصائصها ، ولم يقف المعمار عنده ، بل تفنن في خلق اشكال تفرعت عنه ، وصل مجموعها الى نحو ثلاثة اشكال رئيسية[١٥] .

والعقد المدبب ما هو الا مرحلة تطور على العقد نصف الدائري ، ويمتاز عليه بقوة التحمل ، حيث يتوزع الثقل فيه على نقطتين ، في حين يتركز على نقطة واحدة في العقد نصف الدائري ، ويتكون من قوسين رسما من مركزين[١٦] ، وكلما تباعد المركزان كلما اشتد الدبب ، ويخف اذا ما تقاربا .

وحول ظهوره اختلفت اراء الباحثين ، ففي الوقت الذي يذهب كريزويل الى ان اقدم عقد مدبب نجده في قصر ابن وردان بالشام من القرن السادس الميلادي[١٧] ، يرى الدكتور فريد شافعي انه يظهر في سلسلة الحنايا التي تعلو واجهة طاق كسرى الخلفية ، وان الدبب هنا لم يأت عفوا او لانعدام الدقة في طريقة البناء ، بل كان عملها مقصودا[١٨] ، ويذهب الدكتور فكري الى ان العقد المدبب من العناصر العمارية المبتكرة في العمارة الاسلامية ، وانه نشأ في العراق ، واقدم مثل له يظهر في حصن الاخيضر ، ثم عم استعماله بعد ذلك[١٩] .

والعقد المنفرج اشتق من العقد المدبب ، وهو مرحلة تطور عليه[٢٠] ويتكون من كتفين مستقيمين يجتمعان في قمته على هيئة زاوية منفرجة وله طرفان رأسيان مستقيمان يربطهما بالكتفين انحناء مقوس[٢١] .

وهذا العقد ظهر لاول مرة في قصر المعشوق[٢٢] ، من

---

(١٣) انظر ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية جـ ٣ ص ١٣٤٥

(١٤) انظر عن معنى العقد ، في :
لسان العرب جـ ٣ ص ٢٩٦ ـ ٣٠٠
تاج العروس جـ ٨ ص ٣٩٤ ـ ٤٠٤

(١٥) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ص ٢٠٧

(١٦) ن . م . وانظر :
العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ص ١٦٢

(17) Creswell E.M.A., I. P. 279

(١٨) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ص ١٧٣

(١٩) التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر (١٩٦٧) ص ٧٥ ، وانظر :
مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص ١٢٠

(٢٠) مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ١ (العصر الفاطمي) ص ١٥٧ ـ ١٥٨

(٢١) ن . م . ص ١٥٤ ، وانظر :
التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر ، (١٩٦٧) ص ٧٥ .

ابنية الخليفة المعتمد على الله ، والذي مازالت اطلاله شاخصة في سامراء .

ويعد العقد المفصص ذو الطبيعة الجمالية من اكثر العقود شيوعا في العمارة العربية الاسلامية ، وهذا لا يعني عدم استخدامه لاغراض عمارية ، الا ان الغالب عليه الطابع الزخرفي ، ومرد ذلك الى طبيعة تكوينه ، حيث يتكون من قص حوافه الداخلية بسلسلة من انصاف دوائر او انصاف فصوص[٢٣]، وتظهر فكرة فصوص العقود في طاق كسرى[٢٤] ، الا ان استخدام العقد المفصص لاغراض عمارية يعتبر ابتكارا في العمارة الاسلامية ، يقول الدكتور احمد فكري ((ولعل هذا العقد المفصص قد اشتق من شكل حافة المحارة غير انه اتخذ في العمارة الاسلامية المظهر الهندسي البحت واصبح فيها ابتكارا))[٢٥] ويرى الدكتور فكري ان اول مثل يؤدي هذا الغرض يظهر في قصر المشتى من اوائل القرن الثاني للهجرة[٢٦] ، بينما يرى العزاوي ان اول مثل للعقد المفصص ذي الطبيعة العمارية يظهر في حصن الاخيضر[٢٧] .

السلالم

عرفت السلالم بتسميات عدة منها : الزيم والمراهص والمعرج والمصعد والمرقاة[٢٨] ، علاوة على الدرج و((اصل الدرجة المنزلة والجمع درج ومنه درج البناء لانها مراتب بعضها فوق بعض))[٢٩] ، ويذهب الالوسي الى ان السلم هو ما كان معمولا من الخشب[٣٠] ، كما تسمى الدرجة بالعتبة ، والجمع عتب عتبات[٣١] .

والسلم هو الواسطة التي ينتقل بها من طابق لآخر ، وهو على انواع ، منها المستقيم الذي لا التواء فيه ، وهذا النوع نجده في الابنية ، خصوصا تلك التي تشغل مساحة واسعة ، وارتفاعها ليس بالشاهق ، وتتضمن عادة اكثر من سلم ، كما هو حاصل في المدرسة المستنصرية حيث نجد ستة سلالم وفي المرجانية اربعة وفي القصر العباسي اثنان وربما كان في الاصل اكثر من ذلك[٣٢].

ومن السلالم ما هو بشكل حلزوني ، وهذا النوع نجده عادة في المآذن ، ولعل اقدم هذا النوع سلم ملوية سامراء حيث يدور خمس دورات باتجاه معاكس لاتجاه عقرب الساعة ، ومئذنة مسجد ابي دلف حيث تلف ثلاث لفات ايضا بعكس اتجاه عقرب الساعة .

ومن المآذن مئذنة عانة حيث يدور سلمها الحلزوني حول عمود يتوسطها ، وتتألف من احدى وثمانين درجة[٣٣]، ومئذنة الخليلية في عانة ايضا من نفس النوعية ولم يتبق من سلمها سوى عشر درجات[٣٤]، وكذلك مئذنة الكفل ، حيث يتألف سلمها من ٥٩ درجة ، يرقى الى اعلى المناره[٣٥].

ومن المآذن ما لها سلمان حلزونيان يلفان حول العمود الذي يتوسطها ، وهما لا يلتقيان الا في الاسفل والاعلى

---

(٢٢) التاثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر (١٩٦٧) ص ٧٥ .
العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ص ١٦٤
وذكر الدكتور احمد فكري ان العقد المنفرج ظهر في قصر العاشق سنة ٢٦٤هـ /٨٧٨م بينما نجد العزاوي قال الشيء ذاته واضاف ان القصر من ابنية المعتضد .
والحقيقة ان تسمية القصر بالعاشق خطأ والصواب ما ذكرناه ، ثم لست ادري على من اعتمدوا في تاريخ القصر بسنة ٢٦٤هـ ، وقد اخطأ العزاوي حين نسب بناءه للمعتضد ، في حين ان نسبة بناءه للمعتمد ثابتة ، كما ان سنة ٢٦٤هـ تقع ضمن سني حكم المعتمد ، والمعتضد تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ .
انظر عن قصر المعشوق وتاريخه ، ص ٨٤ - ٨٦ من الكتاب
(٢٣) التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر (١٩٦٧) ص ٧٣ .
(٢٤) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ص ٢٠٩ ، وانظر
Creswell, OP. Cit., I. P. 282
مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ص ١١٦ - ١١٧
(٢٥) التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر ، (١٩٦٧) ص ٧٣ .
(٢٦) ن . م .
(٢٧) العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ص ١٦٢ - ١٦٣ .
(٢٨) ابن سيده ، المخصص جـ ٥ ص ١٣٤ - ١٣٥
(٢٩) ن . م . ص ١٣٤
(٣٠) بلوغ الارب جـ ٣ ص ٣٩٠
(٣١) ن . م .
(٣٢) ناجي معروف ، المدارس الشرابية ص ١٦٤
(٣٣) كمال منصور عبادة ، الصيانة الاثرية في عانة ، مجلة سومر ١٩٦٩ ص ١٣٧
(٣٤) ن . م . ص١٤٠
٣٥) الحديثي ، مئذنة الكفل ، مجلة سومر ١٩٧٢ ، ص ١٢٣

ومن هذه المآذن منارة الجامع النوري المعروفة بالحدباء[36] والمنارة المظفرية في اربيل[37]، ومنارة سوق الغزل[38]. وهذا النوع من السلالم موجود في مئذنة مسجد قرطبة الجامع وبعض مآذن القاهرة[39].

وغالبا ما تكون كل درجة عبارة عن سقاله خشبية ، يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٤٦هـ ، انه ((وقع حريق بالمنارة الشرقية ـ لجامع دمشق ـ فأحرق جميع حشوها وكانت سلالها سقالات من خشب))[40].

والمثال الوحيد الذي لدينا في القباب المخروطة هو سلم قبة زمرد خاتون حيث يقع على يسار الداخل الى غرفة الضريح ، وقد فتح في صلب سمك الجدار وهو مقوس الاستدارة يبدأ من جزء من ضلع المدخل ويستمر في الضلع الذي يلي ضلع المدخل وحتى منتصف الضلع الذي يليه ، وعدد مراقيه تسع وعشرون مرقاة ، عرض كل مرقاة تتراوح بين ٦٥ ـ ٧٠ سم ، وهو لا يتسع الا لشخص واحد ، وبواسطته يرتقى الى سطح البدن المثمن . ولست ادري ما الغرض من وجوده خصوصا وان القبة مفردة لا يتصل بها اي بناء بحيث يساعد على الانتقال منها الى غيرها من الابنية والعكس ايضا ، وربما كان الغرض منه اثناء البناء للمساعدة في التنقل ونقل المواد بغية بناء القبة ، وربما كان يقصد منه اصلاح ما يحدث في القبة من خلل او لفتح النوافذ واغلاقها حسب الحاجة .

القبر

للقبر في لغة العرب تسميات عدة ، منها : الجدث[41]، الجدف[42]، الرمس[43]، الراموس[44]، الريم[45]، البيت[46]، البلد[47]، الجنن[48]، الرجم[49]، الرجمة[50]، اللحد[51]، الضريح[52]، التربة[53]، المرقد[54]، الكدية[55]، الكرية[56]، الكروة[57]، الصعيد[58]، الحفير[59]، الكفر[60]، الناووس[61]، الوجر[62].

بعض هذه التسميات جاء بسبب شكل القبر ، حيث ان القبور يختلف بعضها عن البعض الاخر من الداخل والخارج ، فمن الخارج هناك القبور الدارسة[63]، اي المستوية مع الارض ، وهناك المرتفعة ، والمرتفعة منها ما هو مسنم ومنها ما هو مسطح (انظر صورة رقم ٨٠ ـ ٨٢) اما من الداخل فهي اما على هيئة لحد او ضريح او كلاهما معا ، عن جابر بن عبدالله قال :

((ان رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير الى احدهما قدمه في اللحد))[64].

اما الضريح فهو الشق وسط القبر[65]، اي الحفر

---

(٣٦) الديوه جي ، الجامع النوري في الموصل ، مجلة سومر ١٩٤٩م ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩

(٣٧) القزاز ، المنارة المظفرية في اربيل تاريخها ووصفها ، مجلة سومر ١٩٦٠م ص ١٢٧

(٣٨) الجنابي ، مئذنة سوق الغزل ص ٦

(٣٩) ن . م .

(٤٠) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٥

(٤١) لسان العرب جـ ٢ ص ١٢٨ ، جـ ٩ ص ٢٤

(٤٢) ن . م .

(٤٣) ن . م . جـ ٦ ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٤٤) ن . م . ص ١٠٢

(٤٥) ن . م . جـ ١٢ ص ٣٦٠

(٤٦) ن . م . جـ ٢ ص ١٥ ، وانظر جـ ١ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

(٤٧) ن . م . جـ ٣ ص ٩٤

(٤٨) ن . م . جـ ١٣ ص ٩٣

(٤٩) ن . م . جـ ١٢ ص ٢٢٨

(٥٠) ن . م . ص ٢٢٧

(٥١) ن . م . جـ ٢ ص ٥٢٦ ، جـ ٣ ص ٣٨٨

(٥٢) ن . م .

(٥٣) ن . م . جـ ١ ص ٢٢٨

(٥٤) ن . م . جـ ٣ ص ١٨٣

(٥٥) ن . م . جـ ١٥ ص ٢١٧

(٥٦) ن . م . ص ٢١٩

(٥٧) ن . م .

(٥٨) ن . م . جـ ٣ ص ٢٥٥
معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٠٨

(٥٩) لسان العرب جـ ٤ ص ٢٠٧
معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٧٦

(٦٠) لسان العرب جـ ٥ ص ١٥٠

(٦١) معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٥٤

(٦٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٥ ص ٢٨٨

(٦٣) هناك قول مأثور (خير القبور الدوارس) وانظر عن تسوية القبور ، صحيح مسلم (مشكول) جـ ٣ ص ٦١ .

(٦٤) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص ١١٠ ، وانظر ص ١١١

(٦٥) لسان العرب جـ ٢ ص ٥٢٦

العمودي من غير ميل الى احد الجوانب[٦٦]، ويتخذ عادة في الارض الرخوة التي يصعب عمل اللحد فيها . ويعرف الضريح ايضاً بالشق[٦٧]، والقائم بالعمل يسمى بالضارح والشقاق[٦٨]، اما اللحد فهو الحفر العمودي في الارض ثم الميل الى احد الجوانب حيث يكون الحفر افقيا[٦٩]، واللحد عادة يعمل في الارض الصلبة التي من الصعب انهيارها اذا ما حفر باطنها .

وبالنسبة لقبور قباب اقليم العراق المخروطة فانه لم يصلنا قبر واحد اصيل .

شاهد القبر

عرف شاهد القبر بتسميات عدة منها : الشاهدة[٧٠]، البلاطة[٧١]، اللوح[٧٢]، النقيشة[٧٣]، القبرية[٧٤]، المسن[٧٥]، الرجم[٧٦]، العلامة[٧٧]، النفش[٧٨] وربما غيرها . وشاهد القبر يعني الدال على شخصية المدفون ، فهو عادة يتضمن الاسم والكنية واللقب ، يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م ((في اوائل جمادى الاخرة تقدم امير المؤمنين بعمل لوح ينصب على قبر الامام احمد بن حنبل فعمل ونقضت السترة جميعها وبنيت بآجر مقطوع جديدة وبنى لها جانبان ووقع اللوح الجديد وفي رأسه مكتوب هذا ما امر بعمله سيدنا ومولانا المستضيء بامر الله امير المؤمنين . وفي وسطه هذا قبر تاج السنة وحيد الامة العالي الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد الامام ابي عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله . وقد كتب تاريخ وفاته وآية الكرسي))[٧٩]، وفي بعض الاحيان يثبت تاريخ الولادة والوفاة وربما المهنة[٨٠] وما اشتهر به ابان حياته ، علاوة على بعض من آي القرآن الكريم[٨١]، تكون بمثابة ديباجة للشاهد ، وبعض العبارات التي تتضمن حكم ومواعظ ، اضافة الى بعض ابيات من شعر الحكمة[٨٢]، ومن الطريف ذكره بالنسبة لشواهد القبور ما رواه ابن المزرع قال ((حدثني من رأى قبرا بالشام عليه مكتوب : لايغترن احد بالدنيا فاني ابن من كان يطلق الريح اذا شاء ، ويحبسها اذا شاء ، وبحذائه قبر مكتوب عليه : كذب ... ، لا يظن احد انه ابن سليمان بن داود عليهما السلام ، انما هو ابن حداد ، يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر قال : فما رأيت قبلهما قبرين يتشاتمان))[٨٣].

وتعمل شواهد القبور عادة من الحجر الاعتيادي والنادر الثمين كالرخام والمرمر ، وتسمية الشاهد بالمسن متأتي من حجر المسن[٨٤]، الشديد الصلابة ، ويبدو ان البلاطة تعمل عادة من المواد المذكورة آنفا[٨٥]، اما اللوح فغالبا ما يكون من الخشب[٨٦]، اما شكلها فالغالب عليها المستطيل وفي بعض الاحيان الدائري[٨٧]، والمقوس من الاعلى ويكون على هيئة مثلث في احوال اخرى . وجرى التقليد ان يوضع الشاهد عند رأس الميت داخل دخلة في القبر مساحتها وسمكها بقدر

---

(٦٦) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص ١١١

(٦٧) المحلى جـ ٥ ص ١٣٢ ـ ١٣٣
معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٥٠ . ٤٥٤

(٦٨) النهاية في غريب الحديث والاثر جـ ٣ ص ١٦ ، جـ ٤ ص ٥٠ ـ ٥١

(٦٩) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص ١١٠
اصلاح المنطق ص ٩٠

(٧٠) البستاني ، محيط المحيط م ١ ص ١١٣٢

(٧١) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٠١ ، ٤٥٩
وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٥٣

(٧٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٦ ص ١٩٩ ، جـ ٨ ص ١٠ ، جـ ١٠ ص ٢٤٥
وفيات الاعيان جـ ٥ ص ١٢٩

(٧٣) زبيس ، نقائش المستنير ، نقائش الفرجاني .

(٧٤) رحلة ابن بطوطه (باريس ١٩١٤) جـ ٢ ص ١٥ ، بينما في طبعة القاهرة نجد ما يلي ((وعلى كل قبر منها قبة مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته)) جـ ١ ص ١١٧

(٧٥) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى جـ ٢ ص ١٠٥ ، وانظر : معجم البلدان جـ ٣ ص ٥١

(٧٦) لسان العرب جـ ١٢ ص ٢٢٧

(٧٧) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى جـ ٢ ص ٨٥

(٧٨) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٧ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥

(٧٩) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤

(٨٠) وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٦٣

(٨١) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٩٤ ، ٢٨٤ ، وقلما يخلو شاهد قبر من ذلك .

(٨٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ١٠ ـ ١١
وفيات الاعيان جـ ١ ص ١٤٣ ، ٤٣٢ ، جـ ٤ ص ٦٣ ، جـ ٥ ص ٣٠٨
نقائش الفرجاني ص ٢٨ ، ٢٩

(٨٣) وفيات الاعيان جـ ٦ ص ٥٥

(٨٤) معجم البلدان جـ ٣ ص ٥١

(٨٥) ابن الحاج ، المدخل جـ ٣ ص ٢٧٢

مساحة وسمك الشاهد او تزيد قليلا عليه .

ومنهم من جعل من الرخام المحوط به القبر شاهدا له ، يقول ابن خلكان عن القاضي الفاضل مجيد الدين عبدالرحيم ابن علي العسقلاني المتوفى سنة ٥٩٦هـ /١٢٠٠م ((وزرت قبره مرارا . وقرأت تاريخ وفاته على الرخام المحوط حول القبر كما هو ههنا))(٨٨)، بينما استعاض البعض الآخر عن الشاهد بالصندوق الذي يوضع عادة على القبر ، فعندما توفى عضد الدولة سنة ٣٧٣هـ /٩٨٣م ((كتب على قبره في ملبن ساج ، هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة ابي شجاع ابن ركن الدولة احب مجاورة هذا الامام التقي لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها والحمد لله وصلى الله على محمد وعترته الطاهرة))(٨٩) ومنهم من جعل من باب تربته شاهدا لقبره ، يقول سبط ابن الجوزي عند ترجمته للعمادي المتوفى سنة ٥٦٥هـ /١١٦٩م ((واسمه مكتوب على بابها ووقفت على باب التربة وعليها : هذه تربة العمادي محمد))(٩٠). واتخذ البعض عمودا من رخام او خشب كشاهد قبر(٩١).

واذا كان الغرض من شاهد القبر هو لتمييز قبر عن بقية القبور والتعرف على المدفون تحته فانه بامكاننا القول : ان اول شاهد قبر في الاسلام كان عبارة عن حجارة غير منتظمة خالية من الكتابة وضعها رسول الله ﷺ على قبر عثمان بن مظعون عند رأسه(٩٢). وبعد ان وضع الرسول الكريم تلك الحجارة قال ، لكي ((اتعلم بها قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي))(٩٣). وهذا لايعني ان العرب في تلك الحقبة الزمنية كانوا يجهلون عمل شواهد القبور المنتظمة والمهندمة المنقوشة بالكتابات المزدانة بالزخارف ، كلا بل عرفوها ،

ولعل اقدم شاهد قبر وصلنا هو شاهد قبر فهر بن شلي المؤرخ بسنة ١٠٦م(٩٤). ثم شاهد قبر امرىء القيس الذي يعود الى سنة ٣٢٨م(٩٥). اما اقدم شاهد قبر وصلنا بعد الاسلام فهو شاهد قبر عبدالرحمن بن خير الحجري الذي يعود الى سنة ٣١هـ/٦٥١م(٩٦).

وينسب الى رسول الله ﷺ النهي عن الكتابة على القبر(٩٧)، غير ان الحاكم النيسابوري يعقب قائلا ((هذه الاسانيد صحيحة وليس العمل عليها فأن أئمة المسلمين من الشرق الى الغرب مكتوب على قبورهم وهو عمل اخذ به الخلف عن السلف))(٩٨) وتعقبه الذهبي ايضا وقال ((بانه محدث ولم يبلغهم النهي))(٩٩).

ومما يؤسف له ، خلو الكثير من القباب المخروطة من شاهد القبر ، الذي من خلاله يمكننا معرفة شخصية المدفون تحتها ، وتاريخ البناء بصورة دقيقة ، وهذا لايعني انعدام الشواهد في قباب اقليم العراق المخروطة ، فقبة امام الدور التي تعود للفترة الواقعة بين الربع الاخير من القرن الخامس للهجرة والعقد الاول من القرن السادس الهجري ، فيها شاهد يعود الى سنة ٨٧١هـ /١٤٦٦م ، وهو بطبيعة الحال متأخر كثيرا عن تاريخ البناء ، نصه :

((بسم الله الرحمن الرحيم . هذا المشهد المبارك تربة الامام ابو ؟ [ابي] عبدالله محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين . وهو موضع ... رحم الله من ... زاره واسعده))(١٠٠). (انظر صورة رقم ٩) ونسبة القبة الى محمد بن موسى الكاظم مشكوك في صحتها .

وفي داخل المشهد توجد بلاطات نجمية تضمنت كتابات

وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٥٣

(٨٦) ابن الحاج ، المدخل جـ ٣ ص ٢٧٢

(٨٧) انظر ، نقائش الفرجاني

نقائش المنستير الالواح

(٨٨) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٣٣٧

(٨٩) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٧ ص ١٢٠

(٩٠) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٨٢

(٩١) المدخل لابن الحاج جـ ٣ ص ٢٧٢

(٩٢) سنن ابو داود جـ ٢ ص ١٩٠

(٩٣) ن . م .

(٩٤) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٧ ص ٢٧٢

(٩٥) ن . م . جـ ٧ ص ٢٧٣

(٩٦) دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٩٧) سنن ابو داود جـ ٢ ص ٧١

صحيح الترمذي جـ ٤ ص ٢٧١

(٩٨) المستدرك على الصحيحين في الحديث جـ ١ ص ٣٧٠ .

(٩٩) حاشية السندي جـ ١ ص ٤٧٤ وانظر عن موقف الفقهاء من الكتابة على القبر :

نهاية المحتاج جـ ٣ ص ٣٣

المغني جـ ٢ ٥٠٤ ـ ٥٠٥

المقنع جـ ص ٢٨٥

المدخل لابن الحاج جـ ٣ ص ٢٦٤ ، ٢٧٢

الفقه على المذاهب الاربعة جـ ١ ص ٤٢٠

(١٠٠) القباب المخروطية في العراق ص ٢٠

تذكارية ، من خلالها توصلنا الى معرفة تاريخ البناء ، غير ان بعض هذه البلاطات فقد ، ومنها البلاطة التي من المفترض احتواؤها اسم الشخص المدفون تحت القبة .

وقبة السيدة زمرد خاتون مثلها مثل قبة إمام الدور حيث نسبت القبة الى السيدة زبيدة زوج الرشيد العباسي على الرغم من انها دفنت في مقابر قريش بالكاظمية ، وقد نقل نيبور نص الشاهد الذي وضعه حسن باشا سنة ١١٣١هـ /١٧١٩م بعد دفنه زوجته عائشة بداخل القبة :

((هذا قبر المرحومة المغفورة الموفقة للخيرات الجارية ست زبيدة بنت جعفر بن منصور الدوانيقي وزوجة هارون الرشيد احد خلفاء بني العباس توفيت سنة مائتين وست عشر))[١٠١].

غير انه وصلنا من قبة الشيخ عمر السهروردي شاهد ، وهو وان كان لايعود الى تاريخ وفاة الشيخ عمر سنة ٦٣٢هـ /١٢٣٤م ، الا انه يعود الى زمن تاريخ البناء سنة ٧٣٥هـ /١٣٣٤م ، والشاهد مثبت فوق مدخل القبة الرئيس ، وهو مقوس من الاعلى ، مكتوب بخط الثلث ، سبق ان ثبتنا قراءته[١٠٢]، كما يوجد شريط كتابي في اعلى واجهة البدن الشمالية ، بخط الثلث ايضا وعلى ارضية من الزخارف النباتية[١٠٣] وربما كانت هناك كتابات اخرى تلف حول جدران البدن الاخرى .

ومن القباب التي رجحنا كونها مخروطة قبة الامام ابي حنيفة التي شيدت سنة ٤٥٩هـ /١١٦٤م ، قيل انه كان مكتوبا عليها من شعر الشريف ابي جعفر البياضي :

الم تر هذا العلم كان مشتتا
فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة
فأنشرها فضل العميد ابي سعد[١٠٤]

ومن القباب التي ربما كانت من نوع القباب المخروطة الشبيهة بقبة امام الدور قبة مسلم بن قريش العقيلي المتوفي سنة ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م ،يقول ابن الصاحب عن مسلم ((وزرت قبره في قبة بناها ونقل اليها من حلب بمشهد الحسن العسكري في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وستمائة فقرأت على حائط القبة هذه الابيات ...))[١٠٥]

ومن القباب المخروطة التي لازالت قائمة ، غير ان الكتابة التي كانت عليها اندرست ، قبة الحسن البصري ، حيث كان مثبتا فيها اسمه وتاريخ وفاته[١٠٦]، وربما غير ذلك ، والشيء نفسه بالنسبة لقبة محمد بن سيرين[١٠٧] المجاور لها حيث اندرست الكتابة . كما ان القبة المخروطة سقطت وبنيت اخرى نصف كروية حديثة .

ومشهد الشمس في الحلة ، يعلو محرابه شاهد مثبت في الجدار لا يقرأ ربما كان مستحدثا .

صندوق القبر

عرف الغطاء الذي يوضع على القبر بتسميات عدة ، منها : الصندوق ، فالشيخ علي بن الهيتي ، عملت زمرد خاتون ((على قبره صندوقا من الساج ، وغرمت عليه جملة كبيرة وكتبت اسمها على داير الصندوق : هذا ما اوقفته بجريرة امير المؤمنين))[١٠٨] وعندما نقل رفات الخليفة المستضيء سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م ((عمل على ضريحه صندوقا من

(١٠١) رحلة ينيور الى العراق في القرن الثامن عشر ص ٣٨
(١٠٢) انظر ص ٧٠ من الكتاب
(١٠٣) انظر ص ٧٠ من الكتاب
(١٠٤) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٠٥
تاريخ دولة آل سلجوق ص ٣٢
اخبار الدولة السلجوقية ص ٦٩
وقيل ان البياضي دخل المشهد زائرا فانشد هذين البيتين ، انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص ٢٤٥
مراة الزمان ص ١٣٤
وفيات الاعيان ج ٥ ص ٤٧
البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٥
وربما نقش البيتان بعد انشاده لها
(١٠٥) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ١ ص ٣٥٢
(١٠٦) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١١٧
(١٠٧) ن ، م .
(١٠٨) مطهار الحقائق وسر الخلائق ص ١٧٩

الساج وغرم عليه مبلغا من المال))[١٠٩]. ويقول صاحب الحوادث في وفيات سنة ٦٤٨هـ /١٢٥٠م ((وبنى - عبد الغني بن فاخر - تربة في المشهد الكاظمي - على ساكنه السلام - وعمل ضريحا وصندوقا))[١١٠]. والضريح ، يقول صاحب الحوادث في حوادث سنة ٦٤٦هـ /١٢٤٨م ، عندما فاضت دجلة وغرقت بغداد ((واما المشهد الكاظمي على ساكنه السلام ، فانه هدم سوره ودوره فاقام - اي الماء - على الضريحين الشريفين بحيث لم يبن من الرمامين سوى رؤوسهما))[١١١] وفي سنة ٦٦٨هـ /١٢٦٩م ((توفي الشيخ الصالح الزاهد محمد بن السكران ودفن في رباطه بناحية المباركية من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد وبني عليه قبة وعمل عليه ضريح من الخشب))[١١٢]. والملبن يقول ابن الجوزي في وفيات سنة ٣٧٣هـ /٩٨٣م عند ترجمته لعضد الدولة ابي شجاع ((وكتب على قبره في ملبن ساج ...))[١١٣]، وفي سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م ، بنى المرزبان بن خسرو ((تربة ابي اسحاق وعمل لقبره ملبنا))[١١٤]. والدرابزين ، يقول ابن الحاج ((وكذلك يحذر من ان يجعل عليه - اي على القبر - درابزين اذ ان هذا كله من البدع المكروهة))[١١٥]. والدكانة ، يقول ابن بطوطة عن قبري الامامين الكاظم والجواد ((والقبران داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه الواح الفضة))[١١٦]. والتابوت[١١٧].

وبالنسبة لقباب موضوعنا ، فانه لم يصلنا صندوق واحد ، يعود الى عصر البناء .

ولعل اول قبة رجحنا انها كانت مخروطة ، وصلنا خبر نصب صندوق فيها ، هي قبة الامام ابي حنيفة التي شادها شرف الملك سنة ٤٥٩هـ /١٠٦٧م ، ((وعمل لها ملبنا وعلاه على مثال قبور آل ابي طالب في المشاهد))[١١٨] ويبدو من هذا النص ان صناديق قبور الطالبيين ذات طراز خاص تختلف فيه عن صناديق القبور الاخرى ، وقبة الشيخ علي الهيتي ، المتوفى سنة ٥٦٤هـ / ١٠٦٩م والتي شادتها زمرد خاتون سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م رجحنا كونها قبة مخروطة وقد اقيم على قبره صندوق من خشب الساج . واغلب الظن ان قبر السيدة زمرد خاتون كان عليه صندوق ، غير انه كغيره من صناديق القبور لم تبقه الايام لنا ، لاسباب ، ربما كان منها عامل الجو واضافة الى الايدي العابثة التي امتدت الى الكثير من التحف الاثرية .

ومهما يكن من امر فانه بالامكان اعطاء صورة واضحة عن صناديق القبور من خلال صندوق قبر الامام موسى الكاظم ، المعمول من قبل الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٧م .

صندوق قبر الامام موسى الكاظم

عند تولي الظاهر بامر الله الخلافة سنة ٦٢٢هـ /١٢٢٥م ، لم يحدث شيء يذكر خلال مدة خلافته التي امتازت بقصرها «سوى احتراق القبة الشريفة بمشهد موسى والجواد عليهما السلام ، فشرع الظاهر في عمارتها ، فمات ولم تفرغ ، فتممها المستنصر».[١١٩]

ولما كانت هذه القبة قد شيدت في الفترة التي ازدهر فيها طراز القبة المخروطة ، فقد وجدنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد يقول ، «والظاهر انه بناها على طراز القباب المخروطية

---

(١٠٩) ن . م . ص ٥٧
(١١٠) الحوادث الجامعة ص ٢٥٣
(١١١) ن . م . ص ٢٣٣
(١١٢) ن . م . ص ٣٦٤
(١١٣) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٧ ص ١٢٠
(١١٤) ن . م . جـ ٩ ص ٧٤ . وانظر جـ ٧ ص ٢٥٥
والغريب ان حسين امين يقول عن الملبن ((اي طلاء ابيض مثل اللبن)) ؟ وهذا غلط فضيع ، انظر :
تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، هامش رقم (٣) ص ٢٨٤
(١١٥) المدخل جـ ٣ ص ٢٧٢ ، وانظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ - ٢٥٧
(١١٦) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٤١
(١١٧) ابن دعسين اليمني (ت ١٠٠٦هـ) ، جواهر السلوك المتحلي بها جيد حال السلوك الى ملك الملوك ، مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٠٦٠٠)
(١١٨) مرآة الزمان ص ١٣٤
(١١٩) تاريخ الدول الاسلامية ص ٣٢٩

الشكل كقبة زمرد خاتون» .[120]

ونحن في الوقت الذي لا يمكننا تقبل مثل هذا الرأي لانعدام الادلة ، نود القول ان ما ذكره ابن الطقطقي من ان العمارة التي اتمها المستنصر كانت قبة واحدة ، ليس بالقول القوي الذي يستند عليه ، حيث نجد ما يناقضه لكاتب آخر ، ففي سنة ٦٤٧هـ /١٢٤٩م «امر الخليفة بحمل مشدتين الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، وتعليقهما على القبتين الشريفتين»[121]، وهذا ما ارجحه وان كنت لا استطيع ان اؤكده ، وترجيحي هذا لسببين ، اولهما : انه كانت على القبرين قبتان عند نشوب الفتنة بين العامة ببغداد سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ، والتي ادت الى احتراق المشهد الكاظمي ، يقول ابن الجوزي : «واحترق الضريحان والقبتان الساج ...»[122] كما يؤكد ذلك ابن الاثير ايضا ، فيقول انهم «قصدوا المشهد واحرقوا جميع الترب والازاج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد والقبتان الساج اللتان عليهما»[123].

وثانيهما : ان المستنصر بالله قد نصب صندوقين ، على كل قبر صندوق ، يقول صاحب الحوادث عند حديثه عن فيضان دجلة وغرق بغداد سنة ٦٤٦هـ /١٢٤٨م ومن ضمن الابنية التي غرقت المشهد الكاظمي ، حيث ان الماء «هدم سوره ودوره فاقام على الضريحين الشريفين بحيث لم يبن من الرمامين سوى رؤوسها»[124].

ومهما يكن من امر فان صندوق قبر الامام الكاظم لا يزال باقيا حتى يومنا هذا ، فقد عثر عليه موضوعا على قبر الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ورجح البعض ان نقل الصندوق قد تم سنة ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٧م بعد ان عمل السلطان اويس الجلائري ضريحين من الرخام اثناء عمارته للمشهد الكاظمي[125].

وتم نقل الصندوق من قبل مديرية الاثار القديمة في ١٥ تشرين الاول / ١٩٣٦[126] وهو معروض الان في احدى قاعات المتحف العراقي الاسلامية . والصندوق مستطيل الشكل (نظر صورة رقم ٨٣) معمول من خشب الساج ، امتدت اليه الايدي فذهب غطاؤه العلوي ، واعتقد انه كان في اركانه الاربعة ، اربعة رمامين من الخشب ، استنادا الى ما ذكره صاحب الحوادث عند حديثه عن غرق بغداد سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م[127] واعتمادا على صندوق قبر الامام يحيى بن القاسم (صورة ٨٤) الذي امر بعمله بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م ، والذي لا يزال حتى يومنا هذا موجودا في مشهد الامام يحيى في الموصل[128]، كما ان اثار قطع الرمامين الاربعة بآلة حادة لاتزال اثارها تؤشر امكنتها ، يضاف الى كل ذلك ان الكثير من زخارف الصندوق وبعض الكتابات قد فقدت ايضا . والكتابات موزعة على :

١ ـ وسط جوانب الصندوق الاربعة ، كتابات بالخط الكوفي المظفور على ارضية من الزخارف النباتية ، نصها :

أ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

ب ـ هذا ضريح الامام ابي الحسن موسى بن جعفر

ج ـ ابن محمد بن علي بن

د ـ ... الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام

والكلمة المفقودة التي تقع في بداية نص اللوح الرابع ، رجح البعض انها ربما كانت كلمة الشهيد او الامام[129]، وكلا الاحتمالين غير منطقي ، اذ ان كلمة الشهيد ، صفة والصفة تتبع الموصوف . فلكي يستقيم كان لابد من ان تكون العبارة (الحسين الشهيد) ، اما كلمة الامام فتكاد تكون حكرا على الامام علي ، فاذا قيل الامام فلا يتبادر الى الذهن سوى علي عليه السلام ، فمن غير المنطقي وجود لفظة (الامام الحسين) في حين تنعدم لفظة الامام التي تتقدم عادة اسم علي

---

(١٢٠) مشهد الكاظمين ص ٦٠

(١٢١) الحوادث الجامعة ص ٢٤٤

(١٢٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٨ ص ١٥٠

(١٢٣) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٥٩

(١٢٤) الحوادث الجامعة ص ٢٣٣

(١٢٥) هشام عبدالستار حلمي ، الاثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق ص ٥٤ .

(١٢٦) اضبارة مديرية الاثار العامة (٤٥/٢٧)

(١٢٧) الحوادث الجامعة ص ٢٣٣

(١٢٨) عن صندوق القبر هذا ، انظر :
الديوه جي ، مشهد الامام يحيى بن القاسم ، مجلة سومر ، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٧٩ ـ ١٨١ .
الاثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق ص ٦٧ ـ ٧١

(١٢٩) الاثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق ص ٥٧ ـ ٥٨

عليه السلام ، ويبدو لي ان الكلمة هي (ابي عبدالله)[130]

٢ ـ على حواف سطح الصندوق بين الرمامين الاربعة ، كتابات بخط الثلث نصها : ـ

أ ـ بسم الله الرحمن الرحيم انما يريد الله ليذهب

ب ـ عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا هذا ما تقرب الى (الله) تعالى بعمله خليفته في ارضه .

جـ ـ ونائبه في خلقه سيدنا ومولانا امام المسلمين المفترض[131].

د ـ الطاعة على الخلق اجمعين ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين ثبت الله دعوته سنة ستماية واربع وعشرين .

المحراب المجوف

مما لاشك فيه ان المحراب المجوف بدأ كغيره من العناصر العمارية او الزخرفية بسيطا ثم تطور حتى بلغ اوجه من التعقيد ابان رفعة الحضارة العربية الاسلامية وازدهارها .

وللمحراب معان ومدلولات عدة[132]، والذي نقصده هنا : تلك الجوفة او الطاقة او الحنية التي تتوسط الجدار القبلي لبيت الصلاة والتي تتجه اليها انظار المصلين وعليها تقع . وتعترض سبيل الباحث في اصل المحراب المجوف جملة عقبات منها :

١ ـ كثرة الاحاديث الموضوعة والاخبار الملفقة المدسوسة .

٢ ـ لا نجد في المصادر المؤتمنة والموثوقة شيئا بخصوص المحراب المجوف ، لاسيما بداياته مع انعدام الشواهد المادية .

٣ ـ تخبط المستشرقين والكثير من الكتاب العرب ، وعدم التزامهم باصول البحث العلمي الحق ، البعيد عن الاهواء والنزعات .

حتى انه تعذر على كثيرين ممن طرقوا الموضوع تلمس الطريق الصائب فشطوا واشتطوا .

وقد اختلف الباحثون المحدثون حول اصل المحراب المجوف ، وتباينت اراؤهم ، فمنهم من راى انه ابتكار اسلامي ، دعت اليه حاجة المسلمين[133]، ويقابله رأي يقول : انه مقتبس ، اما المصدر الذي اقتبس منه ، فقد اختلفوا فيه ايضا ، فمنهم من ذهب الى انه مأخوذ من الكنائس المسيحية[134]، والبعض الآخر من الهياكل اليهودية[135]، واخيراً ، قالوا : انه مأخوذ من حنايا المعابد الوثنية ، وهنا ايضا اختلفوا فزعم بعضهم انه من حنايا تماثيل المعابد البوذية[136]، والبعض الاخير قال : انه من حنايا المعابد الرومانية[137]، ولماذا لا نقول : انه من محاريب اصنام عرب الجزيرة العربية[138].

ومهما اختلفت الاراء ، فان الراي السائد هو ان المحراب المجوف اقتبسه العرب المسلمين من الكنيسة ، وخلاصة رأيهم :

الجاحظ ، كتاب الحيوان ج ١ ص ٥ ـ ٦

(١٣٠) استبعد السيد هشام عبدالستار حلمي هذا الاحتمال معتمدا على الكلمة التي تسبق الجزء المفقود حيث قرأها (ابن) والصواب (بن) مما يترجح عندي ان العبارة المفقوده هي (ابي عبدالله) كما ان العبارة جد كافية لاشغال مساحة الجزء المفقود من خلال كلمة (الله) الواردة في الفقرة (ا) و (ابي) الواردة في الفقرة (ب) .

(١٣١) قرأت كلمة المفترض من قبل البعض قراءة مغايرة ، فمنهم من قرأها : المفروض ، انظر

بشير فرنسيس وناصر النقشبندي ، « الاثار الخشب في دار الاثار العربية» مجلة سومر م ٥ (١٩٤٩) جـ ١ ص ٥٦

الاثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق ص ٥٦ وقرأت المفرض ، انظر

الدكتور عيسى سلمان واخرين ، نصوص في المتحف العراقي م ٨ «نصوص عربية» ص ١١٤ ، ١١٦

والصواب ما ثبتناه ، ومما يؤكد ذلك قول الملك الاشرف عند حديثه عن بيعة الخليفة الظاهر «وكانت لفظة المبايعة ابايع سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ....» العسجد المسبوك جـ ٢ ص ٢٦٢

(١٣٢) انظر ، لسان العرب جـ ١ ص ٣٠٥ وما بعدها

تاج العروس جـ ٢ ص ٢٥٤ وما بعدها

(١٣٣) المسجد الجامع بالقيروان ص ٥٤ ـ ٥٩

(١٣٤) انظر : Creswell, E. A. I. P. 97- 99

Bell, Ukhaidir, P. 147

تراث الاسلام جـ ص ٦ ـ ٧ ، ١٢٠ ـ ١٢٨

الفن الاسلامي في اسبانيا ص ١١

زكي محمد حسن ، الفن الاسلامي في مصر جـ ١ ص ٥٢ ، فنون الاسلام ص ٣٦

مرزوق ، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ص ١٣ ـ ١٥

كونل ، الفن الاسلامي ص ١٧

سعاد ماهر ، مساجد مصر واولياؤها الصالحون جـ ١ ص ٣٩

(١٣٥) انظر المحاريب العراقية ص ٢١

(١٣٦) Briggs, Muhammapan Archi tecture in Egypt and Pahastine, P. 59

(١٣٧) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ص ٦١٧

(١٣٨) يقول عدي ابن زيد العبادي من قصيدة له :

كدمى العاج في المحاريب كالـ   بيض في الروض زهره مستنير

الديوان ص ٨٤ ، وانظر :

عندما اعاد عمر بن العزيز والي المدينة المنورة (٨٧ ـ ٩٠هـ /٧٠٦ ـ ٧٠٩م) بناء المسجد النبوي ، ارسل له الخليفة الوليد بن عبدالملك عمالا ، وان العمال القبط هم الذين ادخلوا المحراب المجوف الذي ظهر لاول مرة في هذا المسجد[١٣٩].

ولنأخذ ادلتهم الواحد تلو الآخر ، مبينين رأينا فيه :

روى الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ /٧٤٧ ـ ٨٢٢م) : ((ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل واربعين حملا فسيفساء ، فبعث الوليد بذلك كله الى عمر فاصلح به المسجد))[١٤٠] وروي ذات الخبر عن طريق محمد بن الحسن ابن زبالة[١٤١]، المتوفى في حدود سنة ٢٠٠هـ /٨١٥م .

وهذه الرواية لا يعول عليها ، لان الاختلاق واضح عليها ، ولان رواتها الواقدي[١٤٢] وابن زبالة[١٤٣]، من الكذابين الوضاعين للحديث على رسول الله ﷺ وبطبيعة الحال على غيره اكذب .

والتعويل عندي على روايتين احداهما تكمل الثانية ، الاولى للبلاذري يقول فيها ((وبعث ـ اي الوليد ـ اليه ـ اي الى عمر ـ بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقبط من اهل الشام ومصر))[١٤٤] والثانية لابي حنيفة الدينوري حيث يقول : ان الوليد طلب من امبراطور الروم ((ان يبعث اليه ما استطاع من الفسيفساء فوجه اليه منها اربعين وسقا))[١٤٥].

وبناءاً على ما تقدم فان الوليد طلب من امبراطور الروم الفسيفساء لتزيين المسجد النبوي ، وذلك لوفرتها لديهم وتقدم صناعتها عندهم ، وانه ، اي الوليد ، ارسل صناعا من مسيحي سوريا واقباط مصر برفقة الفسيفساء الى عمر ، لاتقانهم تثبيتها وتمرسهم في اعمالها ، بالرغم مما قاله ابن كثير بعد ايراده رواية الواقدي نقلا عن الطبري ((والمشهور ان هذا انما كان من اجل مسجد دمشق))[١٤٦].

وفي رواية للواقدي يقول فيها ((كان عمل القبط مقدم المسجد وكانت الروم تعمل ما خرج من السقف جوانبه ومؤخره))[١٤٧] وهذا يعني من وجهة نظر المستشرقين واتباعهم : ان الاقباط هم الذين عملوا المحراب المجوف[١٤٨]، على الرغم من وضوح الرواية .

وحتى لو صحت رواية الواقدي هذه ، رغم انفراده بها وانعدام الثقة به ، فانه يفهم منها : ان عمل القبط هو تزيين الجدار القبلي بالفسيفساء ، بينما كانت حصة مسيحي سوريا المؤخرة والمجنبتين ، وعملهم جميعا كان محصورا من منتصف جدران المسجد الداخلية فصاعدا .

ومما زاد في تمادي المستشرقين ما رواه يحيى بن عبدالمهيمن بن عباس[١٤٩] عن ابيه ، من ان ((اول من احدث المحراب المجوف عمر بن عبدالعزيز))[١٥٠]، ولم ينفرد عبد المهيمن وهو الذي لايعول عليه مطلقا ، بهذه الرواية ، بل شاركه في رواية الخبر صنوه في الكذب والاختلاق

---

(١٣٩) Creswell, Op. Cit., PP. 97-99

(١٤٠) تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ٢٨ ـ ٢٩

تاريخ الطبري جـ ٦ ص ٤٣٦

(١٤١) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٦٧

(١٤٢) طعن فيه احمد بن حنبل والشافعي والبخاري والنسائي وابو داود والذهبي وغيرهم واتهموه بالكذب والوضع والاختلاق وضعف الرواية ، وان الثقة معدومة به ، انظر : ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل جـ ٤ ق ١ ص ٢١

الذهبي ، ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٦٦٢ ـ ٦٦٦

ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٨

(١٤٣) مطعون فيه ، كذبه يحيى بن معين والبخاري وابو داود والنسائي ومسلم والدار قطني وغيرهم ، واتهموه بالوضع والاختلاق ، ولم يوثقه احد ، انظر :

الجرح والتعديل جـ ٣ ق ٢ ص ٢٢٨

ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥١٤

تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١١٥ ـ ١١٧

(١٤٤) فتوح البلدان ق ١ ص ٥ ـ ٦

(١٤٥) الاخبار الطوال ص ٣١٣

(١٤٦) البداية والنهاية جـ ٩ ص ٧٥

(١٤٧) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٧٢

* وتصحفت كلمة (القبط) عند ابن النجار ، فاصبحت (القبلة) انظر :

اخبار مدينة الرسول ص ٨٨ .

(١٤٨) Creswell, Op. Cit., pp. 97-98

(١٤٩) مطعون فيه ، فهو منكر الحديث ضعيفه ، غير موثوق فيه ، انظر :

ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٦٧١

تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٤٣٢

(١٥٠) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٧٢

الواقدي[١٥١].

ولو ان المستشرقين حاولوا التعرف على سيرة عمر بن عبدالعزيز ، وعلى المسار الذي سار فيه البناء في المسجد النبوي من خلال المصادر المؤتمنة والروايات الموثوقة ، لما ذهبوا مثل هذه المذاهب الباطلة ، ولما تمسكوا بروايات موضوعة ثابت زيفها .

فعند تولي عمر امرة المدينة ، دعى عشرة من فقهائها وقال لهم ((اني انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه اعوانا على الحق ما اريد ان اقطع امرا الا برأيكم ..))[١٥٢]. وولى امر الاشراف على البناء التابعي الجليل صالح بن كيسان[١٥٣]، احد العلماء الثقاة[١٥٤]، الجامعين بين الحديث والفقه[١٥٥]، وثقه احمد بن حنبل ويحيى بن معين[١٥٦].

ومما اوصى به الوليد عمر عندما امره ببناء المسجد النبوي «قدم القبلة ان قدرت ، وانت تقدر لمكان اخوالك ، فانهم لايخالفونك ، فمن ابى منهم فراهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ...»[١٥٧]، وعندما بلغ عمر هدم الجدار القبلي «دعا بمشايخ المهاجرين والانصار فقال احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر»[١٥٨] ويضيف ابن النجار «فجعل لا ينزع حجرا الا وضع حجرا»[١٥٩].

اما سيرة عمر ، فاخبار علمه وتقواه وتمسكه بالسنة المطهرة وابتعاده عن البدع والمحدثات ، من الامور التي لايتطرق اليها ادنى شك ، فقد كانوا يسمونه معلم العلماء[١٦٠]، قال مجاهد «اتينا - اي الى عمر - نعلمه فلم نبرح حتى تعلمنا منه»[١٦١] وقال احمد بن حنبل «لا ادري قول احد من التابعين حجة الا قول عمر بن عبدالعزيز»[١٦٢]، وعند توليه الخلافة كانت كتبه الى عماله اما امرا بالتزام سنة او ترك بدعة[١٦٣]، ومن رسالة له الى احد عماله «اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في امره وترك ما احدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته»[١٦٤]، يقول احمد بن حنبل «ان الله يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرنا فاذا في رأس المائة عمر بن عبدالعزيز»[١٦٥]، واخباره في الزهد والورع والتقى وخشية الله وشدة مخافته كثيرة لا حصر لها ، وهذه كلمة جامعة قالها في حقه الامام الذهبي «كان اماما فقيها مجتهدا عارفا بالسنن كبير الشأن ثبتا حجة حافظا قانتاً لله اواها منيبا»[١٦٦].

وبعد كل ذلك قد يقول قائل : انه لم يكن كذلك ابان امرته على المدينة ، بل ان هذه الاخبار في ايام خلافته ، وانه ربما كان مجبرا على ادخال المحراب المجوف ؟

والجواب على هذا ، ان اخبار تقواه وعلمه وتمسكه بالسنة ، كانت منذ ايام امرته لابل منذ كان غلاما يتتلمذ على علماء المدينة الاعلام . ولكنها لم تكن بالدرجة التي اصبحت عليه ايام خلافته .

ولو كان مجبرا على ادخال المحراب المجوف في المسجد النبوي ، لازاله عند توليه الخلافة ، وهو القوي في دين الله لا تأخذه فيه لومة لائم ، انظر ما فعل بالجامع الاموي بدمشق ، الذي يعد مفخرة بني أمية ، ولم يكن معه يومذاك

(١٥١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار ج ٣ ص ١٠٩ ، وانظر :
ابن دقاق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٤ ص ٦٢
اخبار مدينة الرسول ص ٨٣
اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٣٦٣
القاري ، مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤
النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٧
السيوطي ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ج ٢ ص ١٤٩
السيوطي ، الوسائل الى مسامرة الاوائل ص ١٤

(١٥٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢١٦ - ٢١٧
(١٥٣) معجم البلدان ج ٥ ص ٨٧
(١٥٤) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٩
(١٥٥) تاريخ الاسلام ج ٦ ص ٨٢
(١٥٦) ن . م .

(١٥٧) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٣٥
(١٥٨) احسن التقاسيم ص ٨٠ - ٨١
(١٥٩) اخبار مدينة الرسول ص ٨٣
(١٦٠) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٢٧
البداية والنهاية ج ٩ ص ١٩٤

(١٦١) الشيرازي ، طبقات الفقهاء ص ٣٦
الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٣
(١٦٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٩٢
(١٦٣) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٤
(١٦٤) البداية والنهاية ج ٩ ص ٢١٦
(١٦٥) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٦٠
(١٦٦) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٨

من يعينه على الحق الانفر يسير يعدون عدا «جلله بالجلال ، وغطاه بالكرابيس ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب الى ان ذلك الصنيع مجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرائع والمحاسن الدقاق ، منهلة للقلوب ، ومشغلة دون الخشوع ، وان البال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفرقه ويعترض عليه»(١٦٧).

ومن الادلة التي اعتمدوها ، تلك المحاورة التي يقال انها جرت بين ابان بن عثمان بن عفان وعمر بن عبدالعزيز ، بعد اكمال المسجد النبوي ، سأله عمر كيف رأيت بناءنا ؟ قال ابان : «بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس»(١٦٨)، وبالرغم من ان القول عام لانجد فيه تخصيصا ، اقول ان الرواية موضوعة لا اساس لها من الصحة للاسباب التالية : -

١ - اختلاف الروايات في شخصيات المحاورة ، فهي بين ابان وعمر مرة(١٦٩)، وثانيا : بين عمرو بن عثمان بن عفان وعمر(١٧٠)، وثالثا بين ابان والوليد بن عبد الملك(١٧١).

٢ - راوي الخبر محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي الكذاب الذي لايعول عليه .

٣ - ان بناء عمر للمسجد النبوي كان بين سنتي ٨٧ - ٩٠هـ /٧٠٦ - ٧٠٩م ، وأبان توفي سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م(١٧٢)، على رغم ما ذهب اليه البقية الباقية من الكتاب والمؤرخين العرب ، لسببين : -

أ - انقطاع اخبار ابان بن عثمان بعد سنة ٨٥ هـ/ ٧٠٤ م ، فلا نجد له خبرا يذكر ، سوى تلك المحاورة .

ب - كان ابان احد فقهاء المدينة العشرة(١٧٣)، يقول ابن قيم الجوزية : «وكان من اهل الفتوى ابان بن عثمان وسالم ونافع ...»(١٧٤) وقال عمرو بن شعيب «ما رأيت احداً اعلم بحديث ولافقه من ابان»(١٧٥)، فلو كان حيا بعد سنة ٨٥ هـ /٧٠٤ م ، لكان ضمن العلماء الذين استدعاهم عمر لمشاركته المسؤولية(١٧٦).

٤ - والغريب ان العمدة لدى المستشرقين في هذا الخبر وغيره من الاخبار الضعيفة والموضوعة ، السمهودي وكتابه وفاء الوفا ، الذي يقول فيه السخاوي «مفتقر الى تحرير ونظر»(١٧٧).

ومن الادلة التي يسوقها المستشرقون في محاولة دعم ادعاءاتهم ، احاديث تنسب الى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، واقوال رويت على لسان بعض الصحابة تذكر ان المحاريب من شأن الكنائس ، وهذه الاحاديث وتلك الاقوال مشكوك في صحتها وهي : -

١ - حدثنا وكيع قال ابو اسرائيل عن موسى الجهني قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزال هذه الامة او قال امتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى»(١٧٨).

وفيه ابو اسرائيل اسماعيل بن خليفة العبسي بن ابي اسحاق الملائي الكوفي المتوفى سنة ١٦٩هـ /٧٨٥م ، والثقة معدومة فيه(١٧٩)، اما موسى بن عبدالله الجهني

---

(١٦٧) الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ٥٦ - ٥٧

(١٦٨) Bell Op. Cit., P. 147

(١٦٩) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٧٠

(١٧٠) ن . م . ص ٢٦٩

(١٧١) اخبار مدينة الرسول ص ٨٤
الرد على الاخنائي ص ١٨٧
وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٧١

(١٧٢) البداية والنهاية جـ ٩ ص ٦٠ ، وانظر ، ص ٢٣٣
تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ٢٤١
الوافي بالوفيات جـ ٥ ص ٣٠١
تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢

(١٧٣) تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ٢٤١
ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ٢٣

(١٧٤) اعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ٢٣

(١٧٥) تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ٢٤١

(١٧٦) انظر اسماء العلماء الذين استدعاهم عمر ، في :
تاريخ الطبري جـ ٥ ص ٢١٦ - ٢١٧
سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٣٢

(١٧٧) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٢٧٥

(١٧٨) ابن ابي شيبة ، الكتاب المصنف في الاحاديث والاخبار جـ ٢ ص ٥٩
وابن ابي شيبة عبدالله بن محمد المتوفى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م ، ثقة صدوق ، الا ان احمد بن حنبل يقول فيه «دع ابن ابي شيبة في ذا وانظر ما يقول غيره ، يريد ابو عبد الله كثرة خطأه» ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٤٩٠
ويقول الذهبي «وثقه الجماعة وما كاد يسلم» ن . م .
واحاديث المحراب التي اوردها لا نجدها في كتب الحديث المعتمدة .

(١٧٩) انظر : تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(١٨٠) الالباني ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة م ١ جـ ٥ ص ٥٧

المتوفى سنة ١٤٤هـ /٧٦١م ، فانه ((يروي عن الصحابة بواسطة التابعين ... فهو من اتباع التابعين))[١٨٠].

٢ - انبأ ابو نصر قتادة انبأ ابو الحسن محمد بن الحسن السراج ثنا مطين ثنا سهل بن زنجلة الرازي ثنا ابو زهير عبدالرحمن بن مغراء عن ابي ابجر عن نعيم بن ابي هند عن سالم بن ابي الجعد عن عبد الله بن عمرو قال :

قال رسول الله ﷺ : ((اتقوا هذه المذابح . يعني المحاريب))[١٨١] . وفيه سالم بن ابي الجعد ، يدلس ويرسل[١٨٢] ، ونعيم بن ابي هند ، قيل للثوري : لم لم تسمع منه ؟ قال : كان يتناول عليا رضي الله عنه[١٨٣] ، وعبدالرحمن بن مغراء ابو زهير ، قال ابن عدي : هو من جملة الضعفاء[١٨٤] ، وسهل بن زنجلة ، انكر عليه ابو اسحاق الحربي حديث رواه[١٨٥] ، ومطين محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي : خطأه محمد بن عثمان بن ابي شيبه في احاديث[١٨٦] .

٣ - ومما يروى عن عبدالله بن مسعود المتوفى سنة ٣٢هـ /٦٥٢م ، انه ((كره الصلاة في المحراب وقال : انما كانت للكنائس فلا تشبهوا باهل الكتاب ، يعني انه كره الصلاة في الطاق))[١٨٧] .

وفيه : ميمون ابو حمزة الاعور القصاب الكوفي ، ضعيف ، ليس بثقة[١٨٨] ، ومحبوب بن الحسن القرشي ابو جعفر البصري ، قال فيه ابو حاتم : ليس بقوي ، وضعفه النسائي[١٨٩] ومحمد بن مرداس الانصاري ، قال فيه ابو حاتم : حدث عن خارجة بن مصعب بخبر باطل مجهول[١٩٠] .

وللشيخ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ /١٥٠٥م رسالة جامعة لاحاديث المحاريب اسماها (اعلام الاريب بحدوث بدعة المحاريب) ، وقد حاول كل من الدكتور احمد فكري والسيدة نجاة توتونجي النيل من السيوطي والطعن فيه من خلال الرسالة دون اي سند او دليل علمي .

يقول الدكتور احمد فكري «ولم يذكر لنا السيوطي انه كتب رسالة بالعنوان الذي يحمله مخطوط دار الكتب او انه شغل بموضوع المحاريب ... ولهذا فاني اشك في صحة انتساب الرسالة اليه بالرغم مما انطبع فيها من مظاهر اسلوبه وتفكيره ، غير اني ساتمهل في الرفض وانظر في موضوعها»[١٩١] .

والحقيقة اني للوهلة الاولى كنت شاكاً في نسبة الرسالة للسيوطي من خلال ما لاحظته من تناقض بين قوله في الرسالة عن تاريخ استحداث المحراب «وانما حدث في اول المائه الثانية»[١٩٢] وبين قول له في مؤلف أخر ثابت نسبته اليه «اول من احدث المحراب المجوف عمر بن عبدالعزيز حين بنى المسجد النبوي»[١٩٣] ويقول في مؤلف ثان ثابت نسبته اليه ايضا «واول من احدث ذلك عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة حين هدم المسجد النبوي وزاد فيه»[١٩٤] ولما كانت امرة عمر على المدينة المنورة بين سنتي ٨٧ - ٩٠هـ / ٧٠٦ - ٧٠٩م ، اذن هناك تناقض بين قولي السيوطي يستوجب الشك ، غير ان شكوك الدكتور فكري في انتساب الرسالة للسيوطي لم تبن على هذا الاساس ، انما على عدم ذكرها في الثبت الذي عمله السيوطي لمؤلفاته[١٩٥] ، والحقيقة ان هناك عدداً كبيراً من مؤلفات السيوطي لم يتضمنها الثبت وهي ثابتة النسبة اليه .

ومرد ذلك كما يبدو لي انه صنف رسالته هذه وغيرها من كتبه التي لم يتضمنها الثبت بعد تصنيفه لكتاب حسن المحاضره ، اما سبب التناقض الحاصل في أقواله التي اسلفت ذكرها فراجع الى كون السيوطي ناقل للروايات جامع لها اكثر من كونه محقق لها ومدقق[١٩٦] فيها علاوة على سرعة

---

(١٨١) السنن الكبرى جـ ٢ ص ٤٣٩
(١٨٢) ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ١٠٩
(١٨٣) ن . م . جـ ٤ ص ٢٧١
(١٨٤) ن . م . جـ ٢ ص ٥٩٢
(١٨٥) تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٥٢
(١٨٦) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٦٠٧
(١٨٧) مجمع الزوائد ومنبع الفرائد جـ ٢ ص ١٥
(١٨٨) انظر ، تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٣٩٥ - ٣٩٦
(١٨٩) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٤٢
(١٩٠) ن . م . جـ ٤ ص ٣٢

تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٣٤
(١٩١) «بدعة المحاريب» مجلة الكاتب المصري ، السنة الثانية (ذو القعده ١٣٦٥هـ/ اكتوبر ١٩٤٦ - يناير ١٩٤٧) م ٤ عدد ١٣ ص ٣٠٦ - ٣٠٧
(١٩٢) اعلام الاريب بحدوث بدعة المحاريب (مخطوط)
(١٩٣) الوسائل الى مسامرة الاوائل ص ١٤
(١٩٤) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة جـ ٢ ص ١٤٩
(١٩٥) ن . م . جـ ١ ص ١٥٥ - ١٦١ ، ترجمة السيوطي لحياته وثبت مؤلفاته .
(١٩٦) الذهبي ، التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٢٥٤

تأليفه وكثرة مؤلفاته ، وآفة السرعة الزلل والتناقض والخطأ .

ولقد ثبت لي ثبوتا قاطعاً لا يعتريه شك صحة انتساب الرسالة اليه من خلال مايلي :

١ ـ توجد بين ايدينا من الرسالة نسختان ، ثبت فيهما اسم السيوطي مؤلفاً [١٩٧] .

٢ ـ للسيوطي ثبت ببعض مؤلفاته ، والرسالة هذه من ضمنها[١٩٨] .

٣ ـ ضمن السيوطي احد مؤلفاته الرسالة محذوفة الاسانيد وبعض الاقوال[١٩٩] .

٤ ـ يقول المناوي في شرحه لكتاب السيوطي الجامع الصغير في حديث «اتقوا هذه المذابح ، يعني المحاريب»[٢٠٠] «ووقع للمصنف انه جعل هذا نهيا عن اتخاذ المحاريب في المساجد والوقوف فيها وقال خفي على قوم كون المحراب بالمسجد بدعة وظنوا انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن في زمنه ولا في زمن احد من خلفائه بل حدث في المائة الثانية مع ثبوت النهي عن اتخاذه»[٢٠١] .

ويضيف المناوي «وقال المصنف حديث ثابت وهو على راي ابي زرعة ومتابعيه صحيح وعلى راي ابن عدي حسن والحسن اذا ورد من طريق ثان ارتقى الى الصحة»[٢٠٢] وهذه الاقوال لانجدها الا في رسالة السيوطي ، ويقول الشيخ العزيزي بعد ايراده الحديث «قال الشيخ ـ اي السيوطي ـ حديث حسن»[٢٠٣] وهذا ايضا من قبيل الاقوال السالفة لا نجدها الا في الرسالة ، مما يؤكد صحة انتساب الرسالة اليه .

٥ ـ ذكر كل حاجي خليفة[٢٠٤] والبغدادي[٢٠٥] الرسالة ونسباها للسيوطي .

ويضيف الدكتور فكري قائلاً «والذي اجزم به ، على كل حال ، هو ان رسالة السيوطي مرفوضة علماً ، مستنكرة تاريخا حتى لو كانت مخطوطة بيده ، اذ لا يستطيع المؤرخ ، مهما بلغت حماسته في الرأي ، او مقدرته على الاستنباط ان يعترف برواية نقلها الراوي بعد تسعة قرون طويلة من تاريخ حدوثها ، مهما اضفى عليها راويها من صحة المظهر واستقامة المعنى»[٢٠٦] والسبب كما يراه الدكتور فكري هو ان ما اورده السيوطي «لم يأت بذكره راو من رواة الاحاديث ، ولم ينقله قبله مؤرخ من مؤرخي الاسلام»[٢٠٧] .

والحقيقة التي لا يتطرق اليها ادنى شك هو ان الدكتور فكري قد جانب الصواب في ارائه هذه ، واتهم السيوطي زوراً وبهتانا ، فلو انه قرأ الرسالة بترو لما فاته تنبيه السيوطي الى اصول الرسالة ، ولقد كان السيوطي امينا في النقل مرجعاً كل حديث او قول الى المرجع الذي اخذ عنه ، معتمداً على محدثين يعدون من اوائل المحدثين ، بل ان فيهم من يسبق البخاري وغيره من اصحاب المسانيد ، ارتبها هنا وفق تسلسل الاحاديث والاقوال الواردة في الرسالة .

١ ـ البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي المتوفى سنة ٤٥٨هـ /١٠٦٥م[٢٠٨] .

٢ ـ البزار ، ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق المتوفى سنة ٢٩٢هـ /٩٠٥م[٢٠٩] .

٣ ـ ابن ابي شيبة ، ابو بكر عبدالله بن محمد بن ابراهيم

(١٩٧) نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٨١هـ ، ولقد صورتها اثناء زيارتي للقاهره سنة ١٩٧٧ ، والاخرى محفوظة بمكتبة الاوقاف ببغداد تحت رقم (٣٩٤٧/٣) ، ولدي نسخة منها مصورة ايضاً

(١٩٨) فهرست مؤلفات سيوطي ، مطبعة محمدي (طبع حجر) محفوظ في المكتبة القادرية .

(١٩٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢١

(٢٠٠) السيوطي ، الجامع الصغير في احاديث البشير النذير جـ ١ ص ٩

(٢٠١) فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ١٤٤

(٢٠٢) ن . م . ص ١٤٥

(٢٠٣) السراج المنير على الجامع الصغير في احاديث البشير النذير جـ ١ ص٤٥

(٢٠٤) كشف الظنون ص ١٢٠

(٢٠٥) هدية العارفين جـ ١ ص ٥٣٥

(٢٠٦) «بدعة المحاريب» ص ٣٠٧

(٢٠٧) ن . م .

(٢٠٨) السنن الكبرى جـ ٢ ص ٤٣٩

(٢٠٩) كتاب المسند ، لا يزال مخطوطا ولم اطلع عليه ، واعتقد ان السيوطي لم يأخذ عنه مباشرة ، وانما اعتمد على الهيتمي ، انظر ، مجمع الزوائد ومنبع الفرائد جـ ٢ ص ١٥

بن عثمان الكوفي العبسي المتوفى سنة ٢٣٥هـ /٨٤٩م[٢١٠] .

٤ ـ عبدالرزاق ، ابو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني المولود سنة ١٢٠هـ /٧٣٧م والمتوفى سنة ٢١١هـ /٨٢٦م[٢١١] .

٥ ـ الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي المولود سنة ٢٦٠هـ /٨٧٣م والمتوفى سنة ٣٦٠هـ /٩٧١م[٢١٢] .

وتقول نجاة توتونجي «من خلال مراجعتي للنصوص التي ذكرها الزركشي عن الزخارف اعتقد ان بعض الاحاديث التي رواها السيوطي منقولة ومحرفة عن هذا الكتاب»[٢١٣] وهذا خطأ فضيع اذ ان هذه الاحاديث ليست منقولة عن هذا الكتاب[٢١٤] ، كما ان الامانة في النقل متوفرة بحيث لا يوجد ثمة تحريف فيها . وتعقب على قول الزركشي : «التزاويق في المسجد محرمة وهي من اشراط الساعة»[٢١٥] قائلة «فالسيوطي رفع كلمة مسجد وحل محلها كلمة محراب وغير معناها))[٢١٦] بينما صاحب البدعة اعتمد على مصنف ابن ابي شيبة حيث روى : عن سالم بن ابي الجعد قال ((كان اصحاب محمد يقولون ان من اشراط الساعة ان تتخذ المذابح في المساجد يعني الطاقات»[٢١٧] .

وعن ابي ذر انه قال «من اشراط الساعة ان تتخذ المذابح في المساجد»[٢١٨] وذكر السيوطي ان الامام علي «كره الصلاة في الطاق»[٢١٩] ، تعقب توتونجي قائلة : ان «السيوطي انتزع اسما من هذه الاسماء (التي ذكرها الزركشي)»[٢٢٠] ووضع محله اسم علي»[٢٢١] ، والسبب كما تزعم «لكي يعطي لهذا النص بعض الاهمية»[٢٢٢] واود ان اقول لها ، انها واهمة فيما ادعت ، اذ ان السيوطي كان امينا في النقل عن ابن ابي شيبة[٢٢٣] .

والحقيقة ان ما نسب الى الامام علي من كراهية بخصوص المحراب ، مشكوك في صحته لضعف السند ، اذ ان فيه ابا اسحاق الكوفي ابراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي[٢٢٤] ، وابنه اسماعيل[٢٢٥] ، وهما من الضعفاء الذين لا يعتمد عليهم .

واود القول هنا : اننا نجهل شكل اول محراب كما اننا نجهل زمان ومكان ظهوره ، وما دامت هذه العقبات الثلاث امامنا ، فانه ليس بوسعنا ان نقرر فيما اذا كان اقتباسا ام ابتكارا . لكن المحراب كعلامة لتحديد القبلة ، له اساس منذ زمن رسول الله ﷺ ، عن جابر بن اسامة الجهني قال : «لقيت رسول الله ﷺ في اصحابه بالسوق فقلت اين يريد رسول الله ﷺ قالوا : يريد ان يخط لقومك مسجدا . قال : فاتيت وقد خط لهم مسجدا وغرز في قبلته خشبة فاقامها قبلة[٢٢٦]» ، اما ما تدعيه نجاة توتونجي حين تقول «اما العنزة والحربة فقد اتخذتا لتحديد اتجاه القبلة في فضاء

---

(٢١٠) الكتاب المصنف في الاحاديث والاخبار جـ ٢ ص ٥٩ ـ ٦٠

(٢١١) مصنف عبد الرزاق ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي (ارقام الاحاديث ٣٨٩٩ ـ ٣٠٩٣) جـ ٢ ص ٤١٢ ـ ٤١٣

(٢١٢) المعجم الاوسط ، لا يزال مخطوطا ولم اطلع عليه ، وقد راجعت أثناء زيارتي لدمشق بتاريخ ١٩٧٩/٩/٢ ، المعجم الكبير والذي لا يزال مخطوطاً (محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ١٠٧٣) فوجدت الحديث فيه غير انه متباين مع ما اورده السيوطي عن الاوسط في بعض الفاظه . فانظر المعجم الكبير جـ ١ ورقة ١٠١ وجه
مجمع الزوائد ومنبع الفرائد جـ ٢ ص ١٥

(٢١٣) المحاريب العراقية ص ٣٣

(٢١٤) الزركشي : اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٣٦ ـ ٣٧

(٢١٥) ن . م .

(٢١٦) المحاريب العراقية ص ٣٣

(٢١٧) الكتاب المصنف في الاحاديث والاخبار جـ ٢ ص ٥٩
تصحفت كلمة (المذابح) الى (المدايح) و (المذبح) الى (المديح) في الكتاب المذكور .

(٢١٨) ن . م . ص ٦٠

(٢١٩) اعلام الاريب بحدوث بدعة المحاريب (مخطوط)

(٢٢٠) ذكر الزركشي اسماء بعض التابعين ممن كرهوا الصلاة في الطاق ، انظر :
اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٣٦٤ . والذي اراه انه اعتمد على : ابن ابي شيبة ، الكتاب المصنف جـ ٢ ص ٥٩ ـ ٦٠

(٢٢١) المحاريب العراقية ص ٣٥

(٢٢٢) ن . م .

(٢٢٣) الكتاب المصنف جـ ٢ ص ٥٩

(٢٢٤) انظر ، ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٦٧ ـ ٦٨

(٢٢٥) انظر ، ن . م . جـ ١ ص ٢١٢
تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٢٧٩

(٢٢٦) المعجم الكبير (مخطوط) ورقة ١٠١ وجه مجمع الزوائد ومنبع الفرائد جـ ١ ص ١٥

الصحراء»[٢٢٧] فهذا خطأ نبه عليه العلماء المسلمون متوقعين وقوع البعض فيه ، قال ابن المنير «انما خص ـ اي البخاري ـ مكة بالذكر دفعا لتوهم من يتوهم ان السترة قبلة ولا ينبغي ان يكون لمكة قبلة الا الكعبة فلا يحتاج فيها الى سترة»[٢٢٨] .

والحقيقة ان الرسول الكريم كان ينصب امامه حربة او عنزة عندما يصلي اماما او منفردا[٢٢٩] ، لكي تكون سترة له ، عن ابي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اذا صلى احدكم الى شيء يستره من الناس فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان»[٢٣٠] .

ولا صحة لما ذهب اليه الدكتور فريد شافعي[٢٣١] ، من ان المحراب كان موجودا منذ زمن الرسول ﷺ لعدم وجود اي دليل على ذلك ، يضاف الى ذلك ان العلماء المسلمين مجمعون على ان المحراب لم يكن موجودا زمن الرسول الكريم ، وانه من البدع المحدثة بعده[٢٣٢] ، يقول النووي ، المقصود بمحراب رسول الله ﷺ مصلاه وموقفه ، لانه لم يكن هذا المحراب المعروف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما احدثت المحاريب بعده»[٢٣٣] وتعتقد نجاة توتونجي ان «المحاريب المجوفة ان لم تكن موجودة في زمن الرسول ﷺ فانها ادخلت في زمن الخلفاء الراشدين»[٢٣٤] وبالنسبة لعصر الرسول فقد سبق ان نفينا وجود المحراب المجوف ، اما عصر الخلفاء الراشدين فالذي تقصده خلافة عمر ، معتمدة على قول الهروي عن المسجد الاقصى «به محراب عمر بن الخطاب رضه ولم تغيره الفرنج»[٢٣٥] وما علمت ان الهروى «معدود من حاطبي الليل في التاريخ»[٢٣٦] ، وفي موضع آخر تذهب الى ان عثمان اول من ادخل المحراب المجوف[٢٣٧] ، معتمدة على ابن بطوطة[٢٣٨] ، غير ان ابن بطوطة اورد اربعة روايات مختلفة ، الاولى تنسب المحراب المجوف الى عثمان ، والثانية الى مروان بن الحكم[٢٣٩] ، والثالثة الى عمر بن عبدالعزيز[٢٤٠] ، والرابعة عن محراب الصحابة في جامع دمشق ، حيث يقول عنه انه اول محراب وضع في الاسلام[٢٤١] ، يضاف الى ذلك ان ابن بطوطة غير مؤتمن ولا يعول عليه ، ولست ادري على ماذا اعتمد الدكتور احمد فكري حين اعتبره «من كبار المؤرخين وثقاتهم»[٢٤٢] ، ودليلنا على انعدام الثقة بابن بطوطة قوله «وقبور الخلفاء العباسيين ... بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه فمنهم قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الامين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهتدي وقبر المعتمد ... وقبر المسترشد وقبر الراشد ...»[٢٤٣] ، في حين ان المهدي دفن بقرية ماسبذان بالقرب من قلعة الماهكي[٢٤٤] والهادي بقصره في عيساباذ[٢٤٥] والامين في مقابر قريش[٢٤٦] والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد في سامراء[٢٤٧] والمسترشد في مراغة[٢٤٨] والراشد في شهرستانة[٢٤٩]

---

(٢٢٧) المحاريب العراقية ص ١٩ وانظر ايضاً ص ١٨

(٢٢٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٨٤ ، وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٤ ص ٢٨٢

(٢٢٩) صحيح البخاري (مشكول) جـ ١ ص ١٢٥ وما بعدها
صحيح مسلم (مشكول) جـ ٢ ص ٥٤ وما بعدها

(٢٣٠) صحيح البخاري (مشكول) جـ ١ ص ١٢٨

(٢٣١) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ، وانظر ص ٦١١

(٢٣٢) البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٤
اعلام الساجد ص ٣٦٣
المدخل لابن الحاج جـ ٢ ص ٢٧٢
نهاية المحتاج جـ ١ ص ٤٢١
مرقاة المفاتيح جـ ١ ص ٤٧٣
المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ١٤٤

(٢٣٣) المجموع جـ ٣ ص ٢٠٣

(٢٣٤) المحاريب العراقية ص ٢٨

(٢٣٥) الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٢٥

(٢٣٦) مشهد الكاظمين ، هامش ص ٨ ، واراه قد اعتمد على الذهبي حين يقول عن الهروي «ورايت له كتاب : المزارات والمشاهد التي عاينها في الدنيا فرأيته حاطب ليل وعنده عامية ...» ، انظر تكملة اكمال الاكمال هامش ص ٢٠٦

(٢٣٧) المحاريب العراقية ص ٢٨

(٢٣٨) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٧١

(٢٣٩) ن . م .

(٢٤٠) ن . م .

(٢٤١) ن . م . ص ٥٤

(٢٤٢) المسجد الجامع بالقيروان ص ٥٦

(٢٤٣) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٤٢

(٢٤٤) خلاصة الذهب المسبوك ص ٩١

(٢٤٥) مختصر التاريخ ص ١٢٣

(٢٤٦) ن . م . ص ١٣٢

(٢٤٧) ن . م . ص ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩

ثم كيف شاهد ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ /١٣٧٧م ، ترب الرصافة والقبور التي حوتها ، والمغول قد احرقوها وازالوها عن الوجود . يقول شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ عما فعله المغول بترب الرصافة سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م «نبشت قبور الخلفاء واحرقت تلك الاماكن وابرزت العظام والرؤوس - فكتب شمس الدين - على بعض الحيطان :

ان ترد عبرة فتلك بنو العـ
باس حلت عليهم الافات
استبيح الحريم اذ قتل الاحـ
ياء منهم واحرق الاموات[٢٥٠]

وتعتمد توتونجي على ابن بطوطة بصدد محراب الصحابة بجامع دمشق وادعائه بانه اول محراب وضع في الاسلام[٢٥١]، فتقول «لكنهم لم يشيروا الى اسم الصحابي الذي وضعه لكي نستطيع تحديد زمنه»[٢٥٢] ثم تقرر قائلة «محراب جامع دمشق يرجع الى عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان كما جاء في بعض النصوص وقيل ان هذا المحراب وضع اسمه احد الصحابة»[٢٥٣] ويغنينا ابن كثير عن الرد على ابن بطوطة ونجاة توتونجي ، حيث يقول عن جامع دمشق ، بعد تقسيم الكنيسة الى قسمين حيث امتلك المسلمون نصفها «جعله ابو عبيدة مسجدا يصلي فيه المسلمون ، وكان اول من صلى في في هذا المسجد ابو عبيدة ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه ، التي يقال لها محراب الصحابة ولكن لم يكن الجدار مفتوحا بمحراب محني ، وانما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة»[٢٥٤].

وخلاصة الامر بالنسبة للمحراب المجوف / فان هناك وجوداً لااساس له منذ زمن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وكان يومذاك مجرد علامة للدلالة على القبلة .

واعتقد انه لم يدخل في مساجد الاسلام الاولى على عهد الخلفاء الراشدين ، وربما ادخل في المساجد في النصف الثاني من القرن الاول للهجرة يقول المناوي عند شرحه لحديث ((اتقوا هذه المذابح . يعني المحاريب))[٢٥٥]، ((ووقع للمصنف - اي السيوطي - انه جعل هذا نهياً عن اتخاذ المحاريب في المساجد والوقوف فيها وقال خفي على قوم كون المحراب بالمسجد بدعة وظنوا انه كان في زمن النبي ﷺ ولم يكن في زمنه ولا في زمن احد من خلفائه بل حدث في المائة الثانية))[٢٥٦].

اما ما نسب الى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من احاديث وما رويت من اقوال على لسان بعض الصحابة فأن الشكوك تحوم حولها وربما كانت موضوعة ، وانها وضعت بعد ان بولغ في المحاريب بحيث اصبحت اشبه ما تكون بالحنايا الكنسية .

والحنايا الكنسية غير المذابح ، ولا صلة بين المحراب والمذبح ، لتباينها في الشكل والسعة والوظيفة التي يؤديها كل واحد منها .

اما كون المحراب ابتكاراً ام اقتباساً ، فهذا ما لا يمكن البت فيه ، لعدم معرفتنا شكل اول محراب ، وجهلنا بمكان وزمان ظهوره .

---

(٢٤٨) ن . م . ص ٢٢٢
(٢٤٩) ن . م . ص ٢٢٧
(٢٥٠) الحوادث الجامعة ص ٣٣٥
(٢٥١) رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٥٤
(٢٥٢) المحاريب العراقية ص ٢٥
(٢٥٣) ن . م . ص ٢٨
(٢٥٤) البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٤

(٢٥٥) السيوطي ، الجامع الصغير في احاديث البشير النذير جـ ١ ص ٩
(٢٥٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ١٤٤
ونسبة المناوي «يعني المحاريب» الى السيوطي ، غير صحيحة ، انظر :
البيهقي ، السنن الكبرى جـ ٢ ص ٤٣٩
اما تحديد السيوطي القرن الثاني للهجرة تاريخاً لاستحداث المحراب المجوف فتعوزه الادلة ، فالسيوطي كما اسلفنا يناقض نفسه بنفسه .

وظيفة المحراب في المسجد

١ ـ في بادىء الامر كان يحدد اتجاه المصلي في صلاته ، ويمكن الاستعاضة عنه بأية مادة اخرى ، لاداء مثل هذا الغرض ، وقد سبق ان ذكرنا استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم خشبة لتحديد القبلة ، ولكن بعد ان استحدث المحراب في المسجد اصبح التعويل عليه في تحديد اتجاه المصلي ، وشيوعه ادى الى الاصطلاح عليه ، ونبذ ما سواه ، يقول ابن الحاج ((لان اكثر الناس اذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة الا بالمحراب فصارت متعينه))[٢٥٧]. وسئل ابن حجر المكي ((هل يشترط في صحة صلاة الاعمى ان يمس القبلة اذا امكنه او شيئا يدل عليها او تصح صلاته من غير مس بان اخبره جماعة ، فاجاب يقول : حيث قدر على مس الكعبة او المحراب المعتمد امتنع عليه الاخذ بقول المخبر ...))[٢٥٨].

٢ ـ توفير صف كامل يشغله المصلون ، يقول ابن الحاج ((اذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الامام الى المحراب فان ضاق بهم فليدخل ... لانه اذا لم يدخل يمسك بوقوفه خارجا عنه موضع صف من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا))[٢٥٩]. ويقول شمس الأئمة الحلواني ((ان الصلاة على الرفوف في الجامع من غير ضرورة مكروه وعند الضرورة بان امتلأ المسجد فلا بأس))[٢٦٠] ويروى عن الفقيه ابي الليث قوله ((اذا تحققت الضرورة بان ضاق المسجد على القوم والامام يقوم في الطاق لا يكره))[٢٦١].

٣ ـ تمييز الامام عن المؤتمين ليسهل عليهم اتباعه ، يقول الامام الشافعي ((واختار للامام الذي يعلم من خلفه ان يصلي على الشيء المرتفع ليراه من وراءه فيقتدون بركوعه وسجوده))[٢٦٢] اما مقدار ارتفاع ارضية المحراب عن ارضية المصلى فيحددها ابن الهمام قائلاً «ما يقع به الامتياز»[٢٦٣].

٤ ـ بعد ان قطع المسلمون شوطا بعيدا في ميدان التقدم والحضارة ، وبعد ان بالغوا في عمارة المساجد ، حيث شادوها بالحجارة المهندمة ، وكسوا جدرانها بانواع الرخام ، ولكون مساحتها اصبحت واسعة ، بحيث يتعذر ايصال صوت الامام الى المؤتمين به في الصلاة الجهرية ، فربما قصد من المحراب ((تضخيم صوت الإمام))[٢٦٤]

ونقل صداه ليبلغ مسامع المؤتمين .

واذا كان المحراب خاصاً بالمساجد للاغراض التي بيناها آنفا ، فما هو سر وجوده في القباب المقامة على القبور ؟

الحقيقة انه نادرا ما نجد قبة مقامة على قبر تخلو من محراب ، وربما كان سبب وجوده هو اضفاء نوع من القدسية على المكان ، اذ ان المحراب يعتبر ارفع مكان في المسجد[٢٦٥]، واشرف موضع فيه[٢٦٦].

وهناك صلة بين القبلة والقبر ، او بعبارة ادق بين القبلة ووضعية الميت في القبر حسب مراسيم الدفن في الشريعة الاسلامية ، اذ ((يجب وضع الميت في قبره مستقبل القبلة ، ويسن ان يكون على جنبه الايمن))[٢٦٧]، يقول ابن الحاج ((واذا حفر القبر فينبغي ان يكون من يحفره ممن يعرف القبلة معرفة جيدة ولا يعمل على ما يجده من المحاريب في القبور لان الغالب عليها الانحراف عن القبلة لان اكثر من

---

(٢٥٧) المدخل جـ ٢ ص ٢٧٢

(٢٥٨) الفتاوي، الكبرى الفقيه جـ ١ ص ١٣٦.

(٢٥٩) المدخل جـ ٢ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣

(٢٦٠) انظر ، ابن الهمام ، شرح فتح القدير جـ ١ ص ٣٦٠

(٢٦١) ن ـ م .

(٢٦٢) الام جـ ١ ص ١٧٢

(٢٦٣) شرح فتح القدير جـ ١ ص ٣٦٠

(٢٦٤) حسن الباشا «الحرم النبوي الشريف في عهد الوليد» مجلة منبر الاسلام ، (السنة السادسة والعشرين) العدد الرابع ، ص ١٨١ ،

تقول السيدة نجاة توتونجي «اما الوظيفة الثالثة للمحراب فهو لتضخيم صوت الامام ...» المحاريب العراقية ص ٢٩ .

ويغلب على ظني انها قد اعتمدت الرأي الذي قاله حسن الباشا دون أن تنسبه اليه وكانه رأيها .

(٢٦٥) لسان العرب جـ ١ ص ٣٠٥

تاج العروس جـ ٢ ص ٢٥٤

(٢٦٦) لسان العرب جـ ١ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦

تاج العروس جـ ٢ ص ٢٥٥

(٢٦٧) الفقه على المذاهب الاربعة جـ ١ ص ٤١٩

بعضها لا يعرف شيئا من علم ذلك فيقع بسببه الخطأ والخلل فإن لم يكن عارفا بذلك فيتعين عليه ان يأتي بمن يعرف الحكم في ذلك حتى يكون القبر الى القبلة بالسواء))[268].

كما ان هناك علاقة بين المحراب والبناء المقام على القبر ، حيث اتخذت هذه المباني في الغالب مساجد تؤدى فيها الصلاة ، فعندما توفي الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب سنة ٩٧ هـ / ٧١٥م «ضربت امرأته القبة على قبره سنة ...»[269] ، يعقب الكرماني قائلا « لا شك ان في تلك السنة كان مسجدها عند قبره»[270] ، ويقول ابن بطال «ضربت القبة على الحسن وسكنت فيها وصلت فصارت كالمسجد»[271] ويرى ابن حجر العسقلاني «ان المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهة»[272] .

الزخارف الجدارية

من الآثار التي ترتبت على الموقف العدائي الذي وقفه الاسلام من رسم الكائنات الحية ، ان ازدهر فن الزخرفة ، حيث التجأ الفنان المسلم الى العناصر الهندسية والنباتية والعمارية والكتابات التذكارية ، فركز عليها ، وافرغ طاقاته الكامنة فيها .

وللاسلام رأي في الزخرفة ، فعندما كانت دولته في طور النشوء ، انصرفت همة المسلمين الى تثبيت كيانها ، وبث الاسلام والدعوة اليه ، والدفاع عنه ، والزخرفة ناحية جمالية في حياة الانسان ، ولم تكن ضرورة لا غنى لهم عنها ، من هذا المنطلق اعتقد انه لا مجال لها عندهم في تلك الحقبة الزمنية . وهذا عمر بن الخطاب يحذر القائم بالعمل في المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، عندما وسعه ، قائلا له ((واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس))[273] ومراده الزخرفة[274]، ((لكونها تلهي المصلي عن صلاته))[275]. والغاية الاخرى من تحذيره هذا ((للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية))[276].

روي ان عبدالله بن مسعود اجتاز بمسجد مزخرف فقال ((لعن الله من زخرفه . او قال لعن الله من فعل هذا . المساكين احوج من الاساطين))[277]، غير ان عثمان بن عفان عند تجديده المسجد النبوي ((بنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج))[278]، وسبب ذلك كما يقول ابن المنير ((لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب ان يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن الاستهانة))[279].

والظن الغالب ان الزخارف التي جملت بها تلك البيوت نباتية ، ومع ذلك فان موقف الاسلام من رسوم النباتات يكتنفه الغموض ، فعندما تم فتح مكة امر الرسول الكريم ﷺ بازالة صور كانت بالكعبة ، من بينها صور اشجار[280]، وروي ان امرأة قد استأذنت النبي ﷺ في ان تصور ببيتها نخلة فنهاها[281]، وعلى الرغم من ضعف الحديث ، الا ان هناك اساسا له ، وهو ان العرب لم تكن عبادتهم قاصرة على الأصنام ، بل عبدوا الاشجار وربما صوروها ، ولدينا اسماء اشجار قدست وعبدت من قبل عرب ماقبل الاسلام ، منها في بيت العزى ثلاث شجرات ، كانت مقدسة لديهم يتقربون اليها بالهدايا والنذور ، وزيارتهم لها كانت تتم وفق مراسيم وطقوس تعارفوا عليها ، وبعد فتح مكة هدم خالد بن الوليد

---

(٢٦٨) المدخل جـ ٣ ص ٢٥٨

(٢٦٩) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٢ ص ١٠٦

(٢٧٠) صحيح البخاري بشرح الكرماني جـ ٧ ص ١١٣

(٢٧١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٣٤

(٢٧٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٣ ص ١٣٠ ، وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٣٤

(٢٧٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٦٢

(٢٧٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٤ ص ٢٠٥

(٢٧٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٦٢

(٢٧٦) ن . م . ص ٣٦٣

(٢٧٧) اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٣٣٦

(٢٧٨) سنن ابو داود جـ ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ (مطبعة مصطفى البابي ، مصر ١٩٥٢)

(٢٧٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٣٦٣

(٢٨٠) الازرقي ، اخبار مكة ص ١١٢

(٢٨١) سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ٢٠٤ (دار احياء الكتب العربية ، مصر ١٩٥٢)

بيت العزى وقطع هذه الشجرات بامر من الرسول ﷺ[٢٨٢]، وذات انواط يقول عنها ابن هشام ((كانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات انواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون اسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما))[٢٨٣] والنخلة عبدت ايضا ((واهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين اظهرهم ، لها عيد في كل سنة ، اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلي النساء ، ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوما))[٢٨٤].

وحدث ابو زرعة قائلا «دخلت مع ابي هريرة دارا بالمدينة ، فرأى اعلاها مصورا يصور قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرة ، ثم دعا بتور من ماء ،....»[٢٨٥] والاشجار من خلق الله ، ورسمها مضاهاة له في خلقه ، يقول القرطبي عند تفسيره قوله تعالى «ما كان لكم ان تنبتوا شجرها»[٢٨٦]. «ويستدل من هذا على منع تصوير شيء سواء كان له روح ام لم يكن ، وهو قول مجاهد»[٢٨٧] غير ان عبد الله بن عباس قال للمصور الذي يتكسب من التصوير «ان ابيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح»[٢٨٨] وتابعه الجمهور «الى ان تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو والاكتساب به»[٢٨٩] الا ان القرطبي يعقب قائلا «والمنع اولى والله اعلم»[٢٩٠] .

ومهما يكن من امر فأن العناصر الزخرفية النباتية والهندسية ، ورثها الفنان العربي المسلم عن الفنانين السابقين عليه ، وادخلت في عمائر القرن الاول للهجرة ، مضافا اليها عنصرا جديدا تجلت فيه عبقرية الفنان العربي المسلم ، ذلك العنصر هو الحرف العربي ، ورغم ان «الحروف العربية منبعجة ، مفرطحة ، متباينة الاشكال ، وكانت ابعد حروف الكتابة في جميع اللغات عن المظهر الزخرفي»[٢٩١]، الا انها سرعان ما تطورت واصبحت من اكثر الحروف تناسقاً وابدعها زخرفاً والمكانة التي بلغتها تعد «من اكثر التطورات التاريخية غرابة»[٢٩٢] ذلك ان الفنان العربي المسلم ادرك ما للحرف العربي من مزايا جمالية تشكل عنصرا جديدا في زخرفة الجدران ، نظرا لقابلية هذا الحرف واستعداده للتحوير والتبديل ، بحيث تتشكل منه انواعا عديدة ، مع الاحتفاظ بالشكل العام المقروء ، «فرؤوس الحروف ، وسيقانها واقواسها ومداتها ، وخطوطها الرأسية ، وخطوطها الافقية ، كل هذه اوحت له بعناصر زخرفية شتى ما كاد يرسمها حتى بعثت في نفسه شعورا من ارتياح المتفنن الى اثره الجميل ، فاندفع في هذا التيار يبتكر الزخارف الخطية غير عابيء بما تفرضه عليه اصول الخط من المستلزمات ولا آبه بما يسببه للقارىء - في بعض الاحيان - من الاعنات ، بل كل همه ان يرضي الفن لا العلم ، فتارة يجعل الحروف متجمعه متكاثفة ، وطورا يرسمها متباعدة ، متناسقة ، وتارة اخرى يريك من التنوع الجميل بين الحروف القائمة ، والحروف المستديرة ما ينتزع الاعجاب منك ، ويرغمك على ان تقر له بالنبوغ الفني»[٢٩٣].

والعناصر العمارية استخدمها الفنان المسلم في مجال الزخرفة بكثرة ، وغالبا ما نراه يمزج بين مختلف انواع الزخارف في اللوحة الواحدة ، لابل في العنصر الواحد ، فالمقرنص ذلك العنصر العماري استخدمه كحلية زخرفية ، وقسم باطنه بوحدات هندسية ضمنها زخارف نباتية ، وبعض الاحيان كتابات تذكارية .

---

(٢٨٣) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب جـ ١ ص ١٧٢ ، وانظر ص ١٥٨

(٢٨٣) سيرة ابن هشام جـ ٤ ص ٨٤ ـ ٨٥

(٢٨٤) ن . م . جـ ١ ص ٣٤

(٢٨٥) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٧ ص ٢١٥

(٢٨٦) سورة النمل ، اية رقم (٦٠)

(٢٨٧) الجامع لاحكام القرآن جـ ١٣ ص ٢٢١ ، وانظر : لسان العرب جـ ٤ ص ٤٧٥

(٢٨٨) صحيح البخاري (مشكول) جـ ٣ ص ١٠٢

(٢٨٩) الجامع لاحكام القرآن جـ ١٣ ص ٢٢٢

(٢٩٠) ن . م .

(٢٩١) مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ص ٤٥

(٢٩٢) ن . م . ص ٤٦

(٢٩٣) الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ص ١٧٢

والفنان المسلم لا يحب الفراغ ولا يتقبل بقاء السطح املسا معطلا من الزخرف ، كما انه اتخذ من التكرار وسيلة له في عمله ، فاصبحت من مميزات فنه ، ولم يكن التكرار طبعا فيه كما ارى ، بل الظروف هي التي قسرته عليه ، ذلك ان الوحدات الاساسية في الزخرفة قليلة ، لا تتناسب والمساحات الكبيرة المراد زخرفتها ، اذاً لابد له من التكرار ، والتكرار لابد له من نظام ضابط ينظمه ، لكي لا يكون السطح المزخرف مشوها ممجوجا ، فكان الضابط له ، التماثل والتقابل والتناظر ، حيث استغله الفنان العربي المسلم غاية الاستغلال ، واستخدمه بدقة وروعة لم يوازه فيه او يناظره احد . وهكذا نجد ان الفنان العربي المسلم لم يقف عند حد ما اخذه ، بل اضاف وخلق وخلف ثروة زخرفية هائلة ، كانت خير معين للفنانين اللاحقين به .

وفيما يتعلق بالقباب المخروطة المقرنصة ، فقد تعددت طرق زخرفة جدرانها ، فمن زخارف معمولة على الجص ، بعضها ملون ، الى زخارف محفورة في الآجر ، الى تشكيلات زخرفية بواسطة رصف قطع الآجر ، او التلاعب بوضعيته .

اما الزخارف فمتنوعة ، كالزخارف النباتية ، وعلى الاخص المراوح النخيلية ، إنصافها علاوة على الكاملة ثلاثية الفصوص والخماسية ، نلاحظها في قبتي امام الدور وزمرد خاتون ، وزهرة الروزيت نلاحظها محفورة على قطع الآجر في قبة زمرد خاتون (انظر صورة رقم ١٩ آ) والوريدات المعمولة على الجص بالالوان في قبة ذي الكفل ، وفي قبة امام الدور زخارف نباتية ملونة غاية في الدقة غطيت بطبقة من الجص والكتابات التذكارية نلحظها داخل اشكال نجمية في قبة امام الدور ، بعض حروفها تنتهي بوريقات ، وفي قبة السهروردي كتابات بخط الثلث بحروف كبيرة بارزة على ارضية من الزخارف النباتية .

اما الزخارف الهندسية فمعظمها مضلعات واشكال نجمية ، عملت بواسطة رصف قطع الآجر ، او نحتها ، كما تضمنت المنحوتة منها زخارف نباتية ، ومن خلال التلاعب بوضعيات الآجر تشكلت زخارف هندسية بديعة خصوصا في قبتي امام الدور وزمرد خاتون ، وهذا الاسلوب اسلامي مبتكر لا نجده في الفنون السابقة على الاسلام ، ويمكن ملاحظة بداياته في باب بغداد بالرقة وفي حصن الاخيضر[٢٩٤]. والصلبان المعقوفة علاوة على حنايا ، زخارفها محددة بقطع القاشاني الملونة نلحظها في قبة السهروردي .

والزخارف الحصيرية التي هي عبارة عن معينات معمولة بواسطة رصف قطع الآجر البارزة عن سطح الجدار ، تتصل مع بعضها ، نلحظها في الابراج واعالي جدران بدن قبة امام الدور ، وتضمن الافريز الذي باعلى واجهة البدن الشمالية كتابة تذكارية تضمنت اسم المعمار ، وفي قبة زمرد خاتون في اعلى اضلاع البدن الثمانية ، ايضا افاريز غائرة في الجدران تبرز المعينات عن سطح الجدار ، ونجدها ايضا في الكتائب التي تعلو حنايا البدن . اما العناصر العمارية فقد استخدمت لاغراض جمالية ، في قبتي امام الدور والسهروردي ، كالاعمدة والعقود المندمجة وغيرها ، والمقرنصات التي اكسبت هذه القباب مظهرا جماليا اخاذا ، فبعضها يؤدي غرضا عماريا وجماليا ، بينما قصد منها في بعض القباب مظهرا جماليا بحتا ، وعلى الاخص في قبة الحسن البصري ، وفي صفوف مقرنصات منطقة انتقال معظم القباب .

الحنايا والنوافذ

مما لاشك فيه ان القبة المخروطة المقرنصة عبارة عن سلسلة صفوف متعاقبة من الحنايا ، تتضاءل احجامها كلما تقدمت بالارتفاع ، غير ان الذي نقصده بالحنايا هنا ، تلك الطاقات الصماء التي اتخذت لاغراض جمالية بحتة .

نلاحظ هذه الحنايا في اعلى جدران البدن الداخلية لقبة امام الدور ، وهي سلسلة مؤلفة من ست عشرة حنية تلف حول الجدران الاربعة لكل جدار اربعة ، يحف بالحنية عمودان جصيان مندمجان يحملان في الاعلى محارة . وفي قبة السهروردي وفي اعلى بدنها الداخلي ايضا ، اثنتا عشرة حنية ، في كل ضلع ثلاثة ، الوسطية تنتهي بعقد مفصص

---

(٢٩٤)
Creswell, A short Account of E.M. A.P. 197, and Plates, 32, 331, 39.

محمول على عمودين مندمجين، بينما الحافتان بهما متوجتان بعقدين من النوع المدبب.

اما في قبة زمرد خاتون فأن الحنايا تكون في جدران البدن الخارجية، وعددها اربع عشرة حنية، لكل جدار اثنتان عدا جدار المدخل، والحنايا هنا تنتهي بعقود منفرجة مظللة بكتائب، وقد زخرفت بزخارف آجرية محفورة، او بطريقة التلاعب بوضعيات الآجر وتشكلت من خلال ذلك زخارف هندسية تخللتها زخارف نباتية.

والنوافذ ضرورة لا بد منها لاي بناء كان، حيث تؤدي مهام الاضاءة والتهوية وفي بعض الاحيان تخفف من ثقل البناء.

وبالنسبة لقباب اقليم العراق المخروطة فقد اختلفت مواضع فتحها، ويمكننا تقسيمها الى ثلاثة انواع على هذا الاساس، وهي:

١ - في قبة امام الدور فتحت اربع نوافذ في اعلى جدران البدن الحامل للقبة، غير ان هذه النوافذ اغلقت واستحدثت اربعة غيرها في قاعدة القبة، ومهما تكن الاسباب التي ادت الى ذلك فأننا لا نقر اي تغيير في معالم الاثر الاصلية، واذا كان موضعها الاصلي غير عملي من حيث الاضاءة والتهوية، فأنه بالامكان الاستعاضة عنها بالوسائل الحديثة دون اللجوء الى احداث مثل هذا التغيير. (انظر صورة رقم ١و ٢).

■ وفي قبتي الحسن البصري والكفل فتحت نوافذ في صلب الجدران الحاملة لهذه القباب.

٢ - في قباب النجمي والشمس والكفل والسهروردى فتحت نوافذ في قواعد قبابها، وهي هنا اكثر ملائمة من السابقة.

■ ففي قبة النجمي حددت قاعدة القبة المثمنة بثمانية عقود مدببة، تتوسط كل عقد نافذة ذات شباك معمول بمواد بنائية، وهو ذو ست فتحات مدورة، كانت في الاصل مغلقة بصحون زجاجية[٢٩٥] (انظر صورة رقم ٨٦) وفي قاعدة قبة مشهد الشمس ثمان نوافذ، في كل ضلع واحدة يتقدمها شباك ذو فتحات سته، وهي مربعة معمولة ايضا بمواد بنائية.

اما قبة الكفل فقد فتحت اربع نوافذ تتوسط اربعة من اضلاع القاعدة المثمنة وفي قبة السهروردى حددت القاعدة بثمانية عقود مدببة، تتوسط اربعة منها نوافذ اربعة.

٣ - في قبة زمرد خاتون فتحت نوافذ ثلاثة في الصف الاول من صفوف حنايا غطاء القبة، وهي هنا عملية اكثر من سابقتيها من حيث الاضاءة والتهوية، علاوة على ذلك فأن في كل حنية من حنايا غطاء القبة فتحه في قمتها اعتبارا من الصف الثاني فصاعدا، وهذه الفتحات قصد منها الاضاءة وربما لتخفيف الثقل، وحسنا ما فعلته مديرية الاثار العامة حين اغلقت هذه الفتحات بصحون زجاجية حفاظا على القبة من المؤثرات الجوية وغيرها.

■ ومثل هذه الفتحات كانت موجودة في منتصف كل حنيه من حنايا قبة الحسن البصري، غير ان مديرية الاثار العامة اغلقت معظمها بمواد بنائية، بحيث غيرت من المعالم الاصلية للقبة، وليت الذي فعلته في قبة زمرد خاتون فعلته هنا.

المقرنصات

ارتبطت فكرة نشوء واسطة التدرج في الانتقال من السطح ذي الاركان الاربعة الى السطح الملائ

(٢٩٥) Costa, Op. Cit., pp. 9-10.

(٢٩٦) العمارة العربية في مصر الاسلامية م١ ،ص ١٣٩، ص ١٤٢.

لارتكاز الحواف السفلى للقبة بفكرة نشوء القبة ، ولما كان الغموض يكتنف بدايات ظهور القبة ، كيف ومتى واين ، فأن الشيء ذاته ينطبق على واسطة التدرج هذه .

ومهما يكن من امر فأن اقدم وسائط التدرج في الانتقال تشير الى وجود اسلوبين كانا سائدين قبل الاسلام ، وهما :

١ ـ المثلثات الكروية :

يعتمد هذا الاسلوب في التدرج بالانتقال من سطح لاخر على ارتكاز مثلث كروي ، تكون قمته في الاسفل وقاعدته المقوسة والبارزة الى الامام في الاعلى (انظر صورة رقم ٨٧) وهذا الاسلوب نلاحظه في العمائر الواقعة ضمن منطقة النفوذ البيزنطية ، ويرجع البعض فضل ابتكار المثلث الكروي وانضاجه الى العرب الشاميين في القرن الرابع الميلادي[٢٩٦] ، وهذا الطراز لم يعتمد في المباني العراقية .

٢ ـ الحنايا الركنية :

وهي عبارة عن حنية مقعرة شبيهة بنصف مخروط ، اختلفت الاراء حول موطن ظهورها ولمن يرجع فضل ابتكارها وتطورها ، والاجماع يكاد يحصل على انها فارسية الاصل[٢٩٧] ، واقدم نماذجها تظهر في عمائر ساسانية[٢٩٨] ، لا زالت قائمة حتى يومنا هذا ، وقد حصل تطور عليها نلحظه من بناء لآخر ، واقدم حنيه ركنية هي التي تظهر في القصر المنسوب لاردشير الاول بفيروز اباد ، ٢٢٦ ـ ٢٤١م[٢٩٩] ، (انظر صورة رقم ٨٨ و ٨٩) والمرحلة التالية عليها نجدها في القصر المنسوب لبهرام كور (بهرام الخامس) في سرو ستان (سرفستان) ٤٢٠ ـ ٤٣٨م[٣٠٠] ، (انظر صورة رقم ٩٠) واخيرا في قصر شيرين الذي ينسب الى كسرى ابرويز ٥٩١ ـ ٦٢٩م[٣٠١] ، حيث تكون شبيهة بالحنايا الركنية لقصر سروستان وهي عبارة عن شبه قبة[٣٠٢] (انظر صورة رقم ٩١) .

ومن الباحثين من نسب فضل ابتكارها الى العراق[٣٠٣] ، وهذا امر لا نستبعده على الرغم من انعدام الشواهد المادية المعززة له ، اذ ان العراق كما هو معروف يعد مهد اول حضارة عرفها المجتمع البشري ، تمثلت فيها الاصالة والابداع ، ولقد كان للتراث الحضاري الضخم لا سيما في ميداني العمارة والفن ، الذي خلفه سكان وادي الرافدين معينا لا ينضب لتلك الامم والشعوب التي اعتمدت حضارة وادي الرافدين على طريق تقدمها وازدهارها ، اضافة الى ذلك ان حنية القصر في فيروز اباد التي تعد اقدم حنية ركنية وصلتنا نلاحظ عليها نضوجا يدل على وجود مراحل سابقة مرت بها قبل ان تصل الى ماهي عليه .

وعندما بزغ الاسلام وقامت دولته ، اعتمد

---

(٢٩٧) انظر ، المسجد الجامع بالقيروان ،ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٢٩٨) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ،ص ١٤٣ .

(٢٩٩) هناك تباين حول تاريخ حكم اردشير الاول ، انظر :

بوخنر ، ((الساسانية)) دائرة المعارف الاسلامية م ١١ ،ص ٤٧ مكاريوس ، تاريخ ايران ص ٩١ .

(٣٠٠) اما القصر فقيل انه اقدم العمائر الساسانية ، انظر ،

Reuther ((Sasaian Architecture. A History))

A Survey of Persian Art. II. P. 435.

بينما يقول دونالد ولبر ، انه من المرجح من ابنية عهد اردشير الاول ، انظر :

ايران ماضيها وحاضرها ص ٤٦ .

ونسبه غيرهم الى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ، انظر :

Ghirshman. Iran. Parthians and Sassanians. p. 387

Reuther, Op. II. 735 n.l

وانظر :

ايران ماضيها وحاضرها ص ٤٦ .

(٣٠١) معجم البلدان ج ٤ ،ص ٣٥٨ .

ايران ماضيها وحاضرها ص ٤٦ .

(٣٠٢) Creswell. E.M.A., II. P. 107

(٣٠٣) انظر : المسجد الجامع بالقيروان ص ١٠١ .

يقول بريجز ((ومن المحتمل ان ترجع هذه الظاهرة المعمارية الى اصل عراقي)) .

تراث الاسلام ج ٢ ،ص ١٤٦ .

ويقول الدكتور فريد شافعي : ان العمارة ((تدين ايضا بالفضل من ناحية اخرى للعرب العراقيين في تزويدها بالابتكار الثاني لمنطقة الانتقال ، وهو حنية الاركان Squinch بشكله الذي يرجع ظهوره في العصر الساساني)) .

العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١ ص ١٤٣ .

العرب المسلمون في البلاد المفتوحة على اهلها من العرب وغير العرب، ولم يعترضوا الا على ما كان مخالفا لمبادىء الدين الحنيف.

واستمر اسلوب البناء وطرزه على ما كان عليه، وبالنسبة لمناطق الانتقال فقد استخدمت المثلثات الكروية التي كانت سائدة في عمائر الدولة البيزنطية ومناطق نفوذها، في العمائر الاسلامية في بلاد الشام، نلاحظها في قصير عمره وحمام الصرخ[٣٠٤] وفي العراق، استخدمت الحنايا الركنية التي استعملت في عمارات الساسانيين واقدم نماذجها الاسلامية تظهر في حصن الاخيضر الذي يعود الى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة[٣٠٥]، غير ان حنية الاخيضر الركنية (انظر صورة رقم ٩٢) جاءت متطورة على الساسانية، حيث انها اشبه ما تكون بالمحارة، تحف بها حنيتان اخريتان، غير انهما زخرفيتان اكثر من كونهما يؤديان غرضا عماريا، الا انهما بلا شك يساعدان على تقوس السطح الذي سيكون الارتكاز عليه.

تعقب حنية الاخيضر الركنية، مقرنصات الجوسق الخاقاني ٢٢١هـ / ٨٣٦م، غير انها ابتعدت عنها كثيرا، حيث اصبحت هنا ذات استدارة تامة، وهي عبارة عن نصف قبة، يقول الدكتور فريد شافعي «اما مقرنصات باب العامة، وهو الباب الرئيسي لقصر الجوسق الخاقاني، فقد اتخذت شكلا عربيا اسلاميا خالصا، وذلك من ناحية تجويفها نصف المستدير وطاقيتها التي على هيئة نصف قبة مدببة»[٣٠٦] (انظر صورة رقم ٩٣ و ٩٤).

ولعل اقرب المقرنصات شبها بحنية الاخيضر هي التي في قبة المحراب بمسجد القيروان الجامع، غير انها تطورت عليها كثيرا، (انظر صورة رقم ٩٥) وتؤرخ بسنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٣م[٣٠٧]، وهي متأثرة بطراز العمارة العراقية[٣٠٨].

وبالنسبة للقباب موضوعة البحث، فان مقرنص امام الدور المنشطر كما يبدو لي قد اخذ طريقه من مقرنص الاخيضر بعد ان اجتاز مراحل تطور انعدمت امثلتها، على الرغم من الفاصل الزمني الكبير بينهما، والفجوة الواسعة بين شكليهما، غير انه بالامكان اعتبار مقرنص القيروان حلقة وصل بينهما، ذلك ان معمار مسجد القيروان قد استعار المقرنص فيما استعار من العناصر العمارية العراقية عندما شاد قبته.

فمقرنص الاخيضر الذي يعود الى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، عبارة عن حنية مضلعة اشبه ما تكون بالمحارة، بينما نلاحظ تطور ملحوظ في مقرنص القيروان حيث ان الجوفة اصبحت اكثر عمقا وتقوسا، والخطوط الهندسية المجزأة لباطنه برزت اكثر، كما تحدد بعقد نصف دائري محمول على عمودين مندمجين، لهما قاعدة وتاج، اما مقرنص امام الدور فأن باطنه قد تجزأ الى ثلاثة اخاديد طولية، الوسطي اكثر عمقا من الجانبيين، وحدد بعقد مدبب محمول على عمودين جصيين مندمجين، ويستفاد من عملية التجزئة هذه في الناحية الجمالية اكثر من العمارية.

وهذا النوع من المقرنصات لم يعتمد في المباني العراقية امام الدور وعمارة الاربعين في تكريت.

اما المقرنص الذي اراه اعتمد في قباب اقليم

(٣٠٤) العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١، ص ١٤٢، ٢٠٠.

(٣٠٥) ن. م. ص ٤١٣، ٥٥٩.

(٣٠٦) ن. م. ص ٤١٣.

(٣٠٧) يرى الدكتور احمد فكري، ان اقدم مثل اسلامي للمقرنصات المقوسة يظهر في قباب مسجد القيروان.

المسجد الجامع بالقيروان ص ١٠٢، وانظر ايضا:

مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الفاطمي) ج ١، ص ١٦٣.

ويؤرخها بسنة ٢٢١هـ/٨٣٦م، في حين ارخها غيره بسنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م

انظر: Creswell, Op. Cit. pp. 220-221

العمارة العربية في مصر الاسلامية م ١، ص ٤١٣.

(٣٠٨) مارسيه، الفن الاسلامي ص ٧٩.

العراق المخروطة فهو الذي اخذ طريقه من مقرنص الجوسق الخاقاني وتطور عليه ويبدو لي ان المرحلة اللاحقة به نلحظها في مقرنص قبة ام الاولاد، والذي يعود على الارجح الى اوائل القرن الخامس للهجرة[٣٠٩] (صورة ٩٦) حيث اخذ يؤدي الغرض العماري المرجو منه من ناحية كون النقل اصبح يرتكز على عقده المدبب المحد لجوفته، اما حشوه فقد اصبح لا يحمل الا نفسه[٣١٠].

غير ان هذا المقرنص البسيط الذي لاحظناه في قبة ام الاولاد لم يقف المعمار المسلم عنده، بل نجده يعمل على تجزئته في القباب اللاحقة، فالمقرنص الواحد اصبح سلسلة من المقرنصات وانصافها، الواحد بأزاء الاخر، وصف يركب صفا اخر، بحيث ارتكزت قاعدة المقرنص على رأسي مقرنصين من مقرنصات الصف الاسفل، فلم يعد هناك ثمة فراغ في منطقة الانتقال، وهذا ما نلاحظه في مقرنصات منطقة الانتقال بقبة زمرد خاتون المؤلفة من ثلاثة صفوف، ومثلها في ذلك مثل مقرنصات منطقة الانتقال في قبتي مشهد الشمس وعلي بن دريس، بينما اصبحت في قبة ابن البقلي اربعة، وفي قبة النجمي خمسة.

ولقد كان بامكان المعمار الاكتفاء بمقرنصات الزوايا كما هو حاصل في قبتي الحسن البصري والكفل للانتقال من السطح المربع او المثمن الى السطح الملائم لارتكاز حواف القبة السفلية، لكنه قصد من كل ذلك ناحية جمالية بحته.

والحقيقة ان تكرار المقرنص يمكن ملاحظة بداياته في الاخيضر، حيث يحف بمقرنصه ذي الغرض العماري مقرنصان، ورغم انهما يعملان على تدوير منطقة الانتقال، الا ان الغرض الاساسي منهما زخرفي، وفي قبة ام الاولاد لم يكتف بمقرنصات الزوايا الاربعة، بل وصل بينهما باربعة مقرنصات توسطت جدران البدن الاربعة.

ولم يعد استعمال المقرنص قاصرا على هذه المنطقة، بل اتخذ منه الفنان المسلم ((وسيلة لتزيين الفتحات من ابواب ونوافذ، وتزيين العقود والمداخل والاركان والزوايا وكل مكان لاستعمال هذا العنصر الزخرفي))[٣١١] وحتى بواطنه لم يتركوها غفلا، بل زخرفوها بزخارف هندسية، اتخذوا لها حشوات من زخارف نباتية، وبعض الاحيان كتابات تذكارية.

وقد ولع العرب المسلمون بالمقرنص ولعا شديدا، فاكثروا من استعماله الى حد الافراط، غير انه لم يفقد قيمته، بل ازداد جمالا على جمال، فلم يتركوا مجالا يمكن ادخاله فيه، الا ونجده قد حل فيه، وذلك اصبح من اخص خصائص العمارة العربية وزخرفتها، وانتقل معهم حيثما ذهبوا فكان الطابع المميز لعمائرهم من الهند الى اسبانيا[٣١٢].

واخيرا لابد لنا من الكلام عن اصل تسمية المقرفص، فالكلمة وردت للدلالة على تلك الحلية العمارية الزخرفية في كتابات الكتاب العرب، يقول احد شعراء القرن الخامس للهجرة:

ليس الاستريشا ل وباب مجصص
وغواش على الرؤ س عليها المقرنص[٣١٣]

كما استخدمها الرحالة ابن جبير كثيرا، عندما يصف العمارات الاسلامية والتحف الفنية كالمنابر والمحاريب وغيرها[٣١٤].

(٣٠٩) القباب العباسية في العراق ج ١، ص ٥٦
(٣١٠) ن. م.
(٣١١) الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ص ١٨٥.

٣١٢ ـ تراث الاسلام ج ٢ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.
٣١٣ ـ وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٠٩.
٣١٤ ـ رحلة ابن جبير، ص ٧٦، ٧٧، ٨٣، ١٤٥، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٨٢.

اما اصلها فمختلف فيه يقول الدكتور مصطفى جواد : «وقال ابن المجاور النيسابوري من اهل القرن السادس والسابع للهجرة يصف اهل صنعاء : وبناءوهم على تقاطيع بغداد في التقريص والتذهيب»[٣١٥أ] ، ويضيف معقبا قوله التقريص يدل على ان الفعل قرص يقرص بتشديد الراء ثم جرى عليه القياس وقبل قرنص يقرنص قرنصة»[٣١٥ب] .

والحقيقة اني لا اوافق الدكتور مصطفى جواد على اقواله هذه فاولا ان ابن المجاور هذا ليس ابن المجاور النيسابوري ، فما هو يوسف بن يوسف يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ابو الفتح جمال الدين ابن المجاور ، وثانيا انه ليس من اهل القرن السادس والسابع للهجرة ، انما هو من اهل القرن السابع للهجرة فقط ، فقد ولد سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٥ م وتوفي سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م[٣١٦أ] ، وثالثا ان ابن المجاور لم يقل (التقريص) انما قال (التفريض) والنص هو «وبناؤهم على تقاطيع بغداد في التفريض والتذهيب»[٣١٦ب] ، فربما ظن الدكتور مصطفى جواد ان كلمة التفريض تصحيف والصواب التقريص ، اقول : ان الحز في الشيء والقطع فيه ، والتفريض هو التحزيز ، والمفرض : الحديدة التي يحز بها ، واخيرا فأن راي الدكتور مصطفى جواد غير صحيح لانه بني على اساس خاطيء .

يقول الدكتور مرزوق «والكلمة اغلب الظن مأخوذة من الكلمة العربية مقرفص اي جالس القرفصاء[٣١٧] ، والحقيقة ان العرب المغاربة يسمون المقرفص بالمقربص[٣١٨] ويرى الدكتور حسين نصار ان قرنص وقرنس ماهي الا تحريف لكلمة قرنص[٣١٩] .

(٣١٥أ) مصطفى جواد ، القصر العباسي ، مجلة سومر . (١٩٤٥) جـ ٢ ، هامش ص ١٠٢ .

(٣١٥ ب) ن . م .

(٣١٦ أ) انظر : الاعلام للزركلي جـ ٩ ص ٣٤١ .

(٣١٦ب) ابن المجاور الشيباني . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ق ٢ ص ١٩٢ .

(★) انظر : لسان العرب جـ ٧ ص ١٠٢ .

(٣١٧) الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ص ١٨٥ .

(٣١٨) زبيس ، القباب التونسية وتطورها ص ١٣ . والقرفصة «شد اليدين تحت الرجلين»لسان العرب جـ ٧ ص ٧١ .

(٣١٩) رحلة ابن جبير ص ٣٤٥ .

القسم الخامس

اثر المشاهد في الحياة العامة

لم يكن القصد من بناء المشاهد والترب ، الدفن او تخليد ذكرى من دفنوا تحتها فحسب ، بل تعداهما الى مقاصد اخرى كثيرة ، فقد اوصى بعضهم بجعل تربته على الطريق ، قائلا : لكي ((يمر بها الصادر والوارد فيترحم علي))(١) ومنهم من الحق بتربته ((اماكن نزهة مؤنسة لا تخلو من الروعة والوقار ، تنشرح لها الصدور ، وتنبسط لها السرائر ، بعيدة عن كآبة القبور ووحشة المقابر))(٢) فأضحت مثل هذه المشاهد والترب ، مقصد الناس للزيارة والتنزه ، يقول ياقوت عن تل توبة ((فيه مشهد يزار ويتفرج فيه اهل الموصل كل ليلة جمعة))(٣) وقيل ((اذا ضاقت الصدور عليكم بزيارة القبور)) ، وقد حبذ الرسول الكريم زيارتها ، قائلا : الا اني قد ((نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ... - لانها - تذكر الموت))(٤).

برزت هذه المنشآت ولعبت دورا مؤثرا وفعالا في نواحي الحياة المختلفة خلال تاريخ الاسلام ، وعلى الاخص اواخر ايام بني العباس ، نواح دينية وثقافية ، اجتماعية واقتصادية ، غير انه على رغم الخدمات التي قدمتها للمجتمع ، فانها في ذات الوقت عمقت الروح الطائفية ، التي عانى منها المجتمع الاسلامي لا سيما العراقي الكثير من الويلات والمحن ، كما انها لعبت دورا بارزا في فتح ثغرات ، نفذت من خلالها العناصر الاجنبية ، وتمكنت من تسلم مقاليد الامور ، ومن ثم تحكمت في الرقاب وسلبت الخيرات وعبثت بالمقدرات ، والادهى من ذلك ، انها زرعت في ابناء البلد الواحد روح الفرقة والتناحر ، ولولا ذلك ما سادت .

ومن الامور الملفتة للنظر ، ان كثيراً من المشاهد تنسب خطأ ، او بسبب دوافع معينة ، الى شخصيات من آل البيت ، ومن تلك الدوافع ، استغلال ولاء الناس وحبهم لاهل البيت النبوي ، للكسب والحصول على المغانم ، ففي سنة ٥٣٥ هـ /١١٤٠ م : ((قدم بغداد رجل من السواد يسكن في قرية على باب بغداد اظهر الزهد فقصده الناس من كل جانب واتفق انه مات لبعض اهل السواد ولد فدفنه قريبا من قبر السبتي فمضى ذلك المتزهد فنبش الولد ودفنه في موضع آخر ثم اصبح فجاء الناس اليه وزاروه فقال رأيت البارحة علي بن ابي طالب فقال لي ان بعض اولادي في المكان الفلاني وانقلبت بغداد وجاء الناس يهرعون اليه وسألوه ان يريهم الموضع فاخذهم وجاء الى الموضع الذي دفن فيه فقال في هذا الموضع فحفروا فظهر الصبي وكان امرد فمن وصل الى قطعة من اكفانه فكأنه قد ملك الدنيا وجاءوا بالبخور والشموع والماورد واخذوا تراب القبر للتبرك وجعل الناس يقبلون الزاهد ويبكون ويخشعون وبقي الناس اياما على هذا والميت مكشوف يراه كل احد فتغيرت رائحته وجاء حذاق بغداد فقالوا هذا منذ اربعمائة سنة وكيف تتغير رائحته وجاء السوادي يزور الزاهد فاطلع عليه فعرفه وقال ولدي والله وكنت دفنته عند السبتي قوموا معي فقاموا معه وجاءوا الى المكان فنبشوه فلم يروا فيه احداً وهرب الزاهد فتبعوه فأخذوه وقرروه فأعترف وقال انا عملت ذلك حيلة فشهروه على جمل وعزروه))(٥).

وفي سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م ((راى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نورا متصلا بالسماء وفي صبحتها ، قال بعضهم : انه راى قبرا فيه احد اولاد الحسن بمحلة الهروية فانهال الناس لزيارته ، ثم شرعوا في عمارته ، وتواتر بعد ذلك اخبار العوام برؤية المنامات وكثرة الظواهر ، وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح اعين الاضراء ونقل قوم عن قوم اشياء لا اصل لها غير اهوية العوام ،

---

(١) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٤٢ ، وانظر :
وفيات الاعيان جـ ٦ ص ١٠
ذيل الروضتين ص ١٩
(٢) خالد معاذ ((مدافن الملوك والسلاطين في دمشق)) بمجلة الحوليات السورية (١٩٥١) م ١ جـ ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١
(٣) معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١
(٤) صحيح مسلم (مشكول) جـ ٣ ص ٦٥
(٥) مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، والاصل في المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٨٨ - ٨٩ ومثل هذه الحوادث كثيرة ، انظر الحوادث الجامعة ص ٤٠٥ كما ان ادعياء النسب الى آل البيت العلوي كثيرون ، انظر :
القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ص ٥٠

وبطل الناس من معايشهم واشغالهم بسبب ذلك فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر الى مشهد موسى بن جعفر))[6].

فلا غرابة اذا ما تكشف لنا زيف نسبة بعض القباب المخروطة الى آل البيت ، فقبة امام الدور وقبة الشيخ حديد في حديثة منسوبتان الى الامام محمد العابد بن موسى الكاظم في حين انه مدفون في ايران ، وقبة داقوق تنسب الى الامام محمد الباقر في الوقت الذي هو مدفون في المدينة المنورة[7]، وقباب آل البيت التي شادها بدر الدين لؤلؤ في الموصل لاتصح واحدة منها .

والدفن لم يكن قاصرا على المقابر العامة والخاصة بل تعداهما الى اماكن اخرى كثيرة ، كدور السكن والقصور والقلاع والمساجد والمدارس والربط والزوايا والخانقاهات الى غيرها من المرافق الاخرى .

وفي بعض الاحيان تبنى قبة برسم الدفن داخل هذه المرافق ، غير ان الغالب ، ان هذه المرافق تكون ملحقة بقبة الدفن .

من خلال ذلك لعبت هذه المباني دورها في حياة المجتمع اليومية ، فالمدرسة كمؤسسة ثقافية دينية ، الحقت بقباب القبور في كثير من الاحيان ، ولعل القبة التي شادها شرف الملك ابو سعد مستوفي سلطنة آل سلجوق على قبر ابي حنيفة سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧م ، خير مثال على ما نقول ، فقد الحق بها مدرسة خاصة بتدريس المذهب الحنفي ، تعد اول مدرسة افتتحت ببغداد[8]، وتبعتها خزانة كتب لم تكن قاصرة على طلبة المدرسة ، بل كانت تستقبل كل ناهل علم ، واخذت هذه الخزانة بالنمو من خلال وقف الكثير من العلماء كتبهم في هذه المكتبة ، فأبن جزلة يحيى بن عيسى ابو علي الطبيب المتوفى سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ((وقف كتبه قبل وفاته وجعلها في مسجد ابي حنيفة))[9]، وكان لهذه المكتبة ثبتا بما حوته من كتب ، شاهده وراجعه ابن الجوزي[10] المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م ، واحتوت هذه الخزانة على امهات الكتب ونوادرها بحيث اصبحت خير معين للباحثين ، فسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ /١٢٥٦م ،يقول عن الجاحظ ((اما مصنفاته فثلثمائة وستون مصنفا ،ووقفت على اكثرها في مشهد الامام ابي حنيفة))[11]، وتفسير الزمخشري المعروف بالكشاف عن حقائق التنزيل ، يقول عنه حاجي خليفة ((رأيت النسخة التي بخط يده بمدينة السلام مختبئة في تربة الامام ابي حنيفة))[12]، ومن الذين تولوا هذه الخزانة ابن الاهوازي المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م ، يقول عنه ابن الجوزي ((خازن دار الكتب بمشهد ابي حنيفة))[13].

وتربة زمرد خاتون التي ما تزال قبتها قائمة ، كانت تلحق بها مدرسة خاصة بالشافعية ، ورباط ، وكان لهذه التربة خزانة كتب ، ففي سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م توفي نجاح بن عبدالله الشرابي ((وكانت له خمسمائة مجلدة ، فاوقفها في تربة ام الخليفة وكتب عليها اسم الشرابي))[14].

ومجالس الوعظ غالبا ما تعقد في الترب والمشاهد او عندها ، فقد وعظ ابو الحسن ابن الزاغوني المتوفى سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م عند قبر معروف الكرخي[15]، وابن الجوزي عقد مجالس للوعظ في مسجد عند قبر معروف الكرخي[16]، غير ان معظم مجالسه كانت عند تربة زمرد

---

(٦) الحوادث الجامعة ص ٤٠٤ - ٤٠٥

(٧) مروج الذهب ج ١ ص ١٤٩
الارشاد ص ٢٩٤
وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣١٤

(٨) مصطفى جواد ((اول مدرسة في العراق)) مجلة المعلم الجديد (١٩٤٠) ص ٣٨ .

(٩) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٩ ص ١١٩ ، وانظر
وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣١١
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٩

(١٠) صيد الخاطر ص ٣٦٧

(١١) انظر ، كتاب الحيوان ج ١ ص ٦
الجاحظ ، التاج في اخلاق الملوك ص ٣٧

(١٢) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون م ٢ ص ١٤٨٢

(١٣) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٢٤٨

(١٤) مراة الزمان ج ٨ ص ٦٠٠ ، وتصحفت كلمة (الشرابي) الى (السراي) ، انظر ذيل الروضتين ص ١١٤ ، بينما يقول ابن كثير :
ان الخليفة الناصر لدين الله ((وقف عنه خمسمائة مجلد))
البداية والنهاية ج ١٣ ص ٨٢

(١٥) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٣٠

خاتون[17]، وفي سنة ٦٣٣ هـ /١٢٣٥ م ((ثامن عشر شعبان ، تقدم الى ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي بالجلوس في الرباط المجاور لمعروف الكرخي المقابل لتربة واقفته))[18] للوعظ ، كما كان ابو محمد يوسف ابن ابي الفرج ابن الجوزي يعظ الناس عند تربة زمرد خاتون ايضا[19].

واخبرنا سبط ابن الجوزي انه وعظ الناس عند قبر احمد بن حنبل في سنة ٥٩٦ هـ/١٢٠٠ م[20]، كما انه كان يعظ بجبل قاسيون مقبرة اهل دمشق[21].

وترب الخلفاء العباسيين في الرصافة كان يعظ فيها مظفر بن ساسير الواعظ المتوفى سنة ٦٠٧ هـ/١٢١٠ م[22].

والوعظ في المقابر او عندها امر طبيعي ، اذ انه ادعى الى القبول ، للتفكر بالموت .

ومجالس العزاء كانت تقام في ترب الخلفاء العباسيين بالرصافة[23].

والحديث النبوي الشريف كانت تعقد حلقاته في بعض الاحيان في المشاهد ، ففي سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م ، امر الخليفة الناصر لدين الله بقراءة مسند الامام احمد بن حنبل بمشهد الامام موسى الكاظم[24].

وكانت المشاهد والترب تتخذ للخلوة والاعتكاف بغية العبادة والانقطاع لله ، ففي سنة ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م زار السلطان محمد ملكشاه مشهد ابي حنيفة ، فقال لمستقبليه ((هذا يوم قد انفردت فيه مع الله تعالى فخلو بيني وبين المكان فصعدوا الى اعاليه فامر غلمانه بغلق الابواب وان لا يمكنوا الامراء من الدخول واقام يصلي ويدعو ويخشع))[25]، واخبرنا ابن خلكان عن عزم احدهم ((على الانقطاع في مشهد بظاهر الموصل))[26]، والشيخ جمال الدين الساوجي شيخ الطائفة القلندرية ((حصل له زهد وفراغ في الدنيا فترك الزاوية واقام بمقبرة الباب الصغير بقرب موضع القبة التي بنيت لاصحابه ، وبقي مدة بقبة زينب بنت زين العابدين))[27] ومن الناس من كان يجاور المشاهد والترب[28]، تشبها بمجاورة قبر الرسول الكريم ﷺ ، ذكر ابن العمراني ان الوزير ابا شجاع محمد بن الحسين الروذراوري بعد عزله عن وزارة المقتدي بامر الله «حج وجاور بالمدينة وكان هو بنفسه يتولى خدمة التربة الشريفة المقدسة ، وكان يكنسها كل يوم ، وجمع من ترابها ما عمل منه لبنة وامر ان توضع اذا مات تحت خده ، ففعل به ذلك وتربته بالبقيع»[29].

وكانت المشاهد والترب تتخذ محلا للاقامة[30]، فعندما قدم الخليفة المأمون الى مصر سنة ٢١٧ هـ/٨٣٢ م ((نزل قبة حاتم بن هرثمة التي على الجبل))[31]، وفي غرق بغداد سنة ٤٦٤ هـ/ ١٠٧١ م ((جرى على دار الخلافة العجائب وقد جاء ببعض الجهات الى الترب))[32] والخليفة الراشد اقام ((في تربة ابيه المسترشد بالله بعد ان تلقاه اهلها وولوه امر بلدهم فاقام بها يسيرا))[33].

وفي سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م ((خلع على امير الحاج مجاهد الدين ابي الميامن ايبك المستنصري المعروف بالدويدار

---

(١٦) ن . م .
(١٧) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤١٥ ، ٤٥٩ ، ٤٩٩
ذيل الروضتين ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٥
البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠
(١٨) الحوادث الجامعة ص ٧٩
(١٩) ذيل الروضتين ص ٦٤
(٢٠) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٦٨
(٢١) ذيل الروضتين ص ١٠٤
(٢٢) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٥٣
ذيل الروضتين ص ٧٧
(٢٣) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ١١٩ ـ ١٢٠
(٢٤) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٥٦
ذيل الروضتين ص ٧٨
(٢٥) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٩ ص ١٥٥ ، وانظر : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٣ ـ ٢٤
(٢٦) وفيات الاعيان جـ ٥ ص ٨٥
(٢٧) الدارس في تاريخ المدارس جـ ٢ ص ٢١٠ ، وانظر ص ٢١١ ـ ٢١٢
(٢٨) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣٦٣
(٢٩) الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢
(٣٠) انظر ، ذيل الروضتين ص ٢١٣
تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب جـ ٤ ق ٤ ص ٦٦٥
(٣١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٦٠
(٣٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٢٧٢
(٣٣) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ١٥٥

الصغير في دار الخلافة ، وخرج فنزل في تربة والدة الخليفة الناصر لدين الله))[٣٤]، وكان سبط ابن الجوزي كثيرا ما يقيم بتربة بدر الدين حسن[٣٥]، يقول ابو شامة ((وما اكثر ما كنت اراه جالسا في شباك التربة او في الصفة الخارجة في النهر ومعه كتاب يطالع فيه او ينسخ))[٣٦]، وعندما وصل الظاهر بيبرس على رأس جيشه الى دمشق بصحبة الخليفة المستنصر بالله ابو القاسم احمد بن الظاهر بن الناصر سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ م ((احتفل الناس للقائها وكان يوما مشهودا ونزل الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة بالتربة الناصرية بجبل قاسيون))[٣٧].

وفي بعض الاحيان تتخذ للاقامة الاجبارية ، في سنة ٣٢٧ هـ/ ٩٣٩ م ((اخرج احمد بن علي الكوفي الى تربة ام المقتدر ليؤدي ما فورق عليه))[٣٨] وفي فتنة البساسيري سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م ، حمل قريش بن بدران العقيلي الخليفة القائم بامر الله الى ((المشهد بمقابر قريش وقال له تبيت الليلة فيها فامتنع وقال هؤلاء العلويون الذين بها يعادوني فالزم الدخول وبات ليلته في بعض الترب))[٣٩]، وفي سنة ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م ، القي القبض على القاضي كريم الدين بن عبدالكريم بن هبة الله بن الشديد وكيل السلطان ((ورسم له ان يكون بتربته التي بالقرافة))[٤٠].

واعتبرت بعض من الترب والمشاهد حرما آمنا لمن التجأ اليها ، يقول ابن الطقطقي عن ترب الخلفاء العباسيين بالرصافة ((وكانت في ايامهم حرما اذا لجأ اليها الخائف امن))[٤١] وفي سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م ، جعل الخليفة الناصر لدين الله من ((مشهد موسى الكاظم امناً لمن لاذ به ، فالتجأ اليه خلق ، وحصل بذلك مفاسد))[٤٢] وفي الحالات الاضطرارية عندما ينعدم الامان ، يلتجأ الى ترب الرصافة لكونها حرما آمنا ، في سنة ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩م ، حدث نهب ببغداد للدور والدكاكين والجوامع ((واستؤذن الخليفة في تحويل آلات الجامع من الستور والقناديل فحولت الى التربة بالرصافة))[٤٣] وعند دخول السلاجقة بغداد((نهبت الرصافة وترب الخلفاء واخذ منها من الاموال ما لا يحصى لان اهل تلك الاصقاع نقلوا اليها اموالهم اعتقادا منهم انها محترمة))[٤٤] ومما يذكر عن حفيد المنتصر بعد ان عزل ، انه حاول استدرار عطف الخليفة الراضي بالله ، قائلا له : ((بتربة المقتدر ارحمني))[٤٥]، لكن الراضي لم يلتفت اليه ، وطالب الخليفة الناصر لدين الله وزيره المعزول معز الدين ابن حديدة بمال((فالتجأ الى التربة الاخلاطية فلم تنفعه وادى المال))[٤٦].

وللمشاهد والترب وقوف تدر ايرادات تصرف في مصالحها ، ويتولى النظر فيها من تتوفر فيه الامانة والثقة .

وممن تولى النظر في وقوف مشهد ابي حنيفة ، ضياء الدين احمد بن مسعود التركستاني[٤٧]، وقاضي القضاة الزينبي[٤٨] ، وتربة الاخلاطية سلجوقة خاتون تولى نظارتها عبدالوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي[٤٩] ، المتوفي سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٧م ، ثم تولاها الشيخ عبد الله الارمني المتوفى سنة ٦٣١هـ /١٢٣٤م ، وامره الخليفة الناصر لدين الله ان يكون في خدمة التربة وان يتولى ما اوقف عليها[٥٠].

---

(٣٤) الحوادث الجامعة ص ١٨٧
(٣٥) ذيل الروضتين ص ١٣٤
(٣٦) ن .م . ص ١١٣
(٣٧) ن .م . ص ٢١٣
(٣٨) الصولي . اخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ١٠٨ ـ ١٠٩
(٣٩) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ١٩٤ ـ ١٩٥
(٤٠) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٠٥
(٤١) تاريخ الدول الاسلامية ص ١٧٤
(٤٢) تاريخ الخلفاء ص ٤٥٢ وانظر عيون اخبار الاعيان ممن مضى في سالف العصور والازمان ق ٢ ص ٢٣٩
(٤٣) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ٨ ص ٤٤
(٤٤) الكامل في التاريخ جـ ٨ ص ٧٢
(٤٥) اخبار الراضي بالله والتقي لله ص ٩٩ .
(٤٦) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٦٨
ذيل الروضتين ص ٨٥
(٤٧) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير جـ ٩ ص ٢٣٣ ، وانظر كتاب العهد ص ٢٣٣ ـ ٢٣٧
(٤٨) المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ١١
مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٣٠
(٤٩) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٥٤
(٥٠) ن . م . ص ٦٨٧

وفي سنه ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م ، اعيد النظر في تربة زمرد خاتون الى حاجب باب النوبي تاج الدين علي بن الدوامي[٥١]، وترب الرصافة تولى نظارة وقوفها العدل يحيى بن بهليقا[٥٢]، ثم عهدت الى نقيب النقباء بهاء الدين ابي طالب الحسين بن احمد بن المهتدي بالله[٥٣]، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م .

ولم يكن هؤلاء النظار بمنأى عن الرقابة ، وتدقيق حساباتهم ، فقد ظهر على بعض منهم الاختلاس والتلاعب بالاموال ، في سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م ((تقدم السلطان بالختم على اموال مدرسة ابي حنيفة ومطالبة وكلائه بالحساب ووكل بقاضي القضاة الزينبي لاجل ذلك وكان قد قيل له ان دخل المكان نحو ثمانين الف دينار وما ينفق عليه عشرة[٥٤]، وفي سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م ((صرف العدل يحيى بن بهليقا عن نظره بالترب الشريفة بالرصافة وحوسب فبقي عليه عشرة الاف دينار فطولب بها))[٥٥].

واستخدمت بعض الترب كمحل للنظر في المظالم ، في سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨ م ، ((امرت السيدة ام المقتدر قهرمانة لها تعرف بثمل ان تجلس بالرصافة للمظالم وتنظر في كتب الناس يوما في كل جمعة))[٥٦]، وينص ابن الجوزي على ان جلوس ثمل كان في تربة ام المقتدر[٥٧]، ويقول عن احد المجالس التي عقدتها ((فجلست واحضرت القاضي ابا الحسن ابن الاشناني وخرجت التوقيعات على السداد))[٥٨]، والسبب في كل ذلك كما يقول الذهبي ، بعدما ((كثر امر حرم الخليفة ونهيهم بوكالة وال الامر))[٥٩].

ومن الامور التي ازدهرت في العصر العباسي الاخير ، الفتوة ، وكانت لها نظم وتعاليم وشروط لابد من توفرها في المنتمين اليها ، كما تميز المنتسب اليها بزي خاص يرتديه ، ولما كانت الفتوة منسوبة الى الامام علي[٦٠]، فقد اشار نقيبها جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي على الخليفة المستنصر بالله ان ((يلبس سراويل الفتوة من امير المؤمنين علي عليه السلام وافتى بجواز ذلك ، فتوجه الخليفة الى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف))[٦١].

ومن العادات المتبعة ارسال الطيور الى المشاهد ، في سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٤م ، ارسل الخليفة الناصر لدين الله اثنى عشر صنفا من اصناف الطيور الى المشاهد ، وسميت باسماء أئمة آل البيت الاثنى عشر[٦٢].

---

(٥١) الحوادث الجامعة ص ١٤٧
(٥٢) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ج ٩ ص ٨٠
(٥٣) الحوادث الجامعة ص ٢٩٣
(٥٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ١١ . وانظر مرآة الزمان ج ٨ ص ١٣٠
(٥٥) الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ج ٩ ص ٨٠ . وانظر ص ٩٤ - ٩٥
(٥٦) صلة تأريخ الطبري ص ٧١ .
(٥٧) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٦ ص ١٤٨
(٥٨) ن . م .
(٥٩) تاريخ الاسلام (مخطوط) ص ١٠
(٦٠) ابن المعمار ، كتاب الفتوة ص ١٤٨
(٦١) الحوادث الجامعة ص ٢٥٧
(٦٢) مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٣٧
الحوادث الجامعة ص ٢٠٣

المصادر

١ ـ القرآن الكريم

الآلوسي ، محمود شكري بن عبدالله (١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ / ١٨٥٧ ـ ١٩٢٤م)

٢ ـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، المطبعة الرحمانية / مصر ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م .

٣ ـ تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، مطبعة دار السلام / بغداد ١٣٤٦هـ .

آل محبوبة ، جعفر بن الشيخ باقر النجفي

٤ ـ ماضي النجف وحاضرها ، مطبعة العرفان / صيدا ١٣٥٣هـ

آل ياسين ، محمد حسن

٥ ـ تاريخ المشهد الكاظمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

ابن ابي حاتم ، عبدالرحمن الرازي (٢٤٠ ـ ٣٢٧هـ / ٨٥٤ ـ ٩٣٨ م) .

٦ ـ الجرح والتعديل ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ الهند ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

ابن ابي شيبة ، عبدالله بن محمد الكوفي العبسي (١٥٩ ـ ٢٣٥هـ / ٧٧٦ ـ ٨٤٩م) .

٧ ـ الكتاب المصنف في الأحاديث والأخبار ، مطبعة العلوم الشرقية ، الهند ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

أبن أبي عذيبة ، أحمد بن محمد بن عمر (٨١٩ ـ ٨٥٦هـ / ١٤١٦ ـ ١٤٥٢م) .

٨ ـ تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من اهل الزمان ، مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي برقم (٢٩٥) .

ابن الاثير ، علي بن محمد بن عبدالكريم ، عزالدين الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ / ١١٦٠ ـ ١٢٣٣م) .

٩ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة / المطبعة الاسلامية / طهران

١٠ ـ الكامل في التاريخ ، مطبعة الاستقامة / القاهرة

أبن الاثير ، المبارك بن محمد ابو السعادات مجدالدين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ / ١١٥٠ ـ ١٢١٠م) .

١١ ـ النهاية في غريب الحديث والاثر ، المطبعة العثمانية / مصر ١٣١١هـ

ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي (٦٤٨ـ٧٢٩هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٢٩م) .

١٢ ـ معالم القربة في احكام الحسبة ، مطبعة دار الفنون / كيمبرج ١٩٣٧ .

ابن بسام المحتسب ، محمد بن احمد .

١٣ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .

ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله (٧٠٣ ـ ٧٧٩هـ / ١٣٠٤ ـ ١٣٧٧م)

١٤ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، مطبعة مصطفى محمد / مصر ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

ابن البيطار ، عبدالله بن احمد المالقي ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م

١٥ ـ الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، مصر ١٢٩١هـ

ابن تغري بردي ، يوسف ابو المحاسن جمال الدين (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ / ١٤١٠ ـ ١٤٧٠م) .

١٦ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .

ابن تيمية ، احمد بن عبدالحليم الحراني (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م) .

١٧ ـ تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، المطبعة السلفية ، مصر ١٣٤٦هـ .

١٨ ـ الرد على الاخنائي (بهامش تلخيص كتاب الاستغاثة) .

١٩ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، مطبعة المنار ، مصر ١٣٢٧هـ .

٢٠ ـ مجموعة الرسائل والمسائل ، مطبعة المنار ، مصر ١٣٤١هـ .

٢١ ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

ابن جبير ، محمد بن احمد (٥٤٠ـ٦١٤هـ / ١١٤٥ـ١٢١٧م)

٢٢ ـ رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، مصر .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي محمد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ / ١١١٤ ـ ١٢٠١م)

٢٣ ـ الحسن البصري ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٣١ .

٢٤ ـ زاد المسير في علم التفسير ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٢٥ ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز ، مطبعة المؤيد ، مصر .

٢٦ ـ صيد الخاطر ، الطبعة الاولى ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م

٢٧ ـ مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٤٢هـ .

٢٨ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دائرة المعارف العثانية ، الهند ، الطبعة الاولى .

ابن الحاج محمد بن محمد ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م).

٢٩ ـ المدخل ، المطبعة المصرية ، مصر ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م
ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي بن محمد (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ/ ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩م)
٣٠ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٨هـ
٣١ ـ تهذيب التهذيب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٢٥هـ .
٣٢ ـ الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٤٨هـ .
٣٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣١٩هـ .
ابن حجر المكي الهيتمي ، احمد بن محمد (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٠٤ ـ ١٥٦٧م)
٣٤ ـ الفتاوي الكبرى الفقهية ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٠٨هـ
ابن حزم ، علي بن احمد الظاهري (٣٨٤ـ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م)
٣٥ ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ؛ ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م
٣٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المطبعة الأدبية ، مصر .
٣٧ ـ المحلى ، مطبعة النهضة ، مصر .
ابن حنبل ، احمد بن محمد ابو عبدالله الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٥٥م)
٣٨ ـ المسند ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٣٦٥ ـ ١٣٧٥هـ/ ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦م .
ابن حوقل ، محمد بن حوقل ابو القاسم النصيبي (بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) .
٣٩ ـ صورة الارض ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٨ .
ابن خرداذبة ، عبيدالله بن احمد (نحو ٢٠٥ ـ نحو ٢٨٠هـ/ ٨٢٠ ـ ٨٩٣م)
٤٠ ـ المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٩م .
ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)
٤١ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الطباعة العربية ، مصر .
ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابراهيم (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ/ ١٢١١ ـ ١٢٨٢م) .
٤٢ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .
ابن دحية الكلبي ، عمر بن الحسن بن علي (٥٤٤ ـ ٦٣٣هـ/ ١١٥٠ ـ ١٢٣٥م) .
٤٣ ـ النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تحقيق عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م .
ابن دريد ، محمد بن الحسن الازدي (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ/ ٨٣٨ ـ ٩٣٣م)
٤٤ ـ جمهرة اللغة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند
ابن دعسين اليمني ، عبدالملك بن عبدالسلام بن عبدالحفيظ الاموي القرشي (٩٥٢ ـ ١٠٠٦هـ/ ١٥٤٥ ـ ١٥٩٧م)
٤٥ ـ جواهر السلوك المتحلي بها جيد حال السلوك الى ملك الملوك ، مخطوط في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٠٦٠٠)
ابن دقاق ، ابراهيم بن محمد (٧٥٠ ـ ٨٠٩هـ/ ١٣٤٩ ـ ١٤٠٧م)
٤٦ ـ الانتصار لواسطة عقد الامصار جـ ٤ ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق / مصر ، ١٣٠٩هـ .
ابن رجب الحنبلي ، زين العابدين ابو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين احمد البغدادي (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٣٥ ـ ١٣٩٣م)
٤٧ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .
ابن رستة ، ابي علي احمد بن عمر (بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)
٤٨ ـ الاعلاق النفيسة (م ٧) مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م
ابن الساعي ، علي ابن المجب بن عثمان (٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ/ ١١٩٧ ـ ١٢٧٥م)
٤٩ ـ الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير (جـ ٩) تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .
٥٠ ـ مختصر اخبار الخلفاء (منسوب) المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ١٣٠٩هـ .
٥١ ـ نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء .
تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر
ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الازهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ/ ٧٨٤ ـ ٨٤٥م)
٥٢ ـ الطبقات الكبرى ، تحقيق ادوارد سحو ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٢٢هـ .
ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى (٦١٠ ـ ٦٨٥هـ/ ١٢١٤ ـ ١٢٨٦م)

٥٣ ـ بسط الارض في الطول والعرض ، تحقيق د . خوان قرنيط خينيس مطبعة كريماديس ، تطوان ١٩٥٨ .
ابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق (١٨٦ ـ ٢٤٤هـ/ ٨٠٢ ـ ٨٥٨م)
٥٤ ـ اصلاح المنطق ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦ .
ابن سيده ، علي بن اسماعيل (٣٩٨-٤٥٨هـ/ ١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م)
٥٥ ـ المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٩٥٨ ـ ١٩٧٢ .
٥٦ ـ المخصص ، الطبعة الاولى ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، مصر ١٣١٨هـ .
ابن شهراشوب ، محمد بن علي (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ/ ١٠٩٥ ـ ١١٩٢م)
٥٧ ـ مناقب آل ابي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م
ابن الصابوني ، محمد بن علي المحمودي (٦٠٤ ـ ٦٨٠هـ/ ١٢٠٧ ـ ١٢٨٢م)
٥٨ ـ تكملة اكمال الاكمال ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .
ابن الصباغ ، علي بن محمد (٧٨٤ ـ ٨٥٥هـ/ ١٣٨٣ ـ ١٤٥١م)
٥٩ ـ الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة ، مطبعة العدل ، النجف .
ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (٦٦٠ ـ ٧٠٩هـ/ ١٢٦٢ ـ ١٣٠٩م)
٦٠ ـ تاريخ الدول الاسلامية المعروف بالفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م
ابن عبدالحق ، عبدالمؤمن (٦٥٨ -٧٣٩هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٣٣٨م)
٦١ ـ مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .
ابن العبري ، ابو الفرج غريغوريوس (٦٢٣ ـ ٦٨٥هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٨٦م)
٦٢ ـ تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠م
ابن العديم ، عمر بن احمد بن هبةالله (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ/ ١١٩٢ ـ ١٢٦٢م) .
٦٣ ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م .
ابن العماد الحنبلي ، عبدالحي بن احمد (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩هـ/ ١٦٢٣ ـ ١٦٧٩م) .
٦٤ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مطبعة الصدق الخيرية ، مصر ١٩٥٠م .
ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (حدود ٥٨٠هـ/ ١١٨٤ م) .
٦٥ ـ الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق الدكتور قاسم السامرائي ، لايدن ١٩٧٣ .
ابن عنبة ، احمد بن علي بن حسين (٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)
٦٦ ـ عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف .
ابن فارس ، ابي الحسين احمد (٣٢٩ ـ ٣٩٥هـ/ (٩٤١ ـ ١٠٠٤م)
٦٧ ـ معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٦٩هـ .
ابن الفرات ، محمد بن عبدالرحيم (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ/ ١٣٣٥ ـ ١٤٠٥م)
٦٨ ـ تاريخ ابن الفرات ، تحقيق الدكتور حسن محمد الشماع ، البصرة ١٣٨٦ ـ ١٣٩٠هـ
ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس (كتب الرسالة سنة ٣٢٩هـ)
٦٩ ـ رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .
ابن الفقيه ، احمد بن محمد الهمذاني
٧٠ ـ مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٢هـ .
ابن الفوطي ، كمال الدين ابي الفضل عبدالرزاق بن احمد (٦٤٢ ـ ٧٢٣هـ/ ١٢٤٤ ـ ١٣٢٣م) .
٧١ ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ج ٤
تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق .
ج ٥ (حرف الكاف) تحقيق محمد عبدالقدوس القاسمي ١٩٤٠
٧٢ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة[1].
تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢
ابن قاضي شهبة ، احمد بن محمد (٧٧٩ ـ ٨٥١هـ/ ١٣٧٧ ـ ١٤٤٨م)

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد «وتاريخ محب الدين ابي العباس احمد بن يوسف العلوي وهو الذي طبع بأسم الحوادث الجامعة غلطا . ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ج ١ ص (أ).

٧٣ ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق الدكتور محمود زايد ، مطابع الامان ، بيروت ١٩٧١ .
ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ/ ٨٢٨ ـ ٨٨٩م)
٧٤ ـ المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠
ابن قدامة المقدسي ، موفق الدين عبدالله بن احمد (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ/ ١١٤٦ ـ ١٢٢٣م)
٧٥ ـ الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل ، دمشق ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣
٧٦ ـ المغني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المنار ، مصر ١٣٦٧هـ .
٧٧ ـ المقنع ، في فقه أمام السنة أحمد بن حنبل ، المطبعة السلفية ، مصر الطبعة الثانية .
ابن القلانسي ، حمزة بن اسد ابو يعلى (٤٦٤ ـ ٥٥٥هـ/ ١٠٧٢ ـ ١١٦٠م)
٧٨ ـ ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .
ابن قنيتو الاربلي ، عبدالرحمن بن ابراهيم (٦٤٠ ـ ٧١٧هـ/ ١٢٤٣ ـ ١٣١٧م)
٧٩ ـ خلاصة الذهب المسبوك ، المختصر من سير الملوك لابن الساعي ، بغداد ١٩٦٤ .
ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر بن ايوب (٦٩١ ـ ٧٥١هـ/ ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠م)
٨٠ ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة مصر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م .
٨١ ـ اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٢٠هـ .
٨٢ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ، المطبعة المصرية ، مصر ١٣٧٩هـ .
ابن الكازروني ، ظهيرالدين علي بن محمد (٦١١ ـ ٦٩٧هـ/ ١٢١٤ ـ ١٢٩٨م) .
٨٣ ـ مختصر التاريخ ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٧٠ .
٨٤ ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٢ .
ابن كثير الدمشقي ، اسماعيل بن عمر (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ/ ١٣٠٢ ـ ١٣٧٣م) .
٨٥ ـ البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٨هـ .
٨٦ ـ تفسير القرآن العظيم ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م .
ابن ماجة ، محمد بن يزيد (٢٠٩ـ٢٧٣هـ/ ٨٢٤ ـ ٨٨٧م)
٨٧ ـ سنن المصطفى ، المطبعة التازية ، مصر
ابن المجاور ، يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ابو الفتح جمال الدين ،
٨٨ ـ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المساة تاريخ المستبصر ، تحقيق اوسكر لوفغرين ، مطبعة بريل ١٩٥١ .
ابن مسكويه ، احمد بن محمد (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)
٨٩ ـ تجارب الامم وتعاقب الهمم ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٦٩م .
٩٠ ـ أبن المعمار ، محمد بن ابي المكارم (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)
كتاب الفتوة ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد وآخرين ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٨ .
ابن منظور ، محمد بن مكرم (٦٣٠ ـ ٧١١هـ/ ١٢٣٢ ـ ١٣١١م)
٩١ ـ لسان العرب ، بيروت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م
ابن النجار ، محمد بن محمود محب الدين (٥٧٨ ـ ٦٤٣هـ/ ١١٨٣ ـ ١٢٤٥م) .
٩٢ ـ اخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة ، مطبعة الرسالة ، مكة المكرمة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .
ابن هشام ، عبدالملك (٢١٣هـ/ ٨٢٨م)
٩٣ ـ السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ .
ابن الهمام ، محمد بن عبدالواحد السيواسي (٧٩٠ ـ ٨٦١هـ/ ١٣٨٨ ـ ١٤٥٧م)
٩٤ ـ شرح فتح القدير ، المطبعة الميمنية ، مصر
ابن واصل ، محمد بن سالم (٦٠٤ ـ ٦٩٧ هـ/ ١٢٠٨ ـ ١٢٩٨م)
٩٥ ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، مصر ١٩٥٣ .
ابو حاتم الرازي ، محمد بن ادريس (١٩٥ ـ ٢٧٧هـ/ ٨١٠ ـ ٨٩٠م)
٩٦ ـ الزينة في الكلمات الاسلامية ، مخطوط في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٣٠٦) .
ابو حيان النحوي ، محمد بن يوسف (٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ/ ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤م)
٩٧ ـ البحر المحيط ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض
أبو داود ، سليمان بن الأشعث (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ/ ٨١٧ ـ ٨٨٩م)
٩٨ ـ صحيح سنن المصطفى ، المطبعة التازية ، مصر
ابو زهرة ، محمد
٩٩ ـ اصول الفقه ، دار الثقافة للطباعة ، مصر
ابو شامة ، عبدالرحمن بن اسماعيل (٥٩٩ ـ ٦٦٥هـ/ ١٢٠٢ ـ ١٢٦٧م)
١٠٠ ـ ذيل الروضتين ، سماه ناشره (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) تحقيق محمد زاهد الكوثري ، الطبعة الاولى ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .
١٠١ ـ الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد احمد ، القاهرة ١٩٦٢ .
ابو طالب خان .
١٠٢ ـ رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربة ، (١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م) ترجمة الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة الايمان ، بغداد ١٩٦٩م .
ابو الفداء ، اسماعيل بن علي (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ/ ١٢٧٣ ـ ١٣٣١م)
١٠٣ ـ تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠م
ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ/ ٨٩٧ ـ ٩٦٧م)
١٠٤ ـ مقاتل الطالبيين ، بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م
ابو نعيم الاصفهاني ، احمد بن عبدالله (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ/ ٩٤٨ ـ ١٠٣٨م)
١٠٥ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

احسان عباس
١٠٦ ـ الحسن البصري ، مطبعة الاعتاد ، القاهرة ١٩٥٢
احمد امين
١٠٧ ـ ظهر الاسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢
احمد سوسة ، الدكتور
١٠٨ ـ ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٨ .
احمد فكري ، الدكتور
١٠٩ ـ «بدعة المحاريب» ، مجلة الكاتب المصري ، السنة الثانية (ذو القعدة ١٣٦٥هـ/ اكتوبر ١٩٤٦ ـ يناير ١٩٤٧) م٤ العدد ١٣ .
١١٠ ـ التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر ١٩٦٧ .
١١١ ـ مساجد القاهرة ومدارسها ، العصر الفاطمي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
١١٢ ـ مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، مطبعة معهد دون بوسكو ، الاسكندرية .
١١٣ ـ المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف ، مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .
احمد مغنية
١١٤ ـ أمامان موسى الكاظم وعلي الرضا ، مطبعة الانصاف ، بيروت
ادارة كل عتيقات
١١٥ ـ قبة الشيخ عبدالصمد الاصفهاني
مزار حمزة سبزيوش ، مجلة آثار ايران ، جلد اول ١٣١٤ شمسية
ادي شير (١٢٨٤ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٨٦٧ ـ ١٩١٥م)
١١٦ ـ الالفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ١٩٠٨ م
اربري ، آرثر
١١٧ ـ تراث فارس ، ترجمة محمد كفافي وآخرين ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٩
الاربلي ، علي بن عيسى (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)
١١٨ ـ كشف الغمة في معرفة الائمة ، مطبعة النجف ، النجف ١٣٨٤هـ
الازرقي ، محمد بن عبدالله (نحو ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م)
١١٩ ـ اخبار مكة ، مطبعة خياط ، بيروت ١٩٦٤
الازهري ، محمد بن احمد (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ/ ٨٩٥ ـ ٩٨١م)
١٢٠ ـ تهذيب اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون وآخرين ، مصر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ .
الأشرف الرسولي ، اسماعيل بن العباس الأفضل ابن المجاهد علي ابن المؤيد داود (٧٦١ ـ ٨٠٣هـ/ ١٣٦٠ ـ ١٤٠٠م)
١٢١ ـ العسجد المسبوك في اخبار من تولى في العراق من الخلفاء والملوك ، مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف العراقي برقم (١٣٠٨٣) ، نسخة احمد بن الصديق بن محمد بن ابي القاسم بن عبدالحق اقبال الحنفي يوم الخميس ١٣ / ربيع الاول / سنة ١٠٦٥هـ
الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
١٢٢ ـ مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٢٧
الاعظمي ، خالد خليل
١٢٣ ـ الزخارف الجدارية في آثار بغداد منذ تأسيسها حتى نهاية العصر الجلائري .
رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م
الاعظمي ، هاشم
١٢٤ ـ تاريخ جامع الامام الاعظم ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م
الالباني ، ناصرالدين .
١٢٥ ـ سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الامة ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق .
اليان سركيس ، يوسف (١٢٧٢ ـ ١٣٥١هـ/ ١٨٥٦ ـ ١٩٣٢م) .
١٢٦ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مطبعة سركيس ، مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م
الاميني ، عبدالحسين احمد النجفي
١٢٧ ـ الغدير في الكتاب والسنة والادب ، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .
الايوبي ، محمد بن تقي الدين عمر بن شهنشاه (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) .
١٢٨ ـ مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، دار الهنا ، بارتولد . للطباعة ، القاهرة
١٢٩ ـ (اسماعيل بن احمد) دائرة المعارف الاسلامية م٢
بارتولد ، ف
١٣٠ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .
بارتولد ، و
١٣١ ـ تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة الدكتور احمد السعيد سليمان ، مطبعة المعرفة ، مصر
البحتري ، الوليد بن عبيد الطائي ابو عبادة (٢٠٦ ـ ٢٨٤هـ/ ٨٢١ ـ ٨٩٨م)
١٣٢ ـ ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
البحراني ، يوسف (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)
١٣٣ ـ الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة ، مطبعة النجف .
البخاري ، محمد بن اسماعيل (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ/ ٨١٠ ـ ٨٧٠م)
بدري محمد فهد ، الدكتور
١٣٤ ـ صحيح البخاري (مشكول) مطبوعات محمد علي صبيح واولاده ،
بدري محمد فهد ، الدكتور مصر
١٣٥ ـ تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٣
برتلز
١٣٦ ـ ((رشيدالدين الطبيب)) دائرة المعارف الاسلامية م ١٠
البستاني ، بطرس بن بولس بن عبدالله (١٢٣٤ ـ ١٣٠٠هـ/ ١٨١٩ ـ ١٨٨٣م)
١٣٧ ـ محيط المحيط ، بيروت ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م .
البستاني ، عبدالله بن ميخائيل بن ناصيف (١٢٧١ ـ ١٣٤٨هـ/ ١٨٥٤ ـ ١٩٣٠م)
١٣٨ ـ البستان ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠
البغدادي ، احمد بن عبدالله (١١٠٢هـ/ ١٦٩١م)

١٣٩ ـ عيون اخبار الاعيان ممن مضى في سالف العصور والازمان . مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف العراقي .

البغدادي ، اسماعيل باشا

١٤٠ ـ هدية العارفين ، اسماء المؤلفين وآثار المصنفين . طبع اوفست ، الطبعة الثالثة . طهران ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ .

البكر ، الدكتور منذر

١٤١ ـ ضريح الحسن البصري ومسجد الكواز ، مجلة الجامعة ١٩٦٩ ج٦

بكنغهام ، جمس

١٤٢ ـ رحلتي الى العراق ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة دار البصري ، بغداد ١٩٦٩

البلاذري ، احمد بن يحيىٰ بن جابر (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

١٤٣ ـ فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر .

البلوي ، عبدالله بن محمد المديني

١٤٤ ـ سيرة احمد ابن طولون ، تحقيق محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ، دمشق .

البنداري ، الفتح بن علي بن محمد (٥٨٦ ـ ٦٤٣هـ/ ١١٩٠ ـ ١٢٤٥م)

١٤٥ ـ تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م .

بنيامين ، بن يونة التطلي ، (كانت رحلته سنة ٥٦١ ـ ٥٦٩هـ/ ١١٦٥ ـ ١١٧٣م)

١٤٦ ـ رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ، بغداد ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م .

بوخنر ،

١٤٧ ـ الساسانية ، دائرة المعارف الاسلامية م١١

البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٦م)

١٤٨ ـ السنن الكبرى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ١٣٤٤هـ

البيهقي ، محمد بن حسين (٣٨٥ ـ ٤٧٠هـ/ ٩٩٥ ـ ١٠٧٧م)

١٤٩ ـ تاريخ البيهقي ، ترجمة يحيىٰ الخشاب وصادق نشأت ، دار الطباعة الحديثة ، مصر

تافرنيه

١٥٠ ـ رحلة تافرنيه او العراق في القرن السابع عشر ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٤

تحسين علي

١٥١ ـ المعتضد بالله الخليفة العباسي ، رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

الترمذي ، محمد بن عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ/ ٨٢٤ ـ ٨٩٢م)

١٥٢ ـ صحيح الترمذي ، المطبعة المصرية ، مصر ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م

التقي الفاسي ، محمد بن احمد (٧٧٥ ـ ٨٣٢هـ/ ١٣٧٣ ـ ١٤٢٩م)

١٥٣ ـ منتخب المختار في تاريخ علماء بغداد ، تحقيق عباس العزاوي ، مطبعة الاهالي ، بغداد ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .

توتونجي ، نجاة يونس

١٥٤ ـ المحاريب العراقية منذ العصر الاسلامي الى نهاية العصر العباسي ، بغداد ١٩٧٦ ، مطبوعات مديرية الآثار العامة .

الثعالبي ، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ/ ٩٦١ ـ ١٠٣٨م)

١٥٥ ـ يتيمة الدهر ، مطبعة الصاوي ، مصر ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م

الجاحظ ، عمرو بن بحر (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ ـ ٨٦٩م

١٥٦ ـ التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

١٥٧ ـ كتاب الحيوان ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م .

الجنابي ، الدكتور كاظم

١٥٨ ـ مئذنة سوق الغزل ، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٦ .

الجهشياري ، محمد بن عبدوس (٣٣١هـ / ٩٤٣م)

١٥٩ ـ الوزراء والكتاب ، تحقيق مجموعة من الاساتذة ، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

جواد علي ، الدكتور

١٦٠ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي

الجواليقي ، موهوب بن احمد (٤٦٦ ـ ٥٤٠هـ / ١٠٧٣ ـ ١١٤٥م)

١٦١ ـ المعرب من الكلام الاعجمي ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١هـ .

الجوهري ، اسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ / ١٠٠٣ م)

١٦٢ ـ الصحاح ، المطبعة الكبرى ، مصر ١٢٩٢هـ

الحاج خليفة ، مصطفى بن عبدالله (١٠١٧ ـ ١٠٦٧هـ / ١٦٠٩ ـ ١٦٥٧م)

١٦٣ ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مطبعة وكالة المعارف ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م .

الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ/ ٩٣٣ ـ ١٠١٤م)

١٦٤ ـ المستدرك على الصحيحين في الحديث ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض

الحجاوي ، شرف الدين موسى المقدسي (٩٦٨هـ / ١٥٦٠م)

١٦٥ ـ الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل ، المطبعة المصرية ، مصر .

الحديثي ، عطا وهناء عبدالخالق

١٦٦ ـ القباب المخروطية في العراق ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ١٩٧٤

الحديثي ، عطا

١٦٧ ـ مئذنة الكفل ، مجلة سومر ١٩٧٢

الحر العاملي ، محمد بن الحسن (١١٠٤هـ/ ١٥٩٥م)

١٦٨ ـ وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، طهران ١٣٨٣هـ .

حرزالدين محمد (١٢٧٣ ـ ١٣٦٥هـ/ ١٨٥٦ ـ ١٩٤٦م)

١٦٩ ـ مراقد المعارف ، تحقيق محمد حسين حرزالدين ، مطبعة الآداب النجف .

١٧٠ ـ معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء ، مطبعة الآداب ، النجف ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

حسن الباشا ، الدكتور

١٧١ ـ الحرم النبوي الشريف في عهد الوليد ، مجلة منبر الاسلام ، السنة (٢٦) العدد الرابع .

١٧٢ ـ الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، مطبعة لجنة البيان العربي . القاهرة ١٩٦٦ .

حسن عبد الوهاب ،
١٧٣ ـ تاريخ المساجد الاثرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٦ .

الحسني عبدالرزاق
١٧٤ ـ «بغداد» دائرة المعارف الاسلامية م٤ .
١٧٥ ـ العراق قديما وحديثا ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

حسين امين ، الدكتور
١٧٦ ـ تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٨٥هـ/

حسين عطوان ١٩٦٥
١٧٧ ـ «[illegible]» مجلة العربي ١٩٧٠ ،العدد ١٣٩

الحسيني ، علي بن ناصر بن علي
١٧٨ ـ اخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣

الحطاب ، محمد بن محمد بن عبدالرحمن (٩٥٤هـ / ١٥٤٧م)
١٧٩ ـ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، مطابع دار الكتاب اللبناني ، بيروت

حمدالله المستوفي ، ابن ابي بكر بن احمد بن نصر (٧٥٠هـ / ١٣٤٩م)
١٨٠ ـ تاريخ كزيدة (فارسي) تحقيق ادوربرون ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩١٠ ـ ١٩١٣م .
١٨١ ـ نزهة القلوب (فارسي) لندن ١٩٢٨

خالد معاذ
١٨٢ ـ «مدافن الملوك والسلاطين في دمشق» مجلة الحوليات السورية ١٩٥١ ، م١ ج٢

الخطيب البغدادي ، احمد بن علي (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ/ ١٠٠٢ ـ ١٠٧٢م)
١٨٣ ـ تاريخ بغداد او مدينة السلام ، مطبعة السعادة مصر ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م

الخوارزمي ، الموفق بن احمد (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ / ١٠٩١ ـ ١١٧٢م)
١٨٤ ـ المناقب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م

الدجيلي ، كاظم
١٨٥ ـ مقالة عن الدور ، مجلة لغة العرب ، السنة الاولى

الديلمي ، ابي محمد الحسن
١٨٦ ـ اعلام الدين في صفات المؤمنين وكنز علوم الدين ، نسخة حمزة بن الشيخ محمود الحلي متولي مسجد الشمس سنة ١٠٨٥هـ/ مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف العراقي .

ديماند ، م . س
١٨٧ ـ الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد محمد عيسى ، دار المعارف بمصر

الدينوري ، احمد بن داود (٢٨٢هـ / ٨٩٥م)
١٨٨ ـ الاخبار الطوال ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٣٠هـ

الديوه جي ، سعيد
١٨٩ ـ اعلام الصناع المواصلة ، مطبعة الجمهور ، الموصل ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م
١٩٠ ـ الجامع النوري في الموصل ، مجلة سومر ١٩٤٩
١٩١ ـ مشهد الامام يحيى بن القاسم ، مجلة سومر ١٩٦٨
١٩٢ ـ الموصل في العهد الاتابكي ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

الذهبي محمد بن احمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨م)
١٩٣ ـ تاريخ الاسلام ، جزء منه ، مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٦٥٨) .
١٩٤ ـ تاريخ الاسلام ج ٩ ، مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي برقم (٦٢٨٨) .
١٩٥ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٦٧هـ .
١٩٦ ـ تذكرة الحفاظ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦ .
١٩٧ ـ العبر في خبر من غبر ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٩٦٠ .
١٩٨ ـ المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ١٣٧١هـ/ ١٩٥١ .
١٩٩ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م .

الذهبي ، محمد حسين
٢٠٠ ـ التفسير والمفسرون ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

الرازي ، محمد بن ابي بكربن عبدالقادر «بعد ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨» .
٢٠١ ـ مختار الصحاح ، المطبعة الاميرية ، مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

الراغب الاصفهاني الحسين بن محمد «٥٠٢هـ ١١٠٨م» .
٢٠٢ ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء المطبعة العامرة الشرفية ، مصر ١٣٢٦هـ

الراوندي ، محمد بن علي
٢٠٣ ـ راحة الصدور وآية السرور في تأريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة مجموعة من الاساتذة ، مطابع دار القلم ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠ .

الراوي ، محمد سعيد بن عبد الغني «١٣٠٠ ـ ١٣٥٤هـ/ ١٨٨٣ ـ ١٩٣٦م» .
٢٠٤ ـ مسجد الست زبيدة ، جريدة البلاد ، العدد «٦٠٧» ٢٥ / تموز / ١٩٣٥ .

رايس تمارا تالبوت
٢٠٥ ـ السلاجقة ، ترجمة لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٨ .

رشيدالدين فضل الله الهمداني «٧١٦هـ/ ١٣١٦م»
٢٠٦ ـ جامع التواريخ ترجمة مجموعة من الاساتذة ، دار أحياء الكتب العربية ، مصر .

الرملي ، محمد بن أحمد ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م» .
٢٠٧ ـ نهاية المحتاج الى شرح المنهاج ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨ .

الرويشدى ، اسوادي عبد محمد

٢٠٨ ـ امارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧١

الزبيدي عبد القادر

٢٠٩ ـ مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية . دمشق ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩

الزبيدي ، مرتضى محمد «١١٤٥ ـ ١٢٠٥هـ/ ١٧٣٢ ـ ١٧٩٠م» .

٢١٠ ـ تاج العروس من شرح القاموس ، مطبعة حكومة الكويت . الكويت .

زبيس ، سليمان مصطفى

٢١١ ـ النقابات التونسية وتطورها ، تونس ١٩٥٩ .

٢١٢ ـ نقائش الفرجاني ، مطبعة لابريس ، تونس ١٩٦٢

٢١٣ ـ نقائش المنستير ، مطبعة لابريس ، تونس ١٩٦٠ .

الزركشي ، محمد بن بهادر «٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ / ١٣٤٤ ـ ١٣٩٢م» .

٢١٤ ـ اعلام الساجد باحكام المساجد . تحقيق ابو الوفا مصطفى المراغي

الزركلي ، خيرالدين القاهرة ١٣٨٤هـ

٢١٥ ـ الاعلام . الطبعة الثالثة زكي محمد حسن الدكتور

٢١٦ ـ الفن الاسلامي في مصر مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٥ .

٢١٧ ـ فنون الاسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ .

٢١٨ ـ الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ، مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٤٠ .

السامرائي ، يونس

٢١٩ ـ الامام محمد الدوري ، مجلة بغداد ١٩٦٤ .

٢٢٠ ـ تاريخ الدور قديما وحديثا ، مطبعة دار البصري ، بغداد ١٩٦٦ .

سبط ابن التعاويذي ، محمد بن عبيدالله (٥١٩ ـ ٥٨٣هـ / ١١٢٥ ـ ١١٨٧م)

٢٢١ ـ ديوان سبط ابن التعاويذي ، تحقيق مرجليوث ، مطبعة المقتطف ، مصر ١٩٠٣ .

سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزاوغلي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ / ١١٨٥ ـ ١٢٥٦م)

٢٢٢ ـ تذكرة الخواص وهو تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة ، المطبعة العلمية ، النجف ١٣٦٩هـ .

٢٢٣ ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (جزء سابق على الثامن) تحقيق علي سويم انقرة ١٩٦٨ .

٢٢٤ ـ مرآة الزمان جـ ٨ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ .

السبكي ، عبدالوهاب بن علي (٧٢٧ ـ ٧٧١هـ / ١٣٢٧ ـ ١٣٧٠م)

٢٢٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧ .

ستراك

٢٢٦ ـ «السوس» دائرة المعارف الاسلامية م١٢

السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن (٨٣١ ـ ٩٠٢هـ / ١٤٢٧ ـ ١٤٩٧م)

٢٢٧ ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنتال ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣ .

سعاد ماهر ، الدكتورة

٢٢٨ ـ مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، مطابع الاهرام التجارية ، مصر ١٩٧١ .

٢٢٩ ـ مشهد الامام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف ، دار المعارف بمصر .

السماوي ، محمد بن الشيخ طاهر

٢٣٠ ـ صدى الفؤاد الى حمى الكاظم والجواد ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

٢٣١ ـ مجالي اللطف بأرض الطف ، مطبعة الغري ، النجف ١٣٦٠هـ ١٩٤١

السمعاني ، عبدالكريم بن محمد (٥٠٦ ـ ٥٦٢هـ / ١١١٣ ـ ١١٦٧م)

٢٣٢ ـ الانساب مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

السمهودي ، علي بن عبدالله (٨٤٤ـ٩١١هـ / ١٤٤٠ ـ ١٥٠٦م)

٢٣٣ ـ وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، مطبعة الاداب والمؤيد ، مصر ١٣٢٦هـ

السندي ، محمد بن عبدالهادي (١١٣٩هـ / ١٧٢٦م)

٢٣٤ ـ حاشية السندي . المطبعة التازية ، القاهرة ١٣٤٩هـ

السويدي عبدالرحمن بن عبدالله (١١٣٤ ـ ١٢٠٠هـ / ١٧٢٢ ـ ١٧٨٦م)

٢٣٥ ـ تاريخ بغداد وحديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي ، مطبعة الزعيم ، بغداد ١٩٦٢ .

السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (٨٤٩ ـ ٩١١هـ / ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م)

٢٣٦ ـ اعلام الاريب بحدوث بدعة المحاريب ، مخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية كتب سنة ١٢٨١هـ ، ونسخة اخرى محفوظة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم (٣ ـ ٣٩٤٧)

٢٣٧ ـ تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، ١٣٧١هـ /١٩٥٢م .

٢٣٨ ـ الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، الطبعة الرابعة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر

٢٣٩ ـ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣٢١هـ

٢٤٠ ـ فهرست مؤلفات سيوطي ، مطبعة محمدي ، (طبع حجر) محفوظ في المكتبة القادرية .

٢٤١ ـ الوسائل الى مسامرة الاوائل ، تحقيق الدكتور اسعد طلس ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ .

الشابشتي ، علي بن محمد (٣٨٨هـ / ٩٩٨م)

٢٤٢ ـ الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥١ .

الشافعي ، محمد بن ادريس (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ/٧٦٧ ـ ٨٢٠م)

٢٤٣ ـ الام ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

الشبلنجي ، مؤمن بن حسن (١٢٥٢ ـ بعد ١٣٠٨هـ / ١٨٣٦ ـ بعد ١٨٩١م)

٢٤٤ ـ نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار . المطبعة العامرة العثمانية مصر ١٣٠٤هـ .

الشطنوفي . علي بن يوسف (٦٤٤ ـ ٧١٣هـ / ١٢٤٦ ـ ١٣١٤م)

٢٤٥ ـ بهجة الاسرار ومعدن الانوار . مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ١٣٣٠هـ .

الشعراني . عبدالوهاب بن احمد (٨٩٨ ـ ٩٧٣هـ/١٤٩٣ ـ ١٥٦٥م)

٢٤٦ ـ الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الانوار في طبقات الاخيار . مطبعة عبدالحميد مصر ١٣٥٥هـ .

٢٤٧ ـ الميزان . مصر ١٣٠٢هـ .

شيخ التربة : على ددة بن مصطفى الموستاري السكتواري علاءالدين (ت : ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م)

٢٤٨ ـ محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر . مصر ١٣٠٠هـ

الشيرازي . ابي اسحاق (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)

٢٤٩ ـ طبقات الفقهاء . مطبعة بغداد . بغداد ١٣٥٦هـ

الشيزري عبدالرحمن بن نصر (نحو ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)

٢٥٠ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦ .

الصديق . كمال الدين مصطفى البكري (١٠٩٩ ـ ١١٦٢هـ/ ١٦٨٨ ـ ١٧٤٩م)

٢٥١ ـ كشط الردا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان . مخطوط مصور في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

الصغاني . الحسن بن محمد (٥٧٧ ـ ٦٥٠هـ/ ١١٨١ ـ ١٢٥٢م)

٢٥٢ ـ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق عبدالعليم الطحاوي . مطبعة دار الكتب . القاهرة ١٩٧٠ .

الصفدي . صلاح الدين خليل بن ايبك (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٣٦٣م)

٢٥٣ ـ نكت الهميان في نكت العميان . المطبعة الجمالية . مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

٢٥٤ ـ الوافي بالوفيات . نشر جمعية المستشرقين الالمانية . مطبعة الدولة . استانبول ١٩٣١ .

الصولي . محمد بن يحيى (٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)

٢٥٥ ـ اخبار الراضي بالله والمتقي لله (من كتاب الاوراق) تحقيق ج . هيورث . دن . مطبعة الصاوي . القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٥٣ .

الصياد . الدكتور فؤاد عبدالمعطي

٢٥٦ ـ مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م

الطباخ الحلبي . محمد راغب بن محمود (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)

٢٥٧ ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء . المطبعة العلمية ، حلب ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م .

الطباطبائي . جعفر آل بحر العلوم

٢٥٨ ـ تحفة العالم في شرح خطبة المعالم . مطبعة الغري . النجف ، ١٣٥٤هـ

الطبراني . ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب مطير اللخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ/ ٨٧٣ ـ ٩٧١م)

٢٥٩ ـ المعجم الكبير . مخطوط . محفوظ بالمكتبة الظاهرية في دمشق برقم (١٠٧٣)

الطبرسي . الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

٢٦٠ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان . بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

الطبري . محمد بن جرير بن يزيد (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/ ٨٣٩ ـ ٩٢٣م)

٢٦١ ـ تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .

٢٦٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن . تحقيق محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر

الطوسي . محمد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ/ ٩٩٥ ـ ١٠٦٧م)

٢٦٣ ـ تهذيب الاحكام في شرح المقنعة . تحقيق حسن الموسوي الخرسان . الطبعة الثانية . مطبعة النعمان . النجف

عادل نجم عبو (الدكتور)

٢٦٤ ـ «التربة في العمارة الايوبية في سوريا» مجلة سومر ١٩٧٤م ٣٠

٢٦٥ ـ (القباب البرجية المقرنصة) مجلة بين النهرين ، ١٩٧٤ ، العدد ٦ .

٢٦٦ ـ القباب العباسية في العراق . رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٧ .

العاملي . محسن عبدالكريم الامين

٢٦٧ ـ اعيان الشيعة . بيروت ١٩٥١ ـ ١٩٦٠ .

٢٦٨ ـ كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبدالوهاب . مطبعة ابن زيدون . دمشق ١٣٤٦هـ .

العبادي . عدي بن زيد (نحو ٣٥ ق . هـ/ ٥٩٠م)

٢٦٩ ـ ديوان عدى بن زيد العبادي . تحقيق محمد جبار المعيبد . بغداد ١٩٦٥ .

عبدالحميد عبادة (١٣٠٨ ـ ١٣٤٩هـ/ ١٨٩١ ـ ١٩٣٠م) .

٢٧٠ ـ العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع . مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي برقم (٩٠٤٩) .

عبد الرحمن بن حسن

٢٧١ ـ بيان المحجة في الرد على صاحب اللجة .

(مجموعة التوحيد) دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع . الدوحة . قطر

عبدالرزاق . ابو بكر بن همام الصنعاني (١٢٠ ـ ٢١١هـ/ ٧٣٧ ـ ٨٢٦م)

٢٧٢ ـ مصنف عبدالرزاق . تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي

عبدالعزيز حميد . الدكتور

٢٧٣ ـ عمارة الاربعين في تكريت . مجلة سومر ١٩٦٥ .

عبدالنعيم محمد حسنين

٢٧٤ ـ سلاجقة ايران والعراق . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٩ .

العتبي . محمد بن عبدالجبار (٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م)

٢٧٥ ـ اليميني . المطبعة الوهبية . مصر ١٢٨٦هـ/ ١٨٩٥م .

العزاوي . عباس

٢٧٦ ـ تاريخ العراق بين احتلالين . بغداد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥

العزاوي . عبدالستار جبار
٢٧٧ ـ العقود والاقبية العراقية في العصور الاسلامية ، رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .
العزيزي ، علي بن احمد بن محمد البولاقي الشافعي (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م)
٢٧٨ ـ السراج المنير على الجامع الصغير في احاديث البشير النذير . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ، الطبعة الثالثة .
علماء المدينة المنورة
٢٧٩ ـ (فتوى) جريدة ام القرى ، العدد (١٠٤) ٤ / جمادي الثانية / ١٣٤٥هـ العدد (٦٩) ١٧ / شوال ١٣٤٤هـ .
العلي ، الدكتور احمد صالح
٢٨٠ ـ استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الاداب والعلوم ، ١٩٥٨ ، العدد (٣) .
٢٨١ ـ محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٥
عكوش ، محمود
٢٨٢ ـ تاريخ ووصف الجامع الطولوني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧ .
العليمي ، ابو اليمن عبدالرحمن بن محمد (٨٦٠ ـ ٩٢٨هـ/ ١٤٥٦ ـ ١٥٢٢م)
٢٨٣ ـ الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، المطبعة الوهبية ، مصر ١٢٨٣ . العماد الاصفهاني ، محمد بن محمد عمادالدين الكاتب (٥١٩ ـ ٥٩٧هـ/ ١١٢٥ ـ ١٢٠١م) .
٢٨٤ ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) تحقيق الدكتور شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ .
عماد عبدالسلام رؤوف
٢٨٥ ـ مدارس بغداد في العصر العباسي ، مطبعة دار البصري ، بغداد ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .
عمر رضا كحالة
٢٨٦ ـ معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .
العمري ، ياسين بن خيرالله بن محمود (١١٥٧ ـ بعد ١٢٣٢هـ/ ١٧٤٤ ـ بعد ١٨١٧م)
٢٨٧ ـ غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، مطبعة دار البصري ، بغداد ١٩٦٨ .
عيسى سلمان ، الدكتور
٢٨٨ ـ تقديم ، مجلة سومر ١٩٧٤ .
٢٨٩ ـ تقديم ، مجلة سومر ١٩٧٥ .
٢٩٠ ـ نصوص في المتحف العراقي م٨ «نصوص عربية» بغداد ١٩٧٥ / تأليف الدكتور عيسى سلمان وآخرين
٢٩١ ـ الواسطي يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخرف ، بغداد ١٩٧٢
العيني ، محمود بن احمد (٧٦٢ ـ ٨٥٥هـ/ ١٣٦١ ـ ١٤٥١م)
٢٩٢ ـ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر

غرايبة ، عبدالكريم
٢٩٣ ـ العرب والاتراك ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦١ .
غرس الدين الظاهري ، خليل بن شاهين (٨١٣ ـ ٨٧٣هـ/ ١٤١٠ ـ ١٤٦٨م)
٢٩٤ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، مطبعة الجمهورية ، باريس ١٨٩٤م .
الفتال النيسابوري ، محمد بن الحسن (٥٠٨هـ/ ١١١٤م)
٢٩٥ ـ روضة الواعظين ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .
فريد شافعي ، الدكتور
٢٩٦ ـ العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، المطبعة الثقافية ، مصر ١٩٧٠ .
الفيومي ، احمد بن محمد (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)
٢٩٧ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المطبعة الاميرية ، مصر ١٩٠٩ .
القاري ، علي بن سلطان (١١٠٤هـ/ ١٦٠٦م)
٢٩٨ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٠٩هـ .
القاسمي ، جمال الدين بن محمد سعيد (١٢٨٣ ـ ١٣٣٢هـ/ ١٨٦٦ ـ ١٩١٤م)
٢٩٩ ـ محاسن التأويل ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م .
القرطبي ، عريب بن سعد
٣٠٠ ـ صلة تاريخ الطبري ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٧م
القرطبي ، محمد بن احمد (٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)
٣٠١ ـ التذكرة في احوال الموتى والآخرة ، تحقيق احمد محمد موسى ، مطابع مدكور ، القاهرة .
٣٠٢ ـ الجامع لاحكام القرآن ، القاهرة ١٩٣٥ ـ ١٩٥٠ .
القزاز ، الدكتور محمد صالح داود
٣٠٣ ـ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ، مطبعة القضاء ، النجف ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م
القزاز ، وداد علي
٣٠٤ ـ المنارة المظفرية في اربيل تاريخها ووصفها ، مجلة سومر ١٩٦٠ .
القزويني ، زكريا بن محمد (٦٠٥ ـ ٦٨٢هـ/ ١٢٠٨ ـ ١٢٨٣م)
٣٠٥ ـ آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ .
القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (٥٦٨ ـ ٦٤٦هـ/ ١١٧٢ ـ ١٢٤٨م)
٣٠٦ ـ اخبار العلماء باخبار الحكماء ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٦هـ .
القلقشندي ، احمد بن علي (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ/ ١٣٥٥ ـ ١٤١٨م)
٣٠٧ ـ صبح الاعشى في قوانين الانشاء ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م .
٣٠٨ ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، الكويت ١٩٦٤ .
القمي ، عباس
٣٠٩ ـ الكنى والالقاب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦ .

الكاشاني ، ابو بكر بن مسعود (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) .

٣١ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، مطبعة شركة المطبوعات العلمية ، القاهرة ١٣٢٧هـ .

الكاظمي ، حسن صدرالدين

٣١ ـ الرد على فتاوى الوهابيين ، مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٤٥هـ

الكرماني ، محمد بن يوسف (٧١٧ ـ ٧٨٦هـ/ ١٣١٧ ـ ١٣٨٤م)

٣١ ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني ، المطبعة البهية المصرية ، مصر ١٣٥٢هـ .

الكرملي ، انستاس ماري بطرس (١٢٨٣ ـ ١٣٦٦هـ/ ١٨٦٦ ـ ١٩٤٧م) .

٣١ ـ (الكفل) مجلة المشرق ١٨٩٩م ج ٢

٣١ ـ المساعد ، مخطوط محفوظ في دير الآباء الكرمليين .

الكرمي ، مرعي بن يوسف (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)

٣١ ـ غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى ، مطبعة دار السلام ، دمشق ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م .

كريستي ، ارنولد ، بريجز

٣١ ـ تراث الاسلام ج ٢ ، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٣٦ .

كريستي ، ولسن

٣١ ـ تاريخ صنايع ايران (فارسي) ترجمه الى الفارسية عبدالله فريار ، طهران ١٩٣٨

الكليدار ، الدكتور عبدالجواد .

٣١ ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م .

كمال الدين سامح (الدكتور)

٣١ ـ «تطور القبة في العمارة الاسلامية» مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٥٠ ، م١٢ ج١

كمال منصور عبادة

٣٢ ـ الصيانة الاثرية في عانة ، مجلة سومر ١٩٦٩ .

لكنجي ، محمد بن يوسف (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)

٣٢١ ـ كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب ، تحقيق محمد هادي الاميني المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

الكوثري ، محمد زاهد بن الحسن (١٢٩٦ ـ ١٣٧١هـ/ ١٨٧٩ ـ ١٩٥٢م) .

٣٢٢ ـ مقالات الكوثري ، مطبعة الانوار ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ

كولد سيهر

٣٢ ـ ((ذو الكفل)) دائرة المعارف الاسلامية م٩

كونل ، ارنست

٣٢ ـ الفن الاسلامي ، ترجمة الدكتور احمد موسى ، بيروت ١٩٦٦ .

لسترنج ، غي

٣٢ ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ، المطبعة العربية ، بغداد ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ .

٣٢ ـ بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤ .

لين بول ، استانلي

٣٢٧ ـ طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة مكي طاهر الكعبي ، مطبعة دار البصري بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ .

مارسيه ، جورج

٣٢٨ ـ الفن الاسلامي ، ترجمة الدكتور عفيف بهنسي ، دمشق ١٩٦٨ .

مالك ، بن أنس بن مالك الاصبحي (٩٣ ـ ١٧٩هـ/ ٧١٢ ـ ٧٩٥م)

٣٢٩ ـ المدونة الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر

٣٣٠ ـ الموطأ ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

المامقاني ، محمد حسن بن عبدالله (١٢٣٨ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٢٢ ـ ١٩٠٥م)

٣٣١ ـ تنقيح المقال في احوال الرجال ، المطبعة المرتضوية ، النجف .

مجهول

٣٣٢ ـ الف ليلة وليلة ، مطبعة بولاق ، مصر ١٢٥٢هـ

٣٣٣ ـ السلاجقة ، دائرة المعارف الاسلامية م ١٢

٣٣٤ ـ العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٣٣٥ ـ قبر الامام ابي يوسف ، مجلة لغة العرب ، السنة السادسة ، ج١٠ .

٣٣٦ ـ قبر الست زبيدة ، مجلة دار السلام ، ١٩١٩م العدد ٦

محب الدين الخطيب .

٣٣٧ ـ (قابوس بن وشمكير) مجلة المجمع العلمي العربي م٣

محمد عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢م)

٣٣٨ ـ كتاب التوحيد (مجموعة التوحيد) دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة ، قطر .

٣٣٩ ـ كشف الشبهات في التوحيد (مجموعة التوحيد)

مديرية الاثار العامة

٣٤٠ ـ باب الغيبة في سامراء ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٣٨ .

المراغي ، احمد مصطفى

٣٤١ ـ تفسير المراغي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م

المرداوي ، علي بن سليمان (٨١٧ ـ ٨٨٥هـ/ ١٤١٤ ـ ١٤٨٠م)

٣٤٢ ـ الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام احمد بن حنبل ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥ .

مرزوق ، الدكتور محمد عبدالعزيز

٣٤٣ ـ الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٦٥ .

٣٤٤ ـ مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ، مطبعة عطايا ، القاهرة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢ .

المسعودي ، علي بن الحسين (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

٣٤٥ ـ التنبيه والاشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٣م .

٣٤٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الرجاء للطبع والنشر ، مصر .

مسلم ، بن الحجاج (٢٠٤ ـ ٢٦١هـ/ ٨٢٠ ـ ٨٧٥م)

٣٤٧ ـ صحيح مسلم (مشكول) مطبعة محمد علي صبيح واولاده ، مصر

المشهداني ، محمد جاسم حمادي

٣٤٨ ـ الجزيرة الفراتية والموصل ، رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ .

المصري ، الدكتور حسين مجيب

٣٤٩ ـ صلات بين العرب والفرس والترك ، مطبعة الفكرة ، مصر ١٣٩٠هـ ١٧٩١م .

مصطفى جواد ، الدكتور ، والدكتور احمد سوسة

٣٥٠ ـ دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ .

مصطفى جواد

٣٥١ ـ (اول مدرسة في العراق) مجلة المعلم الجديد ١٩٤٠ .

٣٥٢ ـ سيدات البلاط العباسي ، مطابع دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٠ .

٣٥٣ ـ العمارات الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد ، مجلة سومر ١٩٤٧ج ١ .

٣٥٤ ـ القصر العباسي في القلعة ببغداد ، مجلة سومر ١٩٤٥ج ٢

٣٥٥ ـ مشهد الكاظمين (مطبوع على الآلة الكاتبة محفوظ في مكتبة المتحف العراقي) .

٣٥٦ ـ معالمنا التاريخية في لواء ديالى ، جريدة الاخبار ، العدد (٥٩٩٠) ٦ كانون الاول ١٩٦٠ .

مصطفوي ، محمد تقي

٣٥٧ ـ اقليم بارس (فارسي) طهران ١٩٦٤ .

معين الدين شيرازي ، ابو القاسم جنيد

٣٥٨ ـ شد الازار في حط الاوزار عن زوار المزار ، تحقيق محمد قزويني ، مطبعة مجلس ، طهران ١٣٢٨ شمسية .

المفيد ، الشيخ محمد بن محمد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ/ ٩٤٧ ـ ١٠٢٢م)

٣٥٩ ـ الارشاد ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ .

المقدسي ، محمد بن احمد (٣٣٦ ـ نحو ٣٨٠هـ/ ٩٤٧ ـ نحو ٩٩٠م) .

٣٦٠ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦

المقريزي ، احمد بن علي (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥ ـ ١٤٤١م)

٣٦١ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة النيل ، مصر ١٣٣٦هـ .

مكاريوس ، شاهين

٣٦٢ ـ تاريخ ايران ، مطبعة المقتطف ، مصر ١٨٩٨م .

المناوي ، محمد عبدالرؤوف (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ/ ١٥٤٥ ـ ١٦٢٢م) .

٣٦٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، مطبعة مصطفى ، مصر ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨ .

المنجد ، الدكتور صلاح الدين

٣٦٤ ـ بيمارستان نورالدين ، دمشق ١٩٤٦ .

٣٦٥ ـ دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي ، بيروت ١٩٧٢ .

المنذري عبدالعظيم بن عبدالقوي (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ/ ١١٨٥ ـ ١٢٥٨م) .

٣٦٦ ـ التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف ، مطبعة الاداب ، النجف .

المنشيء البغدادي ، محمد بن أحمد (كتبها سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)

٣٦٧ ـ رحلة المنشيء البغدادي ، ترجمة عباس العزاوي ، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ١٩٤٨ .

المنقري ، نصر بن مزاحم (٢١٢هـ/ ٨٢٧م)

٣٦٨ ـ وقعة صفين ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، مصر ١٣٨٢هـ .

المنيني ، احمد بن علي (١٠٨٩ ـ ١١٧٢هـ/ ١٦٧٨ ـ ١٧٥٩م)

٣٦٩ ـ الفتح الوهبي على تاريخ ابي نصر العتبي ، المطبعة الوهبية مصر ، ١٢٨٦هـ .

مورينو ، مانويل جوميث

٣٧٠ ـ الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد محمود عبدالعزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .

الموسوي ، عباس بن علي (بحدود ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م)

٣٧١ ـ نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

الموسوي ، محمد مهدي

٣٧٢ ـ معجم القبور ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٣٩

ناجي معروف

٣٧٣ ـ تاريخ علماء المستنصرية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ .

٣٧٤ ـ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ .

ناصر خسرو (فرغ من رحلته سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)

٣٧٥ ـ سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، بيروت ١٩٧٠ .

النجدي ، سليمان بن سحمان (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠)

٣٧٦ ـ الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ، مطبعة المنار ، مصر ١٣٤٢هـ

النرشخي ، محمد بن جعفر (٢٨٦ ـ ٣٤٨هـ/ ٨٩٩ ـ ٩٥٩م)

٣٧٧ ـ تاريخ بخاري ، ترجمه وحققه الدكتور امين عبدالمجيد بدوي ونصرالله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، مصر .

النسائي ، احمد بن علي (٢١٥ـ٣٠٣هـ/٨٣٠ـ٩١٥م)

٣٧٨ ـ سنن النسائي ، المطبعة المصرية ، مصر

نظمي زاده ، مرتضى افندي (١١٣٦هـ/١٧٤٣م)

٣٧٩ ـ تراجم وجوه الاعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان ، ترجمة البندنيجي ، مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف العراقي برقم (١٣١٩) وانظر نفس المخطوط بعنوان مغاير هو .

٣٨٠ ـ جامع الانوار في مناقب الاخيار ، مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف العراقي برقم (٢٥٦) .

٣٨١ ـ كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، مطبعة الآداب ، بغداد ١٩٧١ .

النعيمي ،عبدالقادر بن محمد (٨٤٥ـ٩٢٧هـ/١٤٤٢ـ١٥٢١م)

٣٨٢ ـ الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، مطبعة الترقي دمشق ١٩٤٨ـ١٩٥١ .

النقشبندي ، ناصر

٣٨٣ - تقرير عن مشهد الشمس (اضبارة مديرية الآثار العامة ٤٢/١٣٩) .

النووي ، يحيى بن شرف (٦٣١-٦٧٦هـ/١٢٣٣-١٢٧٧م)

٣٨٤ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الطبعة الخامسة ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

٣٨٥ - المجموع شرح المهذب ، مطبعة العاصمة ، القاهرة

٣٨٦ - المنهاج في شرح صحيح مسلم ، المطبعة المصرية ، مصر ١٣٤٧هـ/١٩٢٩ .

النويري ، احمد بن عبدالوهاب

(٦٧٧-٧٣٣هـ/١٢٧٨-١٣٣٣م)

٣٨٧ - نهاية الارب في فنون الادب ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة (طبعة اوفسيت) .

نيبور ، كارستن

٣٨٨ - رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة الدكتور محمود حسين الامين ، بغداد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ .

٣٨٩ - مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥م ، ترجمة سعاد هادي العمري ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

هرتسفلد

٣٩٠ - (حديثة) دائرة المعارف الاسلامية م٧

الهروي ، علي بن ابي بكر (٦١١هـ/١٢١٥م)

٣٩١ - الاشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل ، دمشق ١٩٥٣ .

هشام عبدالستار حلمي

٣٩٢ - الآثار الخشب الباقية من العصور الاسلامية في العراق ، رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

الهمداني ، محمد بن عبدالملك (٤٦٣ - ٥٢١هـ / ١٠٧١-١١٢٧م) .

٣٩٣ - تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية بيروت .

هور ، كليان

٣٩٤ - خطط بغداد ، ترجمة ناجي معروف ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

هونكه ، زيغريد

٣٩٥ - شمس العرب تسطع على الغرب ، او (اثر الحضارة العربية في اوربة) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، مطابع دار الفندور ، بيروت ١٩٦٤ .

الهيثمي ، علي بن ابي بكر (٧٣٥-٨٠٧هـ/١٣٣٥-١٤٠٥م)

٣٩٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفرائد ، القاهرة ١٣٥٢هـ

وزارة الاقتصاد والمواصلات ، مديرية المباحث الصناعية

٣٩٧ - صناعة الجص في العراق سنة ١٩٣٧ ، بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٣٧

وزارة الاوقاف ، قسم المساجد .

٣٩٨ - الفقه على المذاهب الاربعة ، القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

ولبر ، دونالد .

٣٩٩ - ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبدالنعيم محمد حسنين ، القاهرة وها وزن ، يوليوس ١٩٥٨

٤٠٠ - الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة الدكتور يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ .

ياقوت الحموي ، بن عبدالله (٥٧٤ - ٦٢٦هـ / ١١٧٨ - ١٢٢٩م) .

٤٠١ - المشترك صقعا المختلف وضعا ، تحقيق وستنفيلد ، كوتنكن - ١٨٤٦ .

٤٠٢ - معجم الأدباء ، مطبوعات دار المأمون .

٤٠٣ - معجم البلدان ، بيروت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥ .

يعقوب سركيس

٤٠٤ - مباحث عراقية ، بغداد ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

اليعقوبي ، احمد بن اسحاق (بعد ٢٩٢هـ / ٩٠٥م)

٤٠٥ - البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م .

٤٠٦ - تاريخ اليعقوبي ، مطبعة الغري ، النجف ١٣٥٨هـ .

يونسكو ايران

٤٠٧ - ايرانشهر (فارسي) م٢ ، مطبعة الجامعة ١٩٦٤ .

اليونيني ، موسى بن محمد (٦٤٠-٧٢٦هـ / ١٢٤٢ - ١٣٢٦م) .

٤٠٨ - ذيل مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، هند ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م .

Bell, Gertrude Lowthian
409 **Amurath to Amurath**; London (1911)
410 **Palace and Mosque At Ukhaidir**; Oxford (1914)
Briggs, Martins
411 **Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine**; Oxford (1924)
Costa (A) and Lockhart (L)
412 **Persia**; London (1961)
Costa (Paolo)
413 "Islamic Shrines" on the "Sat Al-Nil" **Annali dell' Istitute Orientale di Napoli** Vol. 31; part 2 , Napoli (1971)
Creswell, K.A.C.
414 **Early Muslim Architecture**; Oxford (1932)
415 **The Muslim Architecture of Egypt**; Oxford (1952)
416 **A Short Account of Early Muslim Architecture**; London (1958)
Diez, Ernst
417 "The Principles and Types" **Survey of Persian art**, Tokyo (1964-1965)
Ghirshman, Roman
418 **Iran, Parthians and Sassanians**, Paris (1962)
Hamd Allah Mustawfi
419 **The Geographical Part of the Nuzhat Al-Qulub**, Translated by G. Le Strange; Leyden (1919)
Herzfeld, Ernst
420 "Damascus: Studies in Architecture" **Ars Islamica**, Vol. 9; Michigan (1942).
Hill (Derek) and Grabar (Oleg)
421 **Islamic Architecture and its Decoration**; London (1967)
Loftus, William Kennett
422 **Travels and Researches in Chaldaea and Susiana**; London (1857)
Mechkati, Nosratollah
423 **Monuments Et Sites Historiques De L'Iran**; Iran.
Reuther, Oscar
424 "Sasanaian Architecture" **A Survey of Persian Art**; Tokyo (1964-1965)
Sarre (Fridrich) and Herzfeld (Ernst)
425 **Archaologische Reise Im Euphrat — Und Tigris Gebiet**; Berlin (1911).
426 **Les Saints Musulmans Enterres A Baghdad; Revue Del'Historie Des Religions**

المخططات والصور

١ ـ مخطط ارضي لقبة امام الدور

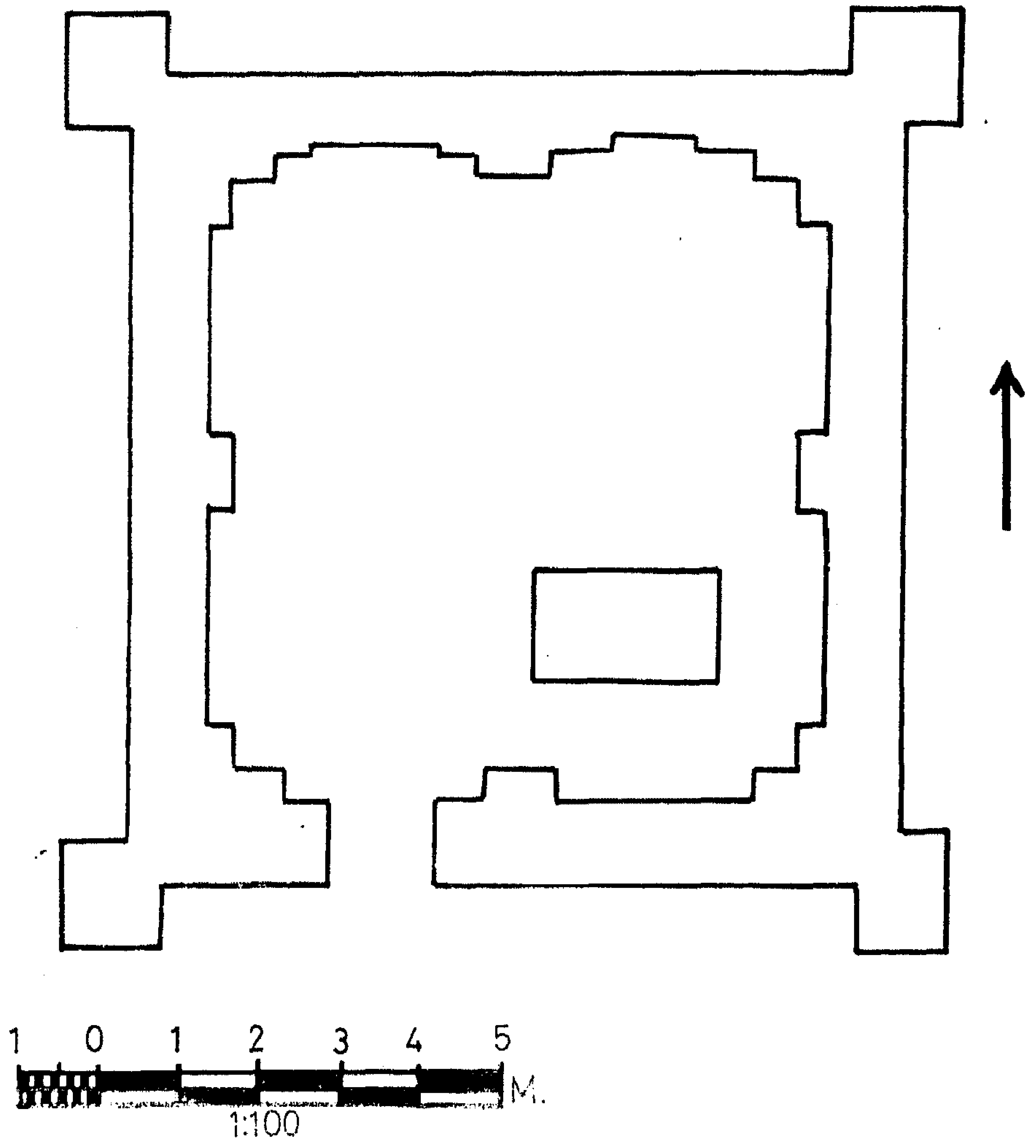
1 0 1 2 3 4 5
M.
1:100

٢ ـمقطع طــولي ومنظور لقبة امام الدور

(عن هرتسفلد)

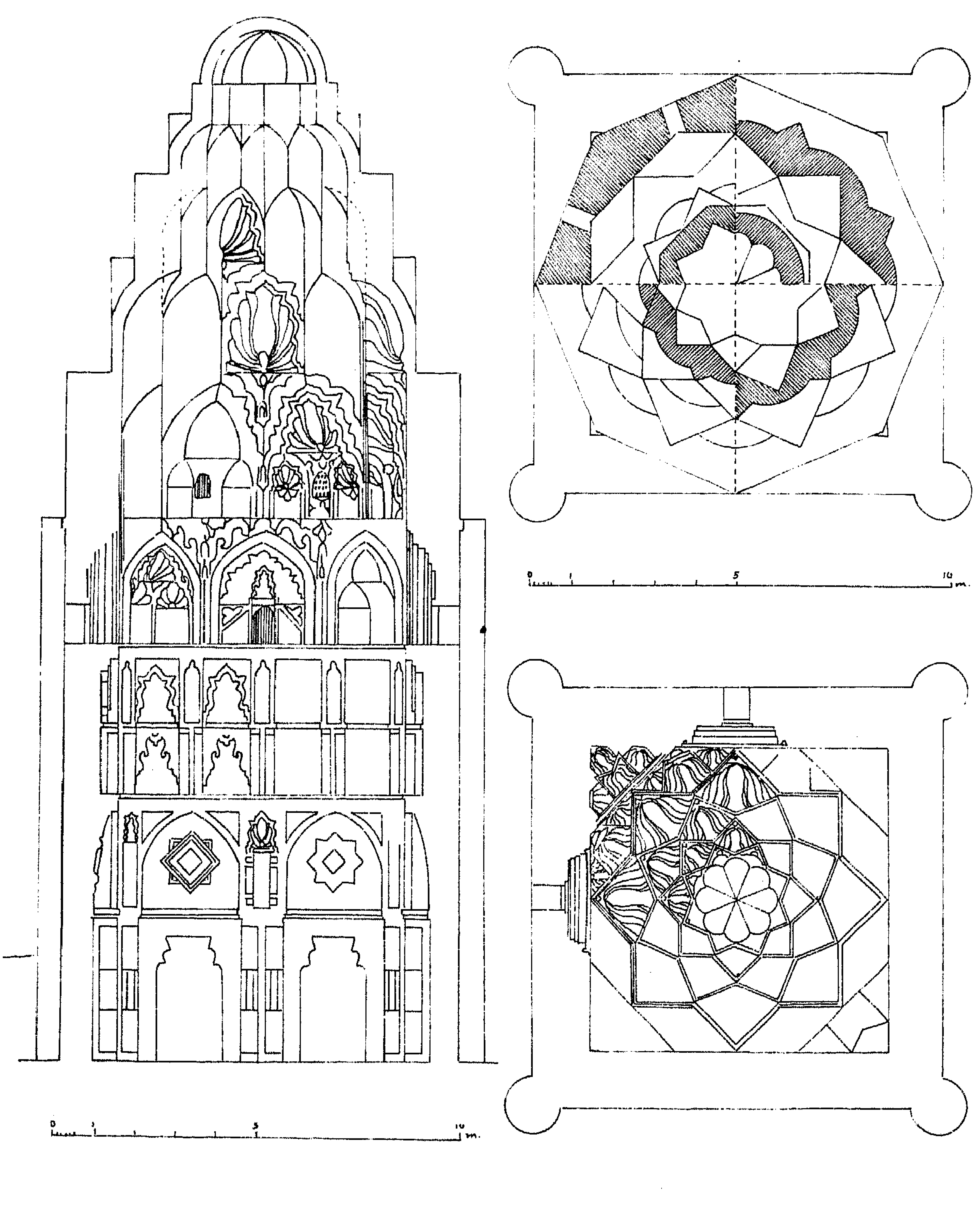
0 1 5 10 m.
0 1 5 10 m.

٣ ـ مخطط ارضي لقبة زمرد خاتون

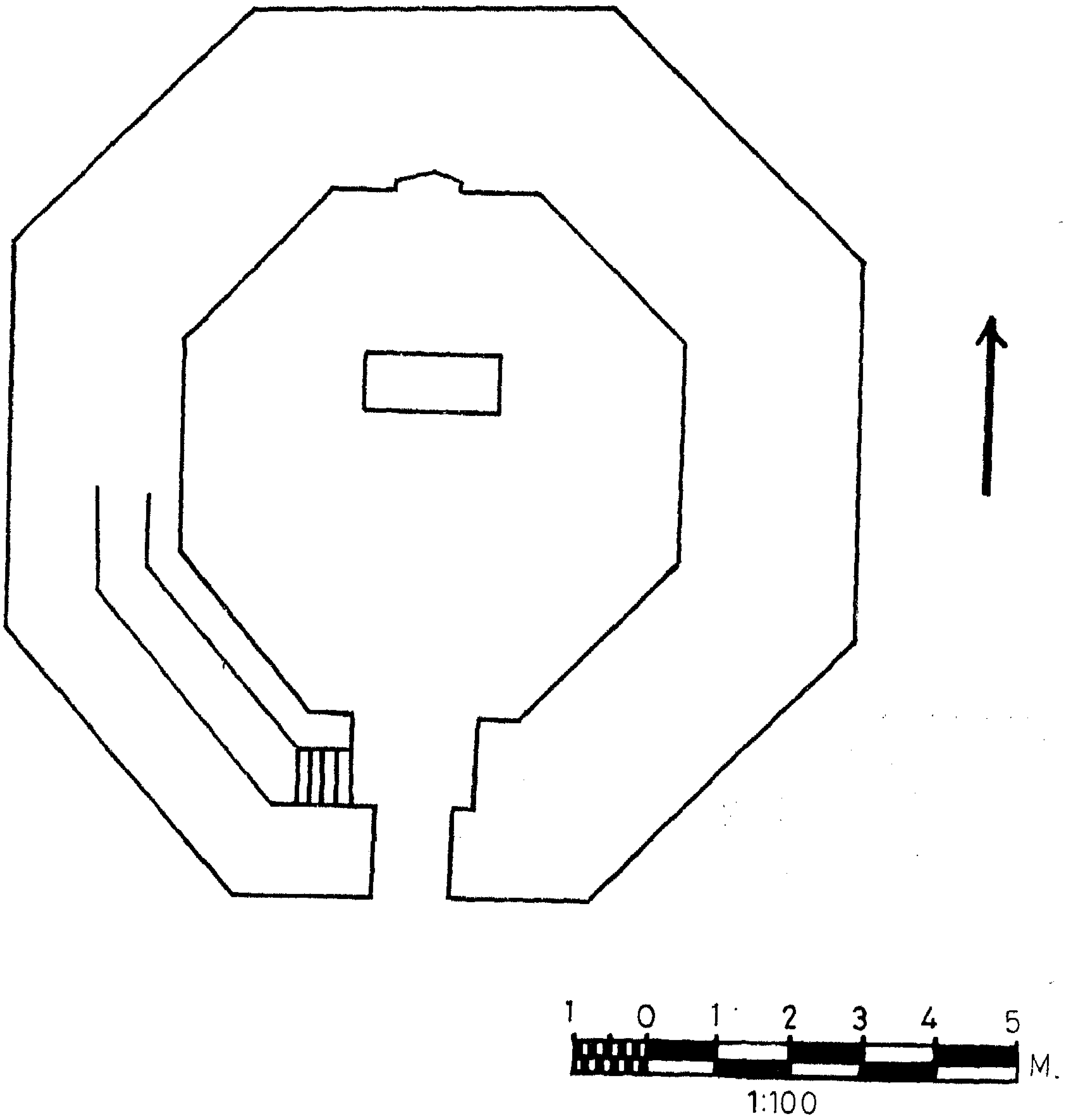
1 0 1 2 3 4 5
M.
1:100

٤ ـ مقــطع طــولي ومنظور لقبة زمرد خاتون

(عن هرتسفلد)

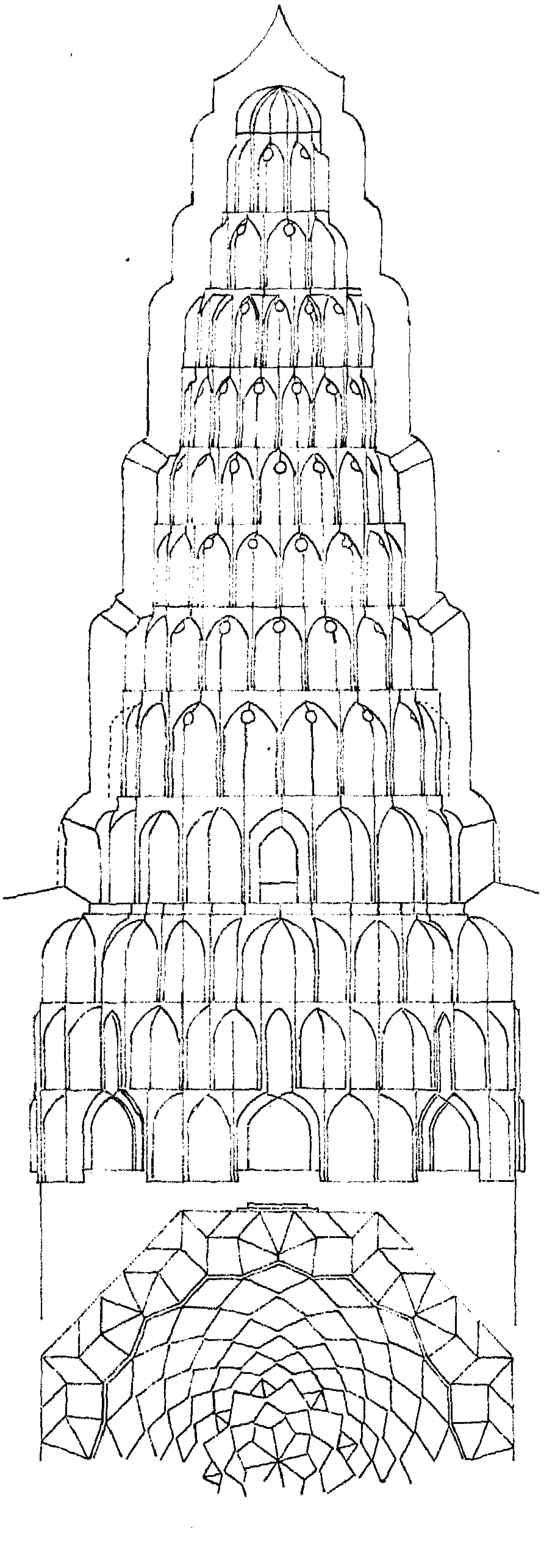
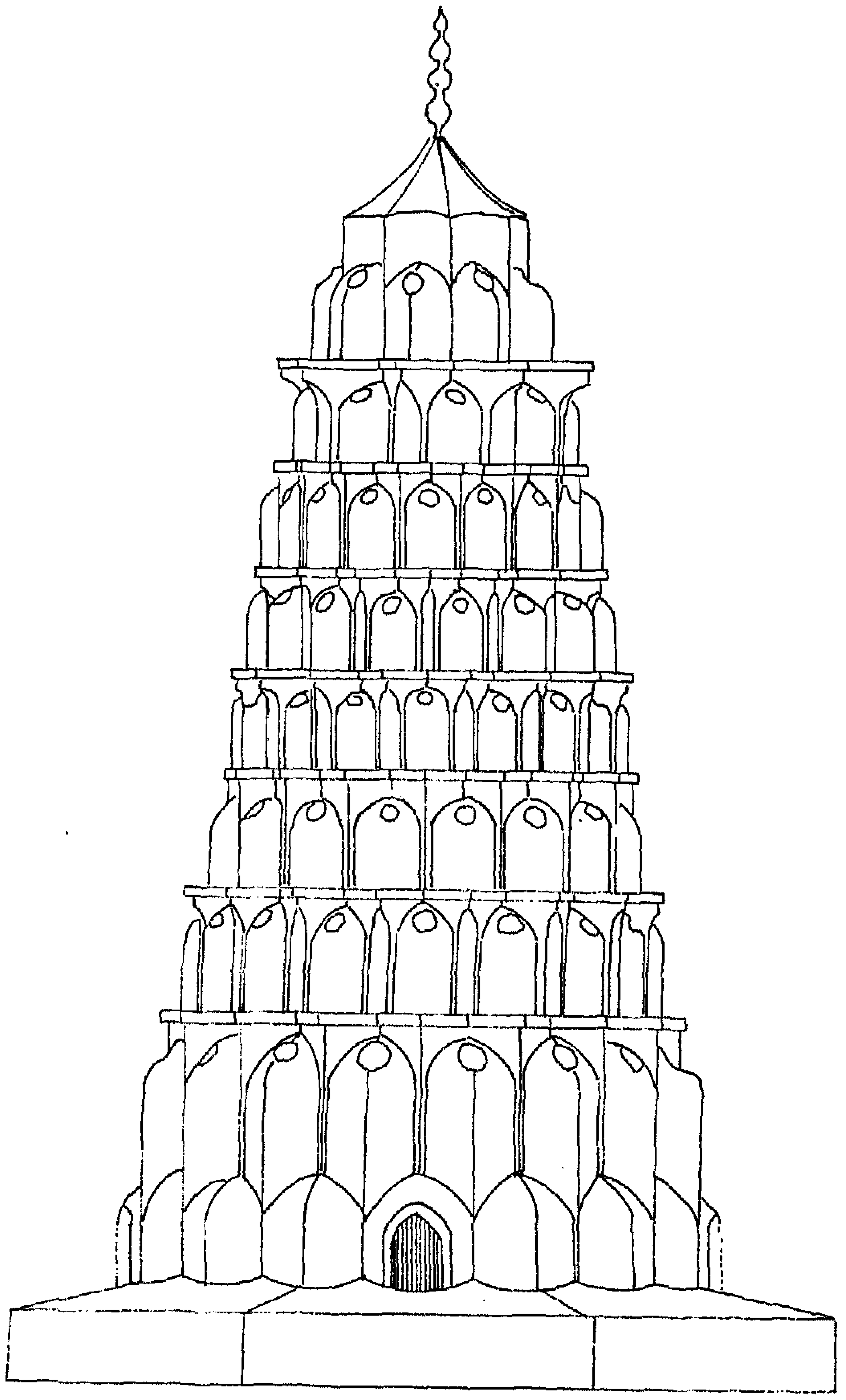
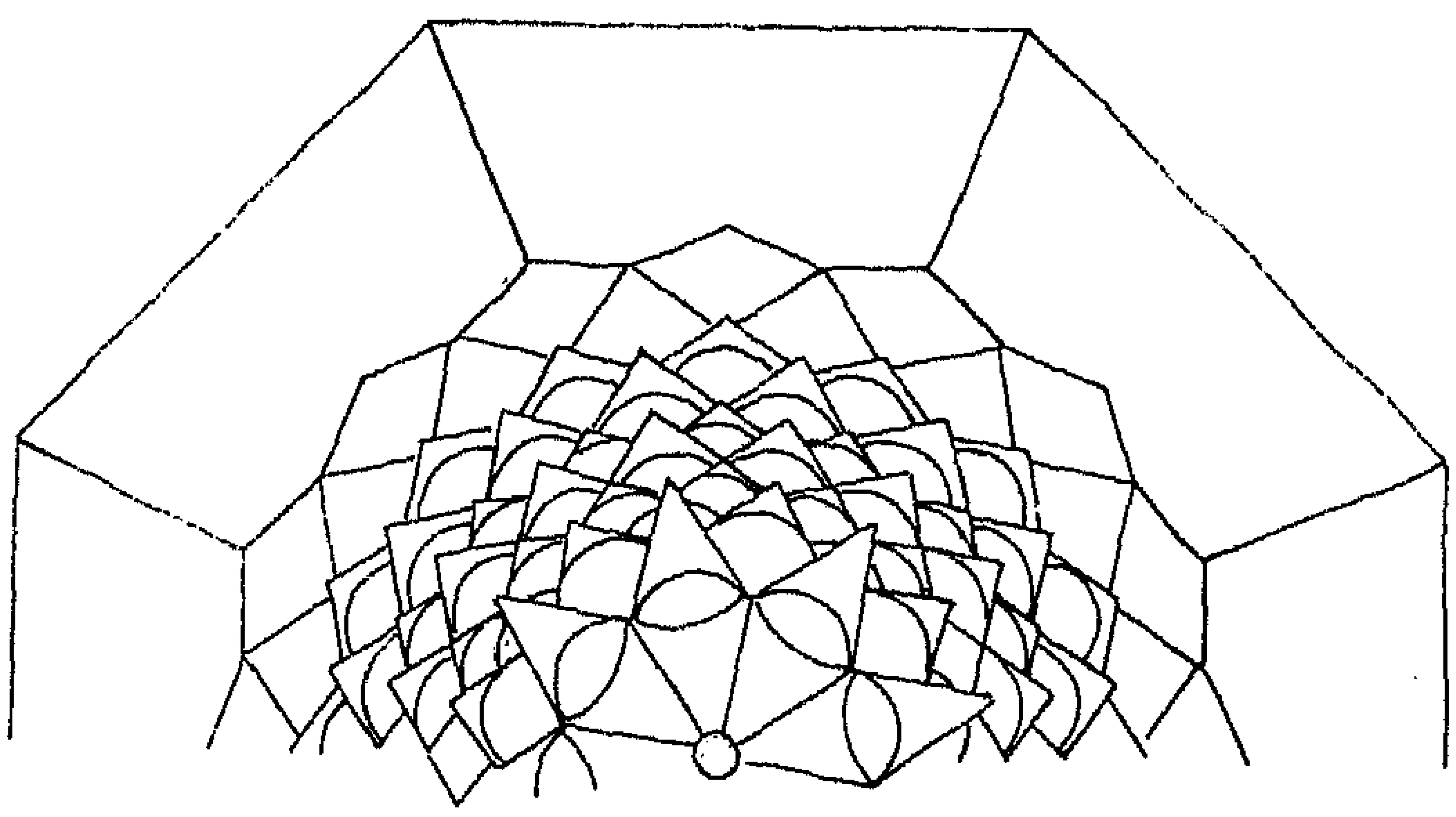

٥ ـ مخطط ارضي لقبة مشهد الشمس

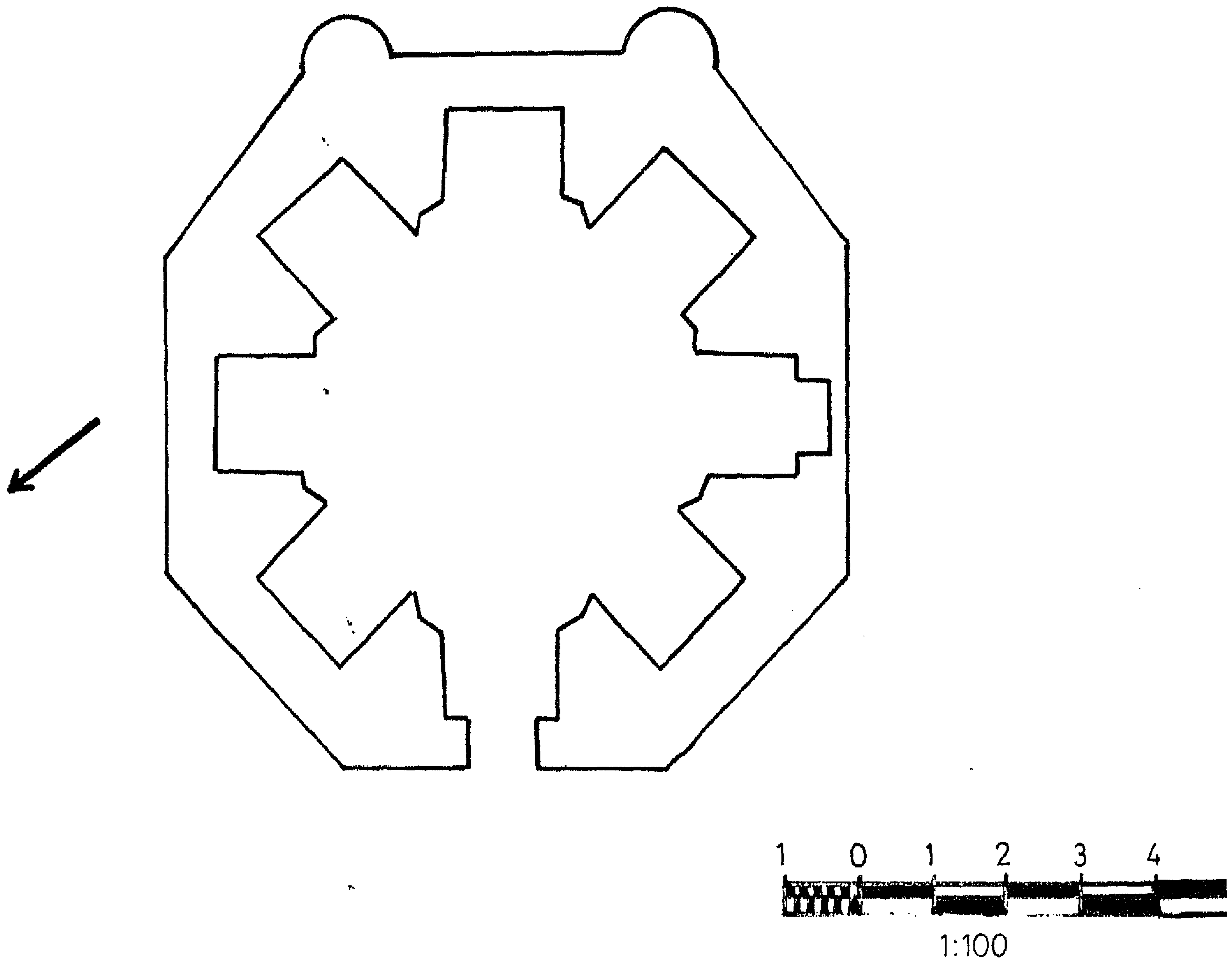
1 0 1 2 3 4
1:100

٦ ـ مخطط ارضي لقبة الحسن البصري

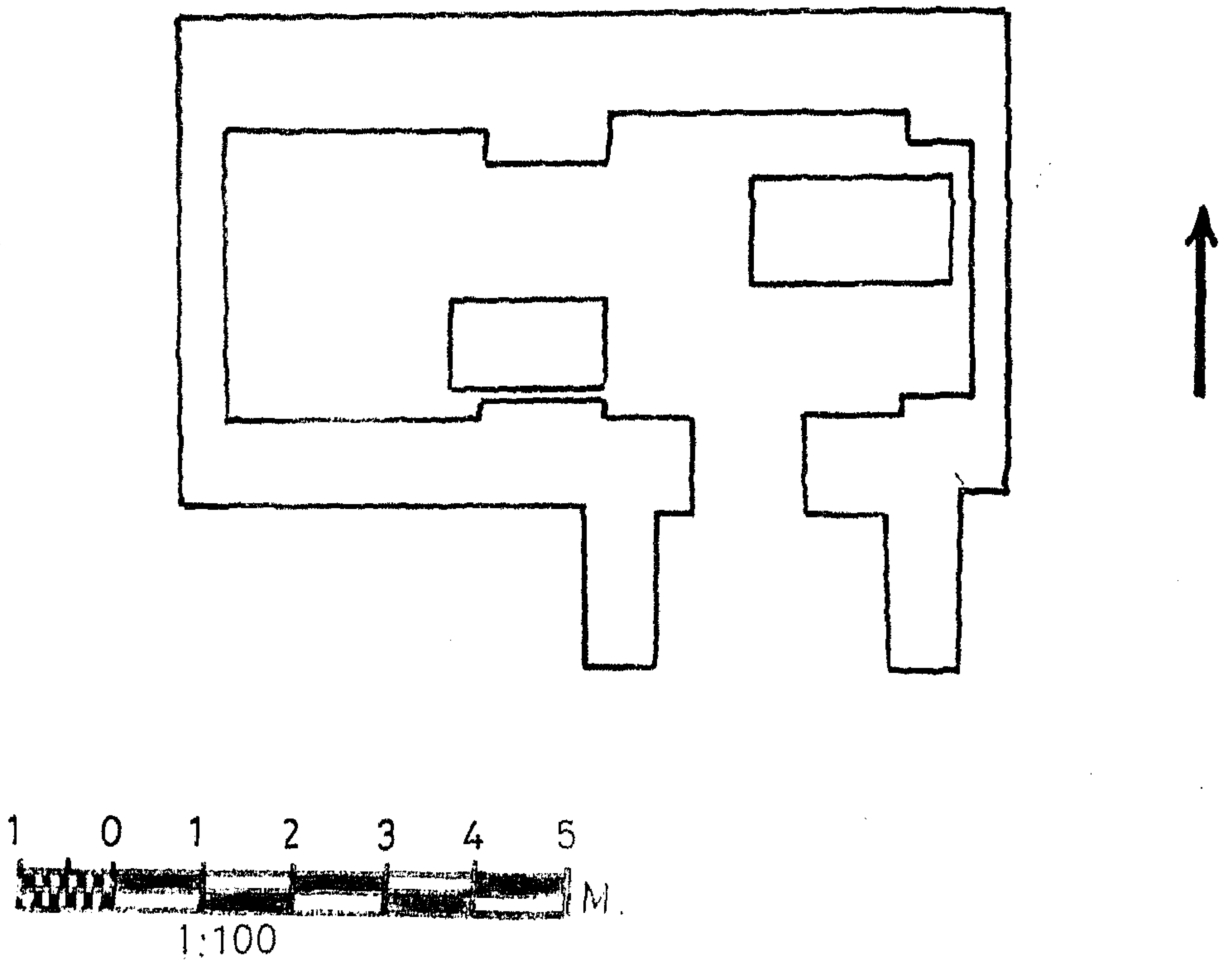
1 0 1 2 3 4 5
M.
1:100

٧ ـ مخطط ارضي لقبة مشهد ذو الكفل

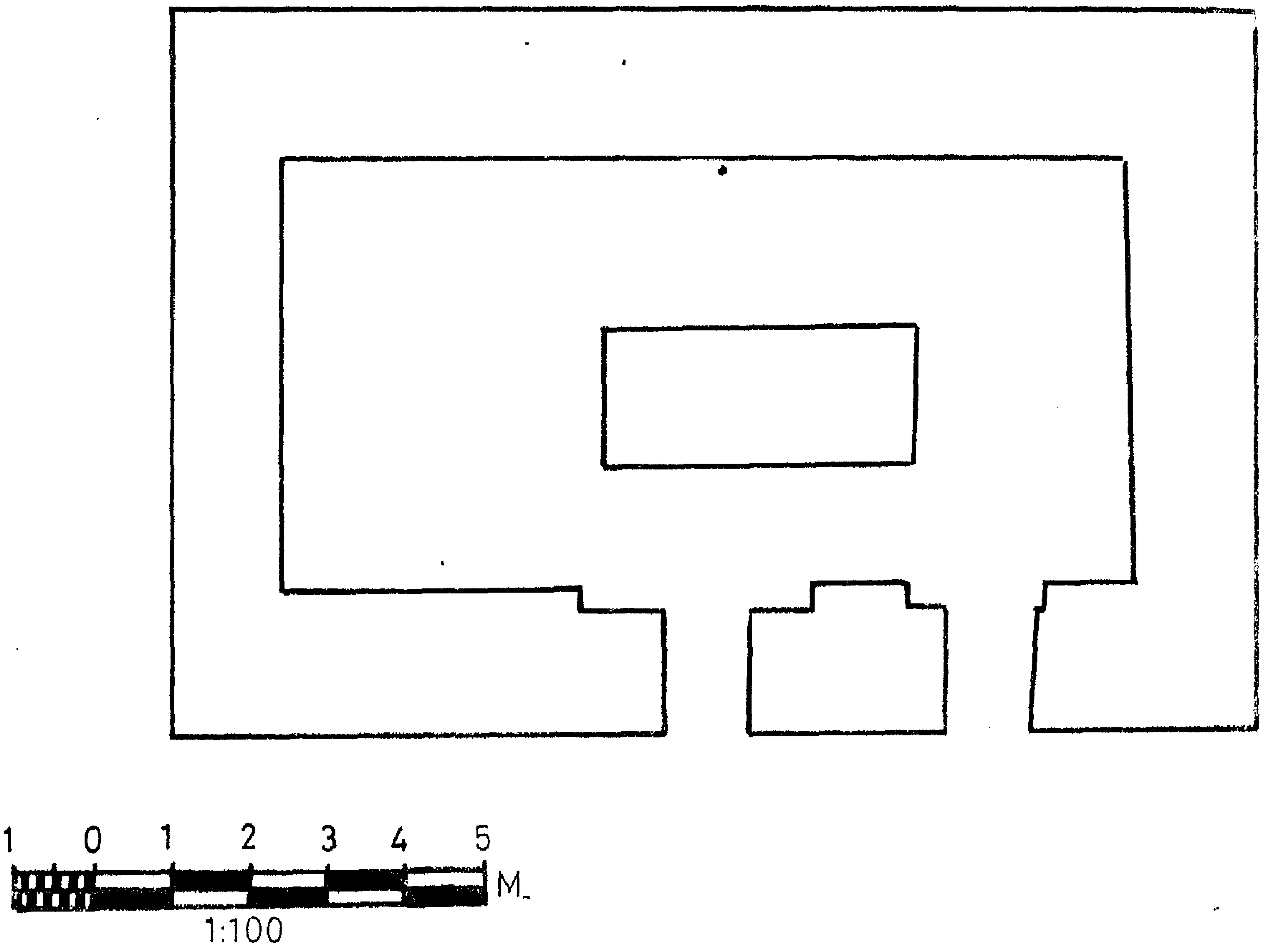
1 0 1 2 3 4 5
M.
1:100

٨ ـ مخطط ارضي لقبة مشهد الشـيخ عمر السهروردي

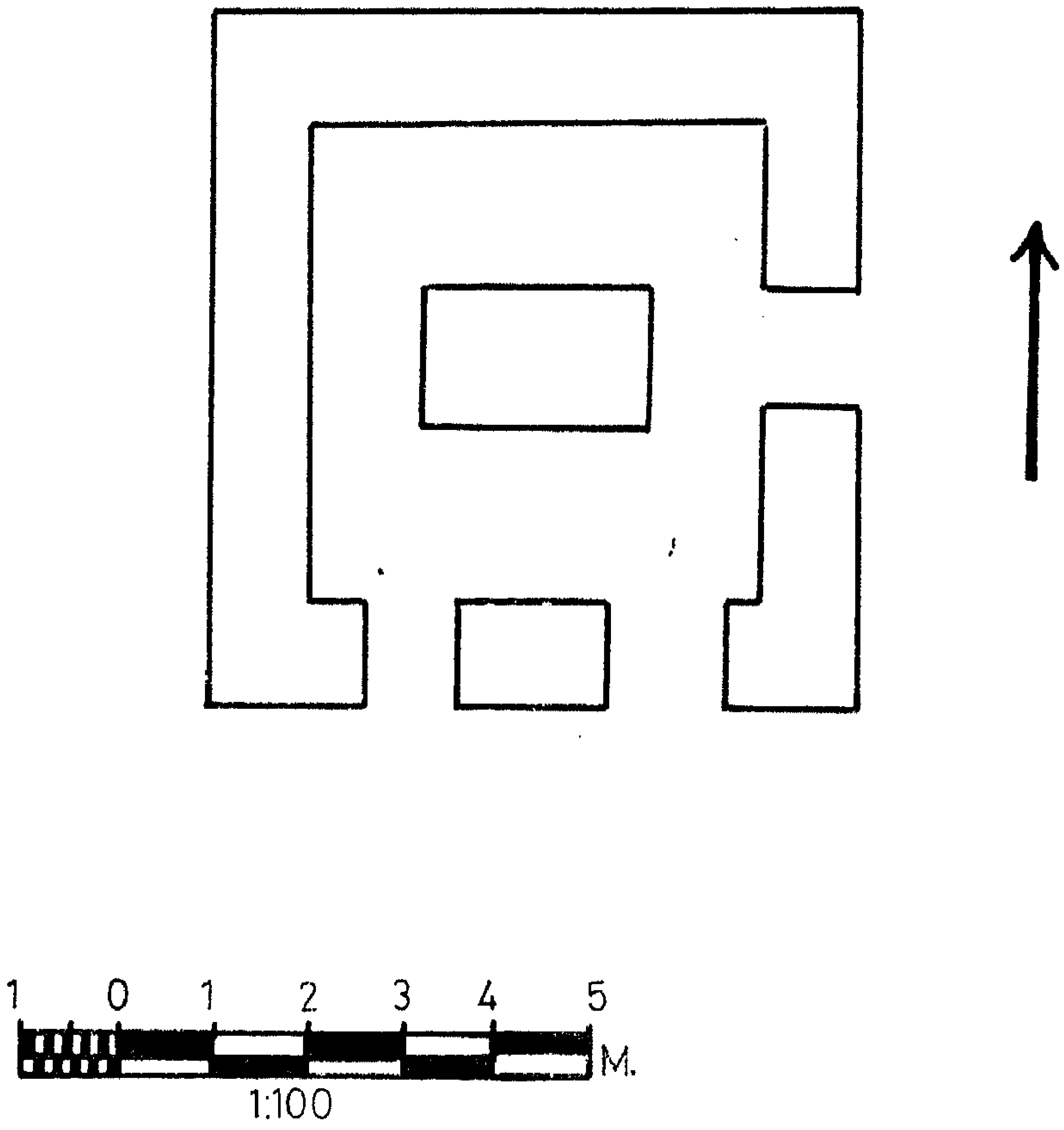
1 0 1 2 3 4 5
M.
1:100

٩ ـ مخطط ارضي لقبة الصليبية

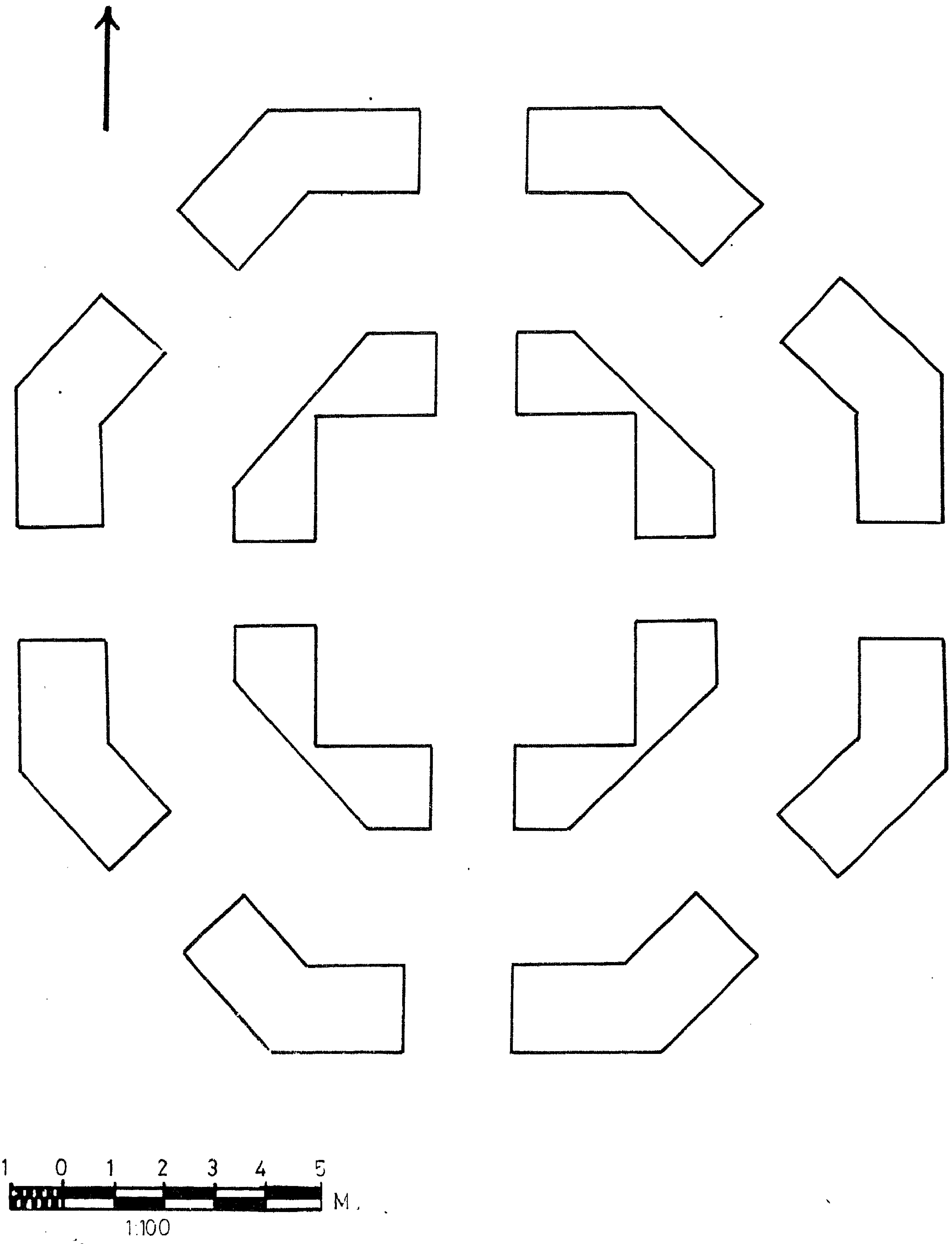
1 0 1 2 3 4 5
M.
1:100

١٠ ـ مقطع طولي لقبة النجمي

(عن كوسته)

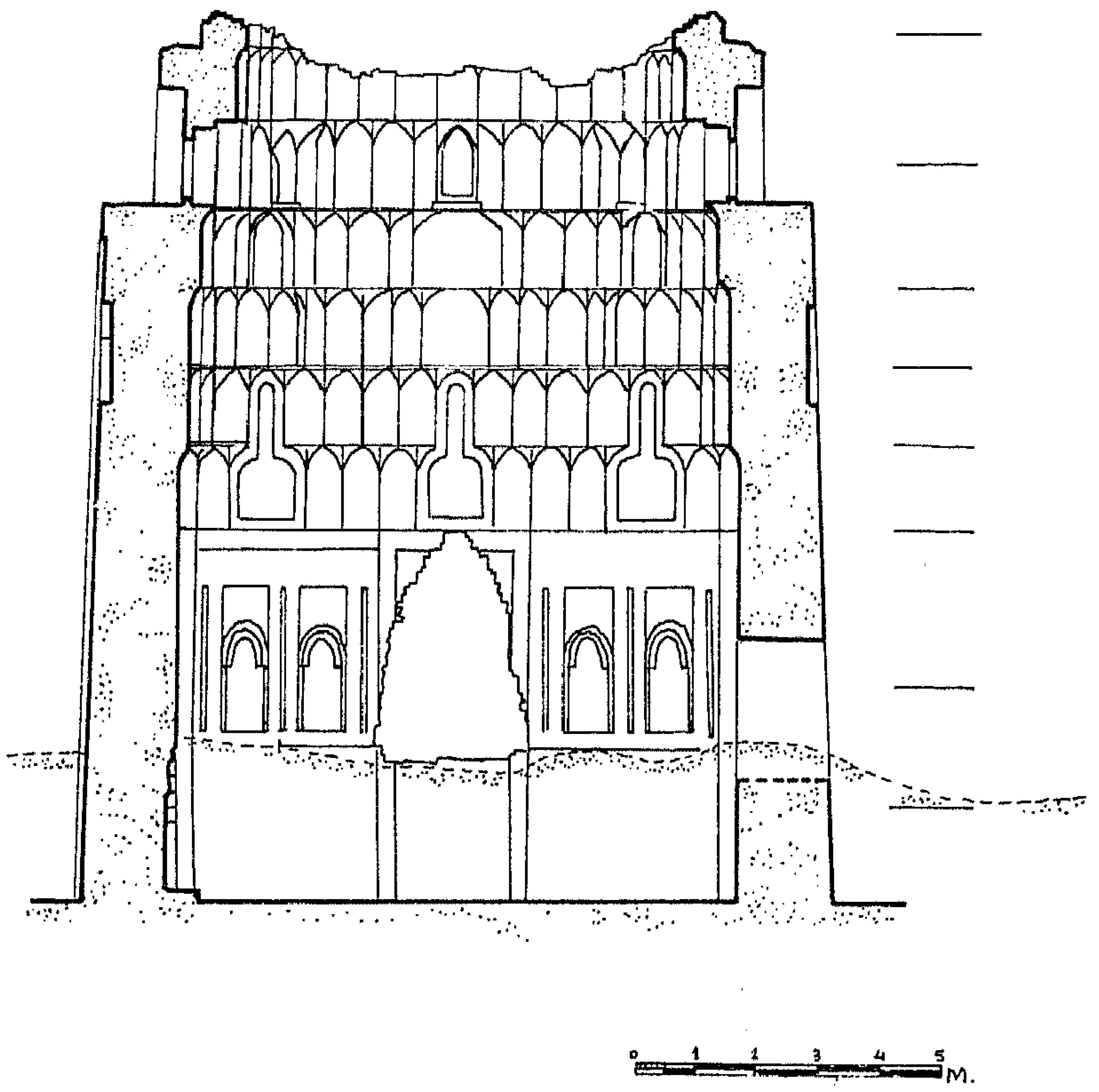
0 1 2 3 4 5
M.

١١ ـ ثمانية مقاطع افقية لقبة النجمي

(عن كوسته)

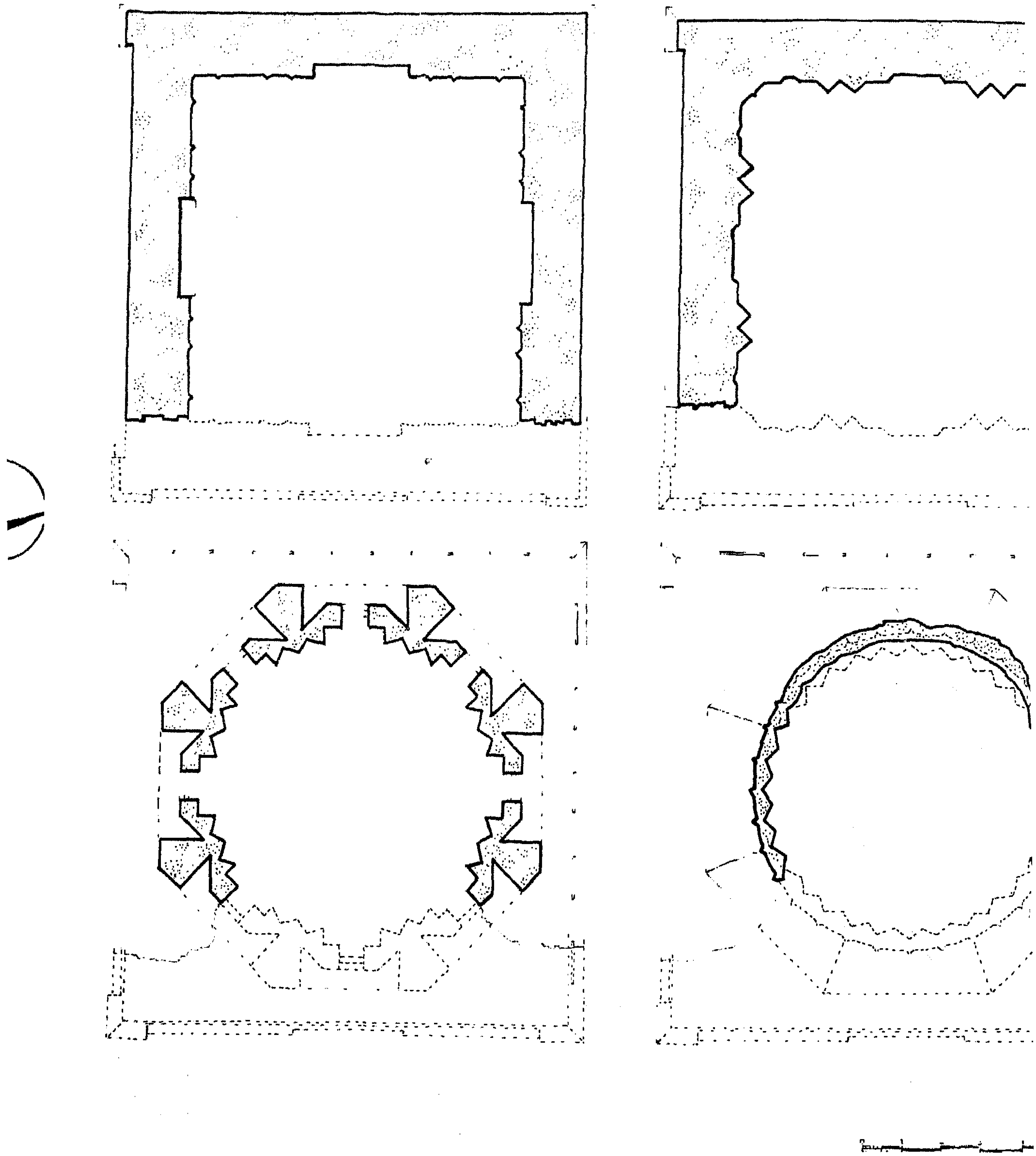

١١ ـ ثمانية مقاطع افقية لقبة النجمي

(عن كوسته)

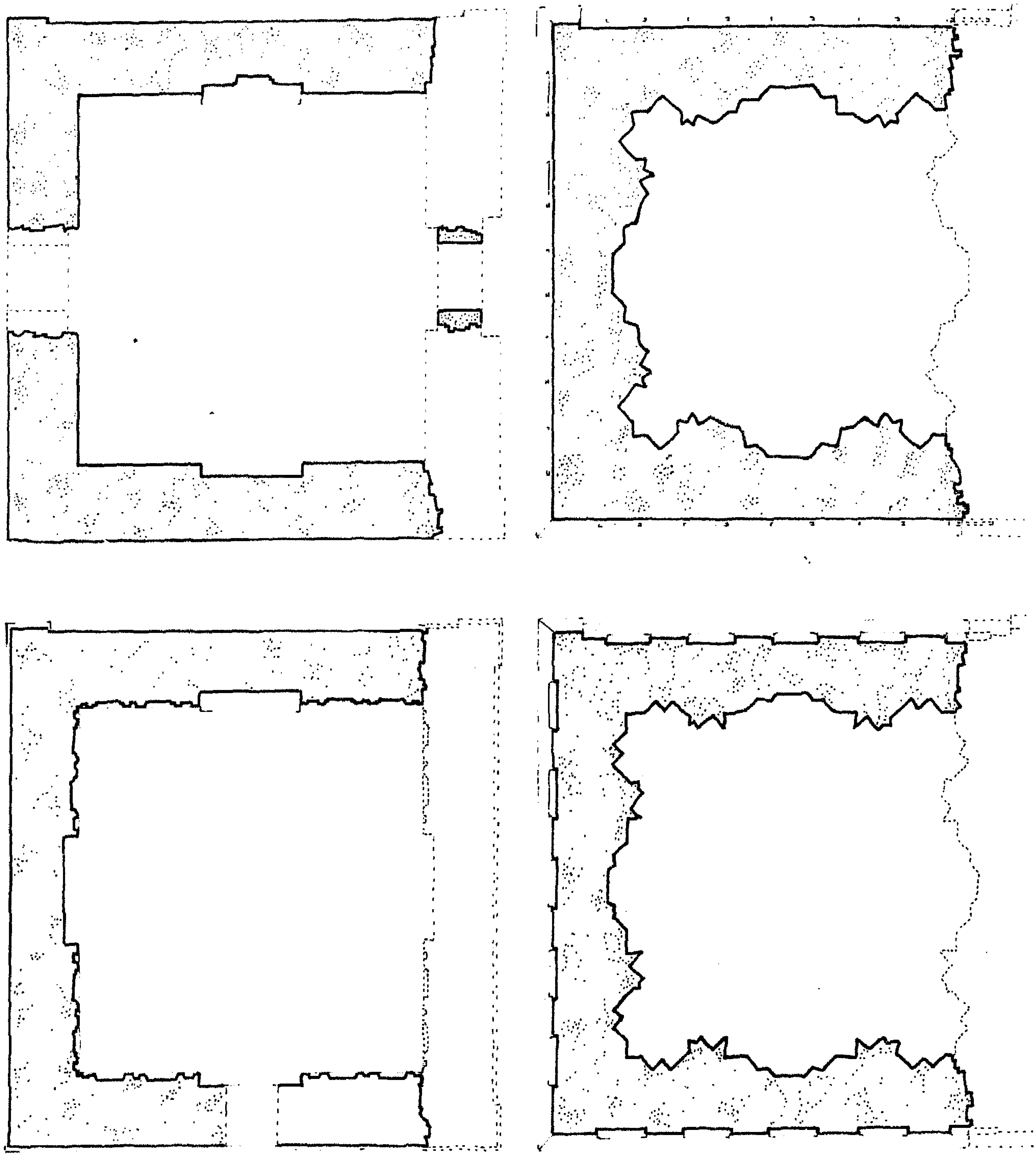

١ ـ قبة امام الدور

تظهــــر فيهـــا النوافذ التي كانت في البدن

قبل اغلاقها

٢ ـ قبة امام الدور

تظهر فيها النوافذ المستحدثة في قاعدة القبة

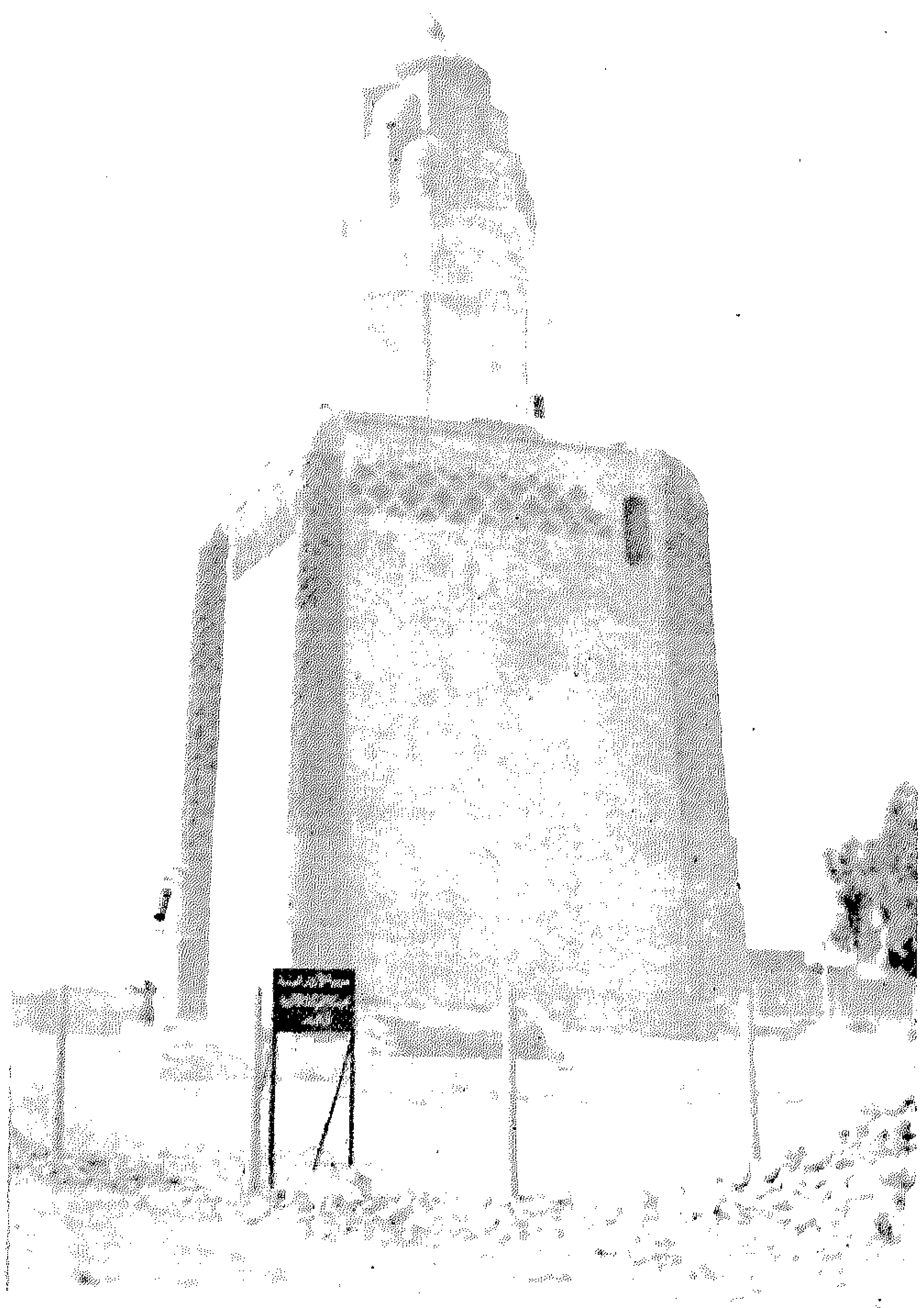

٣ ـ قبة امام الدور من الداخل

٤ ـ قبة امام الدور

تفاصيل الجدران الداخلية ، ومقرنصات منطقة الانتقال

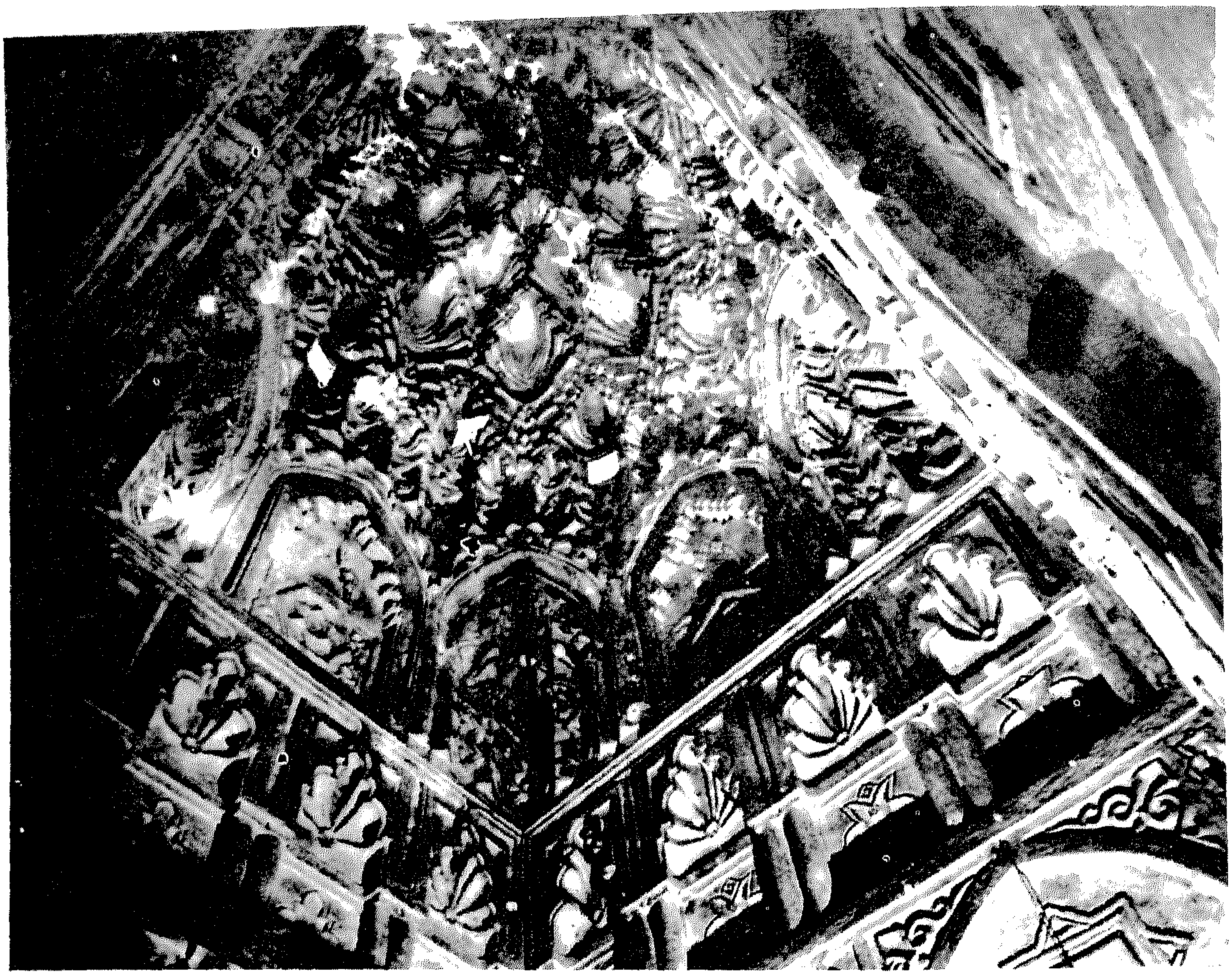

٥ ـ قبة امام الدورة المقرنص المنشطر

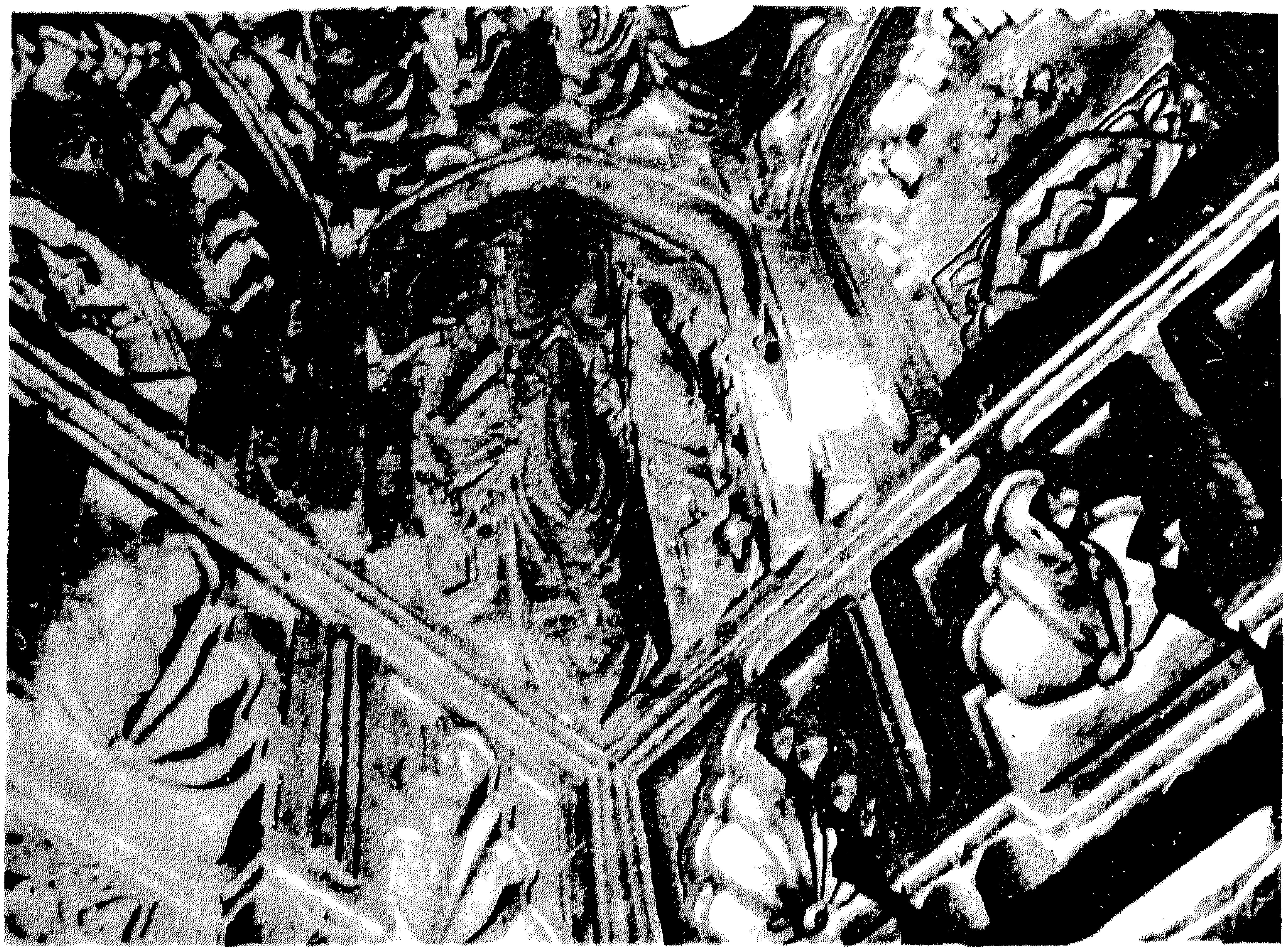

٦ ـ قبة امام الدور

الكتابة التذكارية المتضمنة اسم المعمار ، تتخلل الزخارف الحصيرية التي تعلو واجهة البدن الشمالية

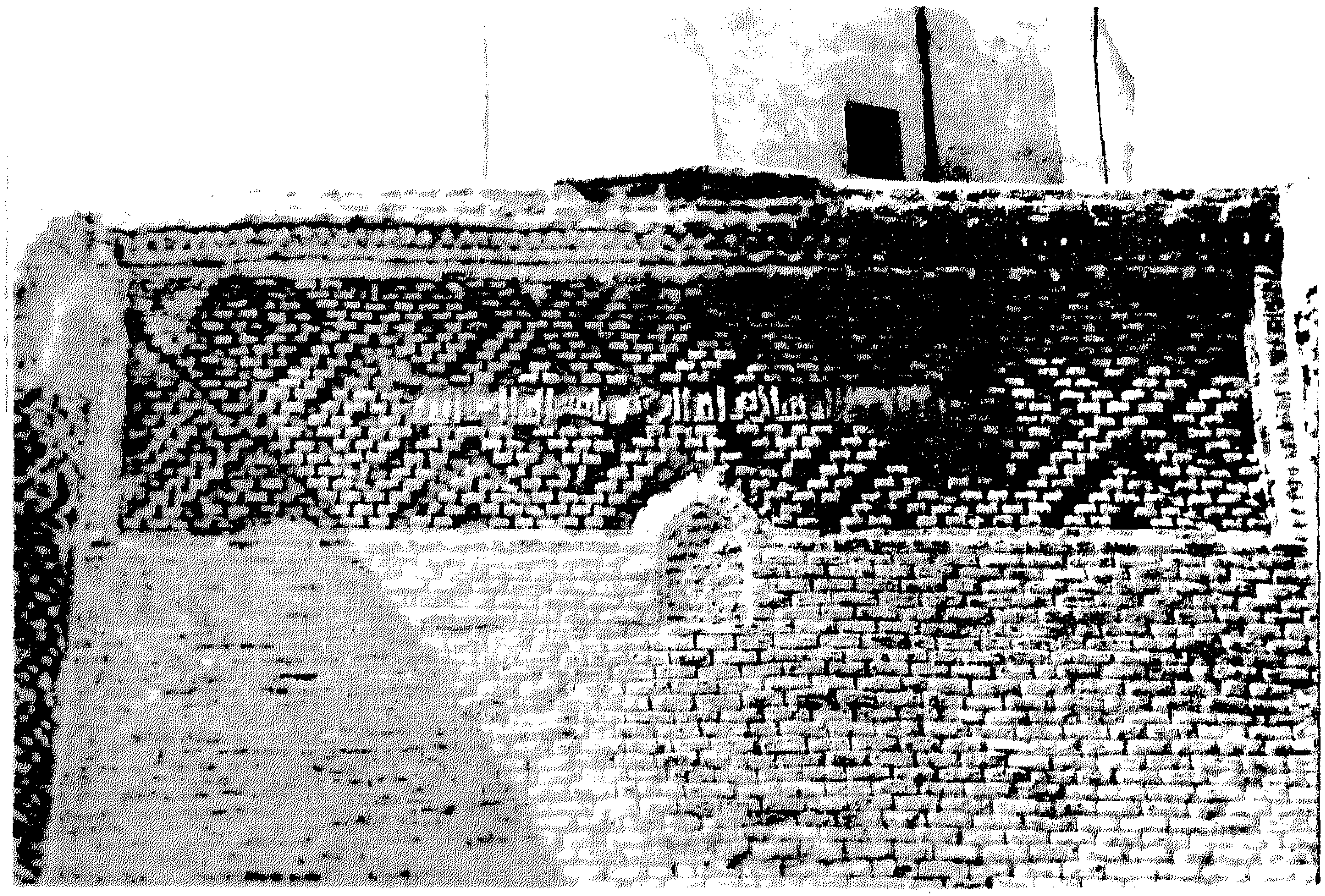

٧ ـ قبة امام الدور

المحراب ذو العقد المدبب

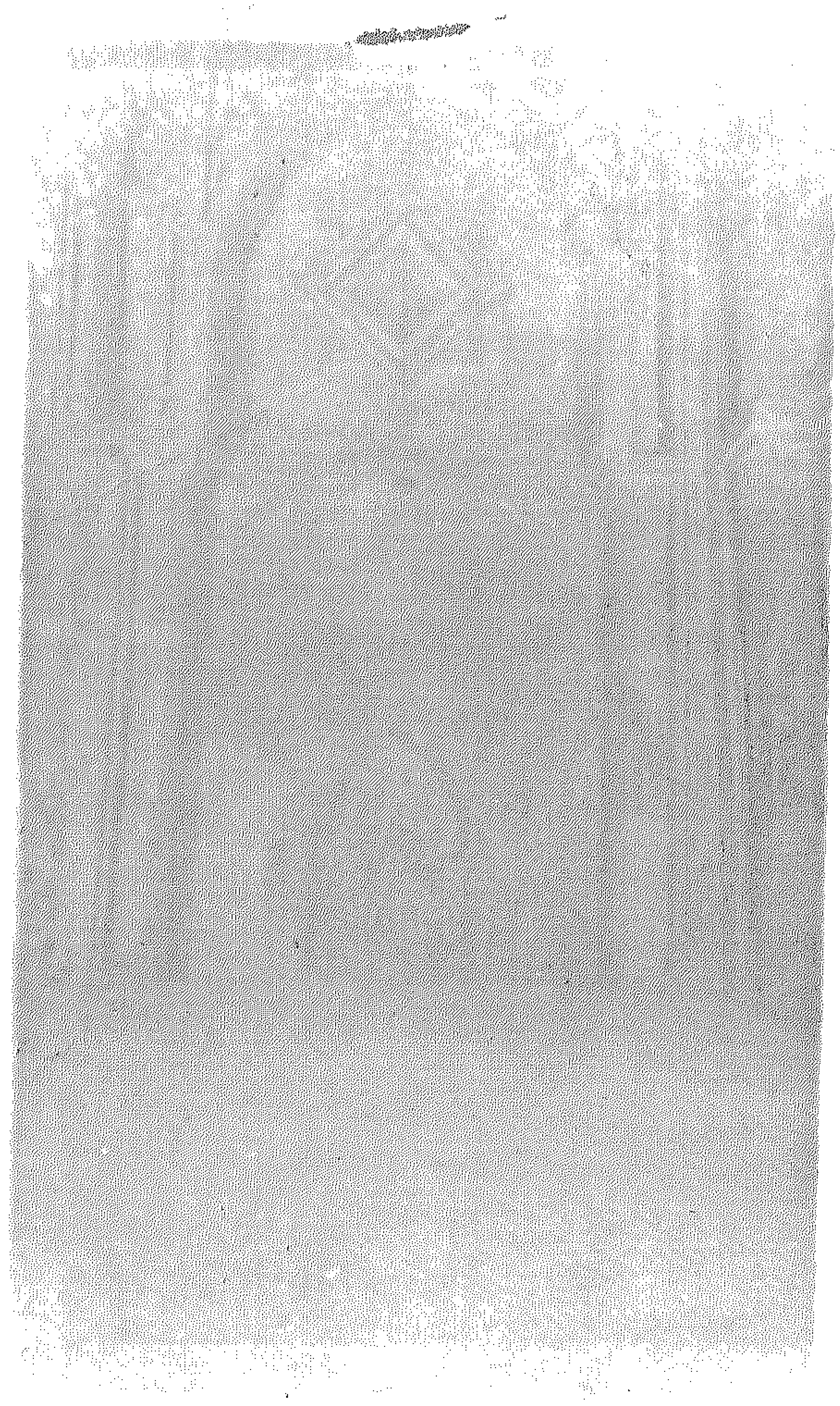

٨ ـ قبة امام الدور

المحراب ذو العقد المقصوص

٩ ـ قبة امام الدور

اللوحة الرخامية المذكور فيهـا نسـبة القبة
الى محمد العابد بن الامام موسى الكاظم

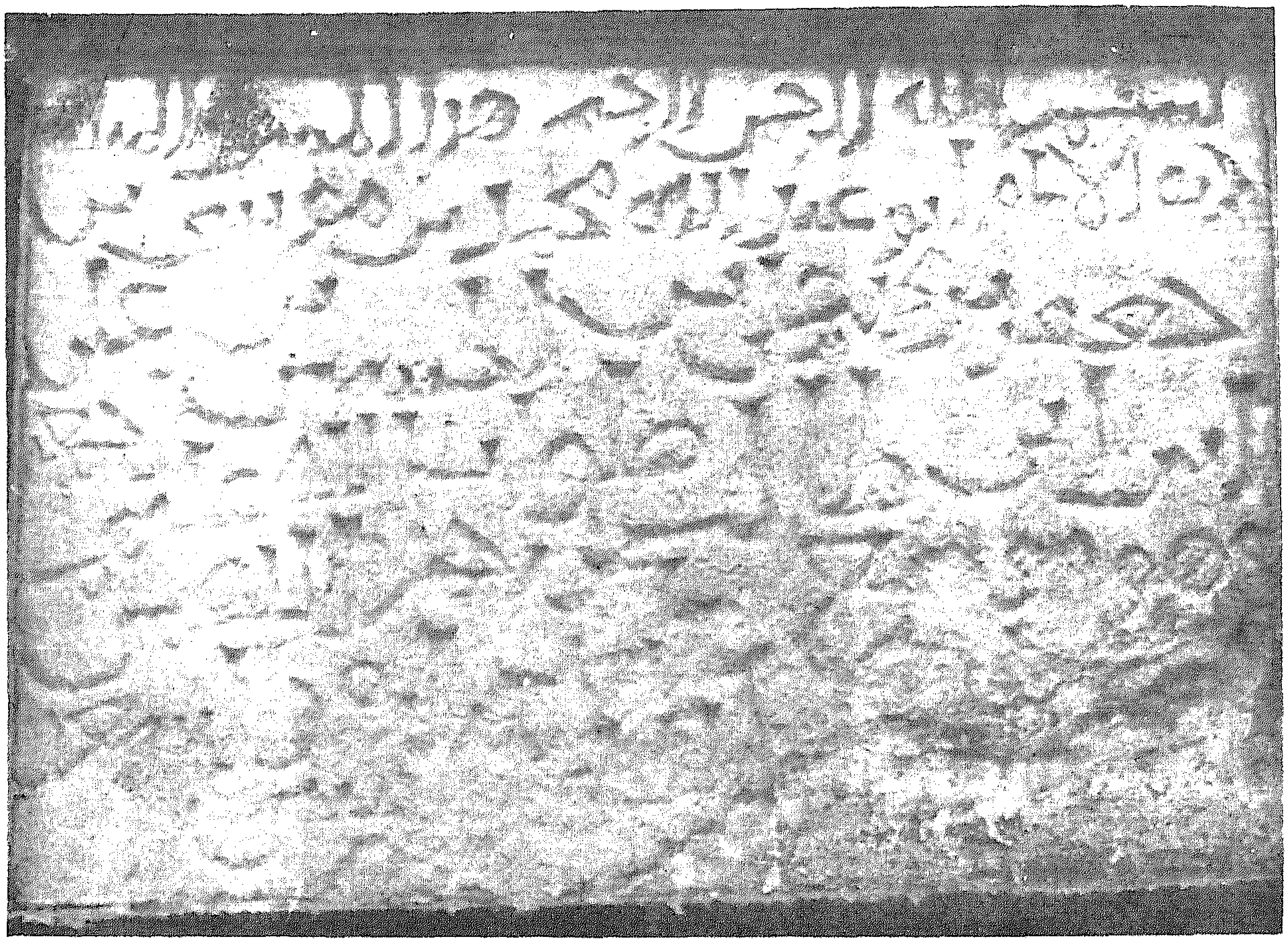

١٠ ـ محراب مزار حمزة سبزيوش

(عن مصطفوي

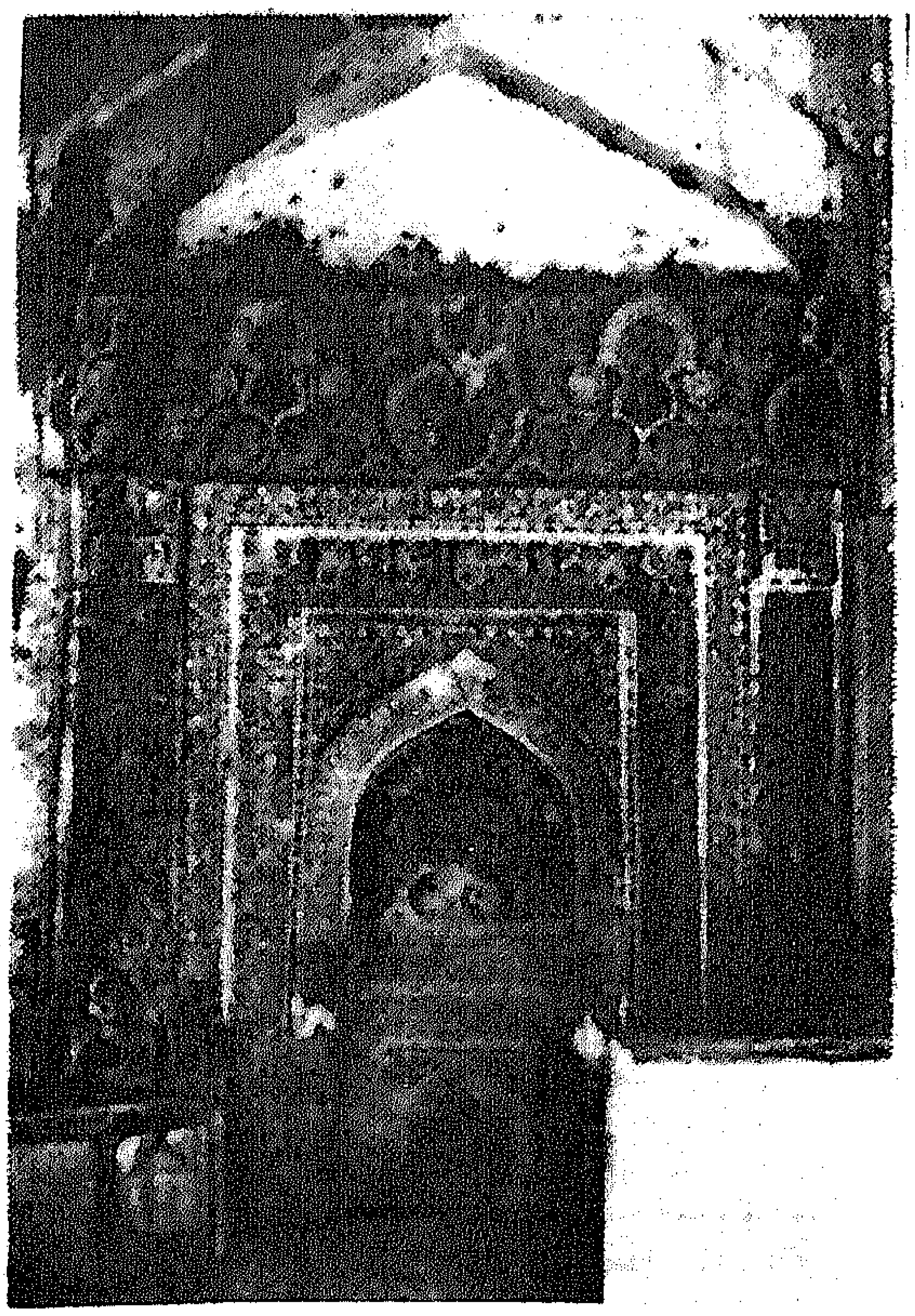

١١ ـ مقبرة معروف الكرخي

١٢ ـ منارة معروف الكرخي

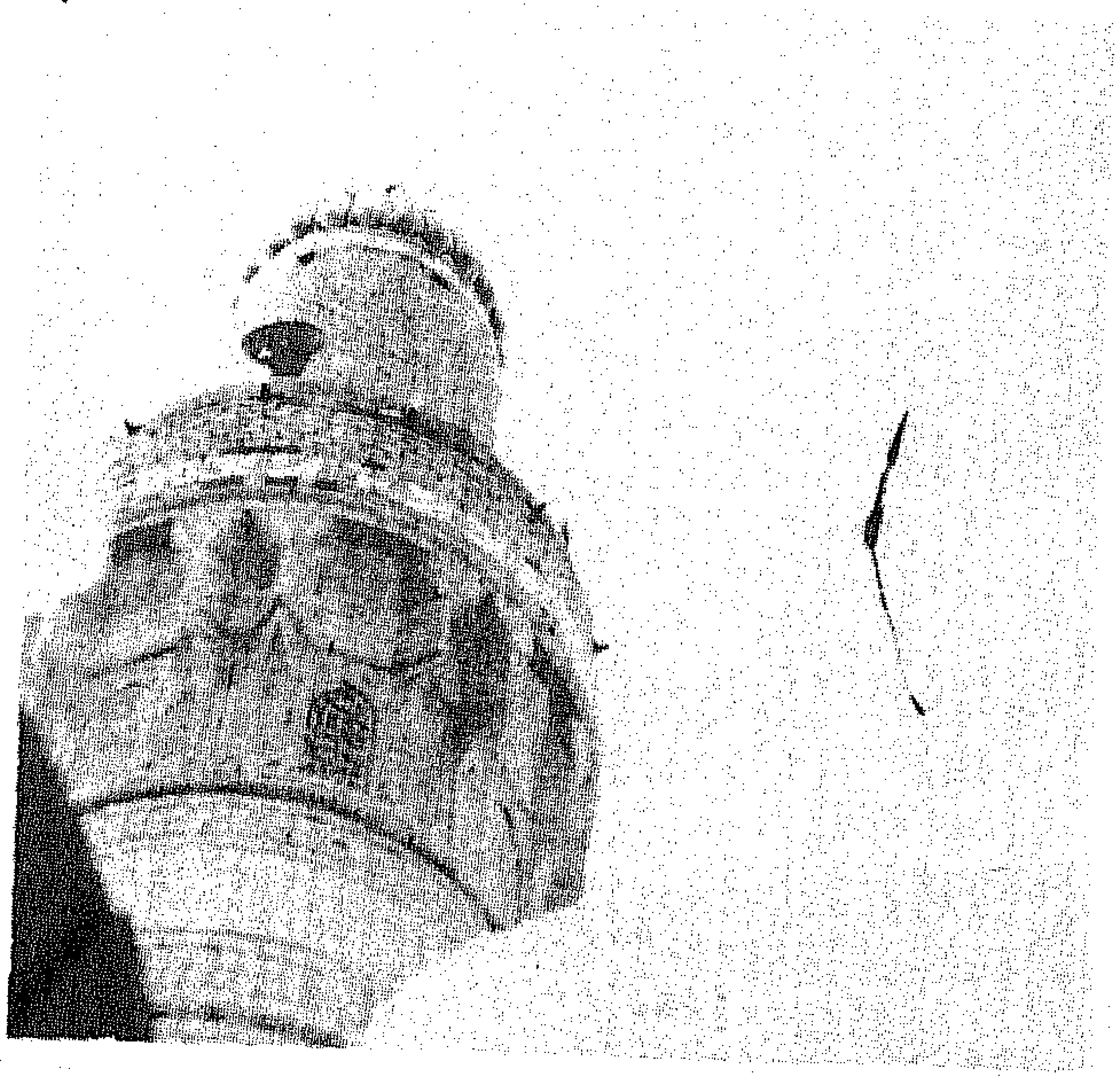

١٣ ـ الكتابة المثبتة في احـــدى حنايا منارة

معروف الكرخي

١٤ ـ قبة زمرد خاتون

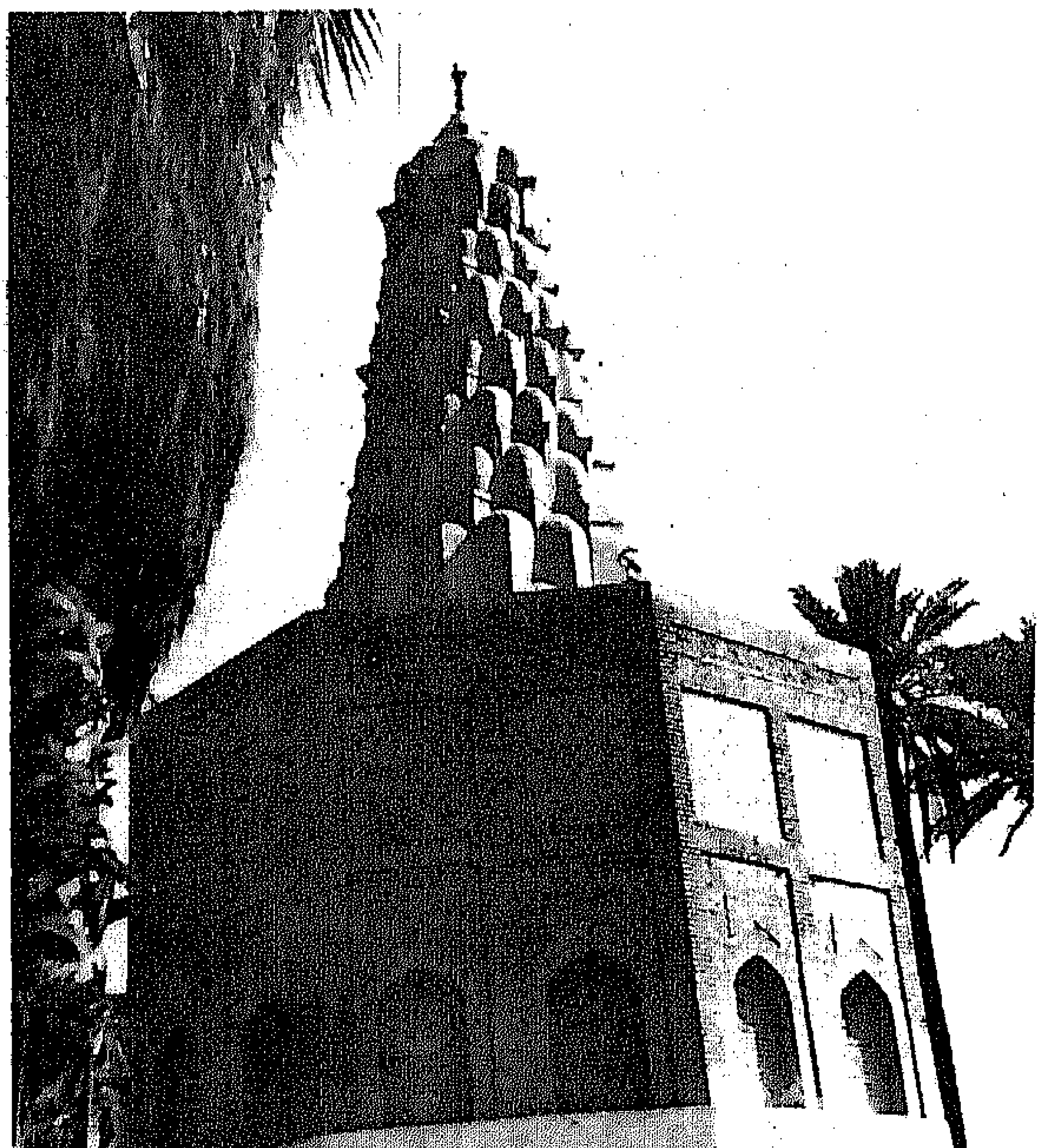

١٥ ـ قبة زمرد خاتون

تبرز فيها رؤوس المنشورات

١٦ ـ قبة زمرد خاتون

احد جدران البدن المثمن

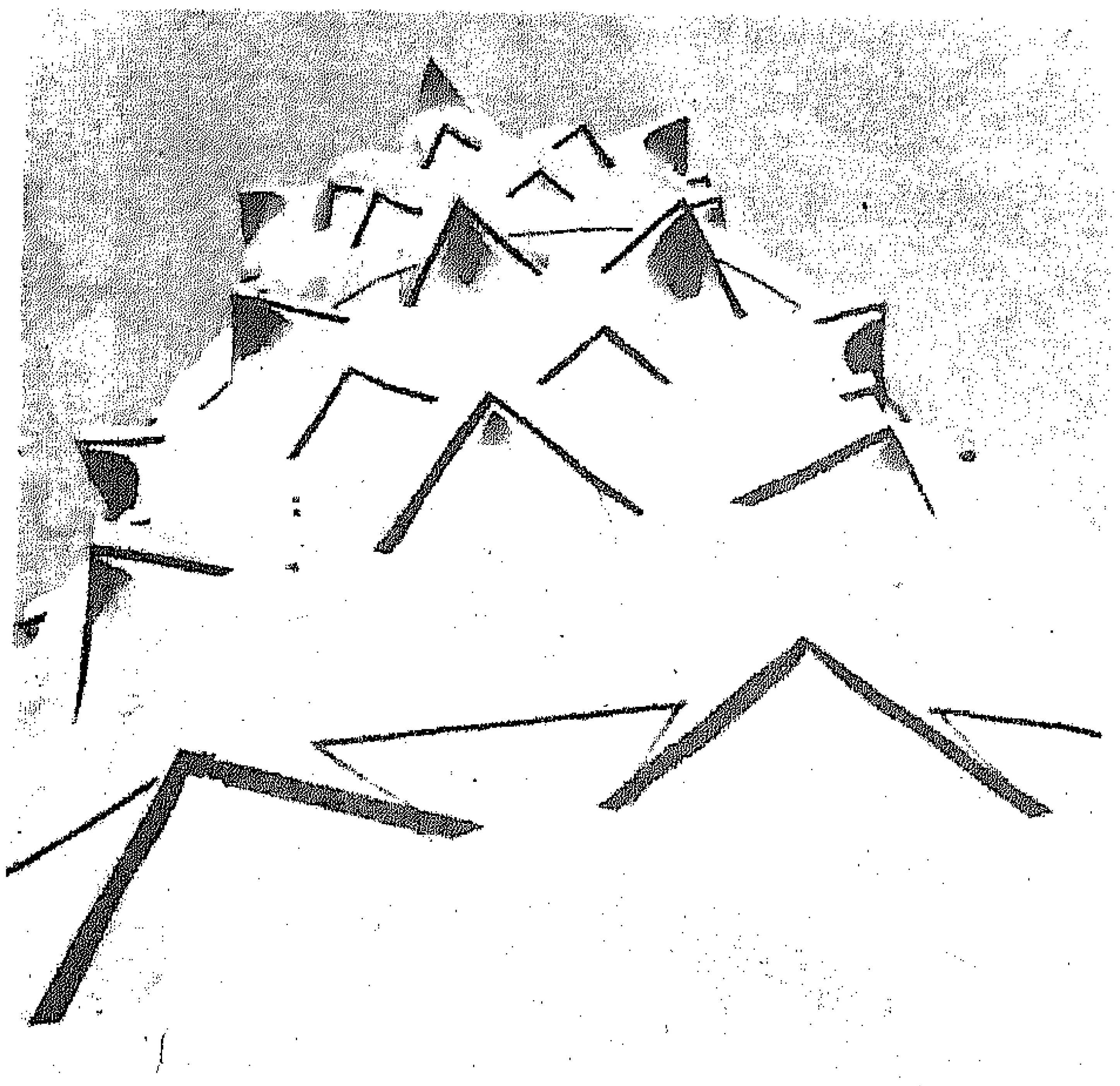

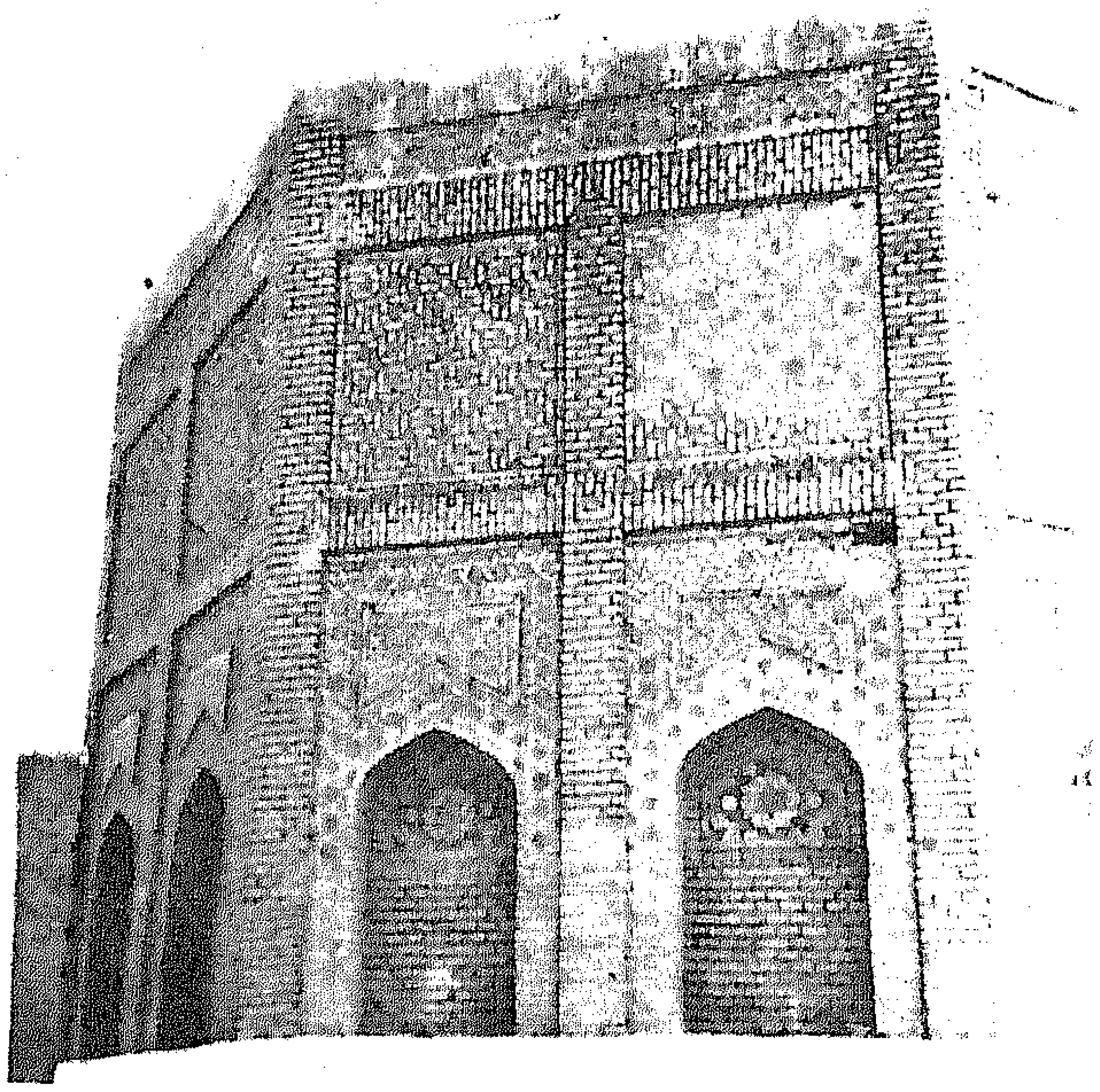

١٧ ـ قبة زمرد خاتون

حنية تعلوها كتيبة تضمنت زخارف حصيرية

١٨ ـ قبة زمرد خاتون(حنية تعلوها كتيبة تضمنت معينات منحوتة

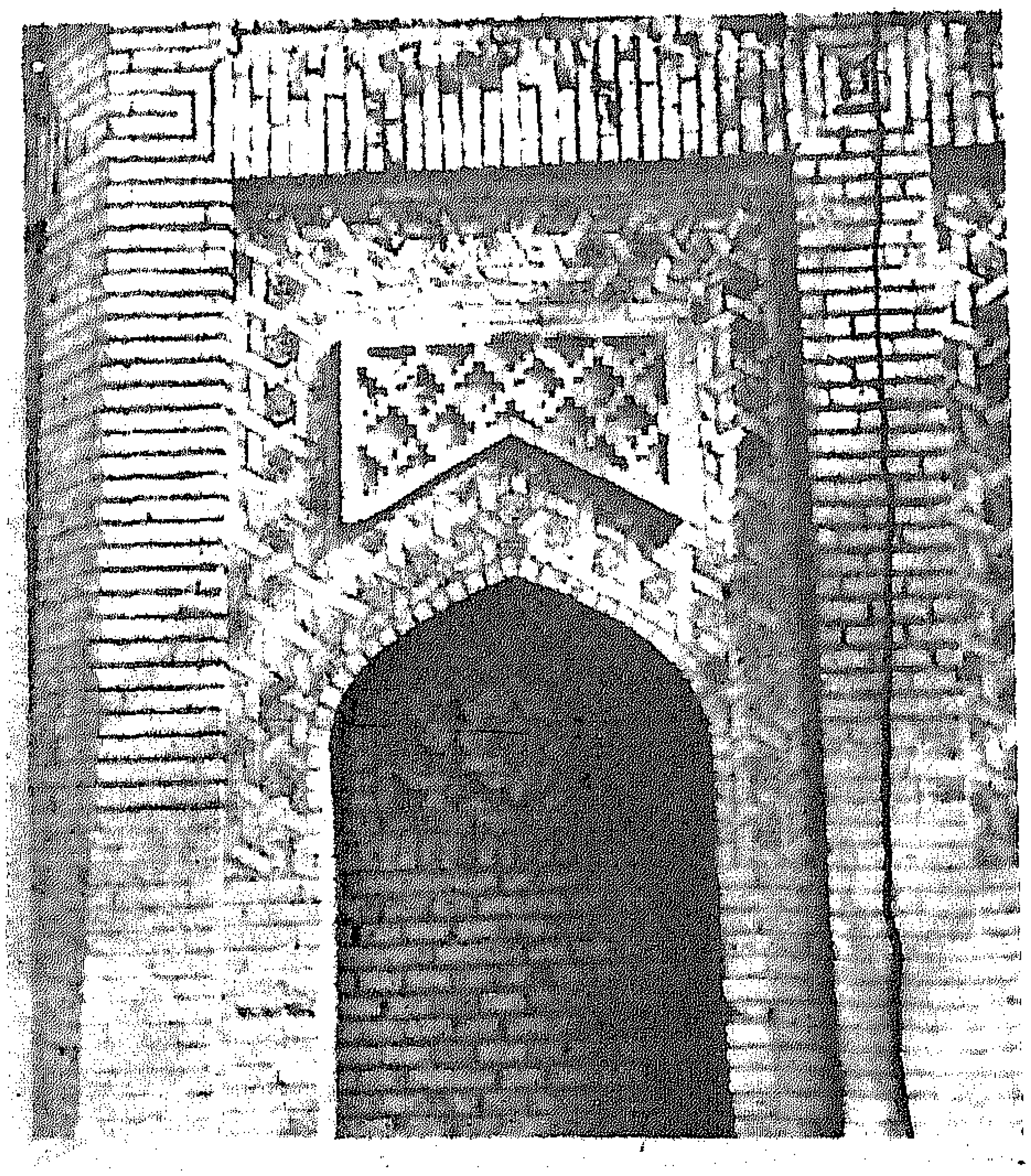

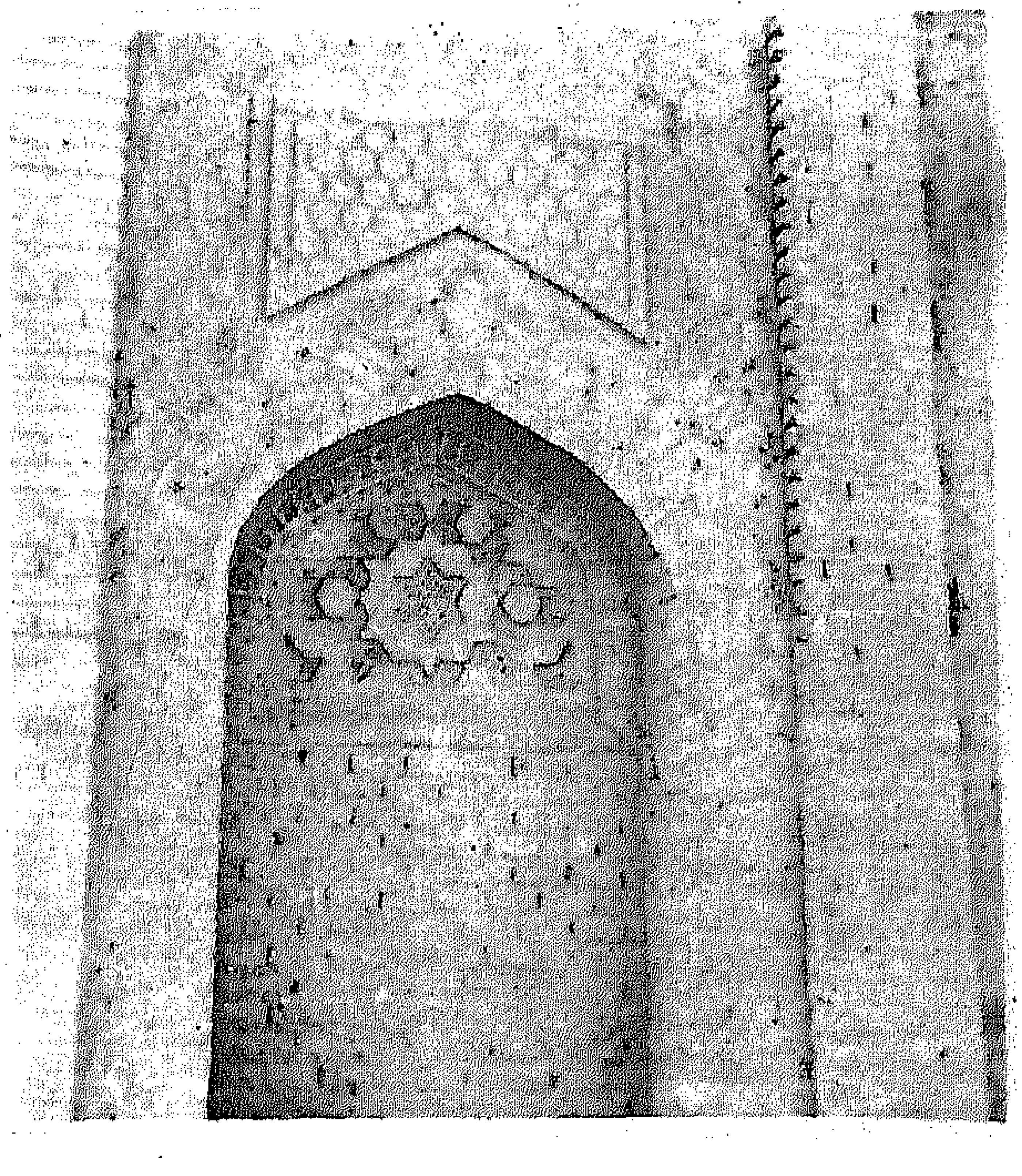

١٩ قبة زمرد خاتون تفاصيل زخارف البدن

(عن هرتسفلد)

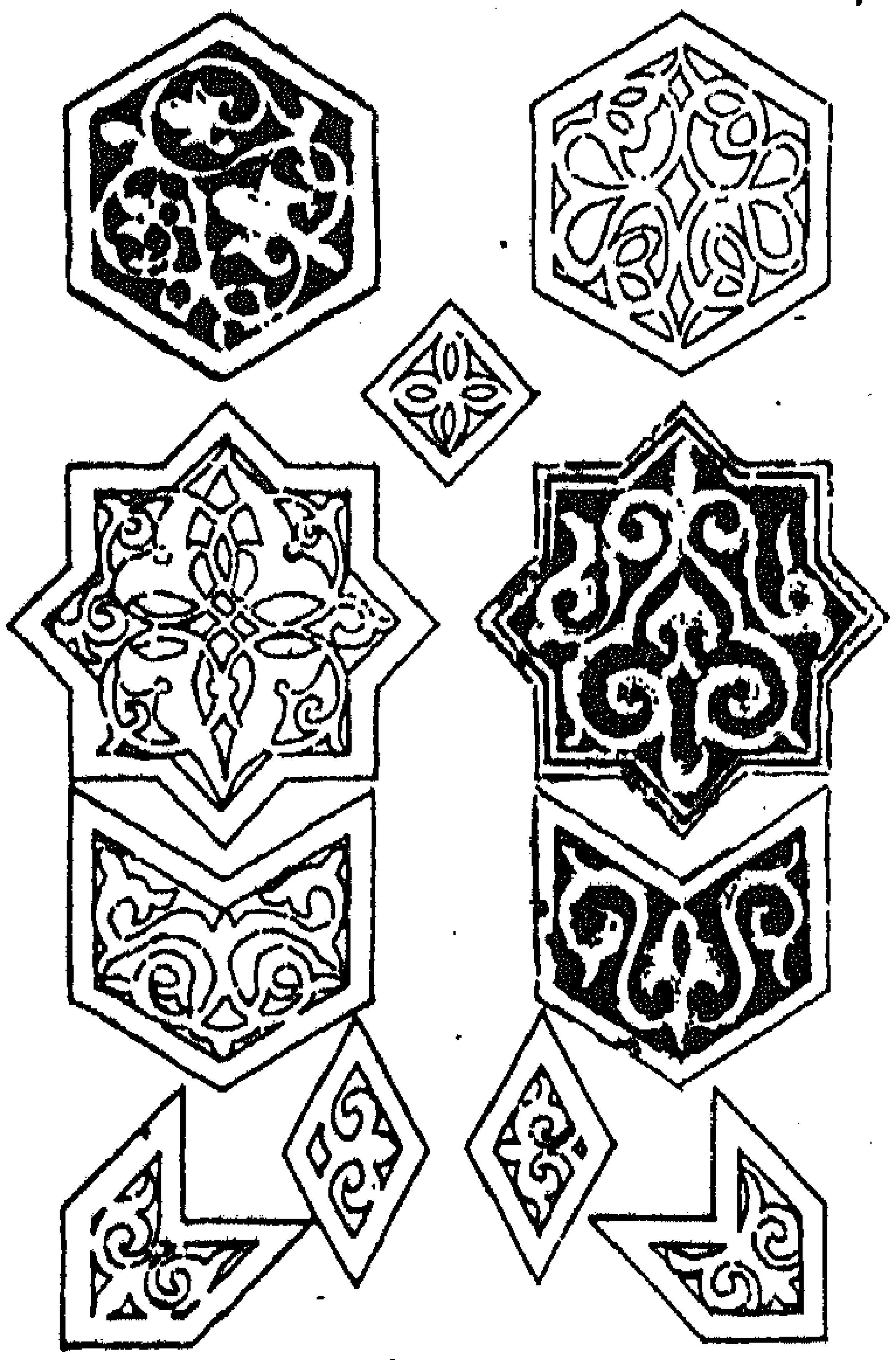

١٩ أ

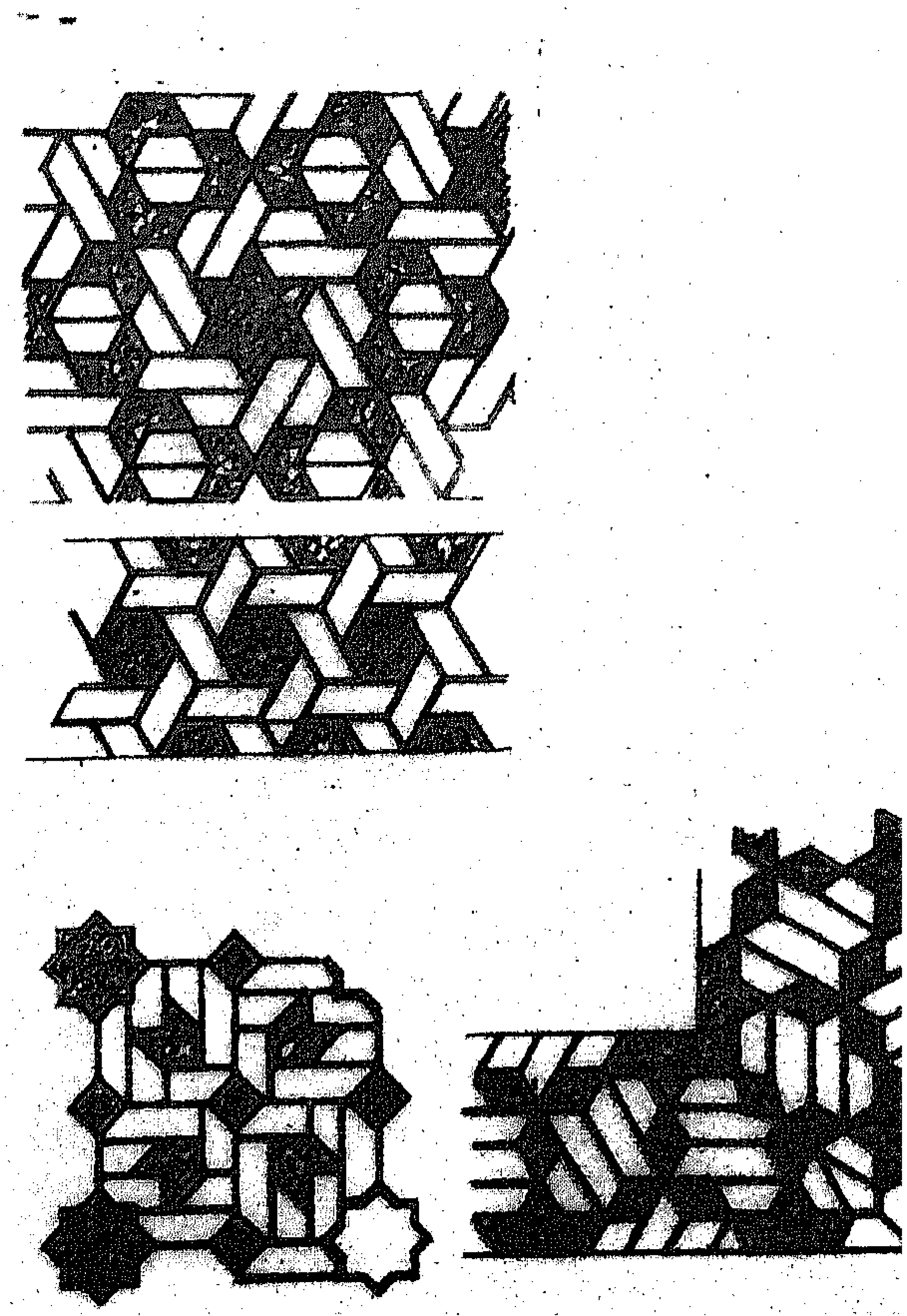

١٩ ب

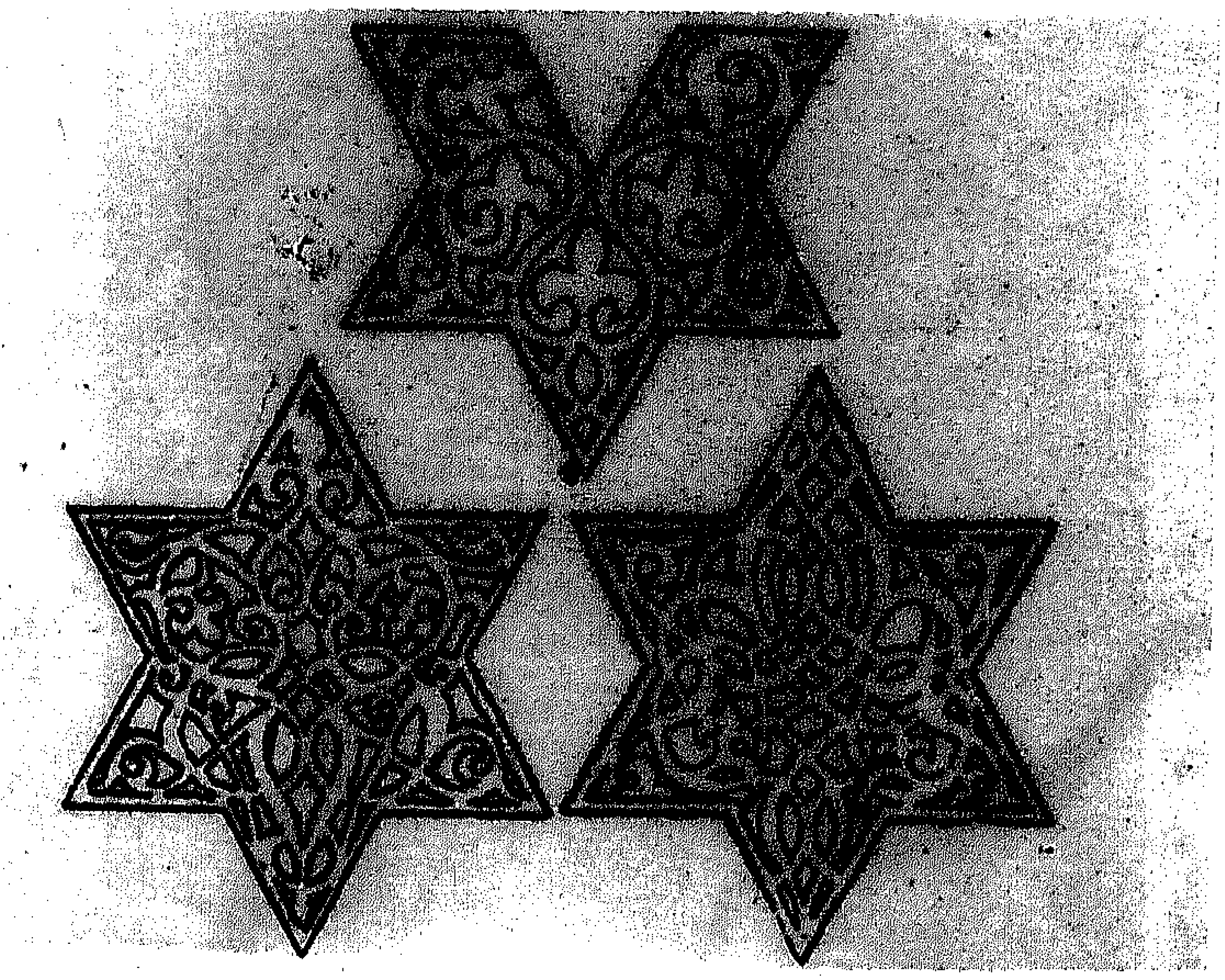

١٩ ج

٢٠ ـ قبة زمرد خاتون
المدخل

٢١ ـ قبة زمرد خاتون
(السلم)

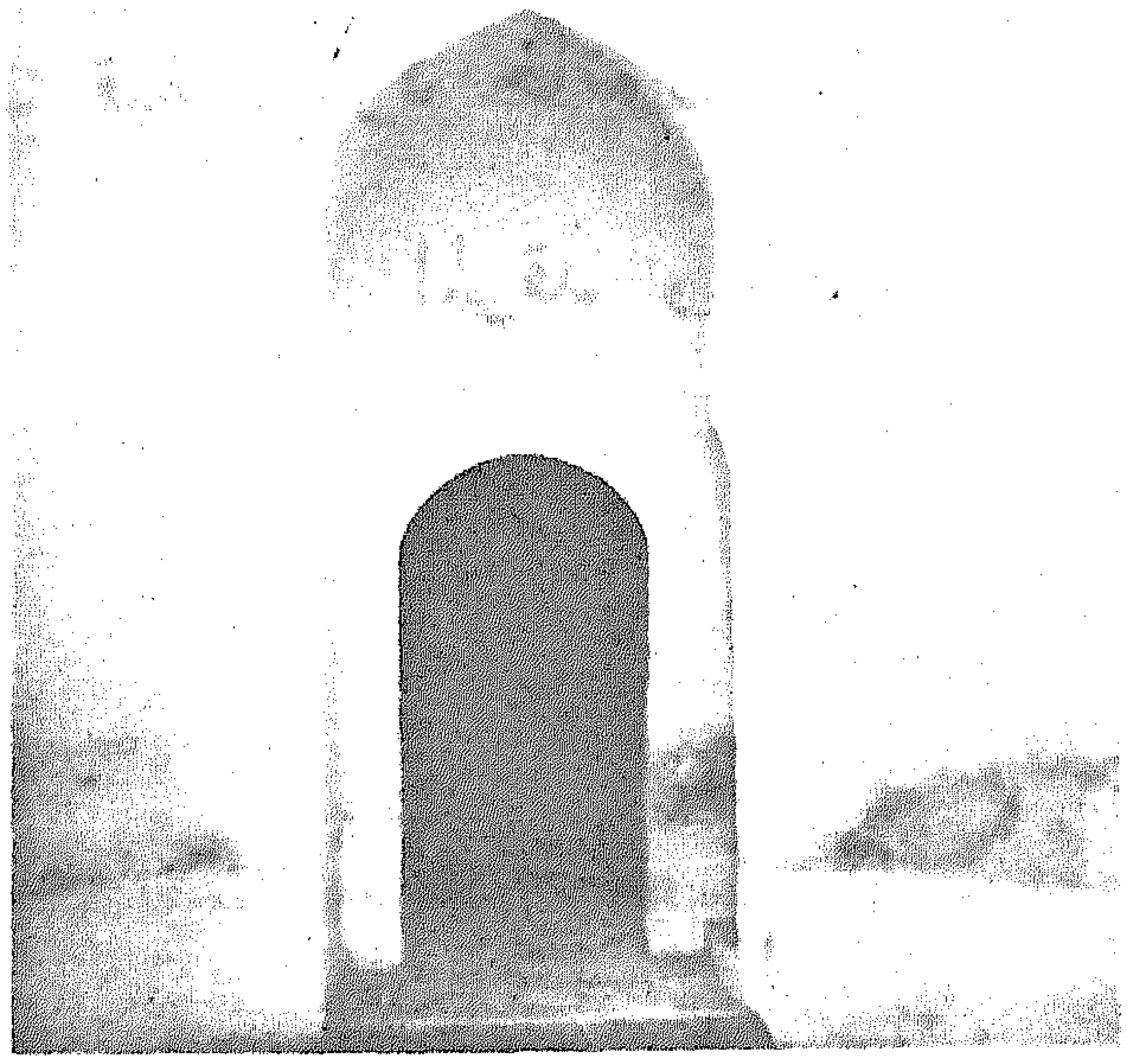

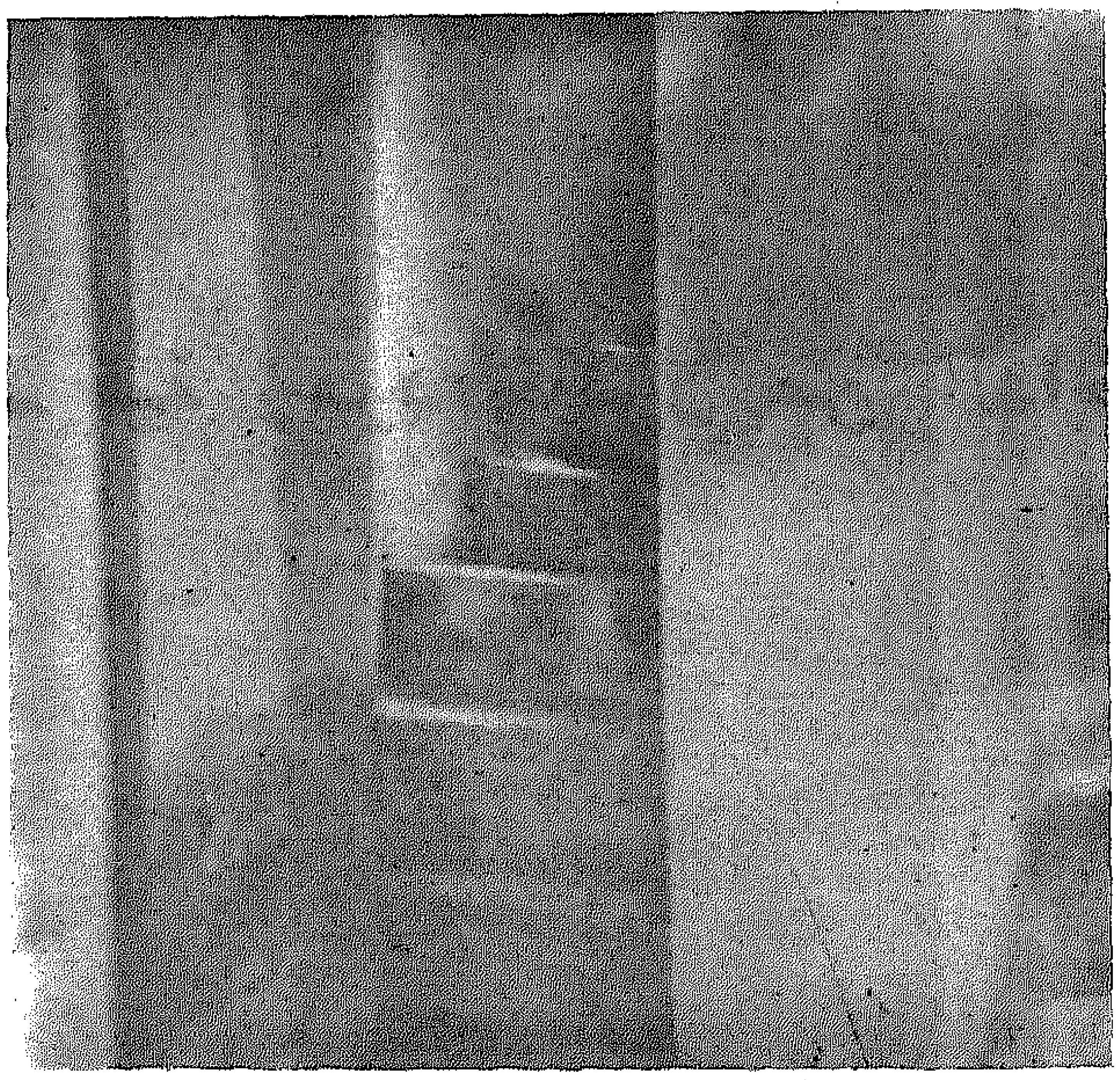

٢٢ ـ قبة زمرد خاتون

المرقد والمحراب

٢٣ ـ قبة زمرد خاتون من الداخل

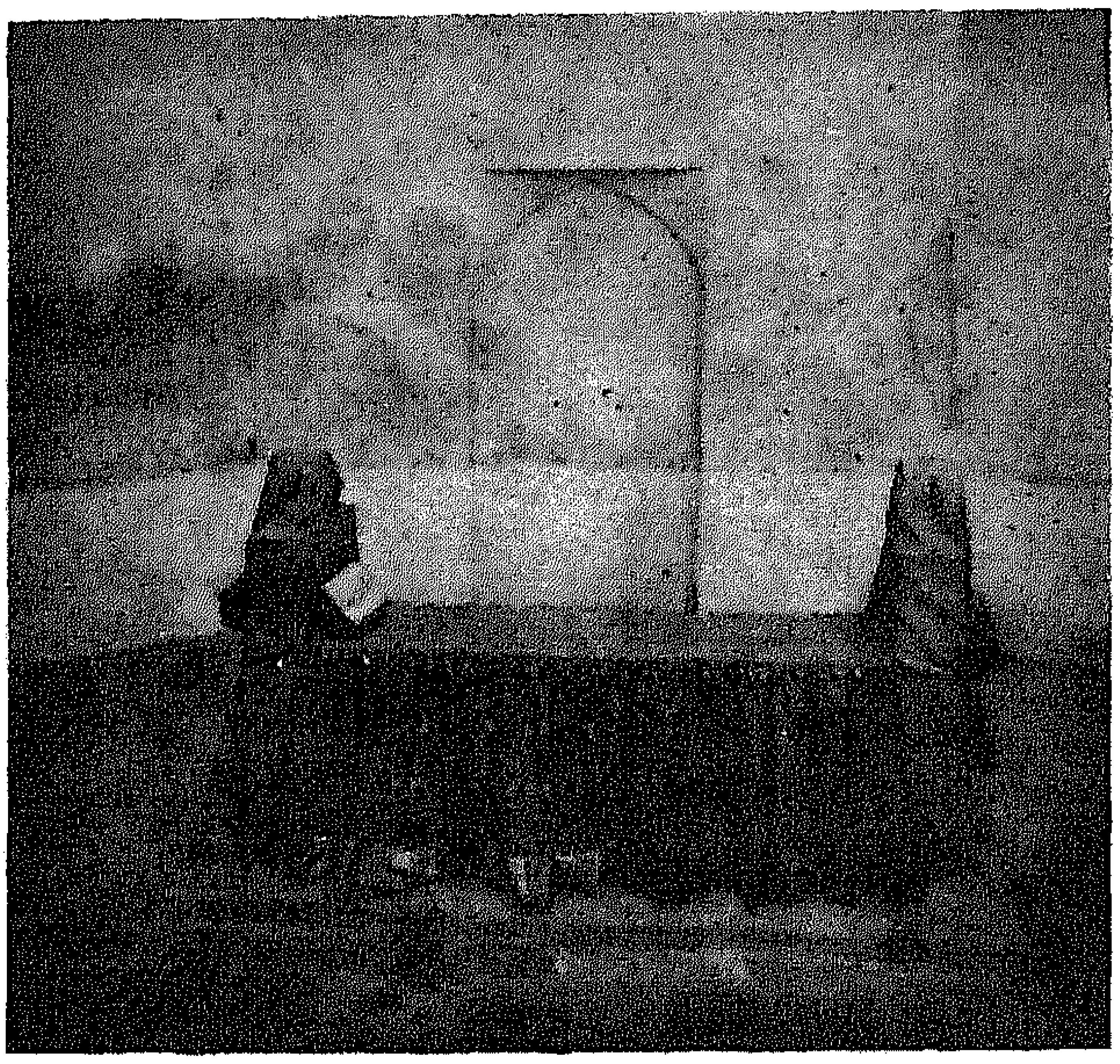

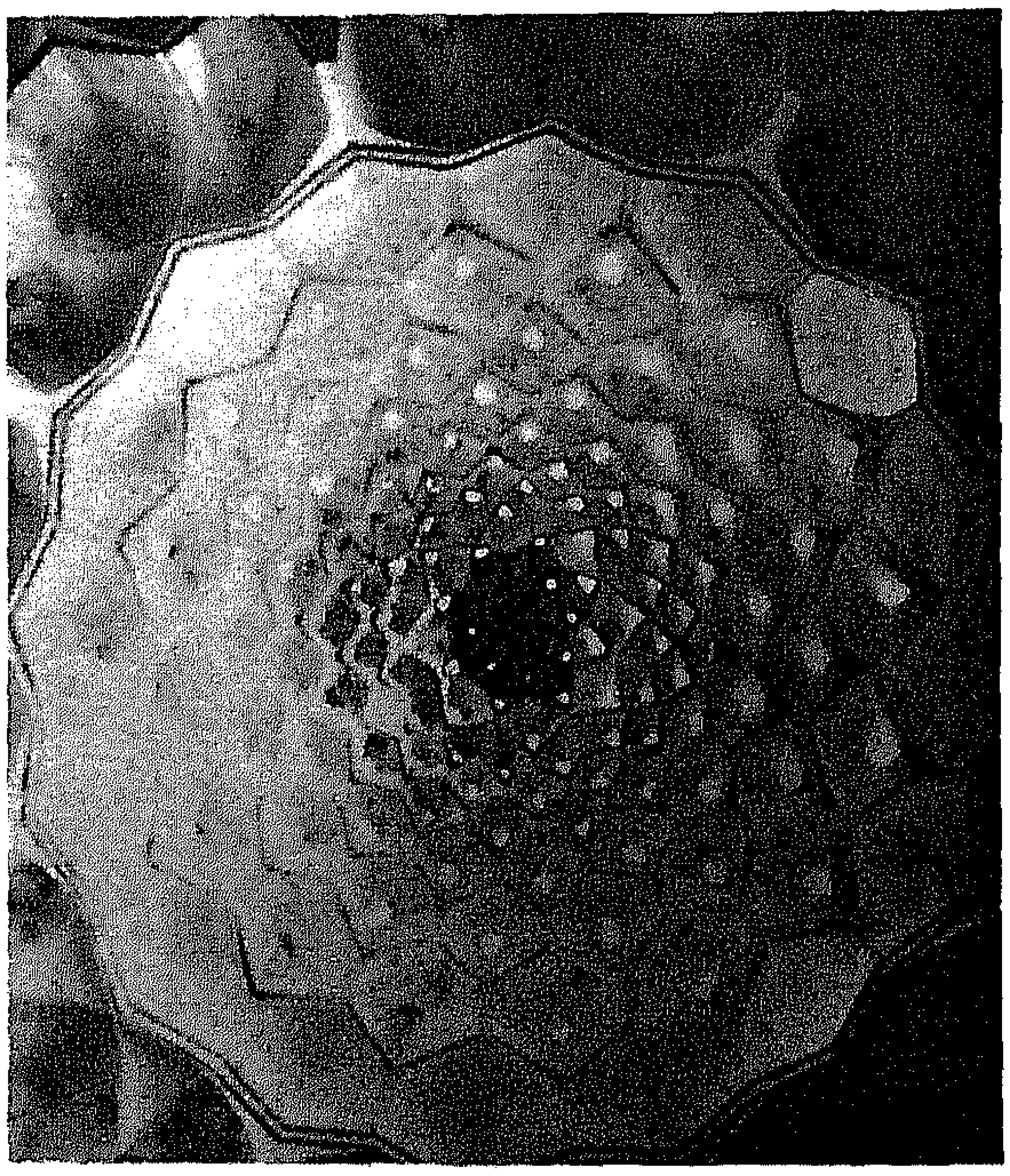

٢٤ ـ قبة زمرد خاتون
مقرنصات منطقة الانتقال

٢٥ ـ أ
قبة مشهد الشمس من الخارج

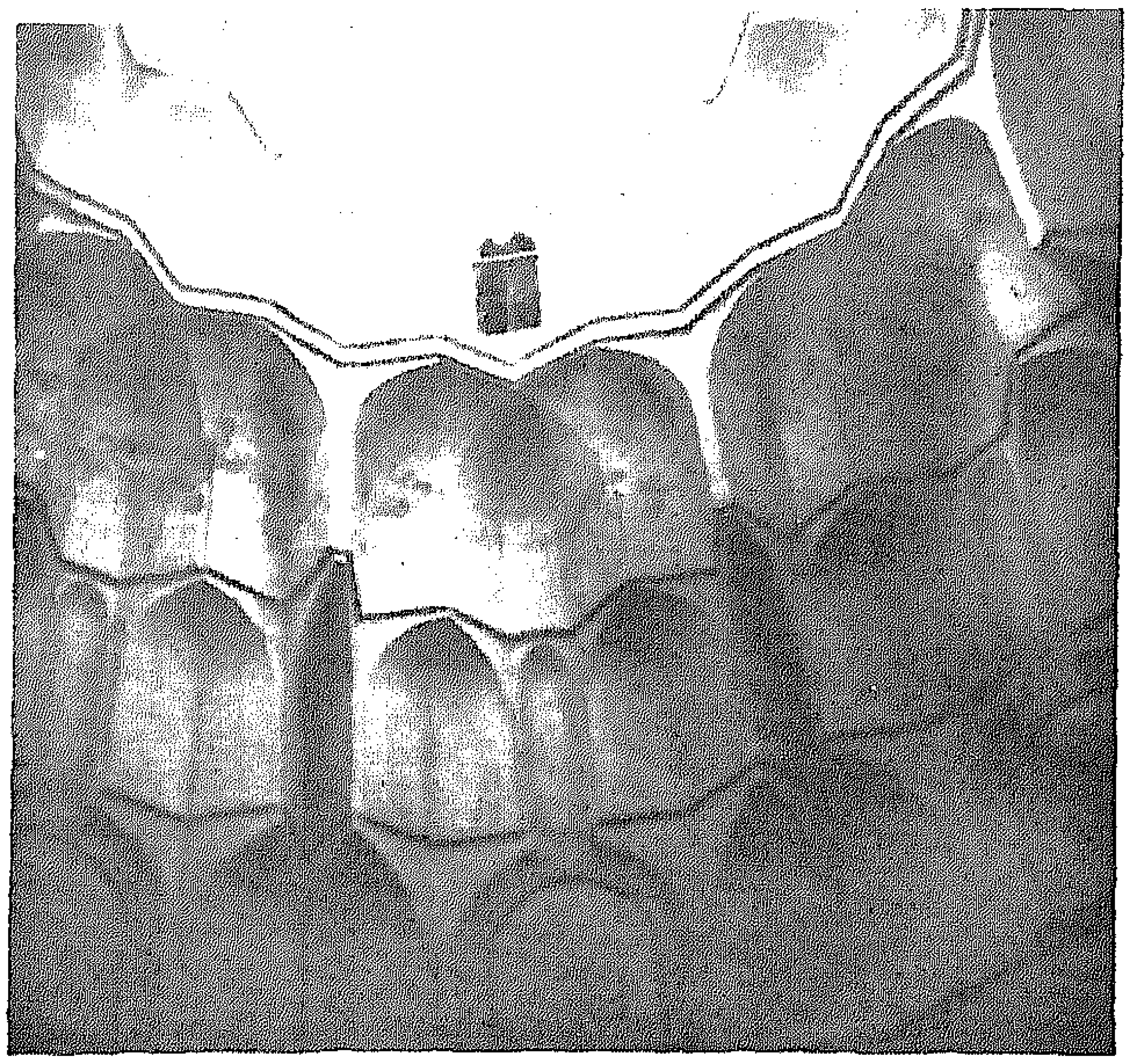

٢٥ ـ ب

قبة مشهد الشمس بعد اعادة بنائها

٢٦ ـ قبة مشهد الشمس من الداخل

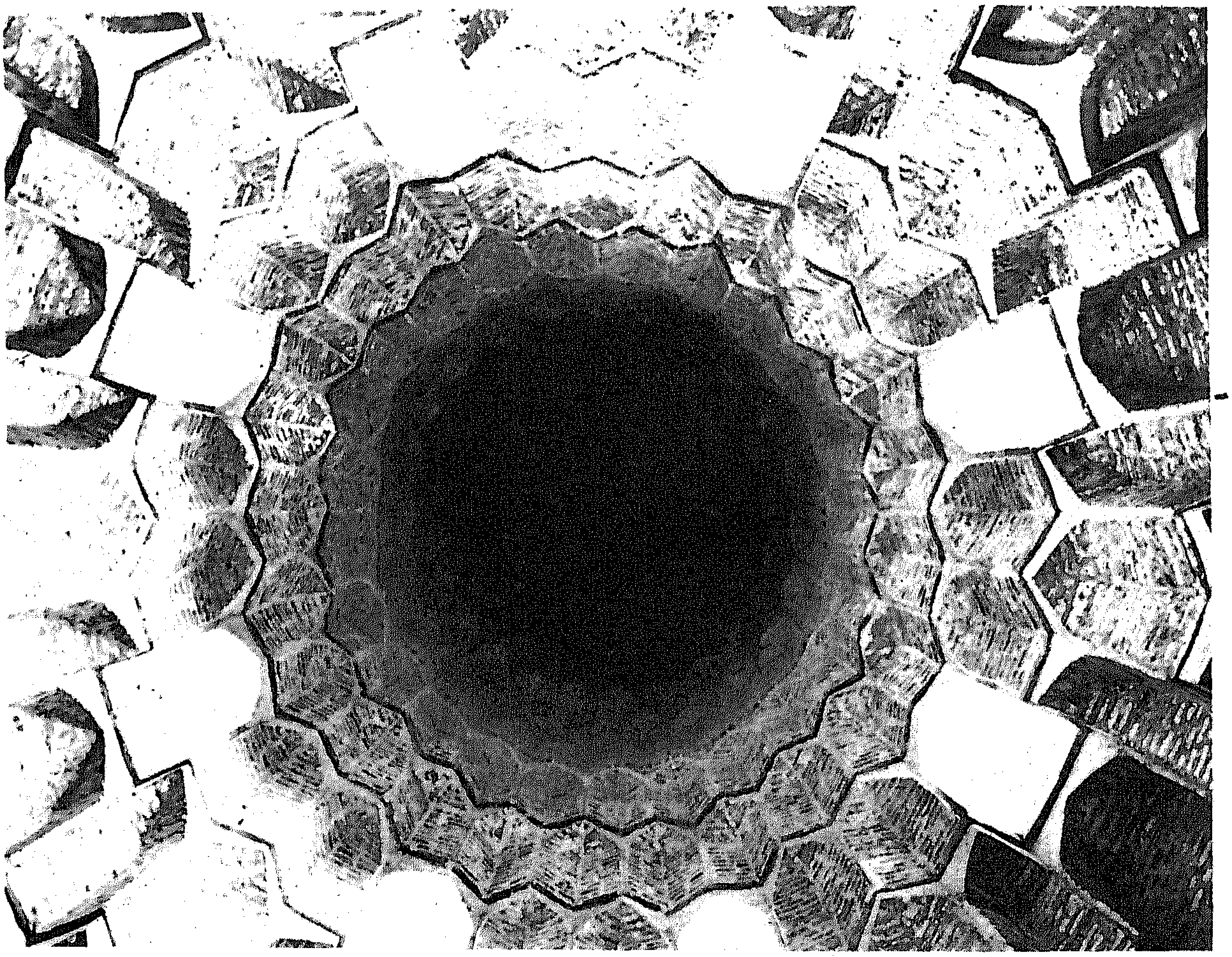

٢٧ ـ قبة مشهد الشمس
المحراب المجوف

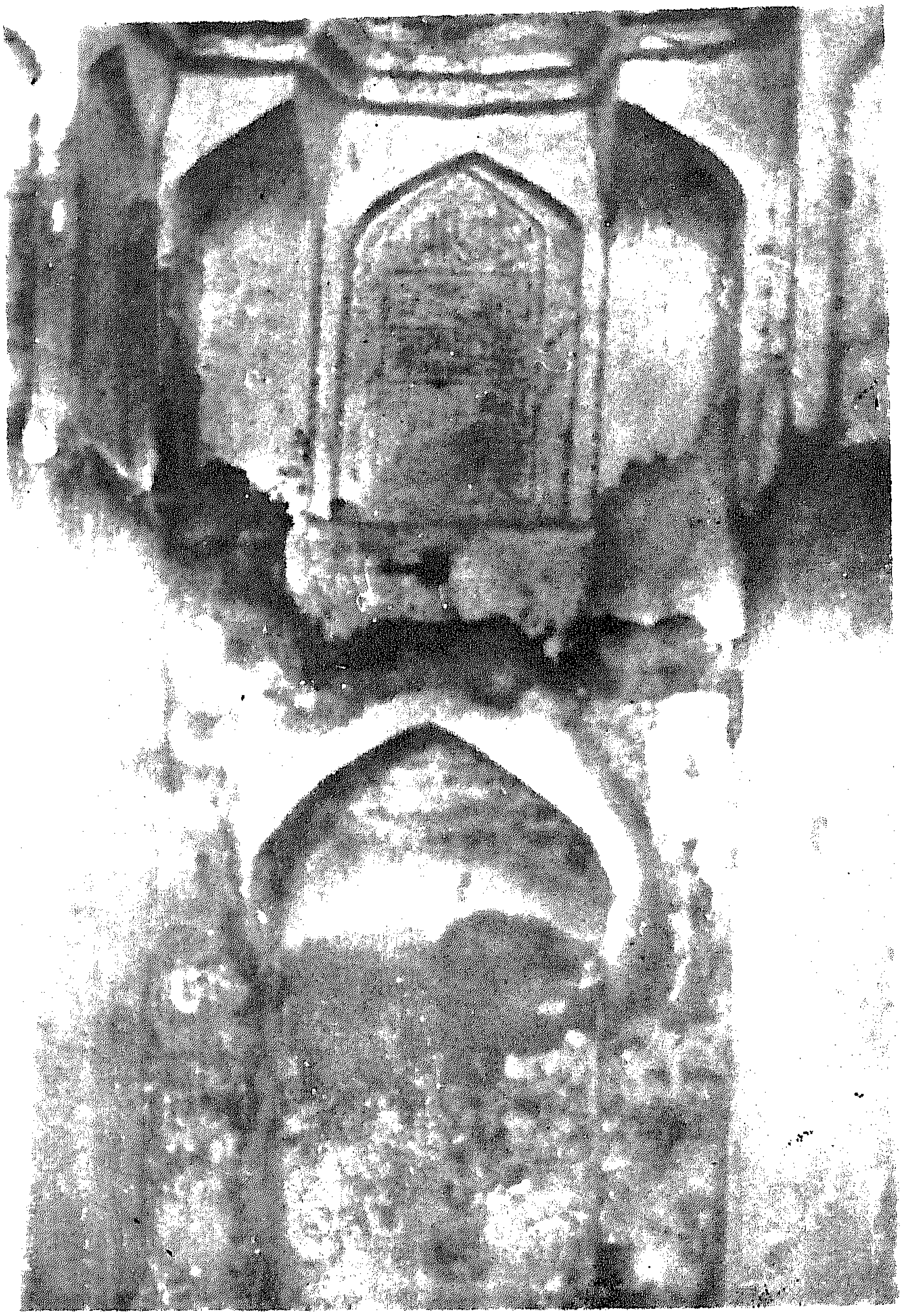

٢٨ ـ قبة مشهد الشمس
مقرنصات منطقة الانتقال

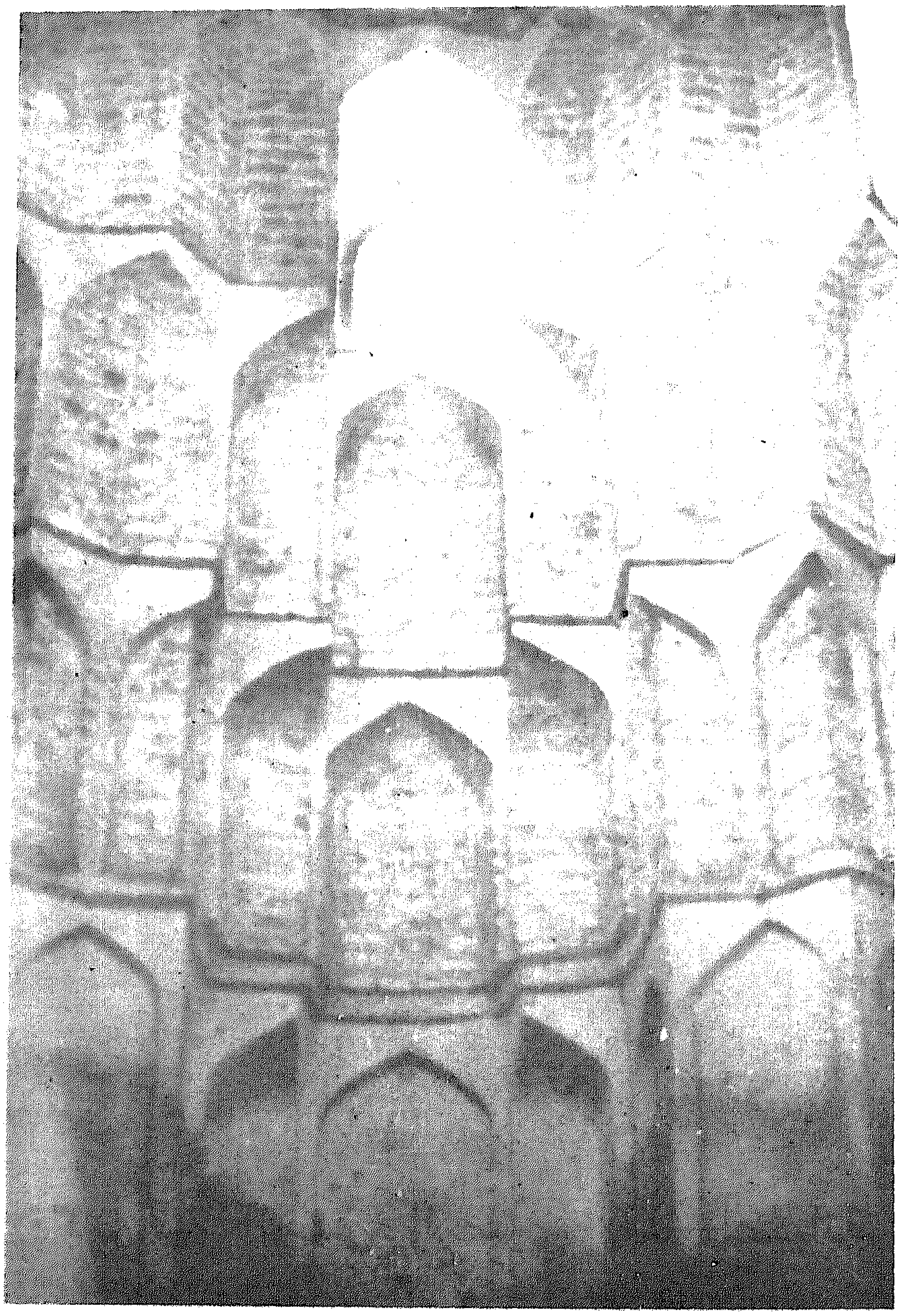

٢٩ ـ قبة الحسن البصري قبل الصيانة

٣٠ ـ قبة الحسن البصري بعد الصيانة

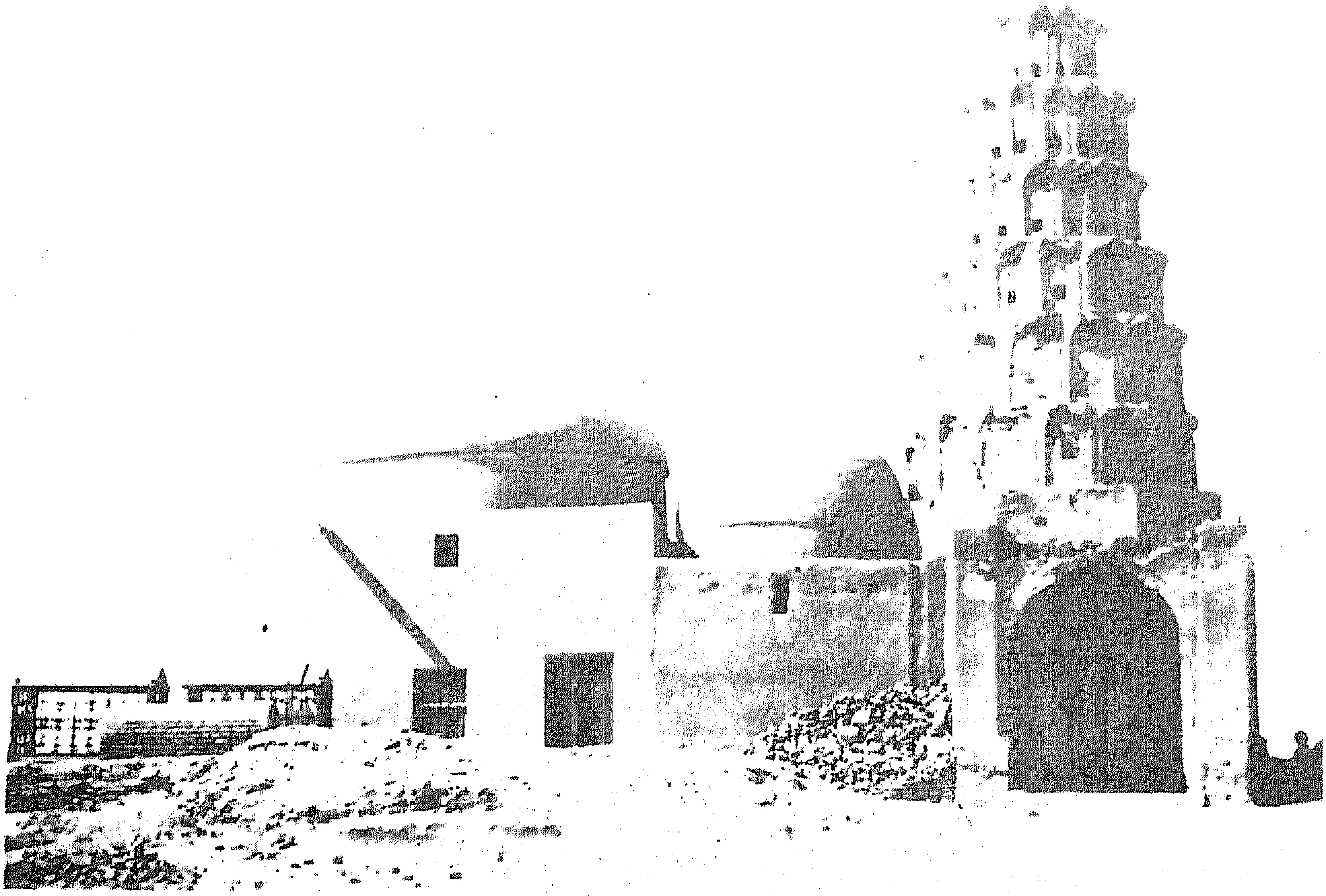

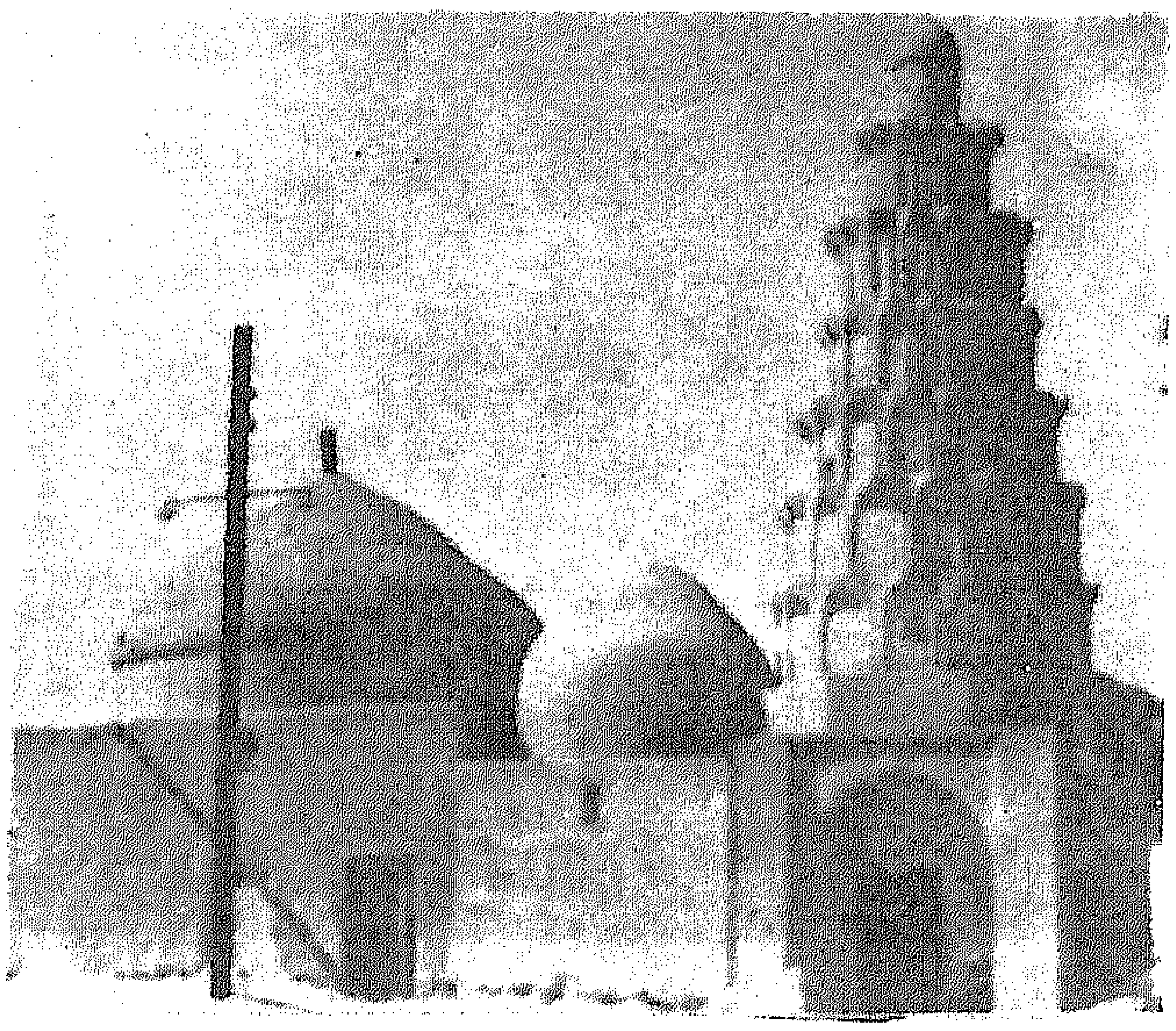

٣١ ـ قبة الحسن البصري
من الداخل

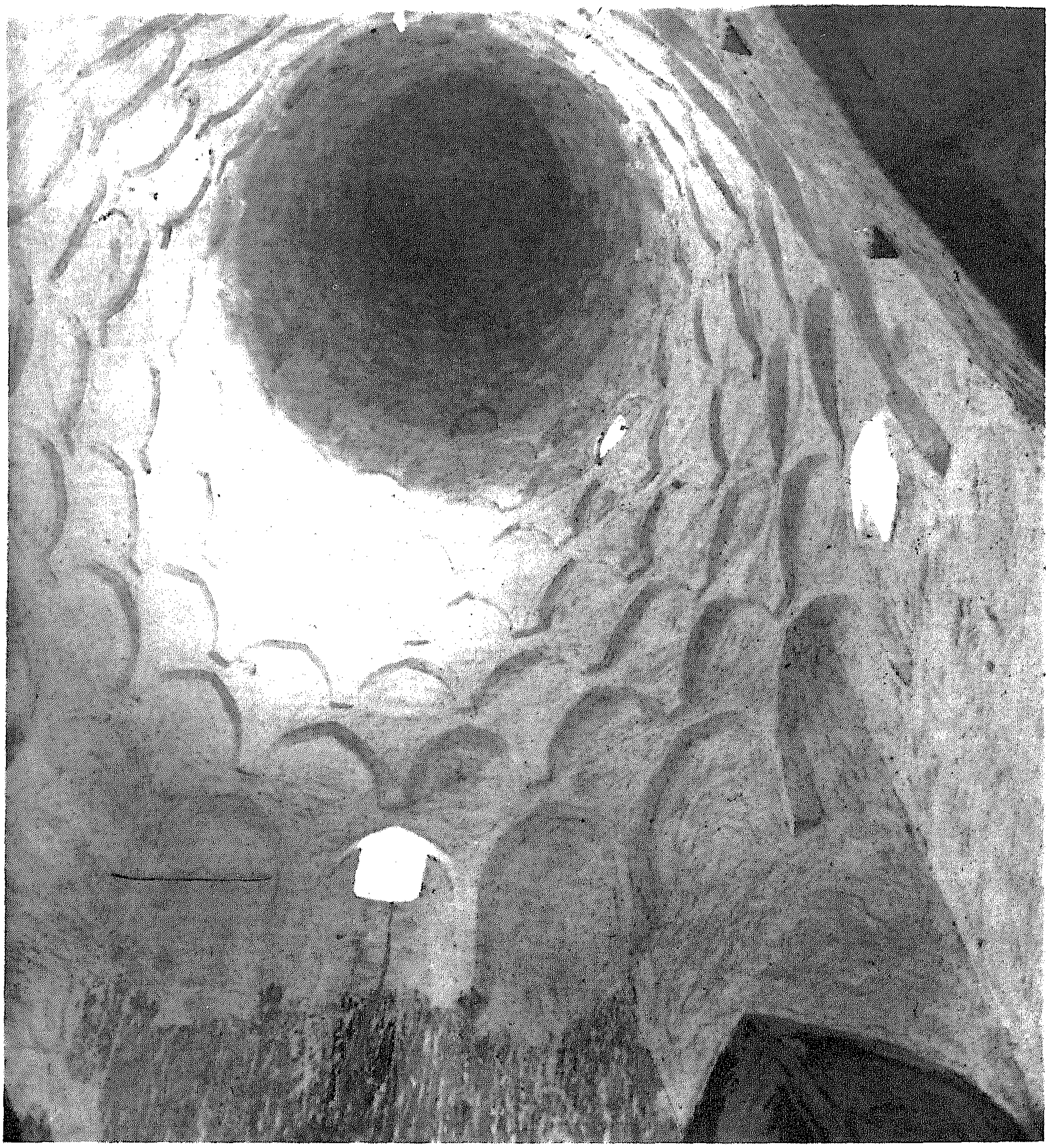

٣٢ ـ قبة الكفل من الخارج

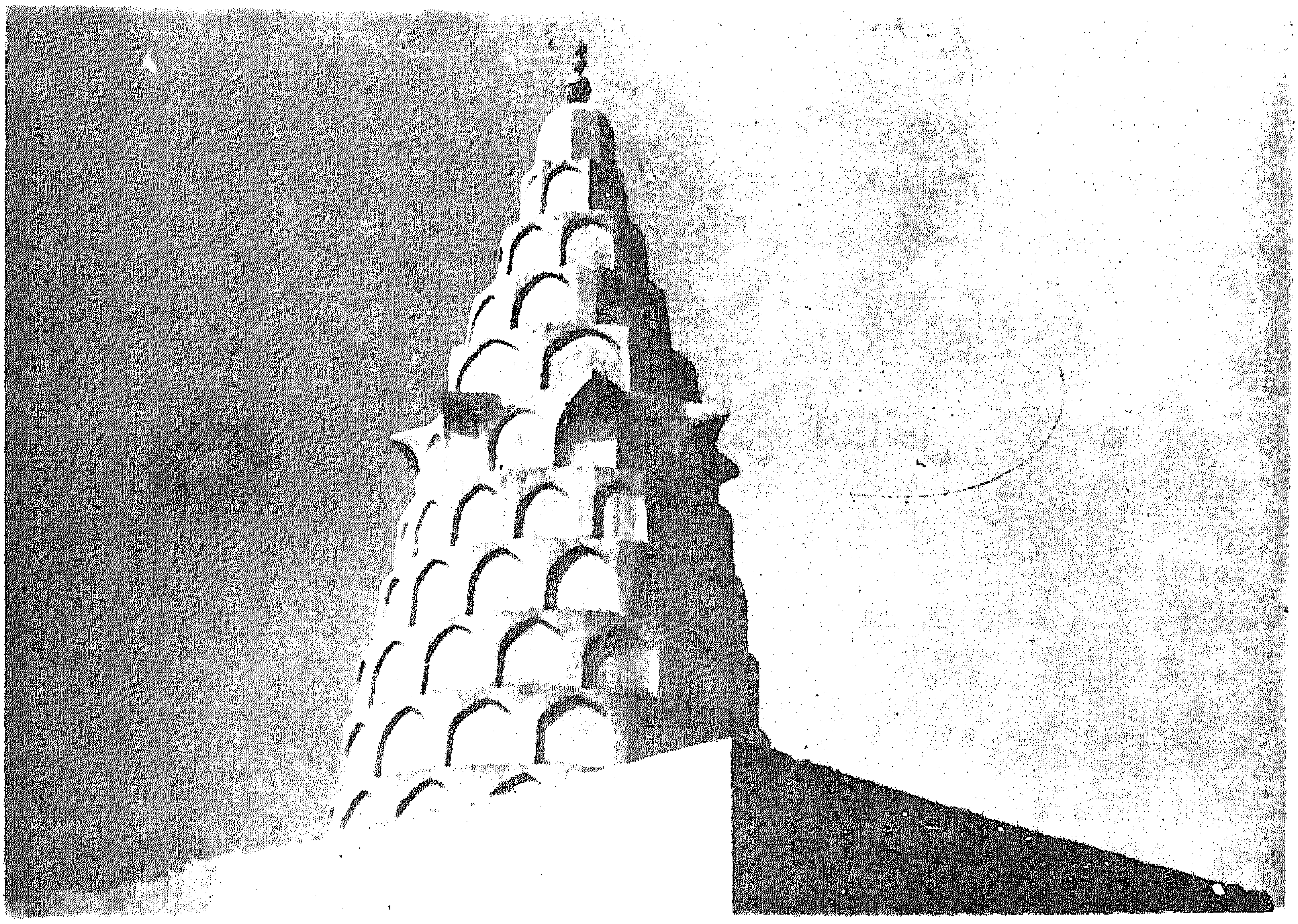

٣٣ ـ قبة الكفل من الداخل

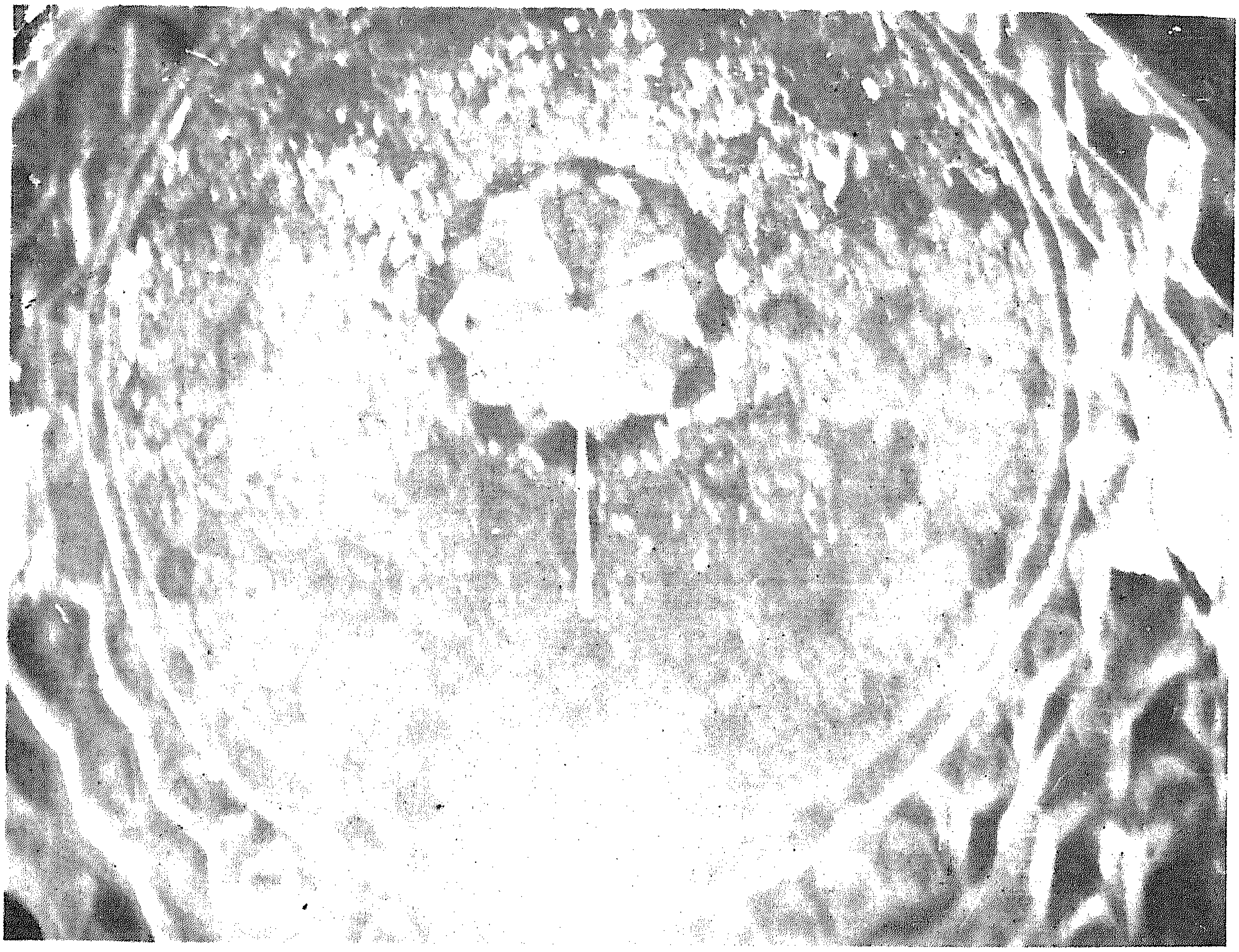

٣٤ ـ قبة الكفل

مقرنصات منطقة الانتقال

٣٥ ـ قبة الكفل

مقرنص احد الاركان

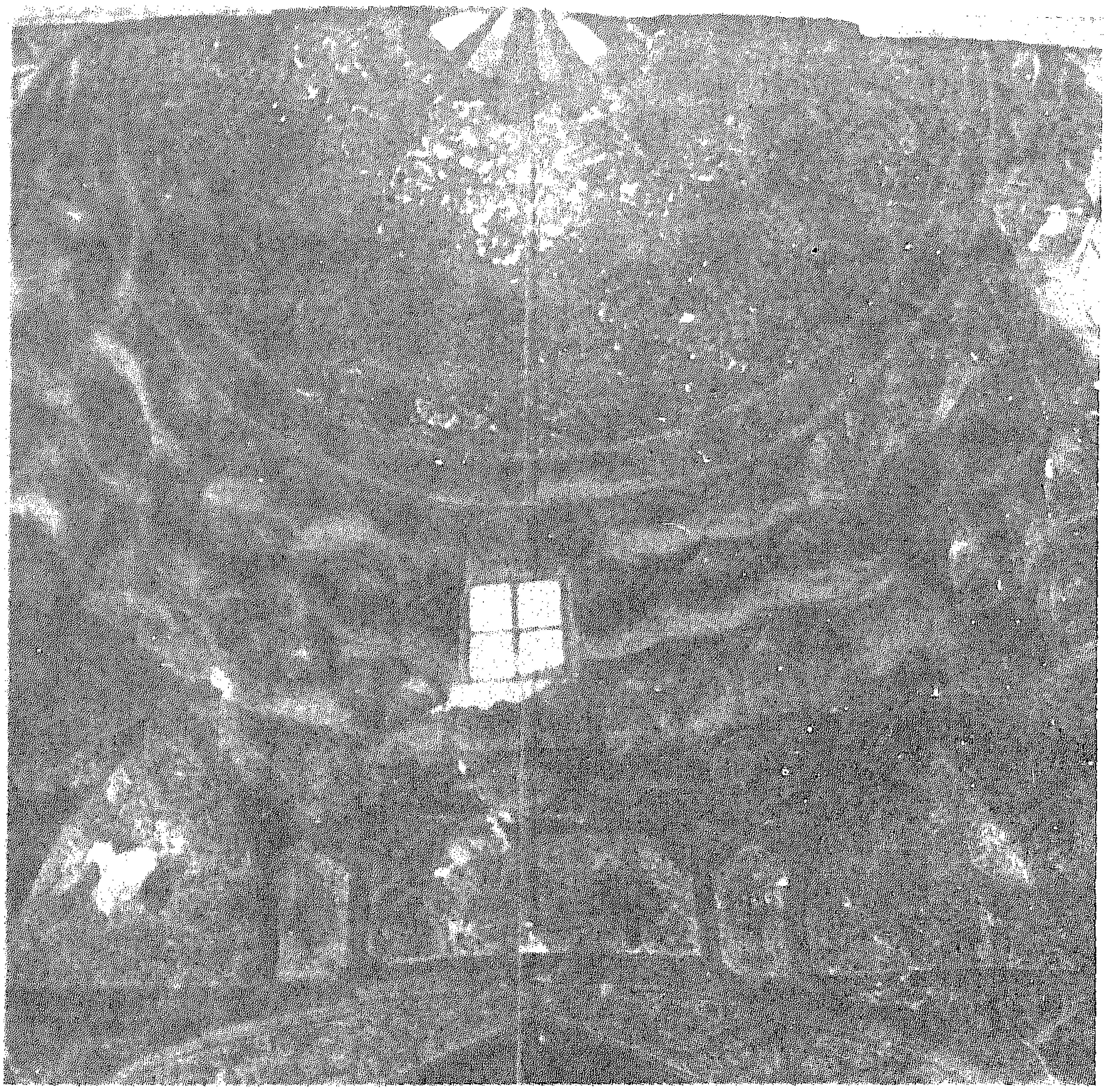

٣٦ ـ قبة السهروردي

تظهر فيها الزخارف التي لم يعد لها اثر

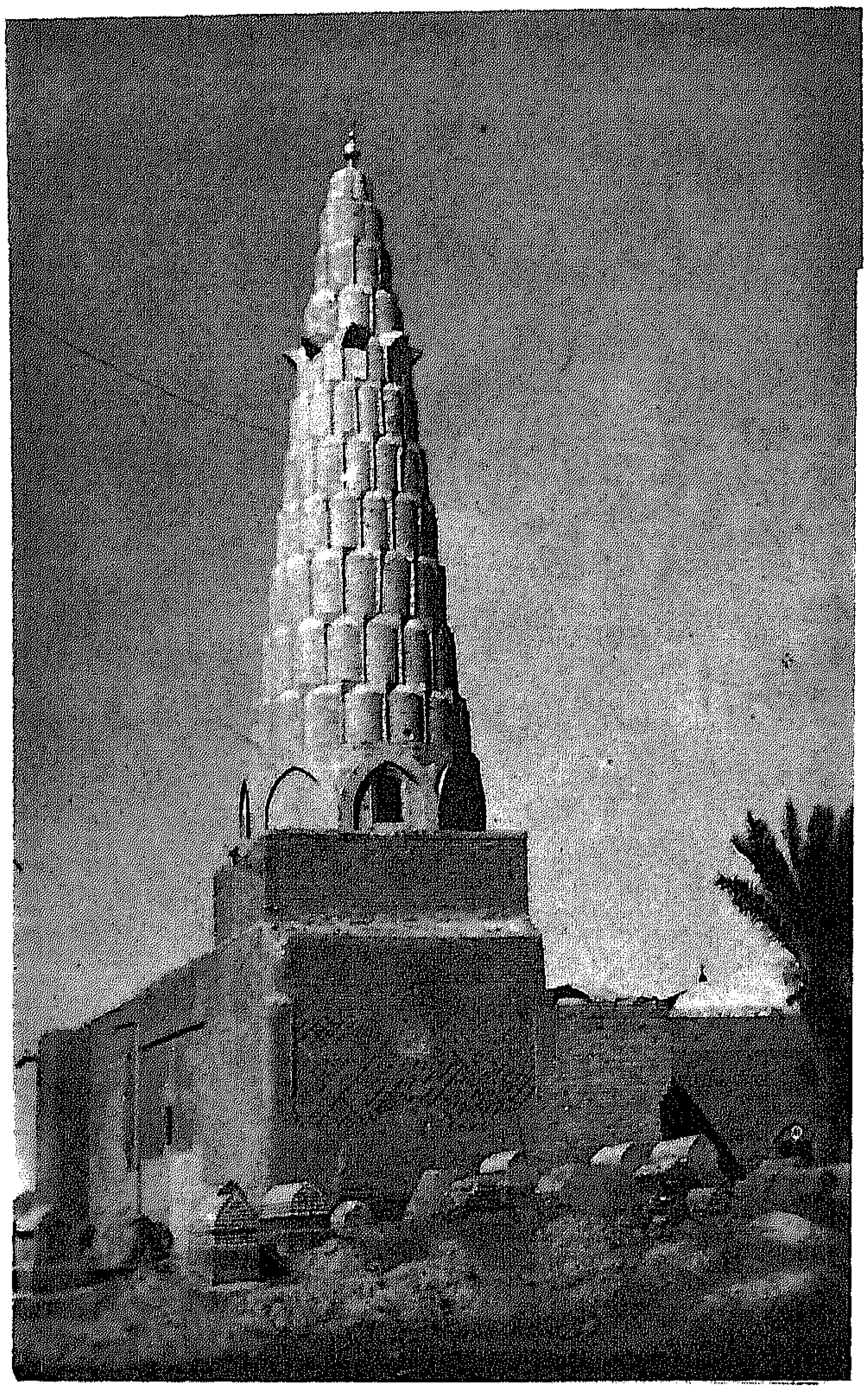

٣٧ ـ قبة السهروردي من الخارج

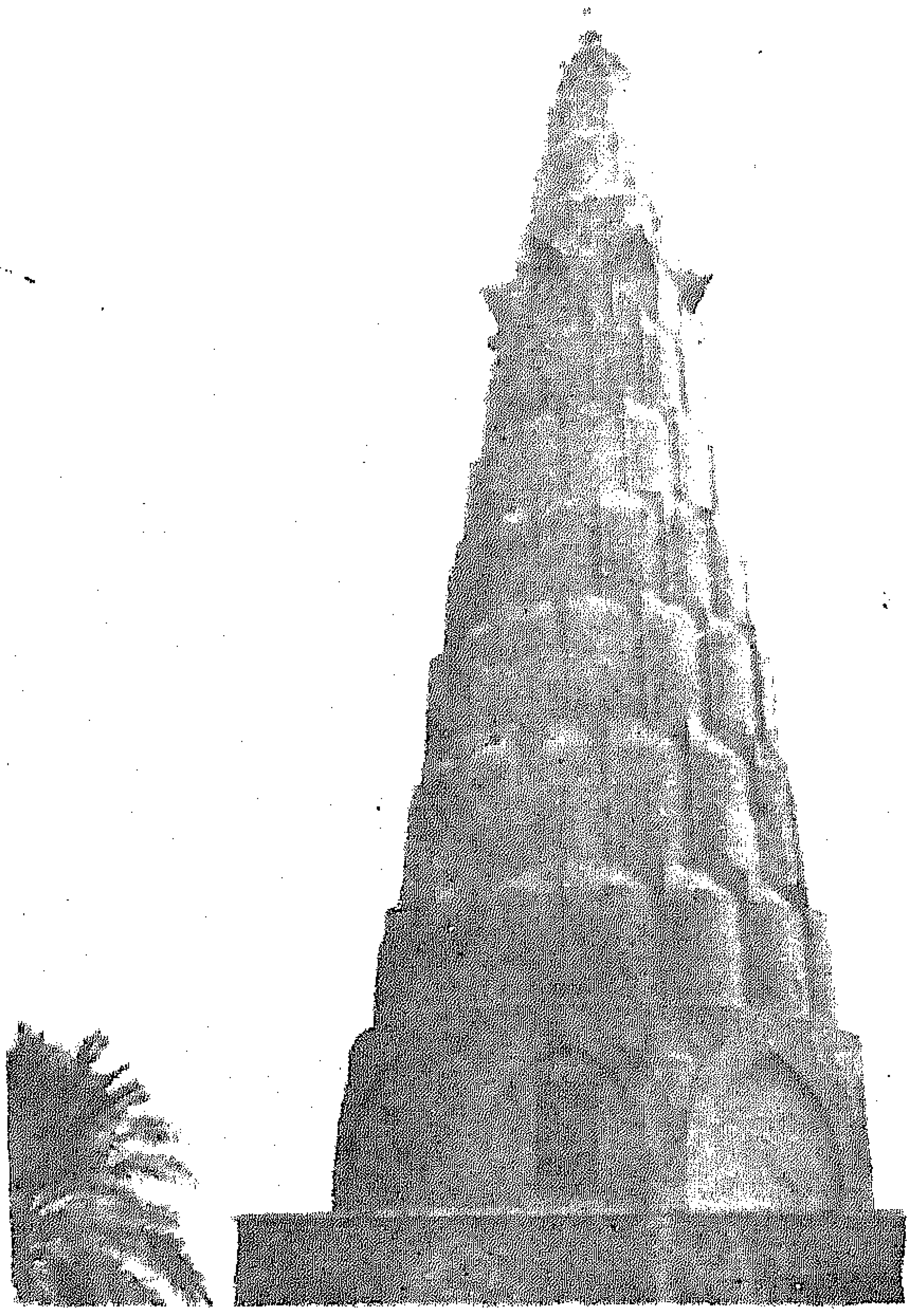

٣٨ ـ قبة السهروردي

القاعدة الحاملة لها والمؤلفة من بائكة عقود

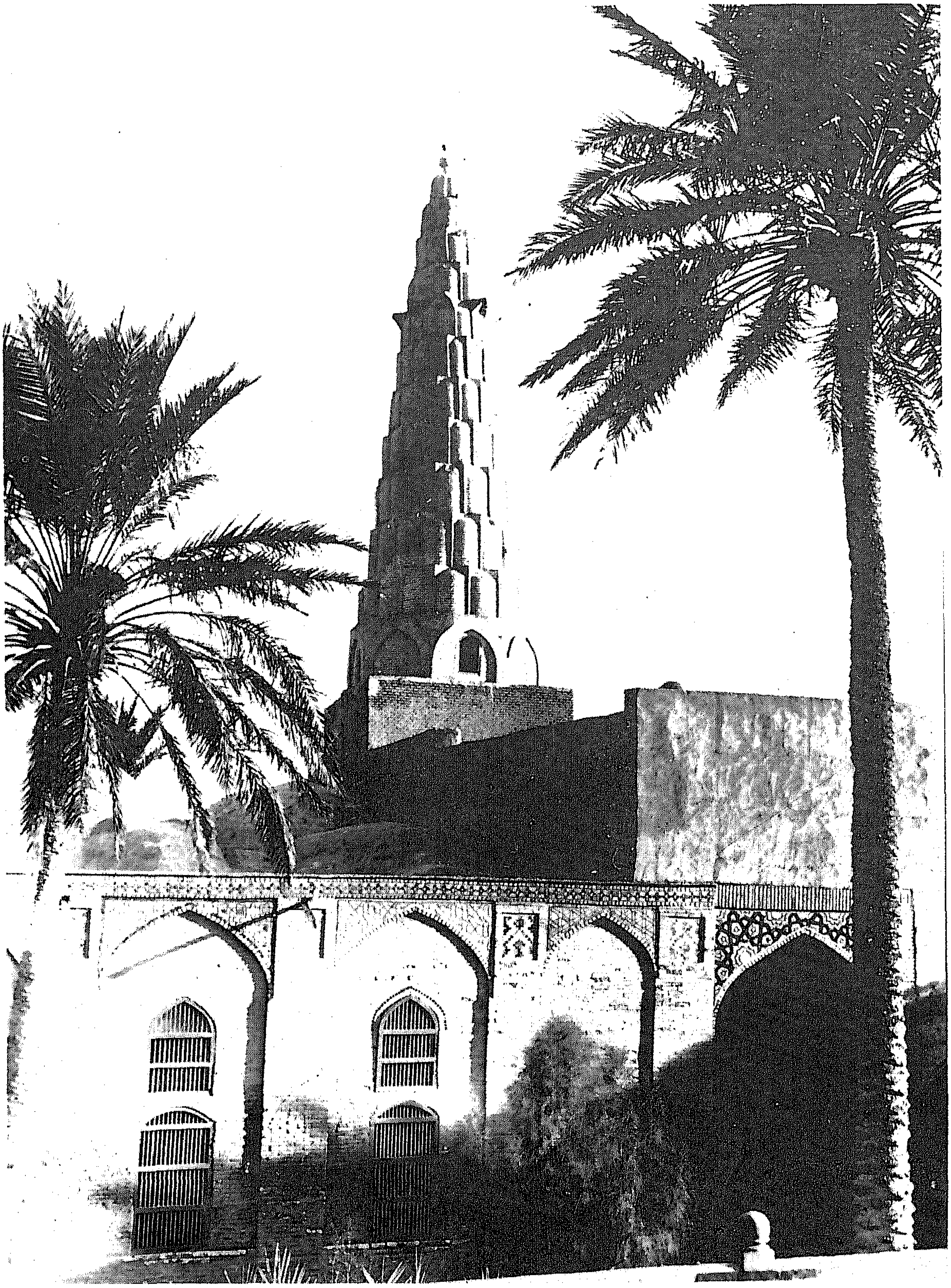

٣٩ ـ قبة السهروردي من الداخل

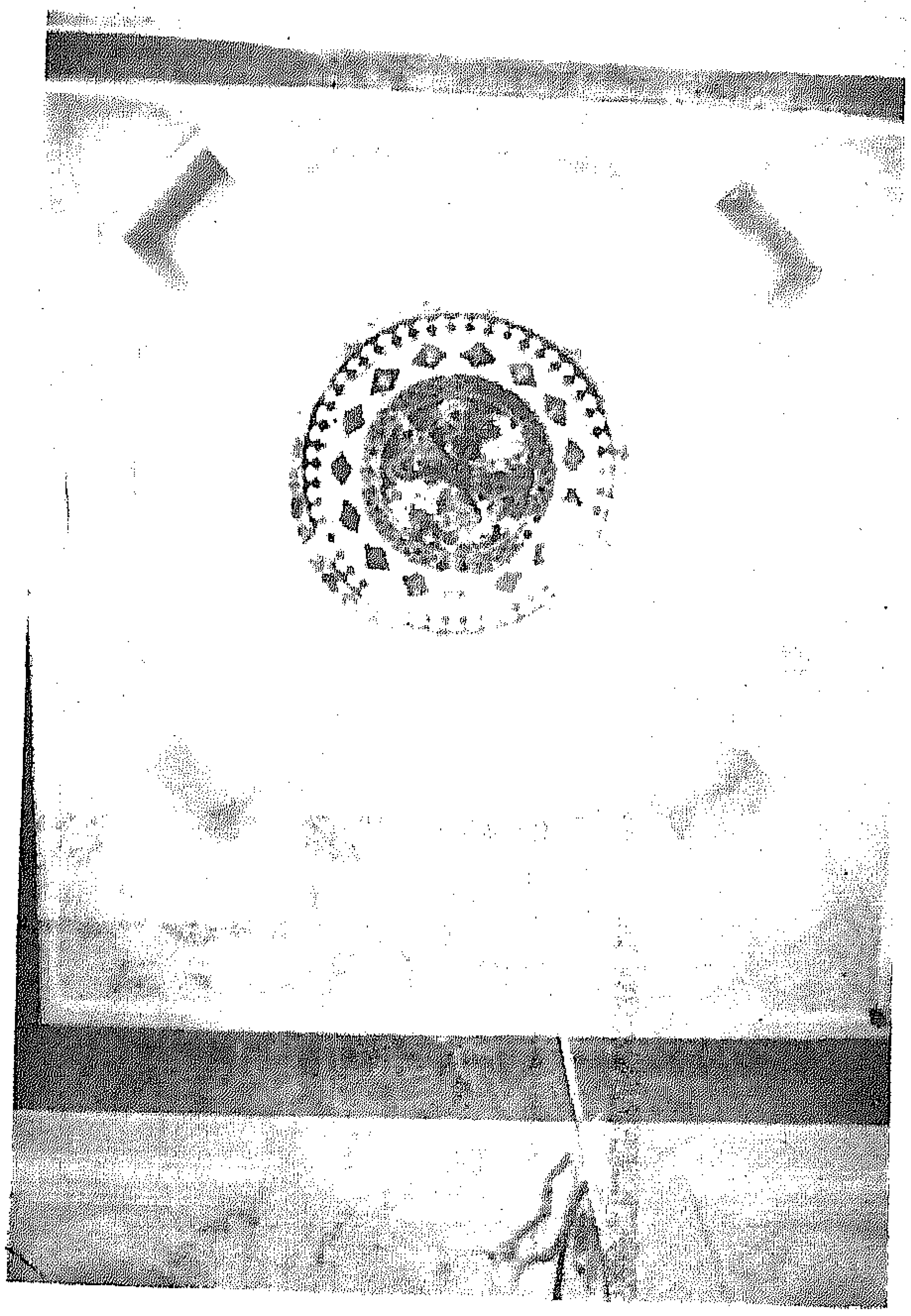

٤٠ ـ قبة السهروردي

سلسلة الحنايا ومقرنصات منطقة الانتقال

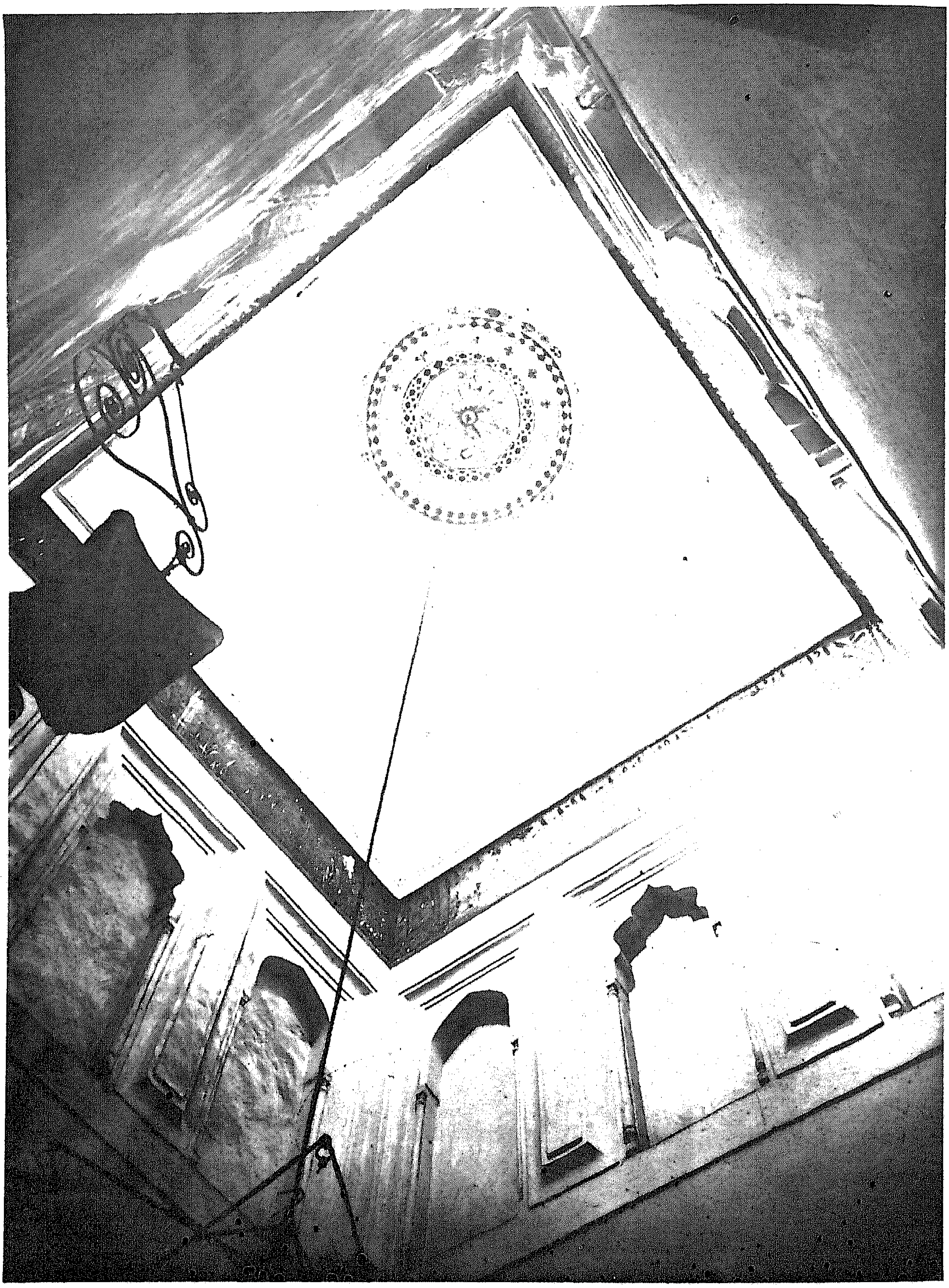

٤١ ـ قبة السهروردي

الشاهد الذي يعلو المدخل الرئيس

٤٢أ

٤٢ب

قبة السهروردي

الكتابة التذكارية التي تعلو واجهة البدن الشمالية

٤٢ ـ أ

٤٢ ـ ب

٤٢د ٤٢ج

قبة السهروردي

الكتابة التذكارية التي تعلو واجهة البدن الشمالية

٤٢ - ج

٤٢ - د

٤٣ ـ أ

قبة الصليبية (عن كريزول)

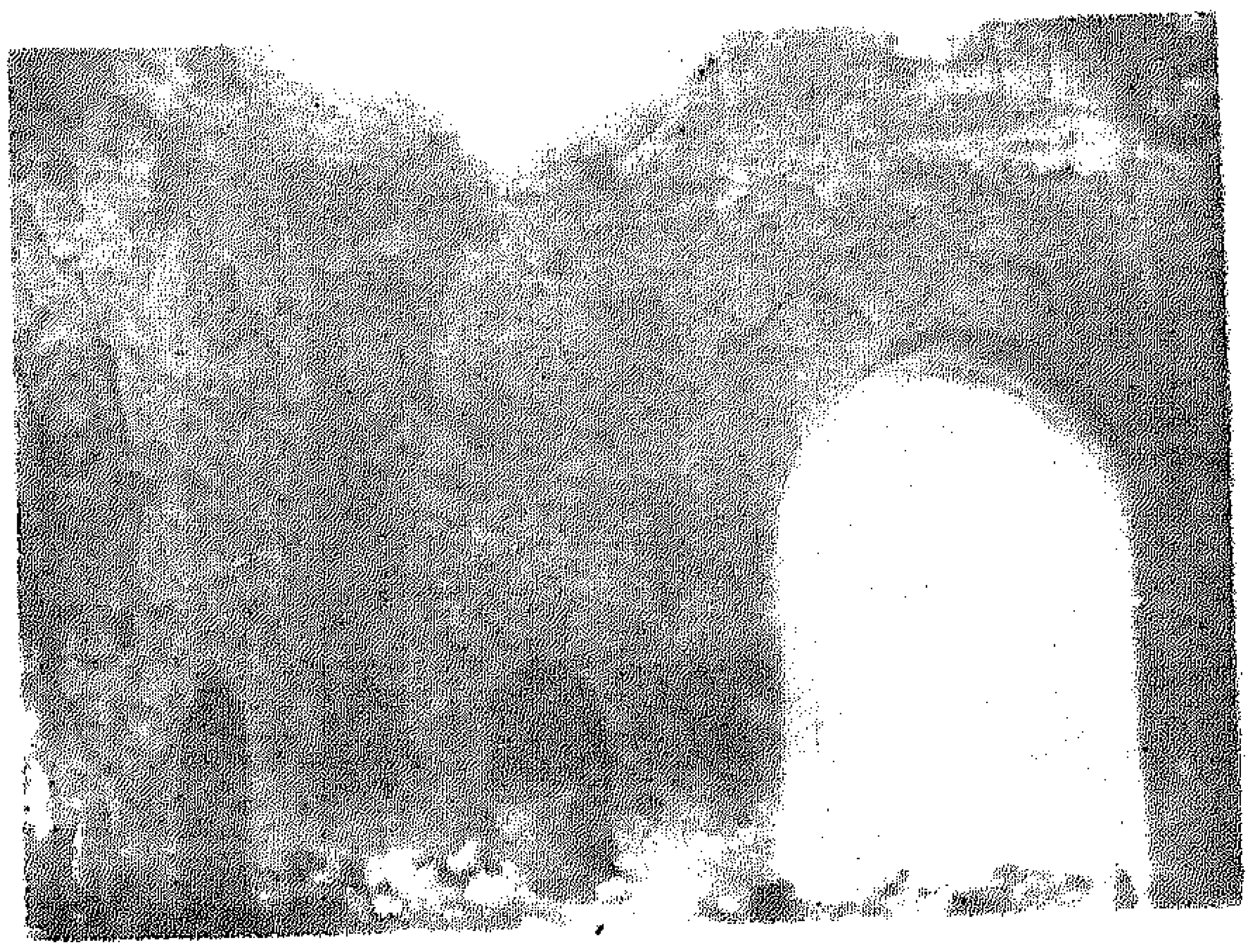

٤٣ ـ ب ـ قبة الصليبية بعد اعادة بناءها

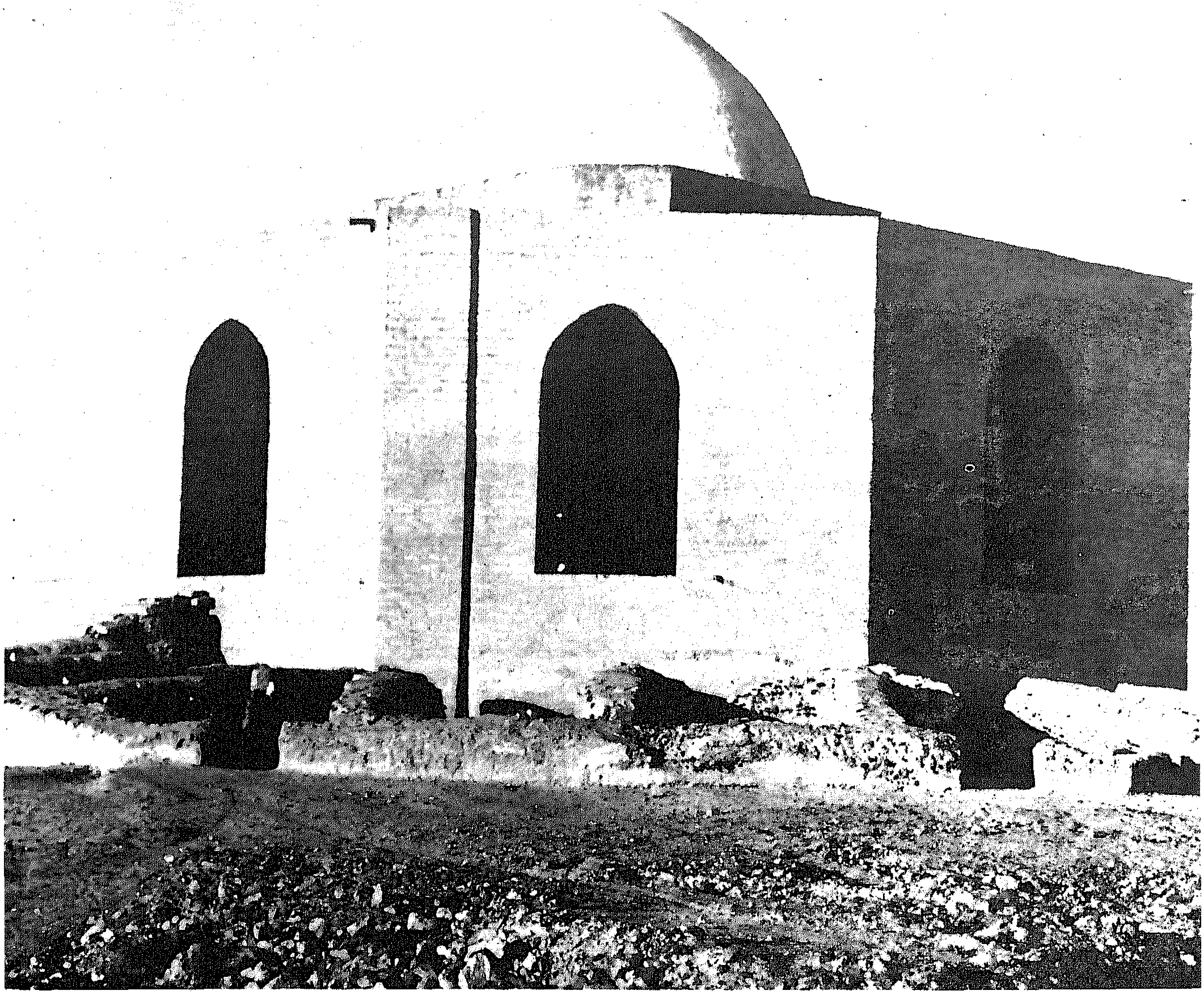

٤٤ ـ قبة الصليبية

مخطط ارضي ومقطع طولي

(عن هرتسفلد)

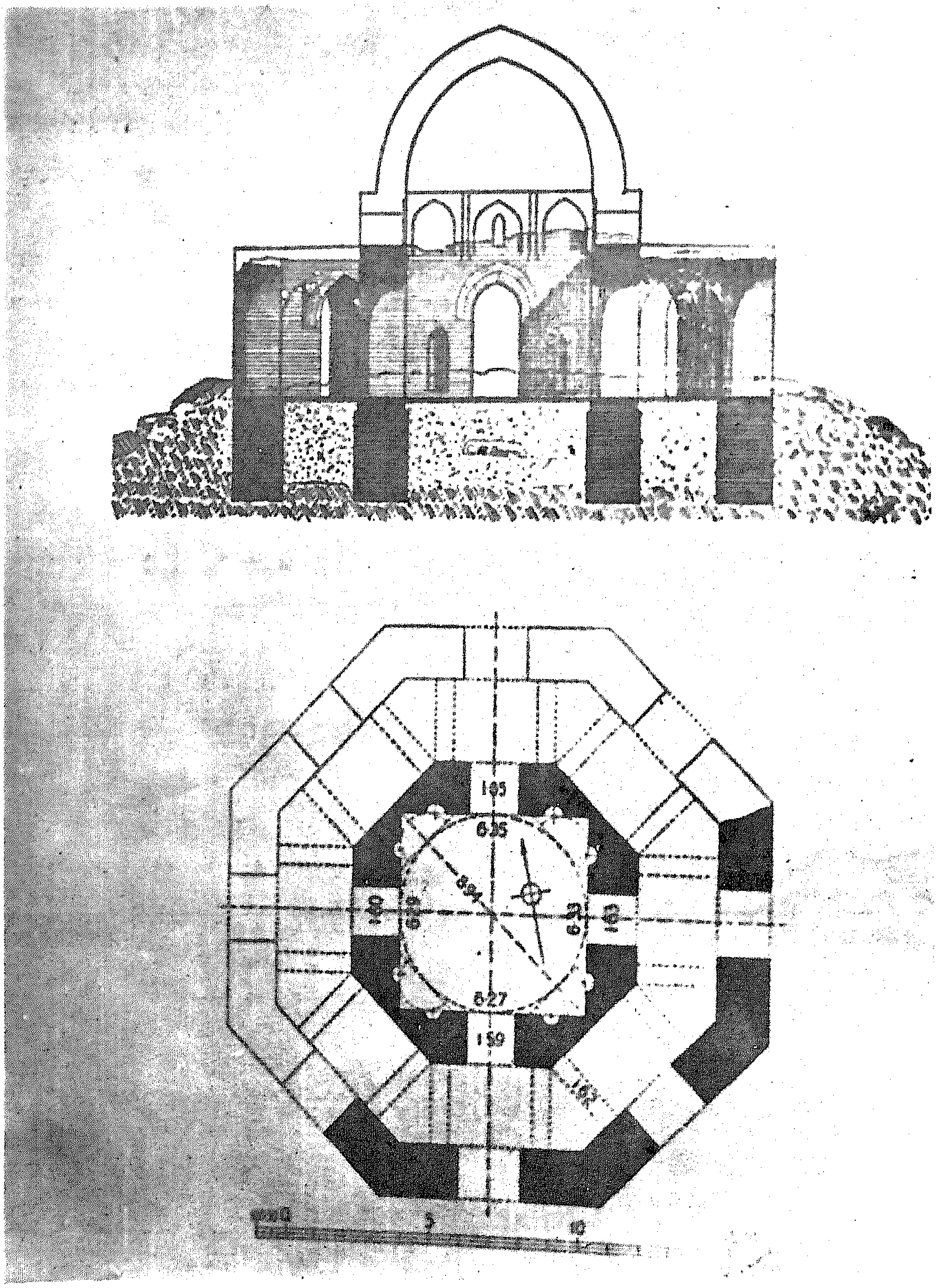

٤٥ ـ قبة اسماعيل الساماني في بخارىٰ

(عن بوب)

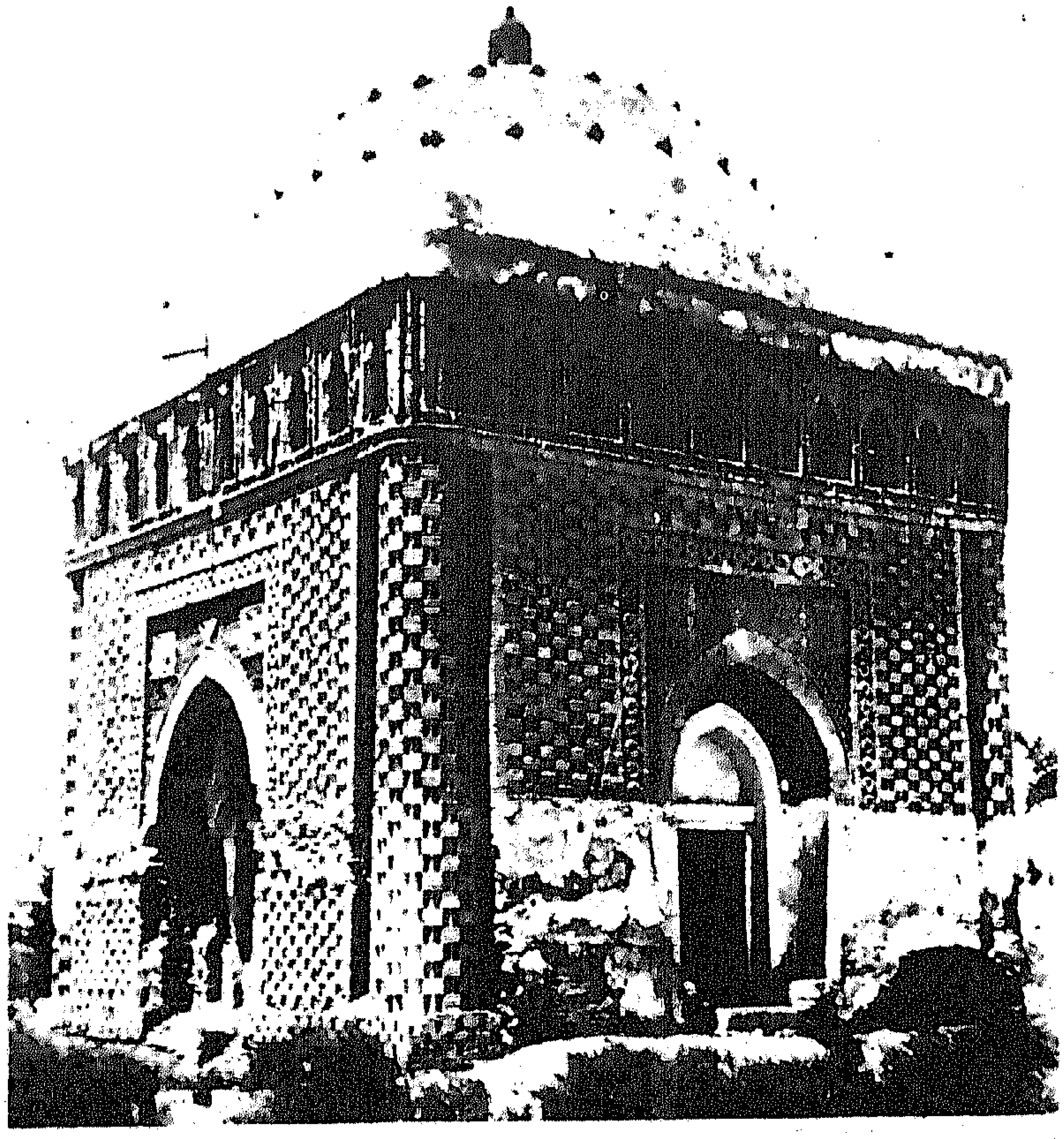

٤٦ أ
قباب القبور في مقابر اسوان
(عن كريزول)

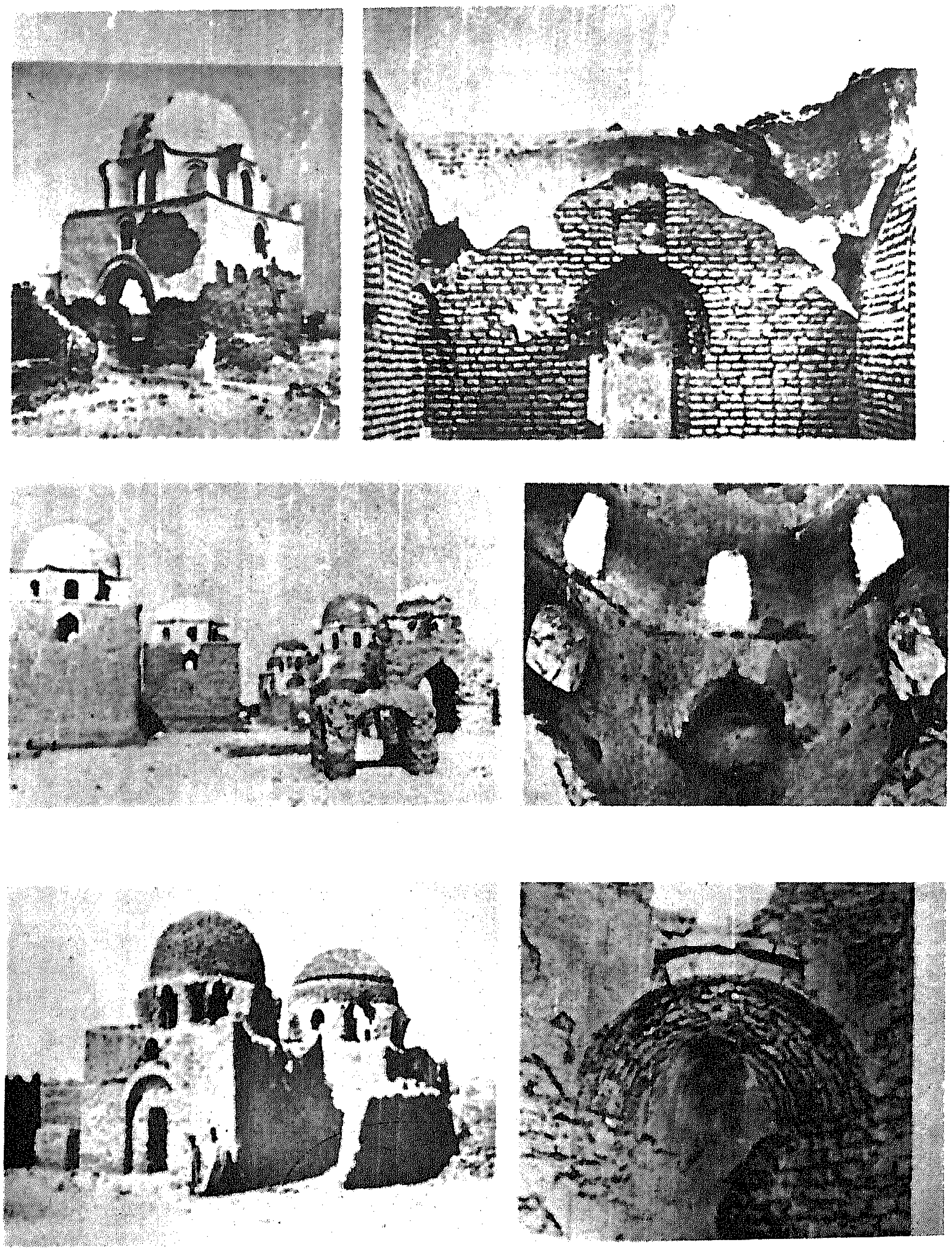

٤٦ ـ أ

٤٦ ب

قباب القبور في مقابر اسوان

(عن كريزول)

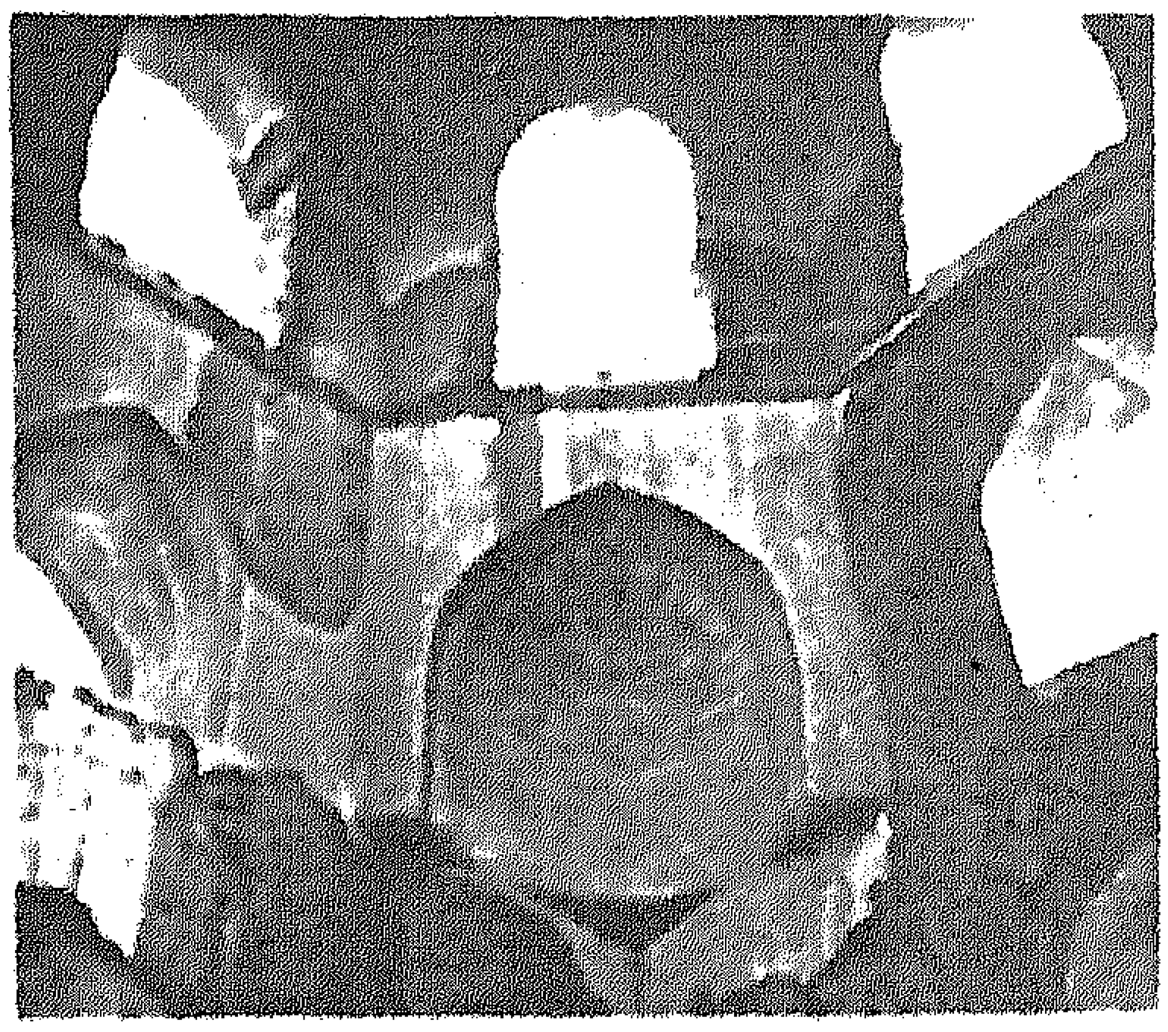
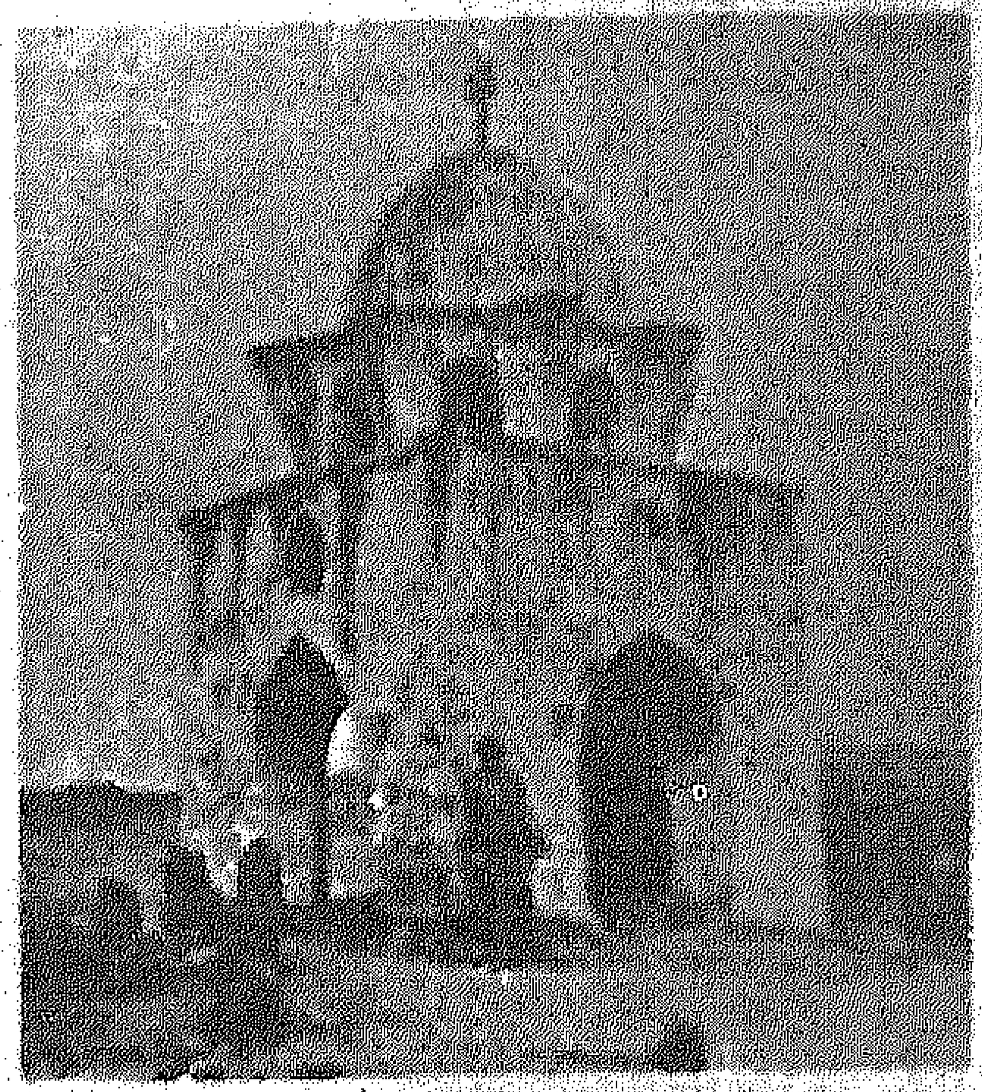
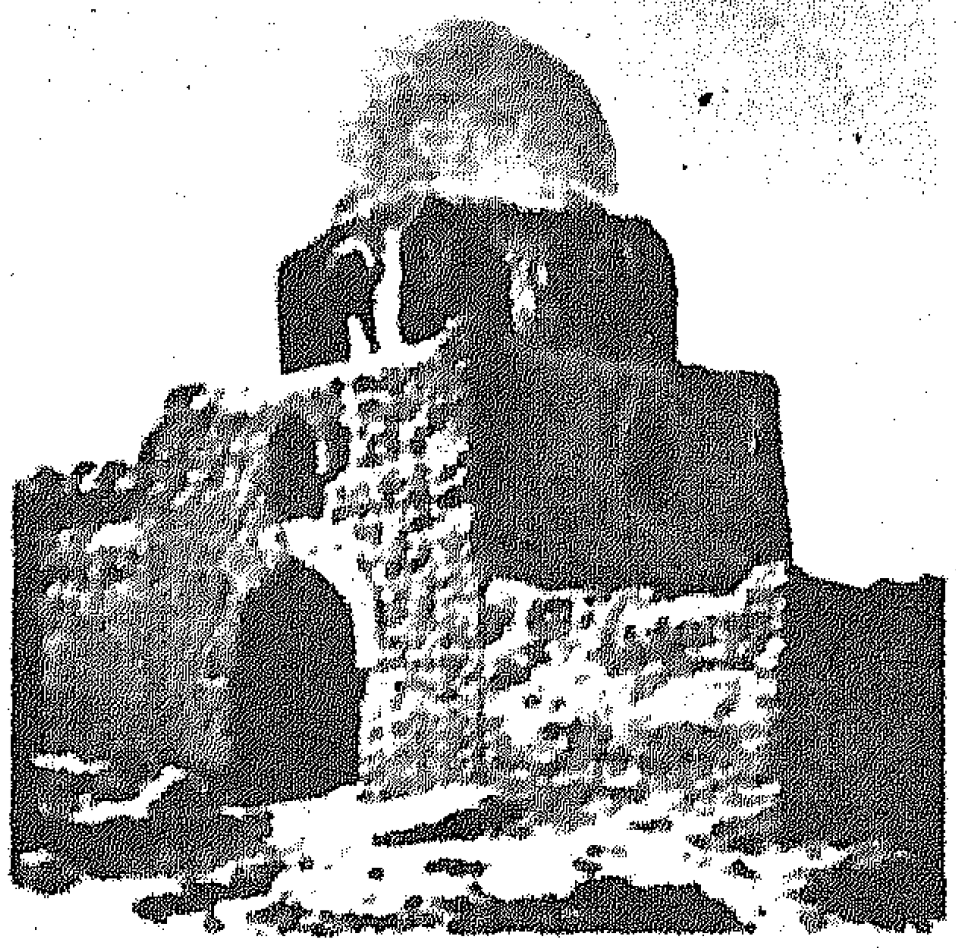
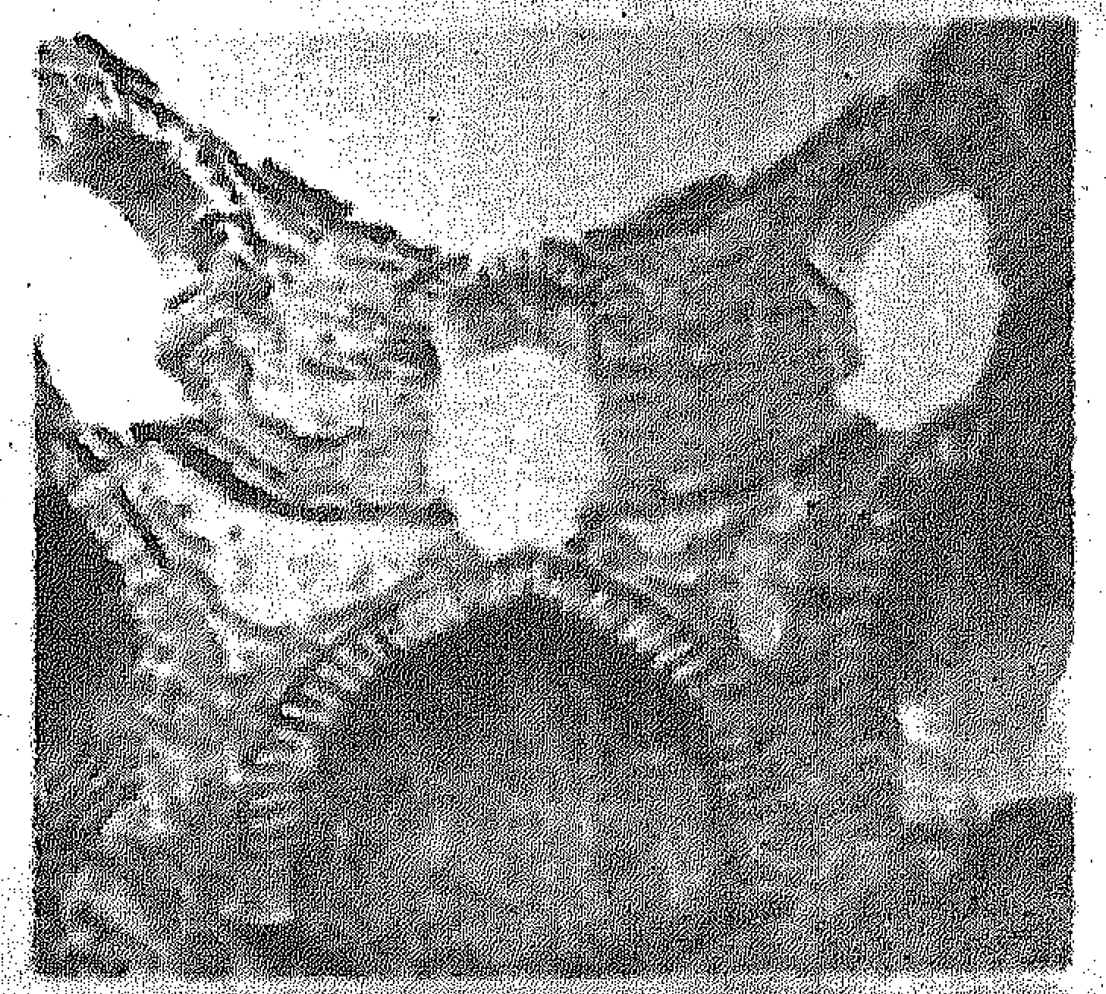

٤٦ ب

٤٧أ
٤٧ب
قباب القبور بازاء مشهد الشمس

٤٧ ـ أ

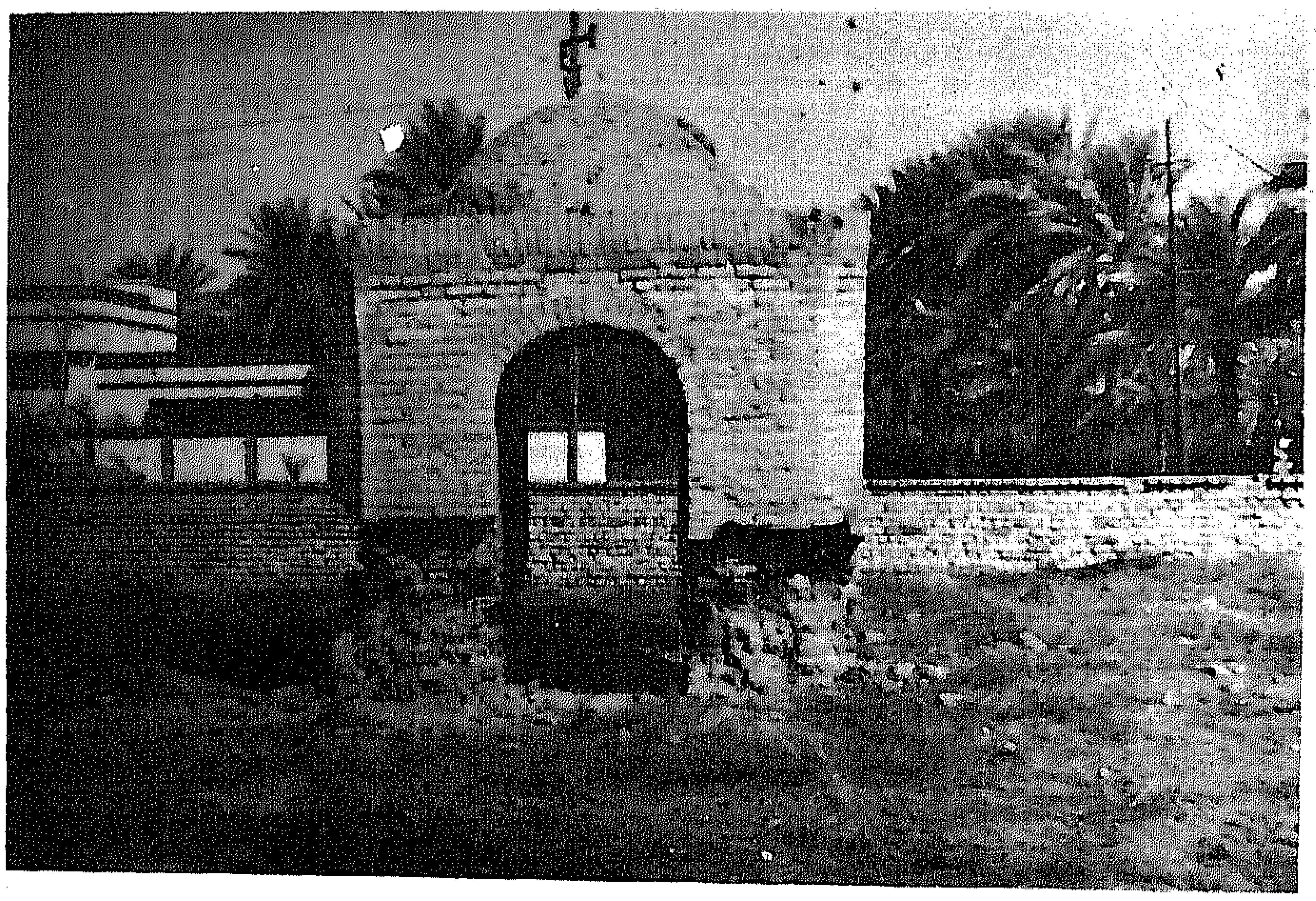

٤٧ ـ ب

٤٧ج

قباب القبور بازاء مشهد الشمس

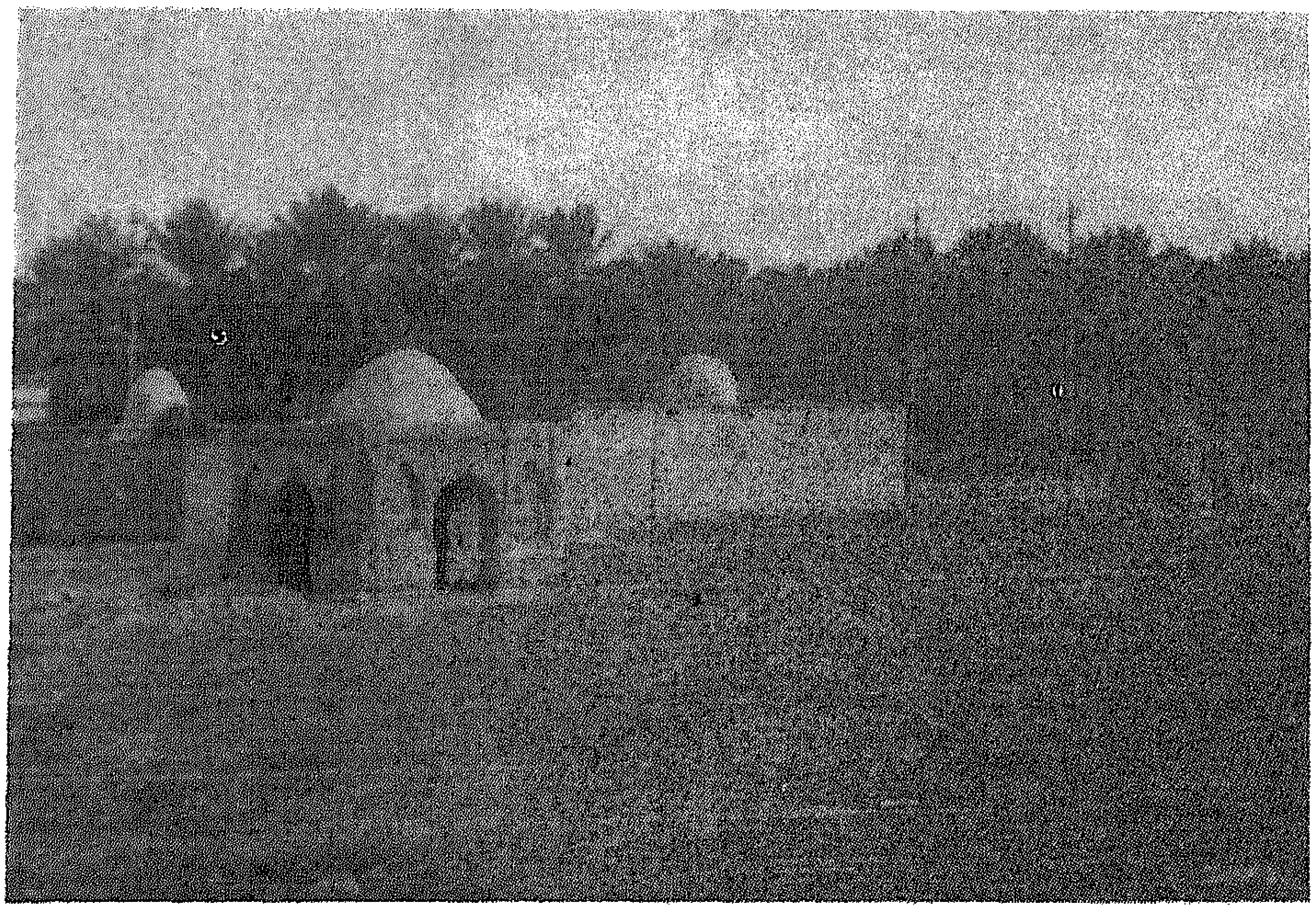

٤٧ - ج

٤٨ ـ رسم من عمل الراهب رابركوس للخيام التي شاهدها عند زيارته لبلاط المغول سنة ٦٥١هـ /١٢٥٣م

(عن تمارا رايس)

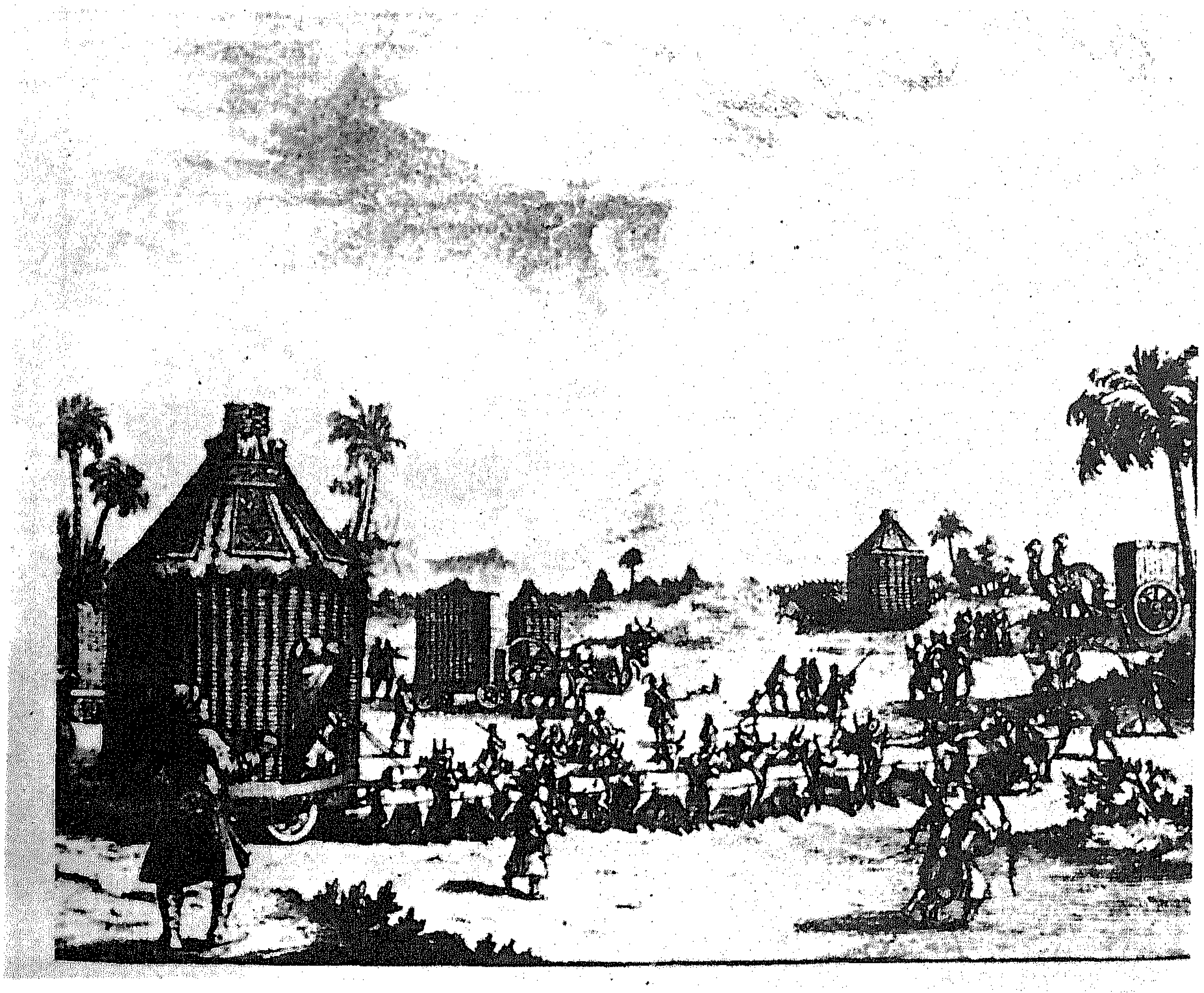

٤٩ ـ قباب قبور ارضروم
(عن هل وكرير)

٥٠ ـ قبة ضريح فخر الدين الرازي
القرن ٦ هـ / ١٢ م

(عن اثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي)

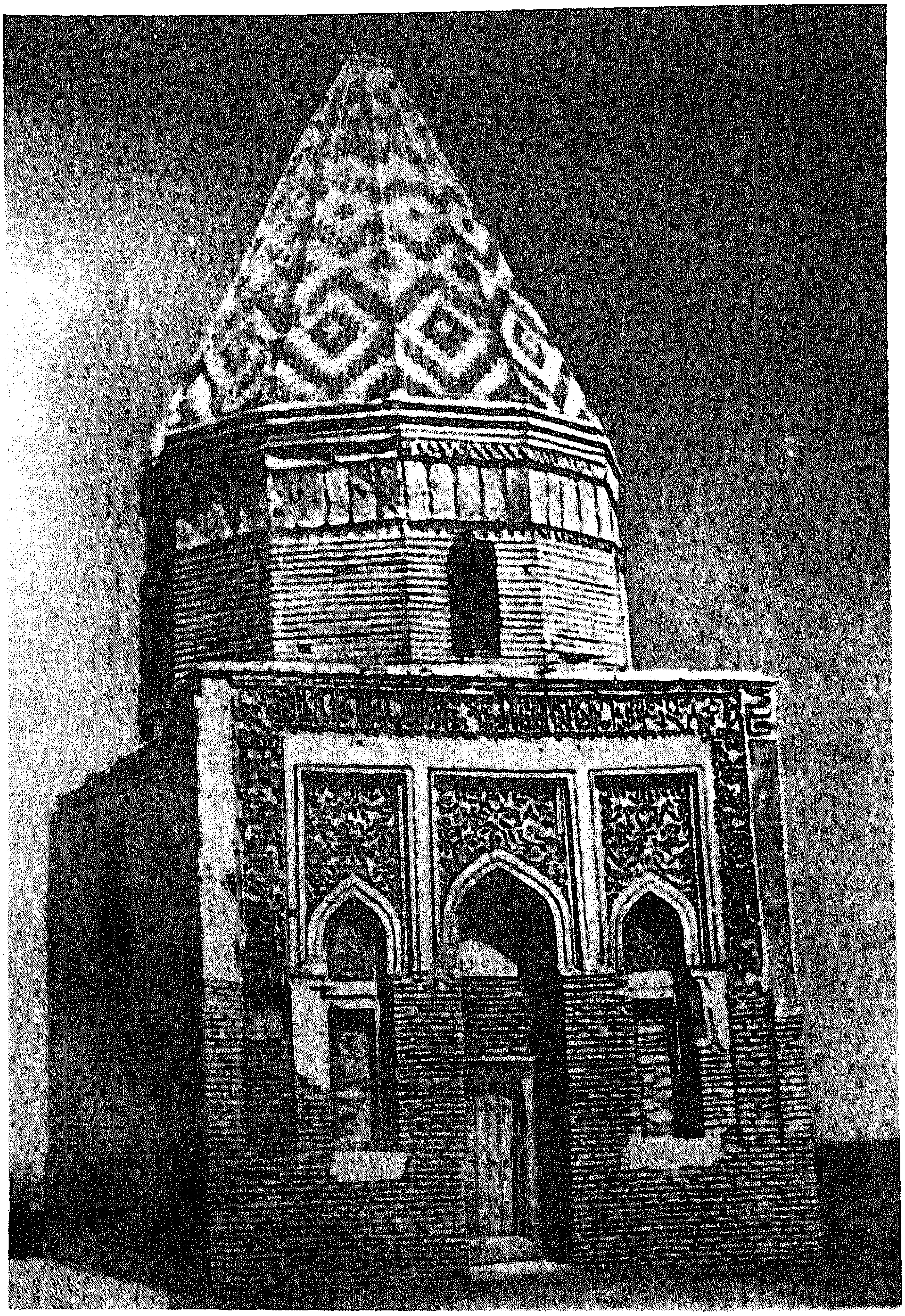

٥١ ـ قبة ضريح يوسف بن قصير ،
نخجوان
(٥٥٦ ـ ٥٥٧هـ /١١٦١ ـ ١١٦٢م)
(عن اثار الاسلام التاريخية في الاتحاد
السوفيتي)

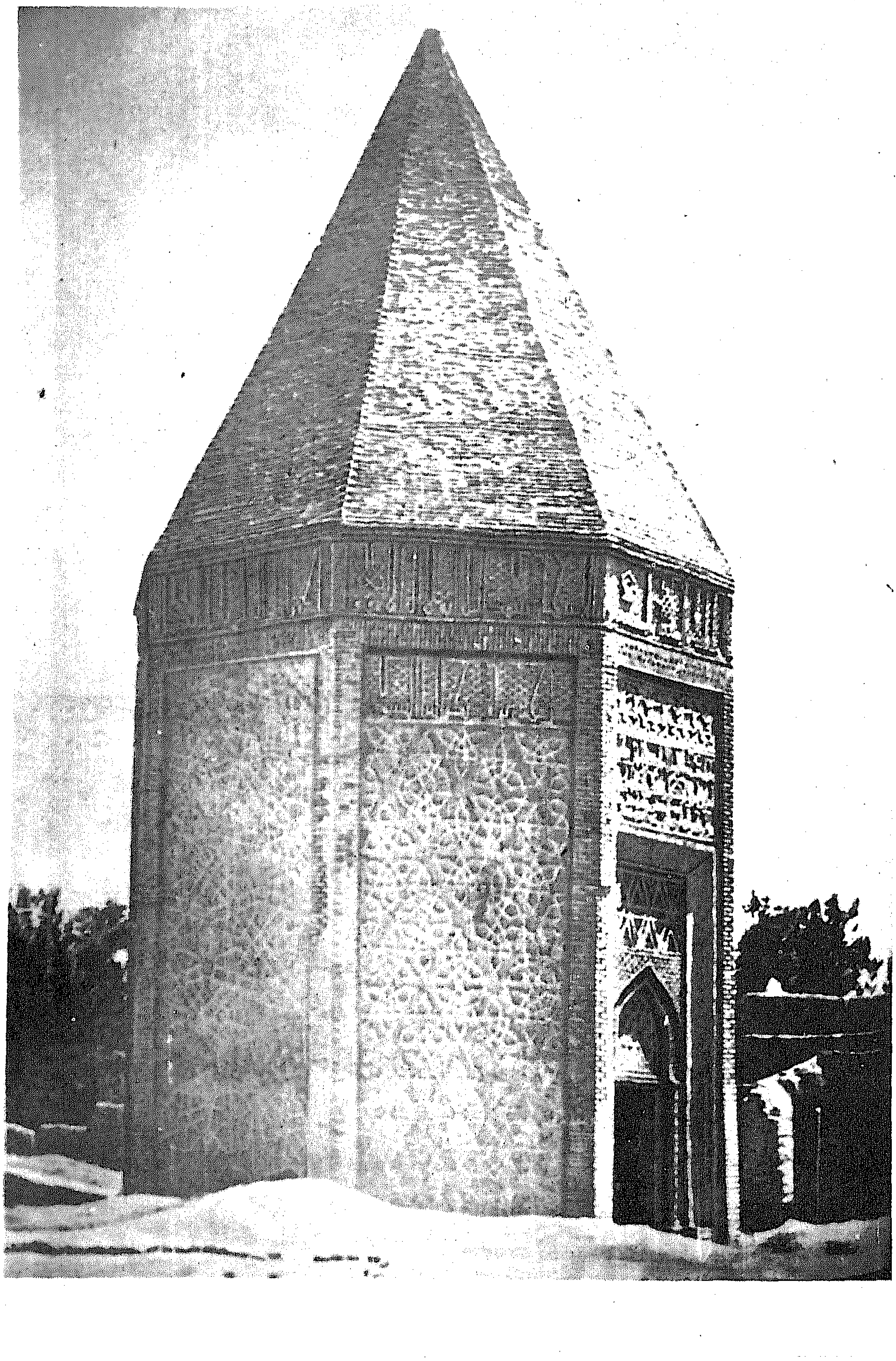

٥٢ ـ قبة ضريح مؤمنة خاتون ، نخجوان
(٥٨٢هـ /١١٨٦م)
(عن اثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي)

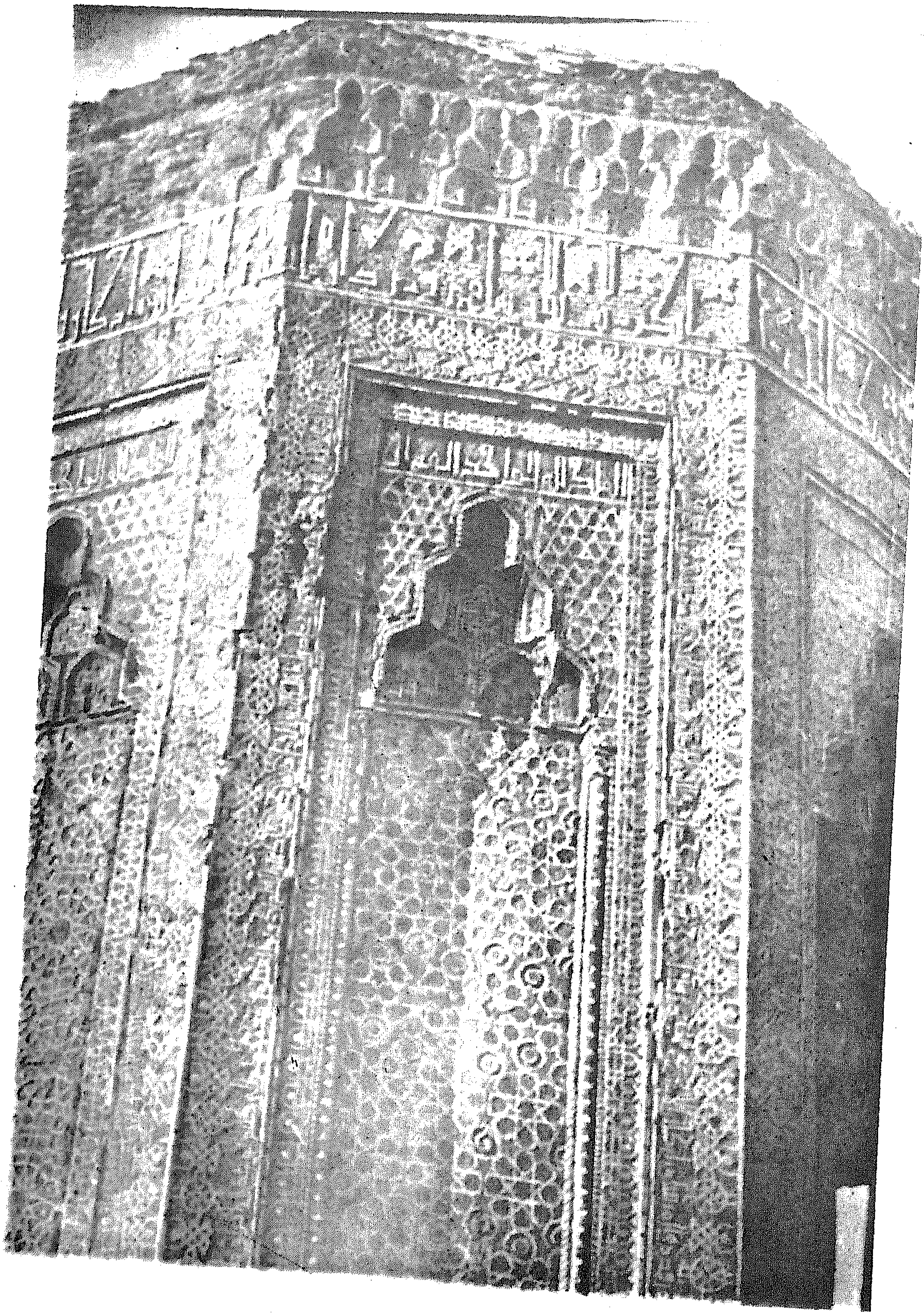

٥٣ ـ قبة ضريح بردة

(٧٢٢هـ /١٣٢٢م)

(عن اثار الاسلام التاريخية في الاتحــاد السوفيتي)

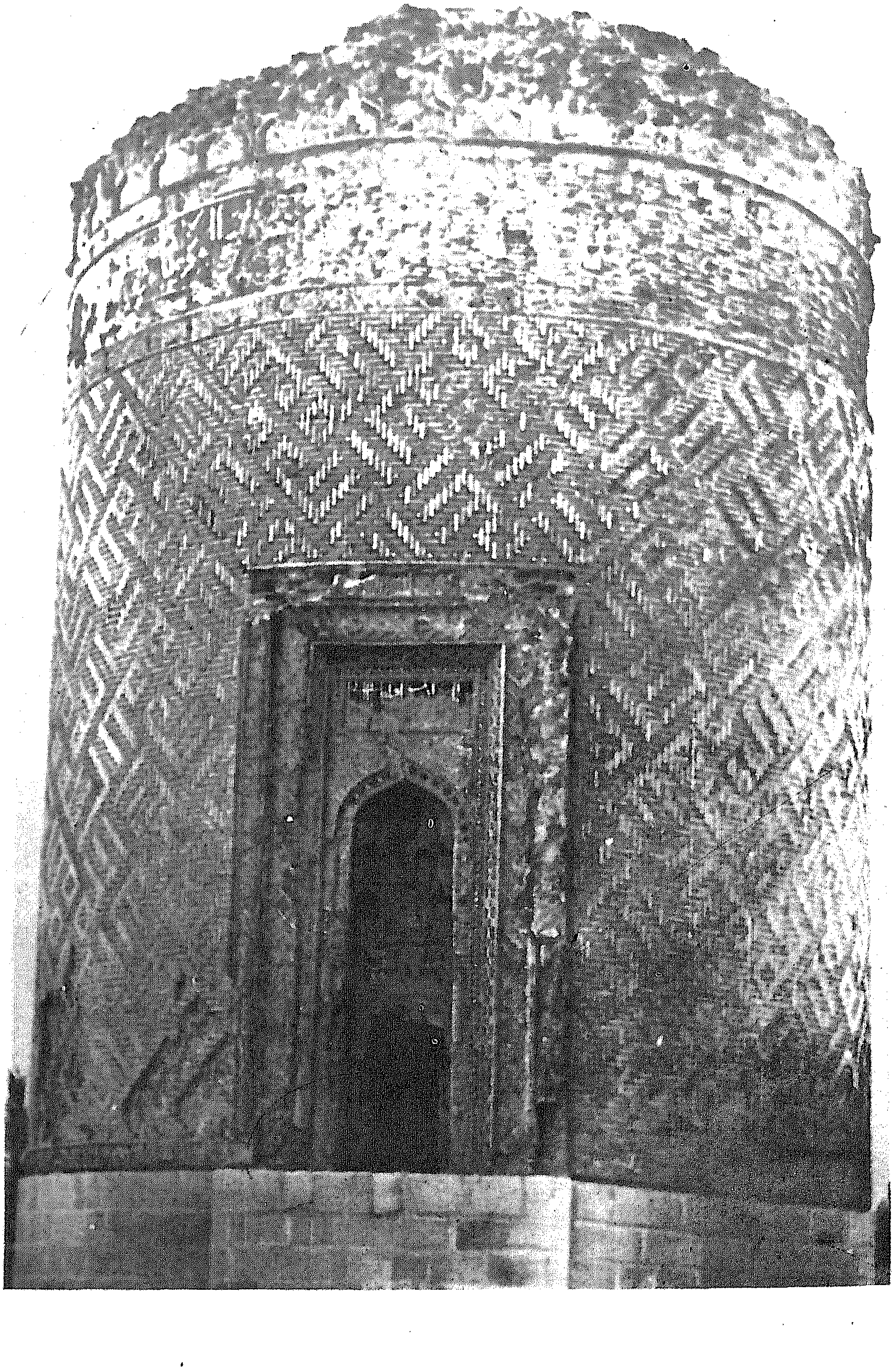

٥٤ ـ ضريح قابوس بن وشمكير ، جرجان
(عن بوب)

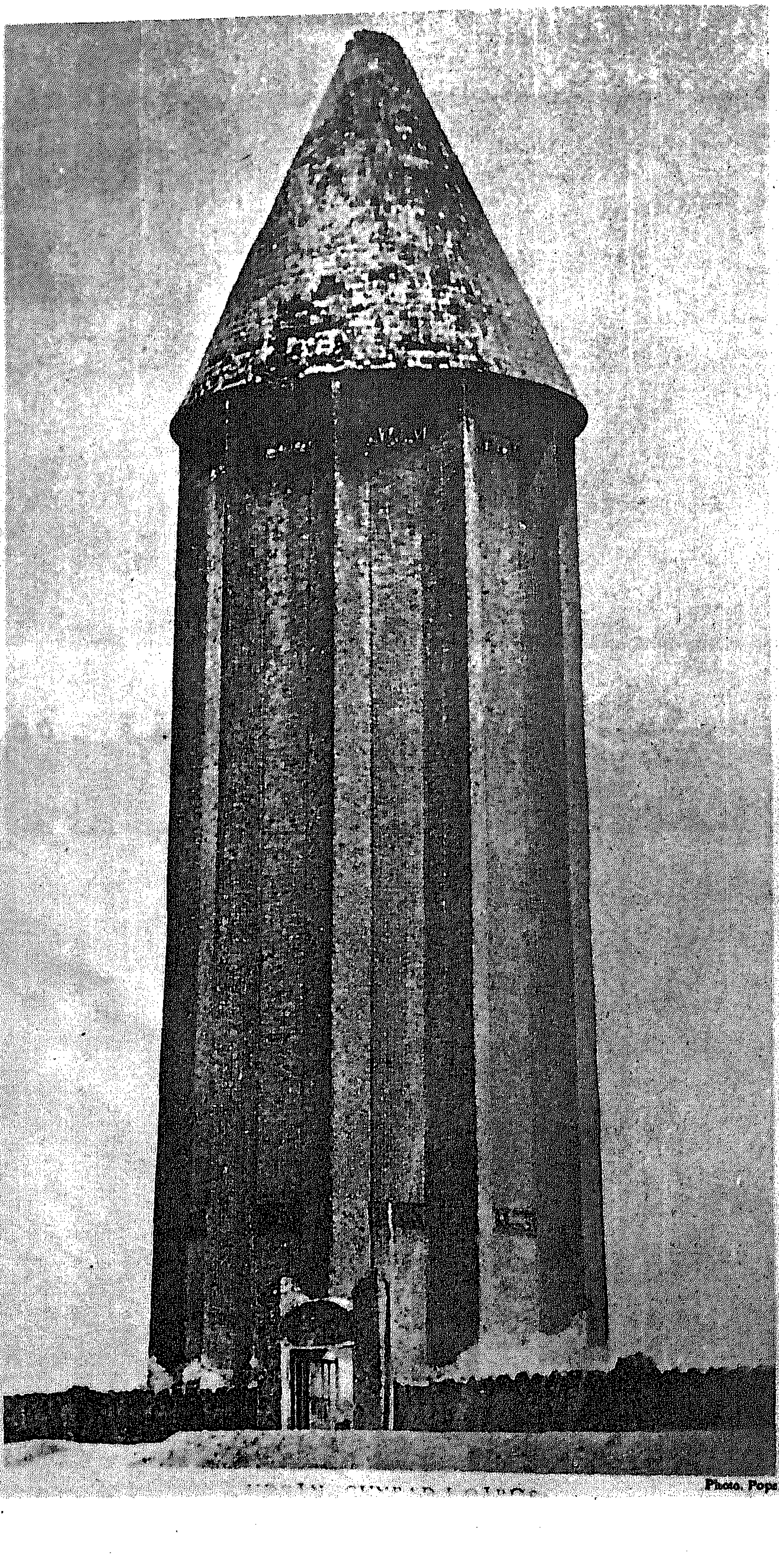

Photo. Pope

٥٥ ـ قبة ضريح قابوس بن وشمكير
اجزاء حيث تظهر بعض الكتابات الكوفية
(عن بوب)

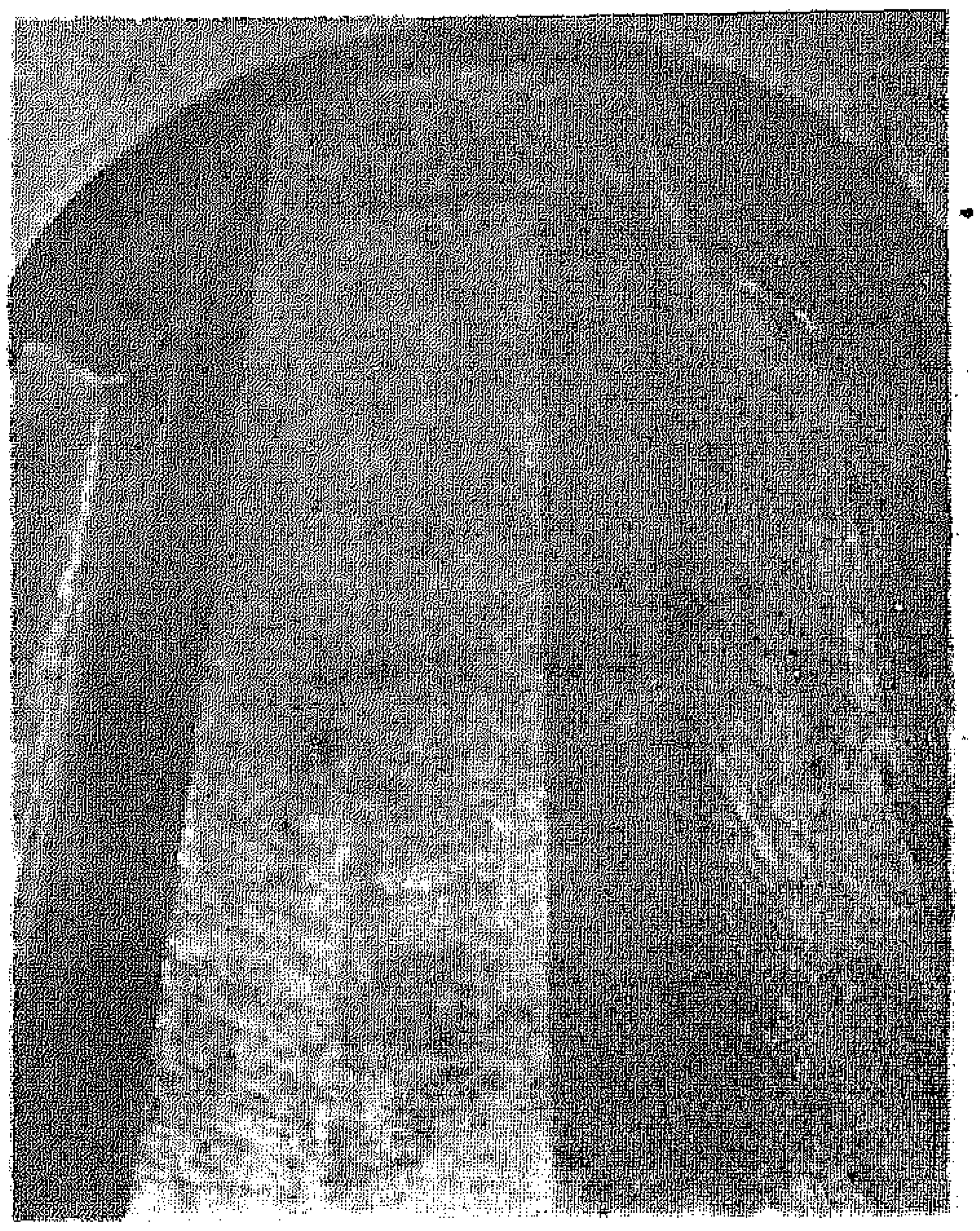
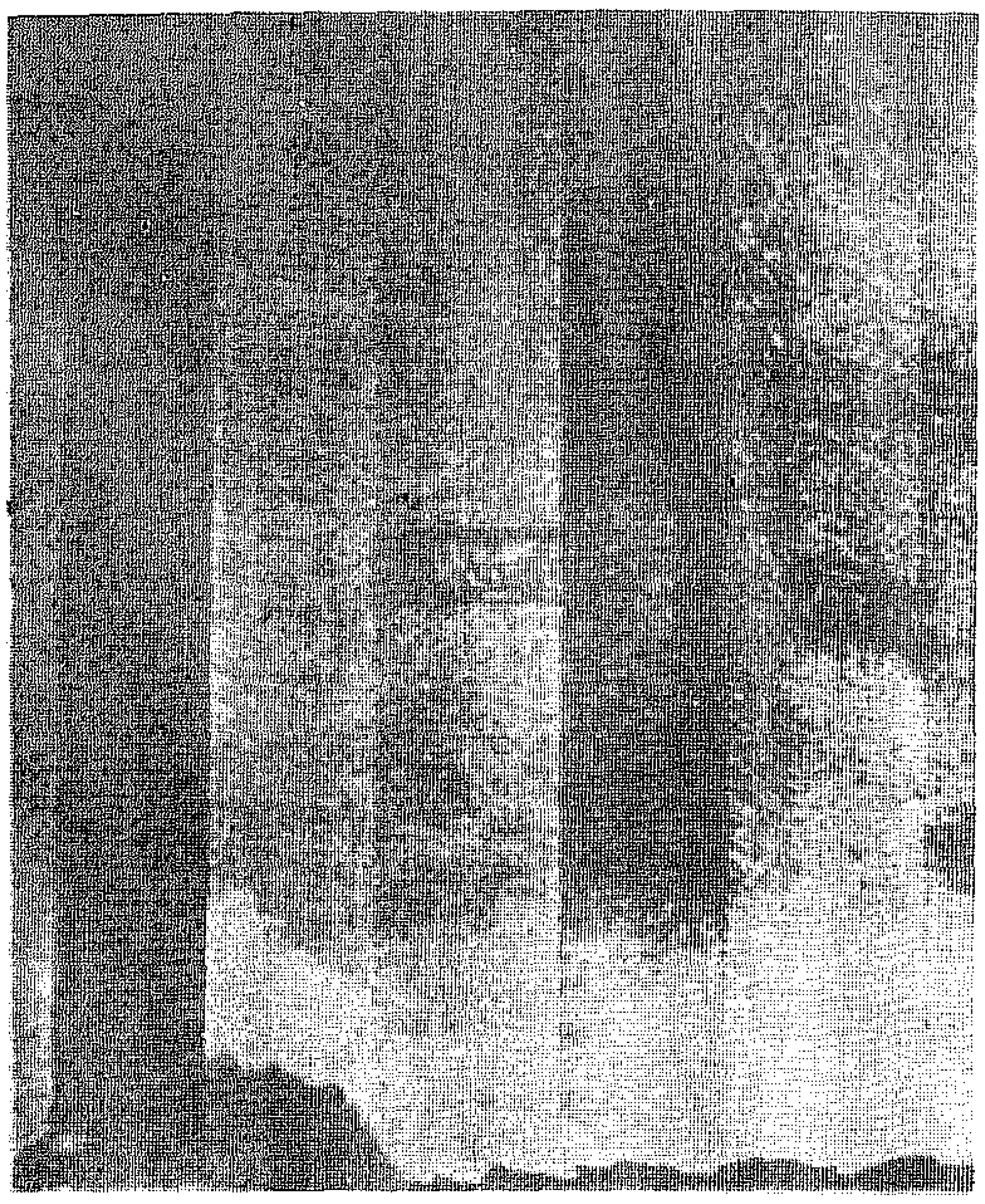
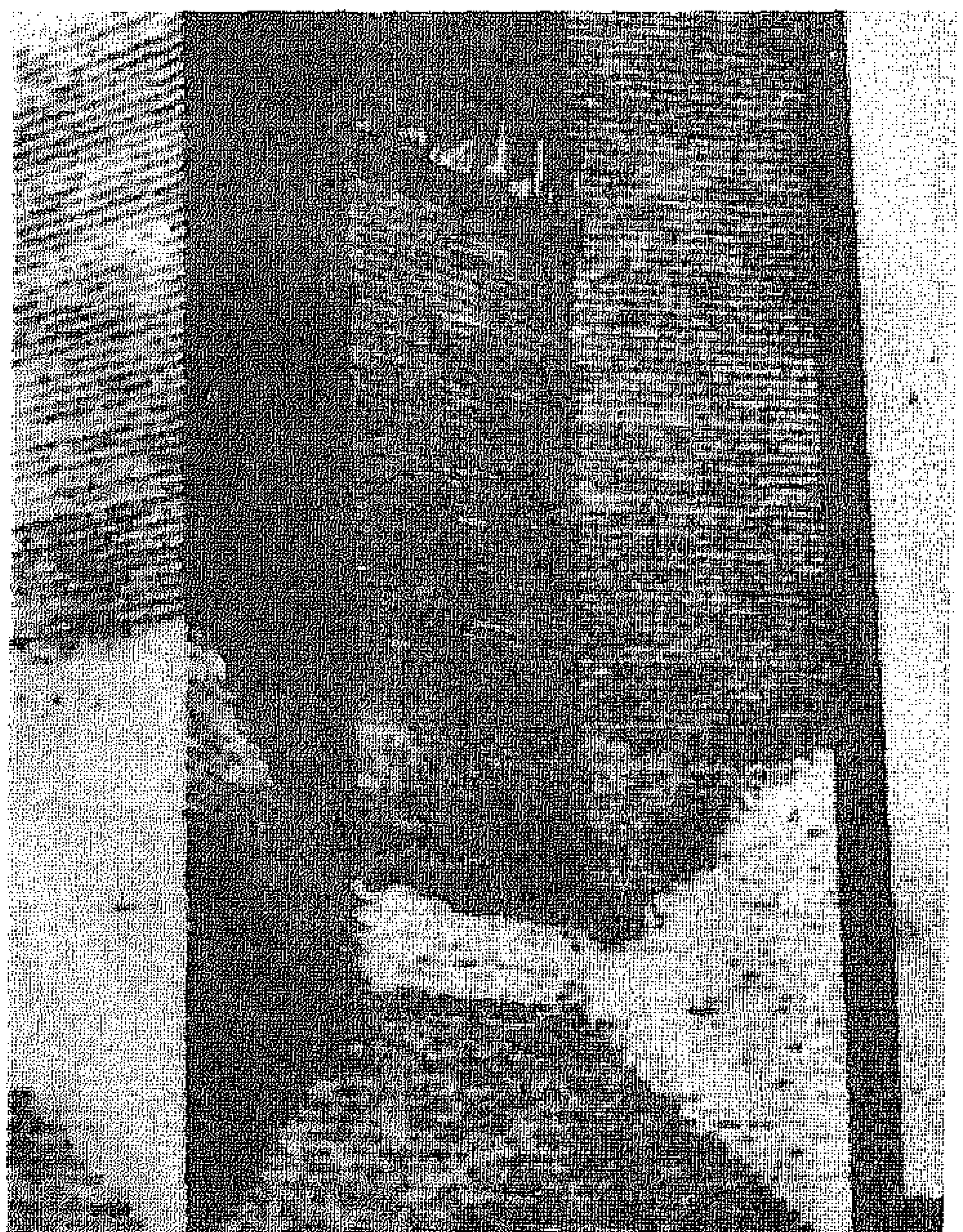
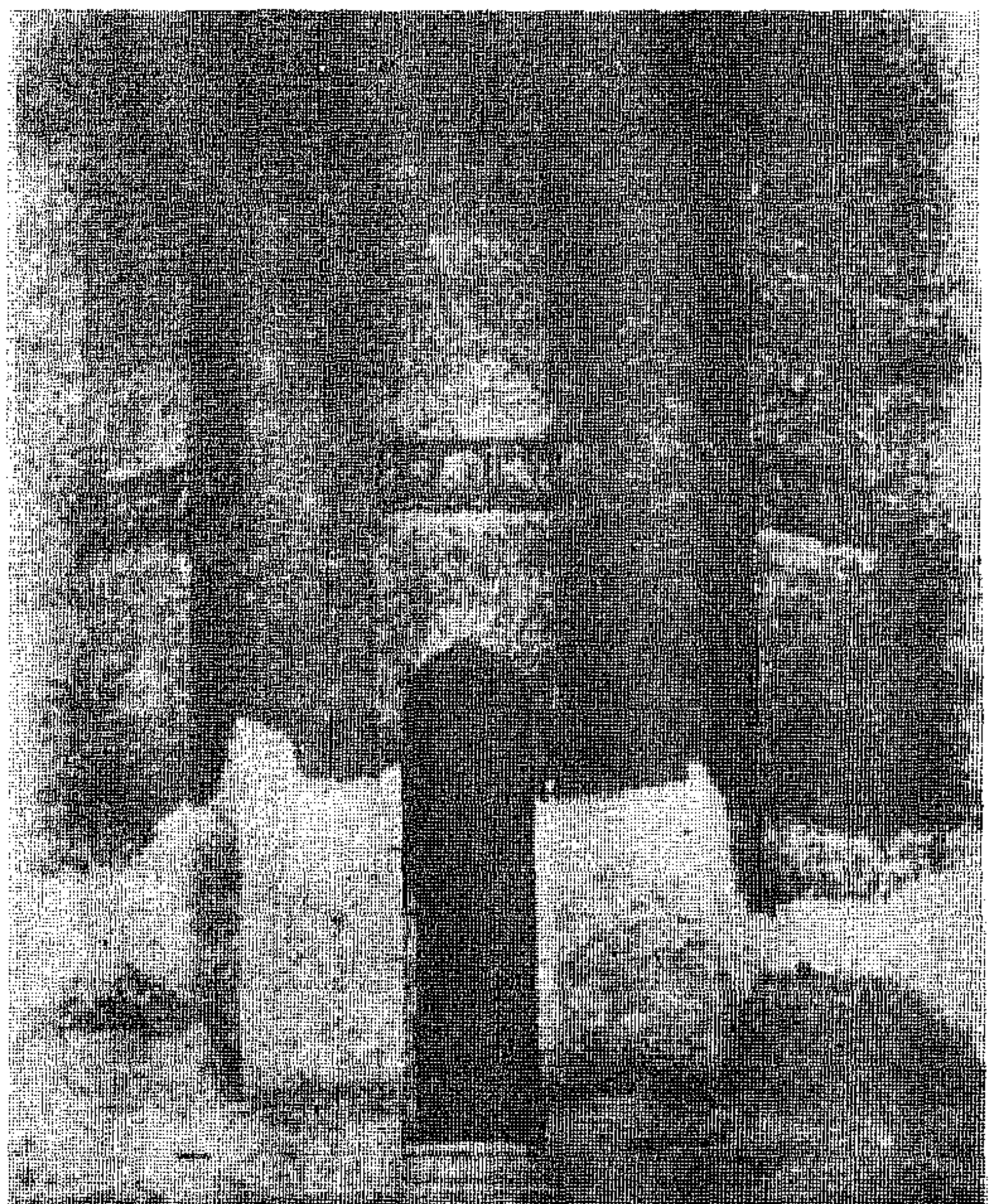

٥٦ ـ قبة ضريح محمود الغزنوي، غزنة
(عن بوب)

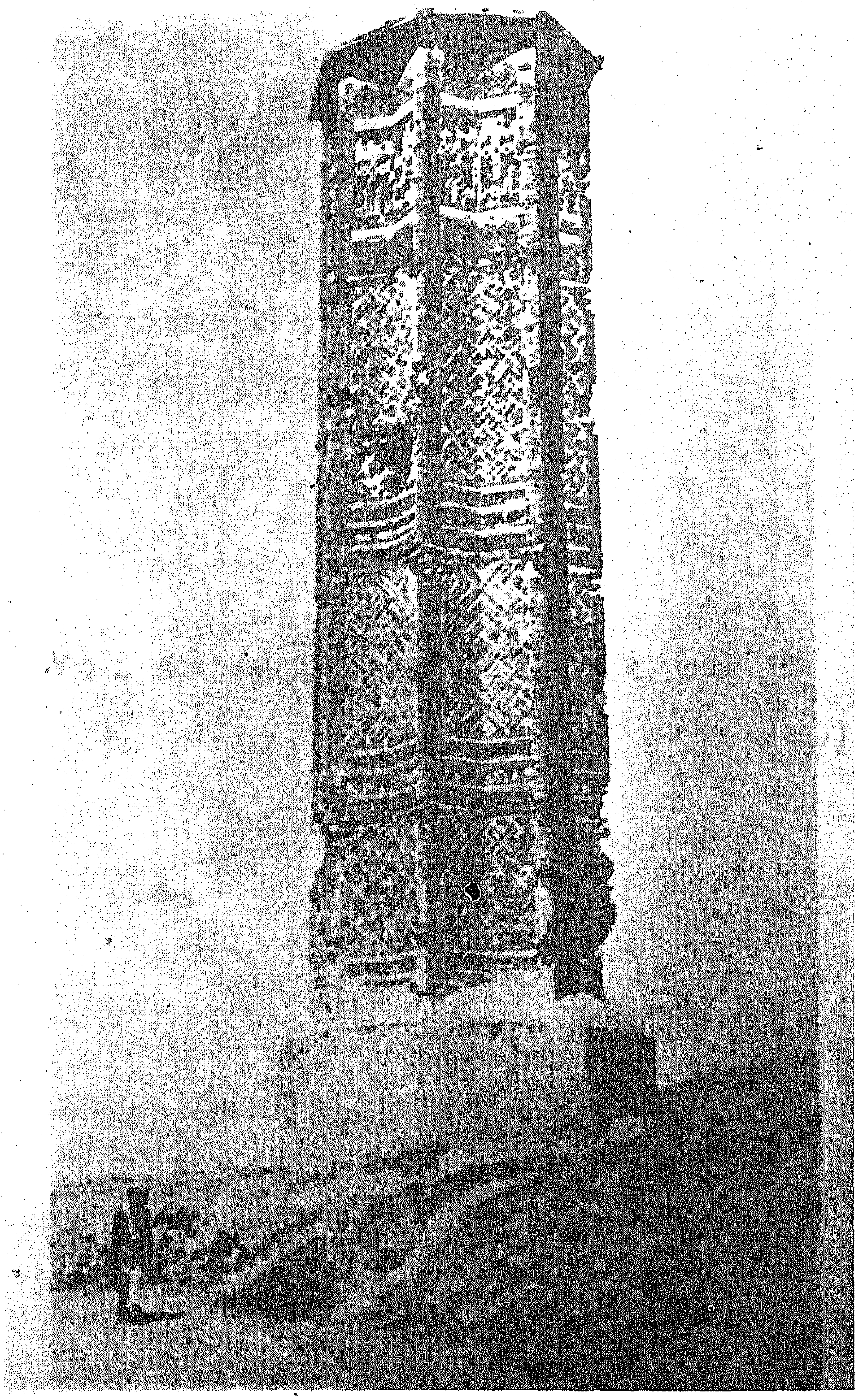

٥٧ ـ قبة ضريح مسعود الغزنوي، غزنة
(عن بوب)

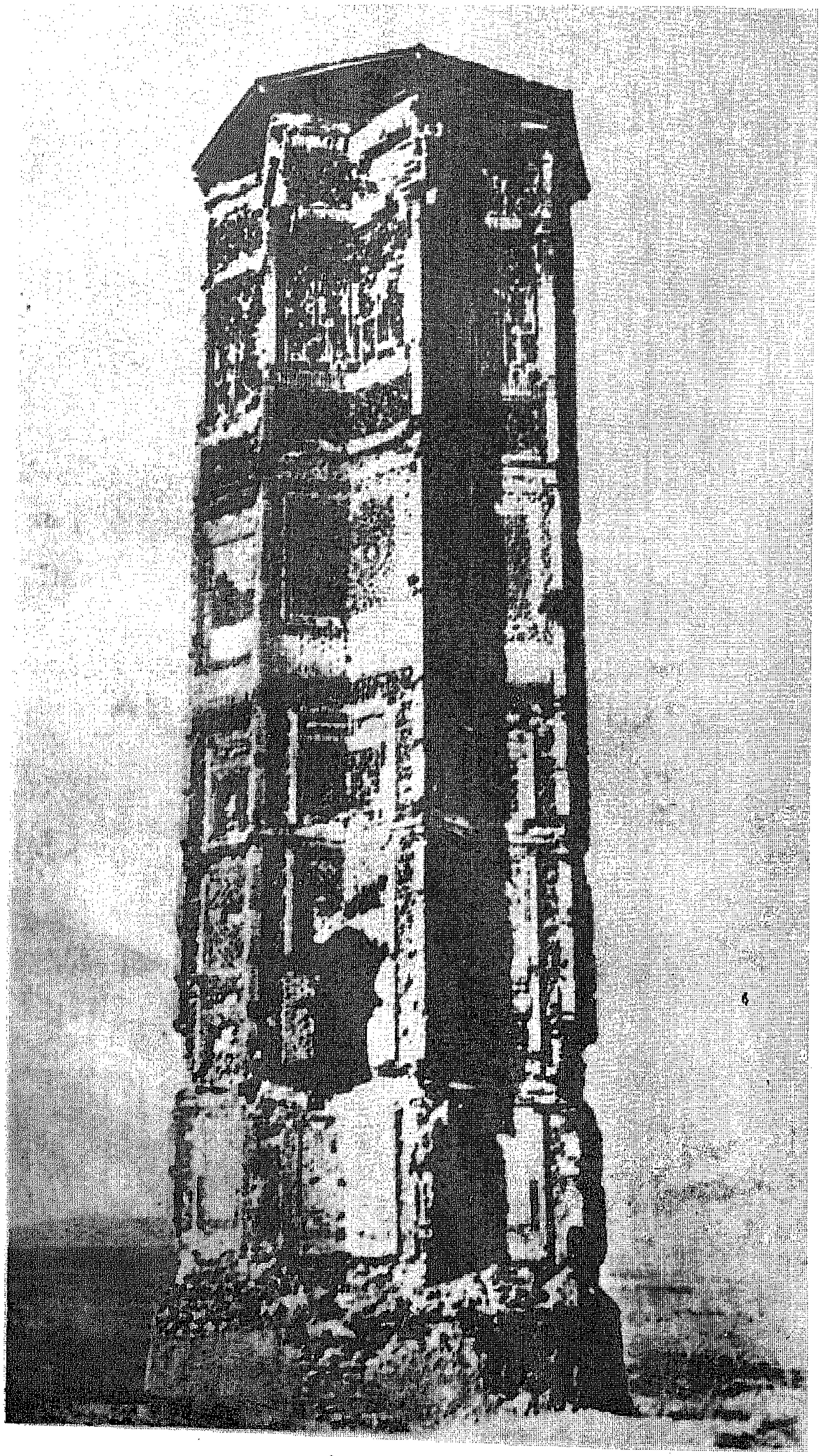

٥٨ ـ قبة مشهد يحيى ابو القاسم
الموصل

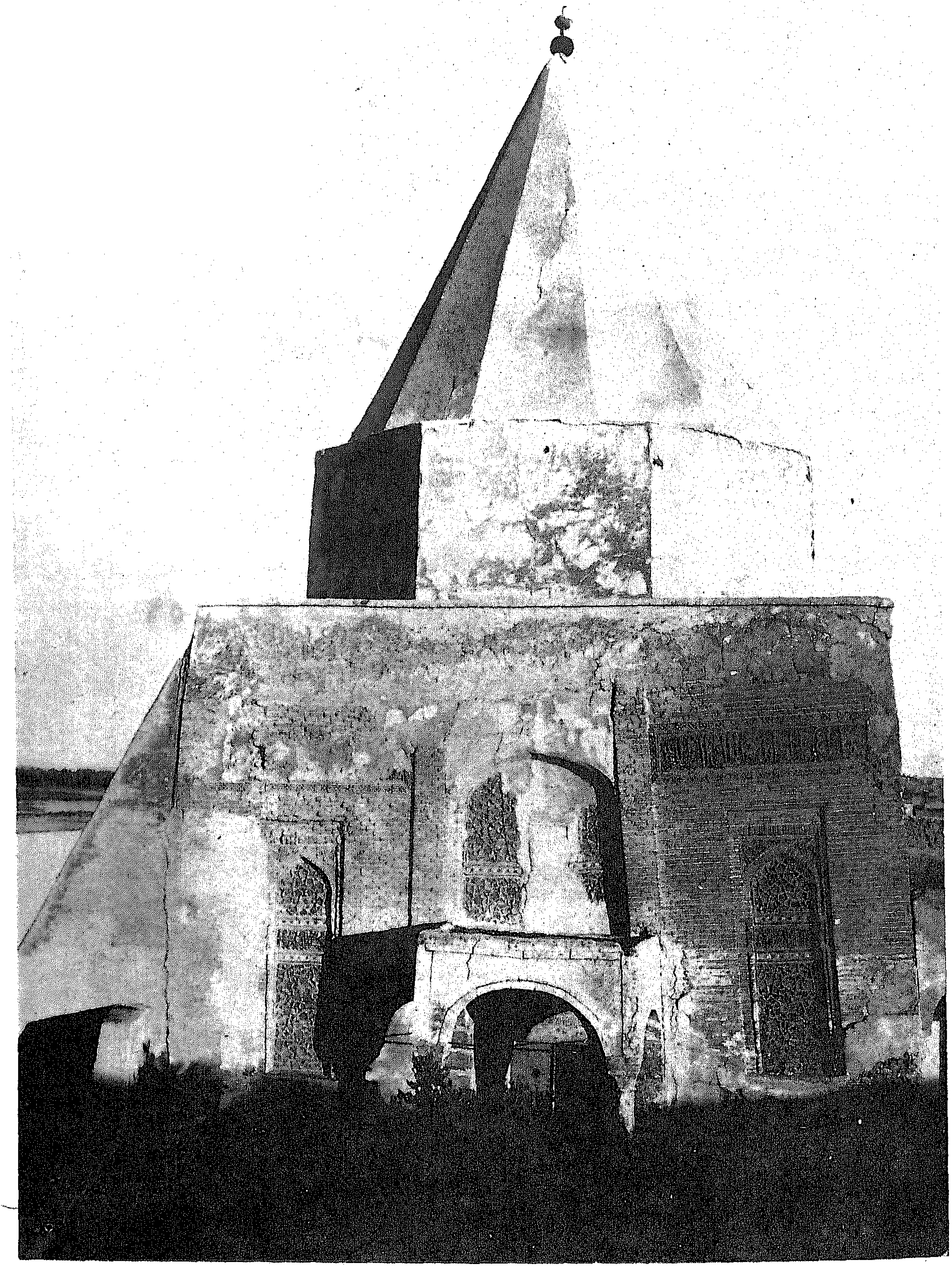

٥٩ ـ قبة مشهد عون الدين بن الحسن
الموصل

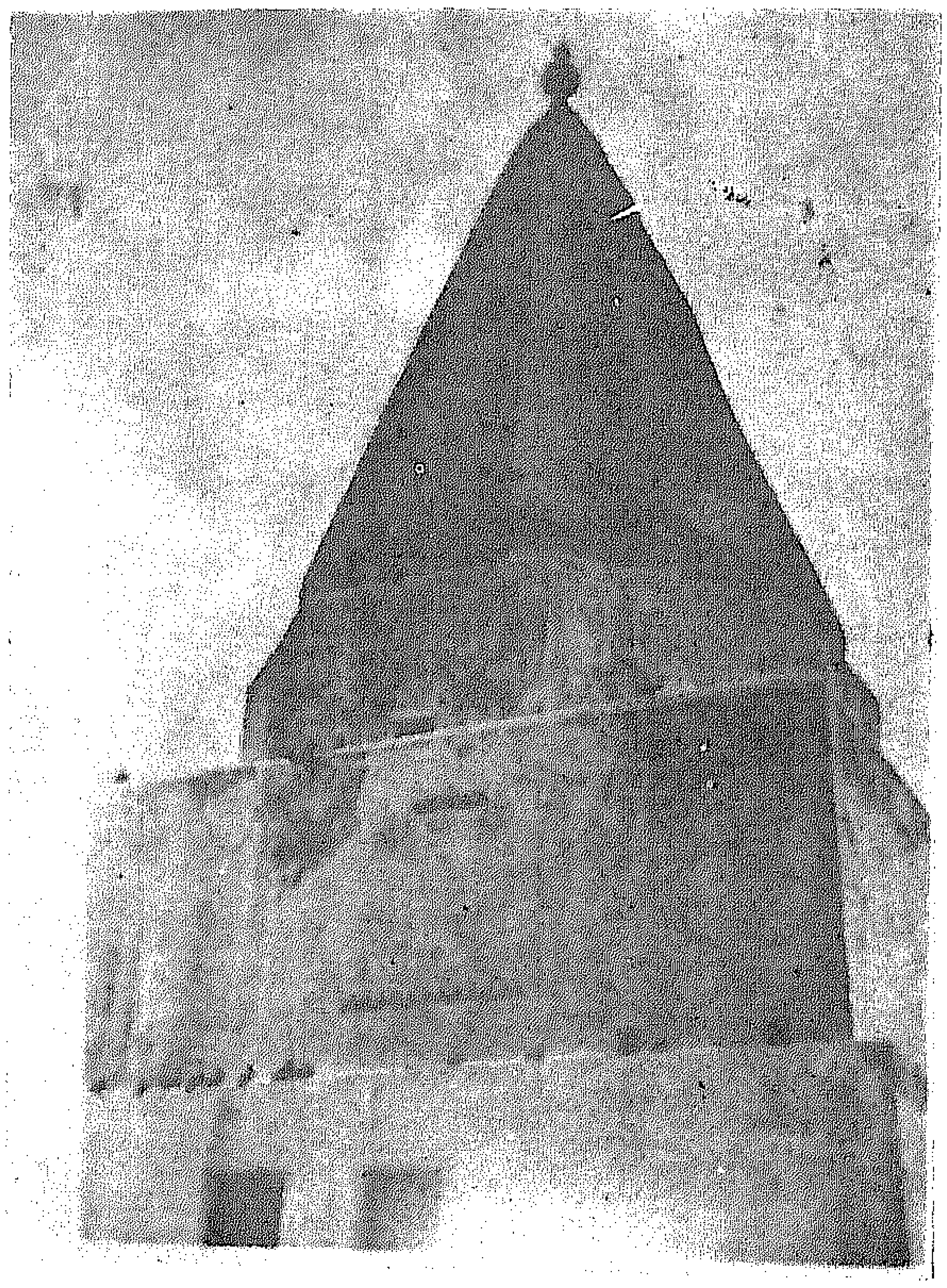

٦٠ ـ قبة داقوق

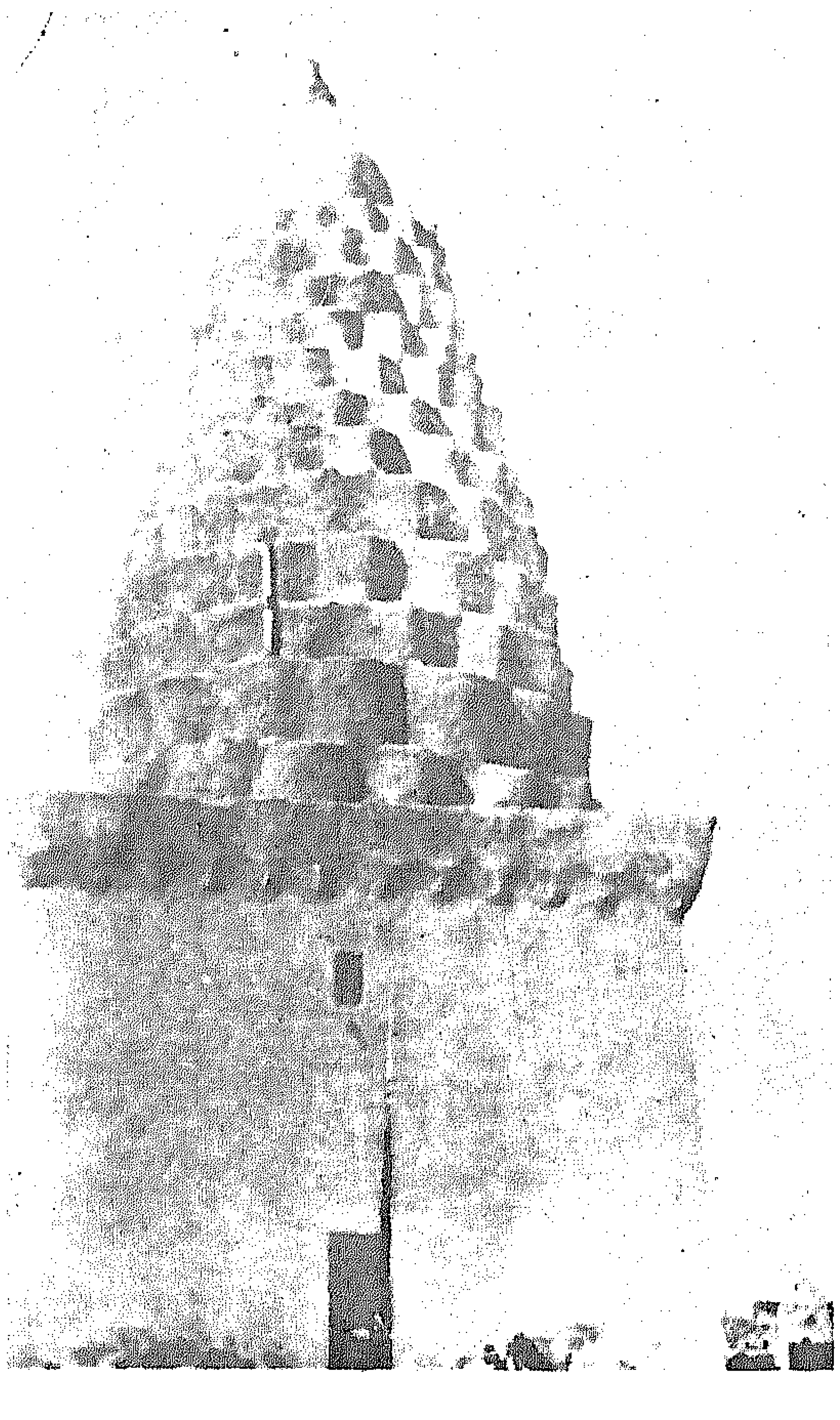

٦١ ـ قبة ضريح نور الدين زنكي، دمشق

(عن الريحاوي)

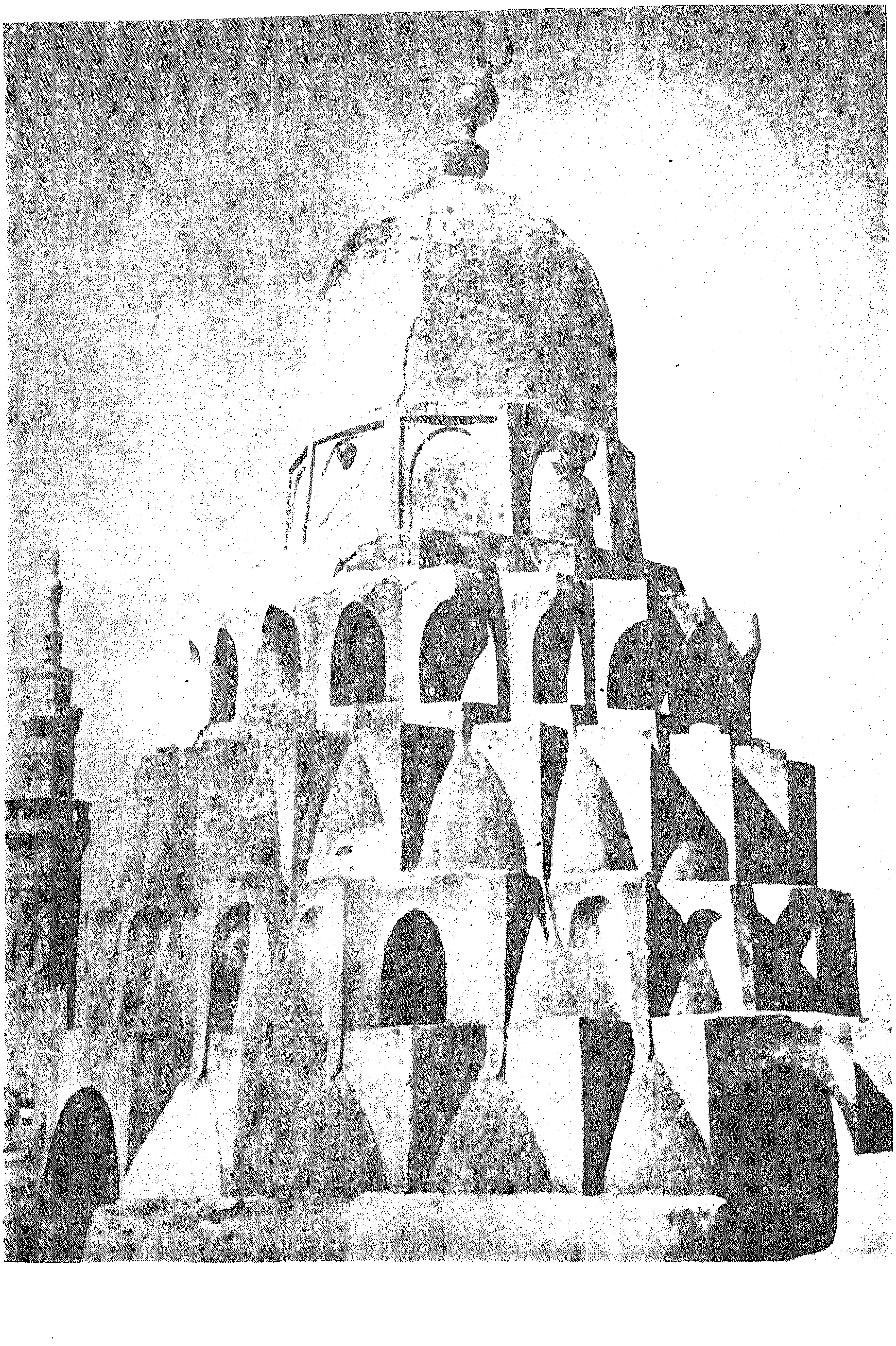

٦٢ ـ ضريح نور الدين زنكي من الداخل

(عن الريحاوي)

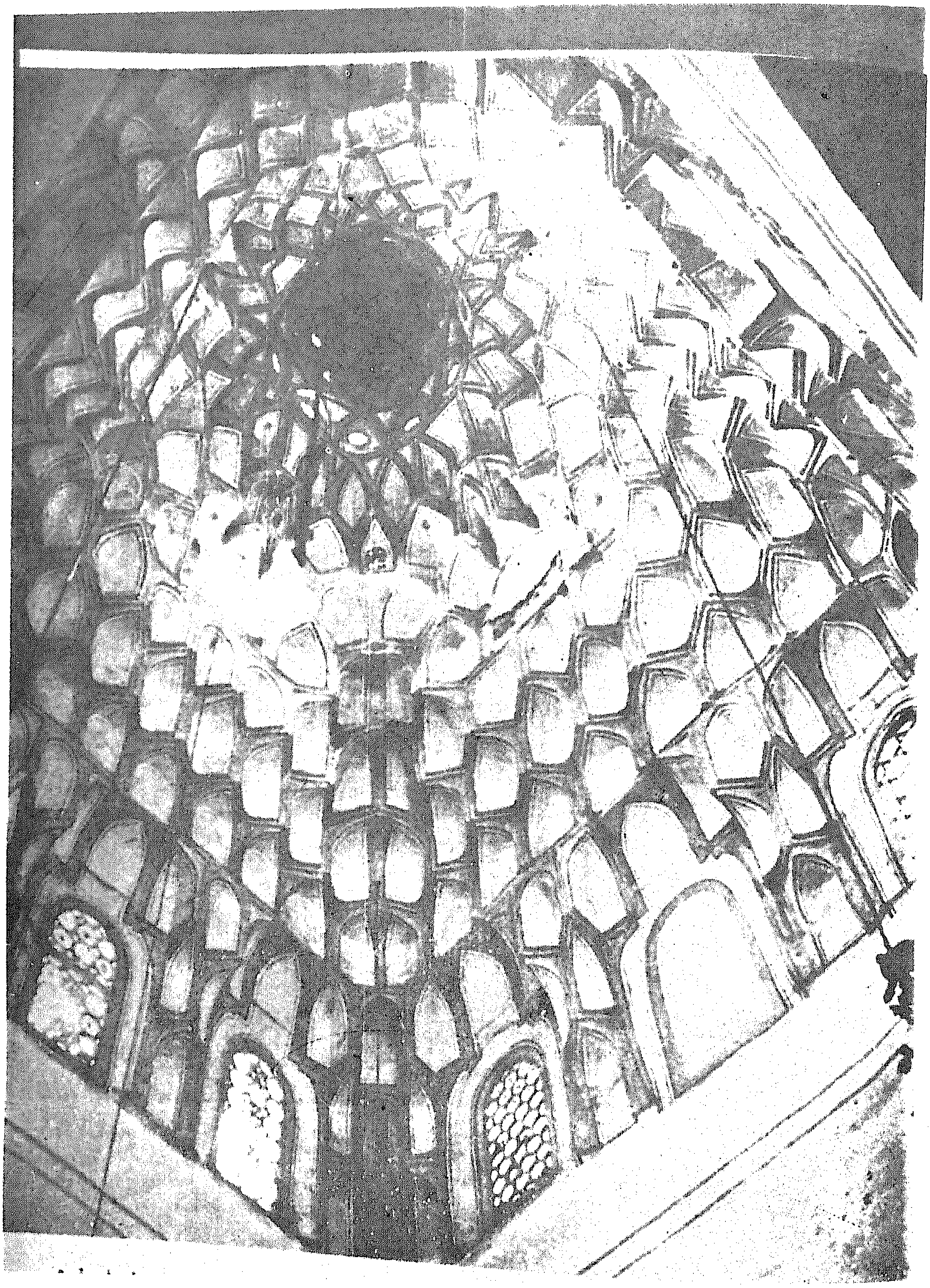

٦٣ ـ قبة امام زاده محمد، جـــزيرة الكرخ بالخليج العربي

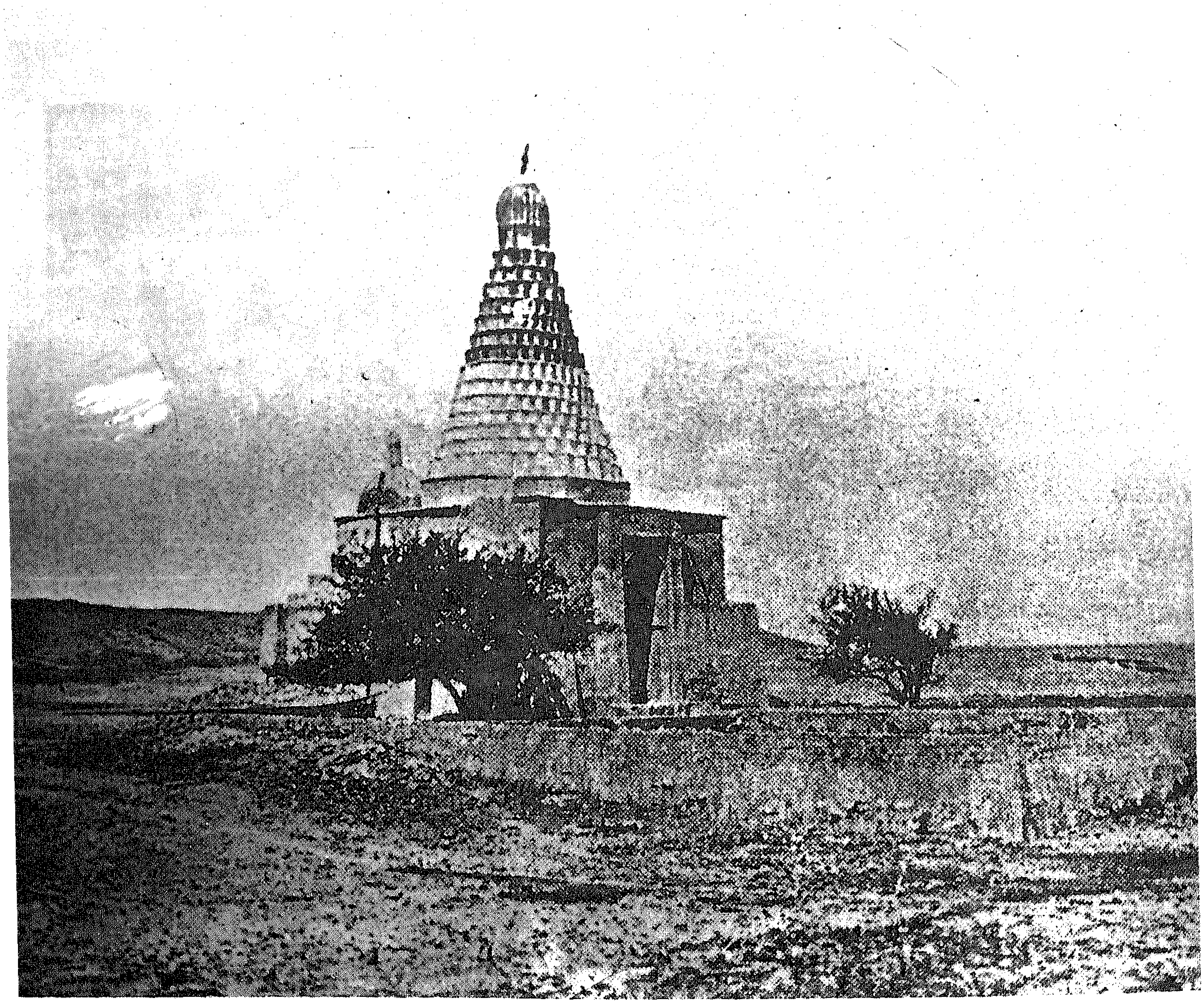

٦٤ـ قبة الشيخ عبدالصمد الاصفهاني
ناطنزا
(عن بوب)

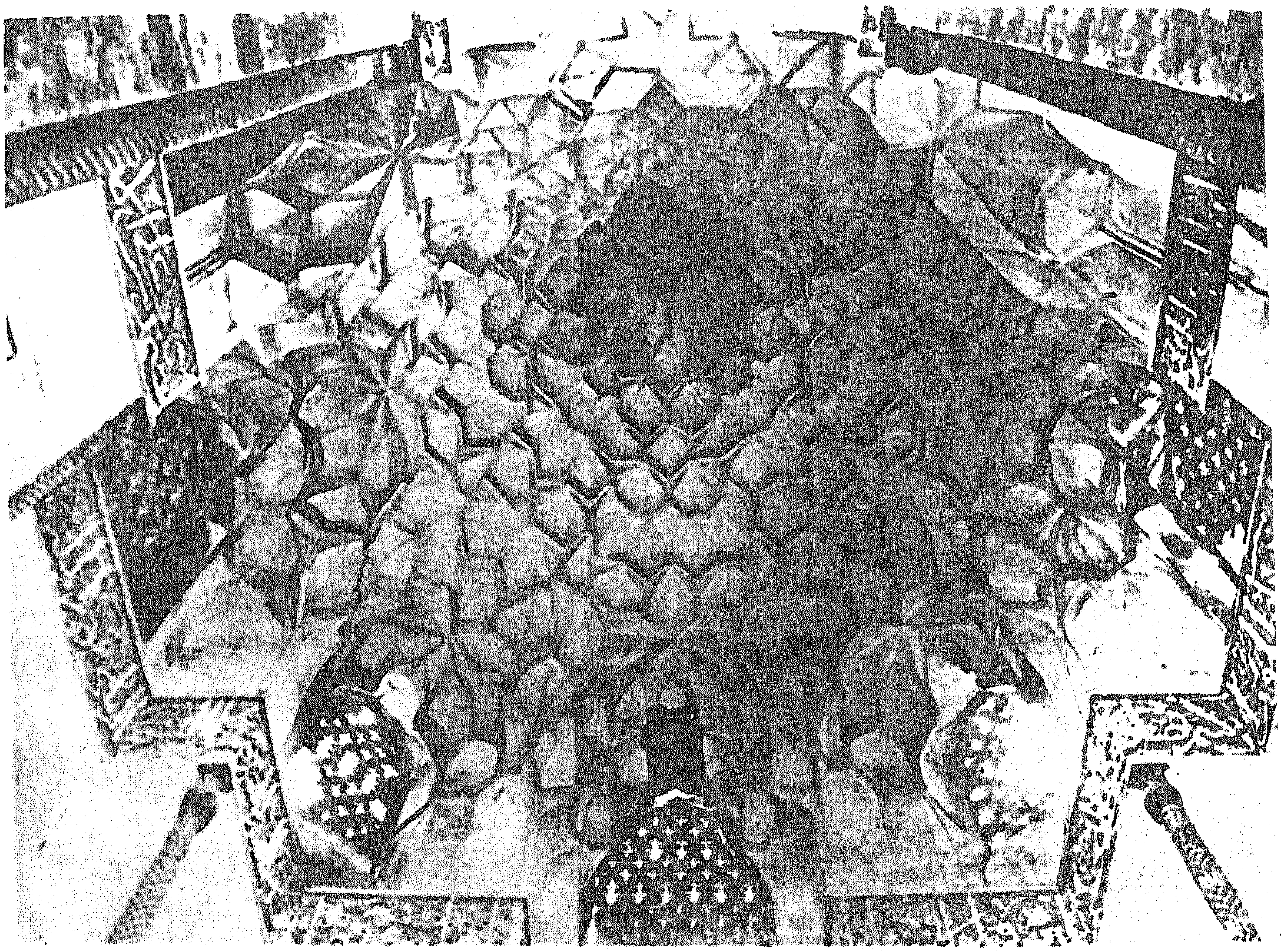

٦٥ ـ قبة الشيخ عبدالصمد الاصفهاني

منظور لها

(عن هرتسفلد)

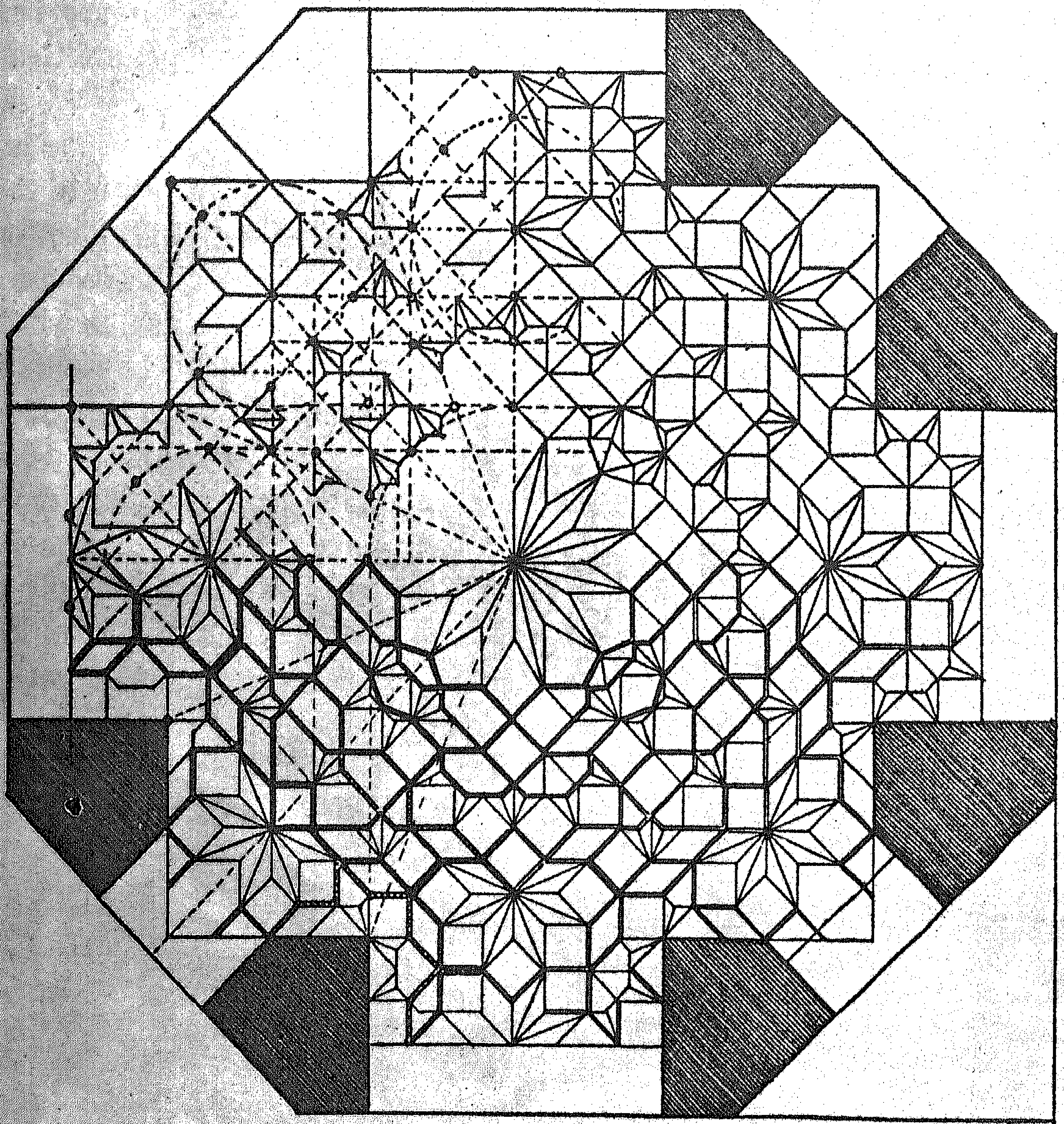

قبة بابا منير ، جنوب ايران

(عن هرتسفلد)

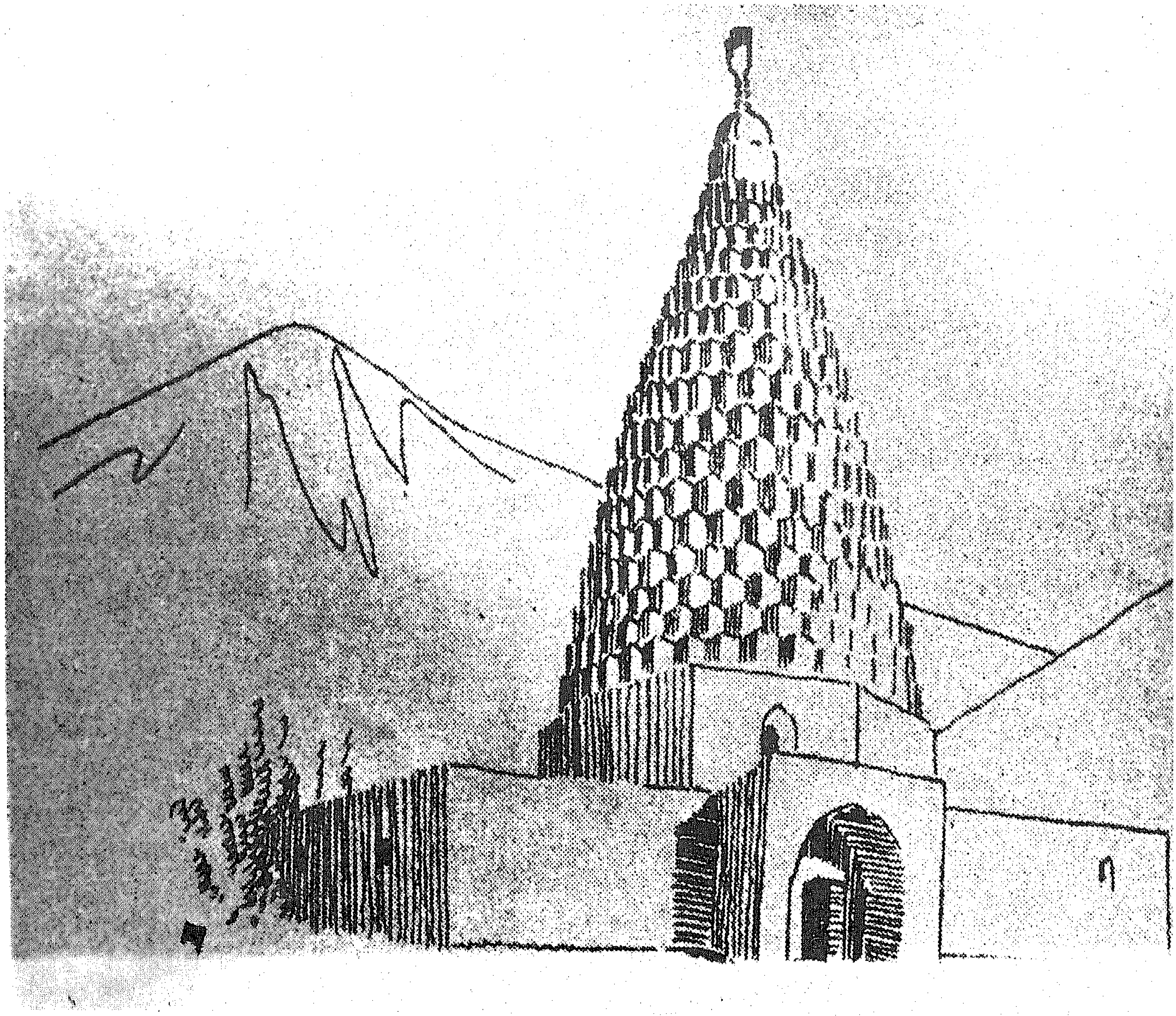

٦٧ ـ قبة النبي دانيال ، سوسه

(عن هرتسفلد)

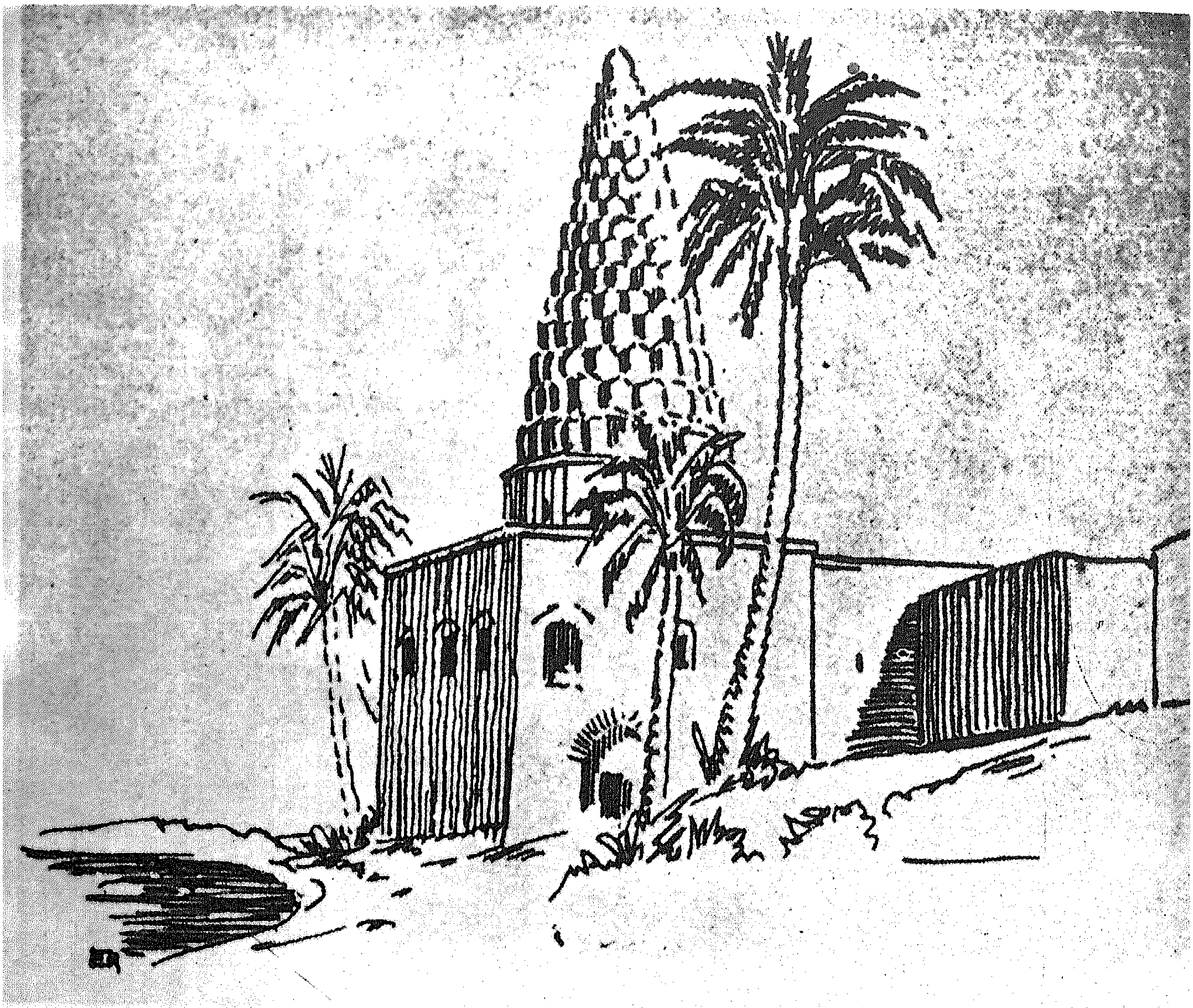

٦٨ ـ أ ـ قبة البقلي

(عن كوسته)

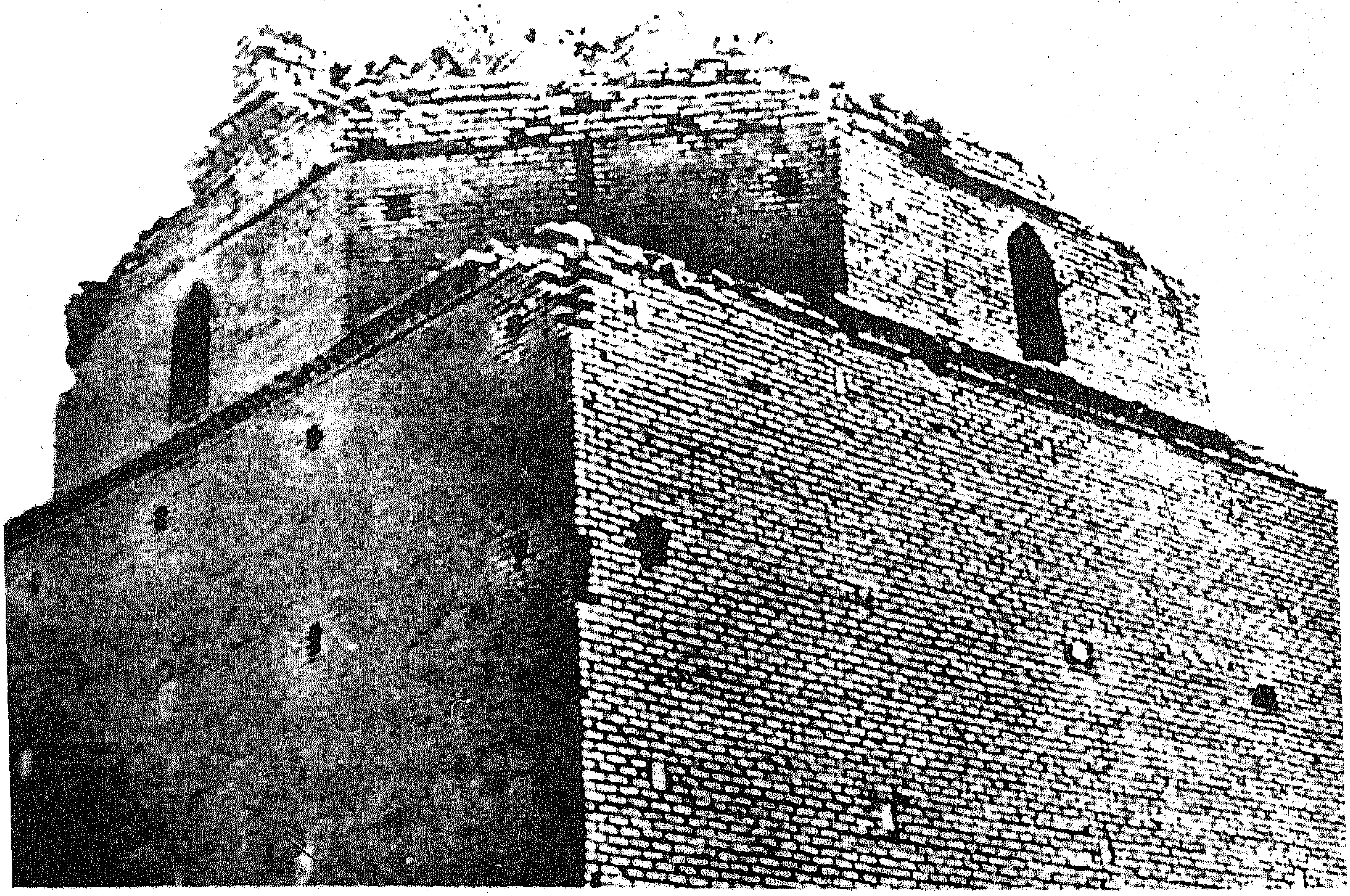

٦٨ ـ ب ـ قبة البقلي

(عن كوسته)

٦٩ ـ قبة البقلي

المدخل والواجهة التي تعلوه

(عن كوسته)

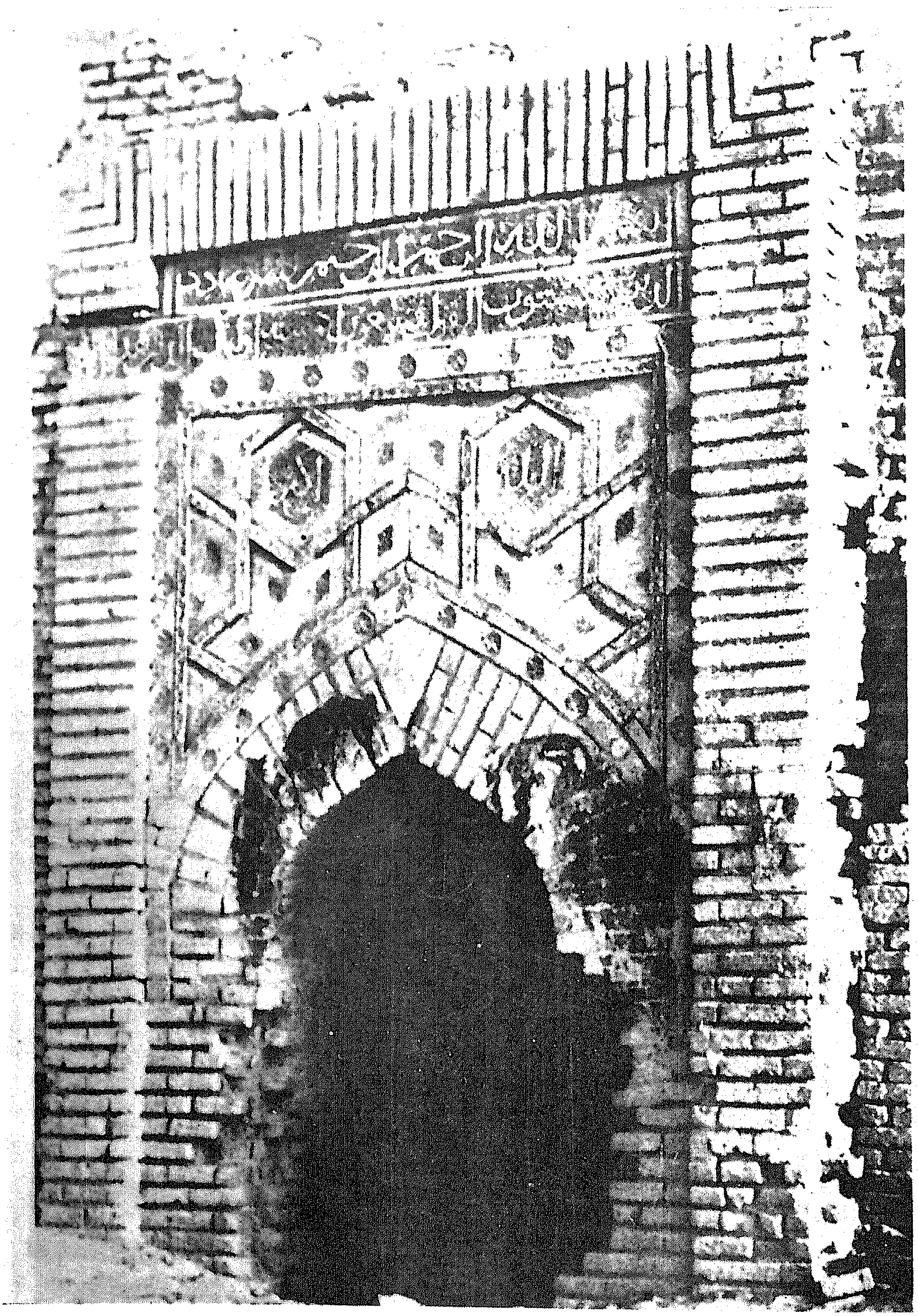

٧٠ـ قبة البقلي

من الداخل ومقرنصات الانتقال

(عن كوسته)

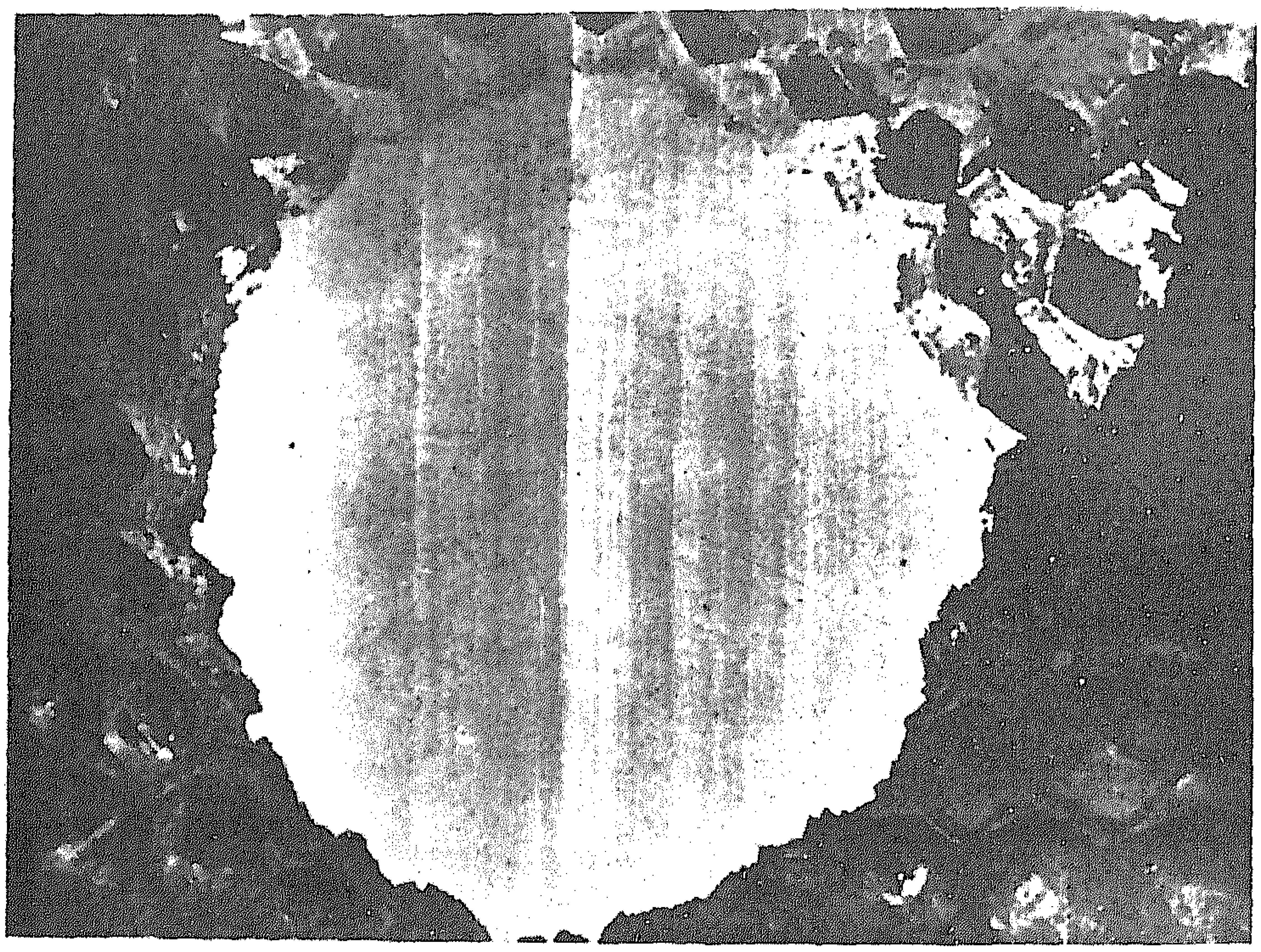

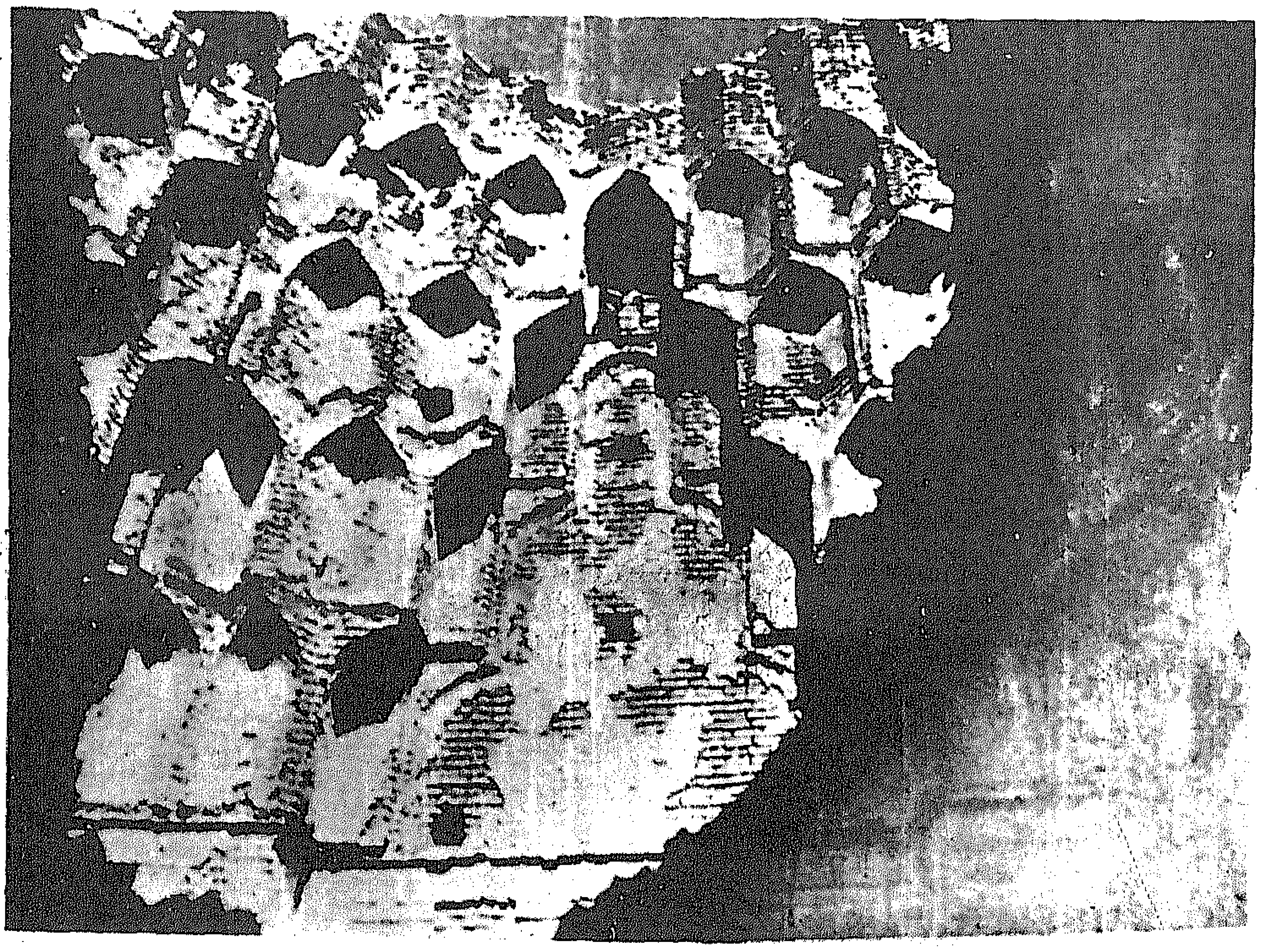

٧١ ـ قبة على بن ادريس من الخارج

٧٢ ـ قبة علي بن ادريس
المدخل من الداخل

٧٣ـ علي بن ادريس

حنية جانبية مغلقة

٧٤ـ قبة علي بن ادريس

المحراب وجزء من صندوق القبر

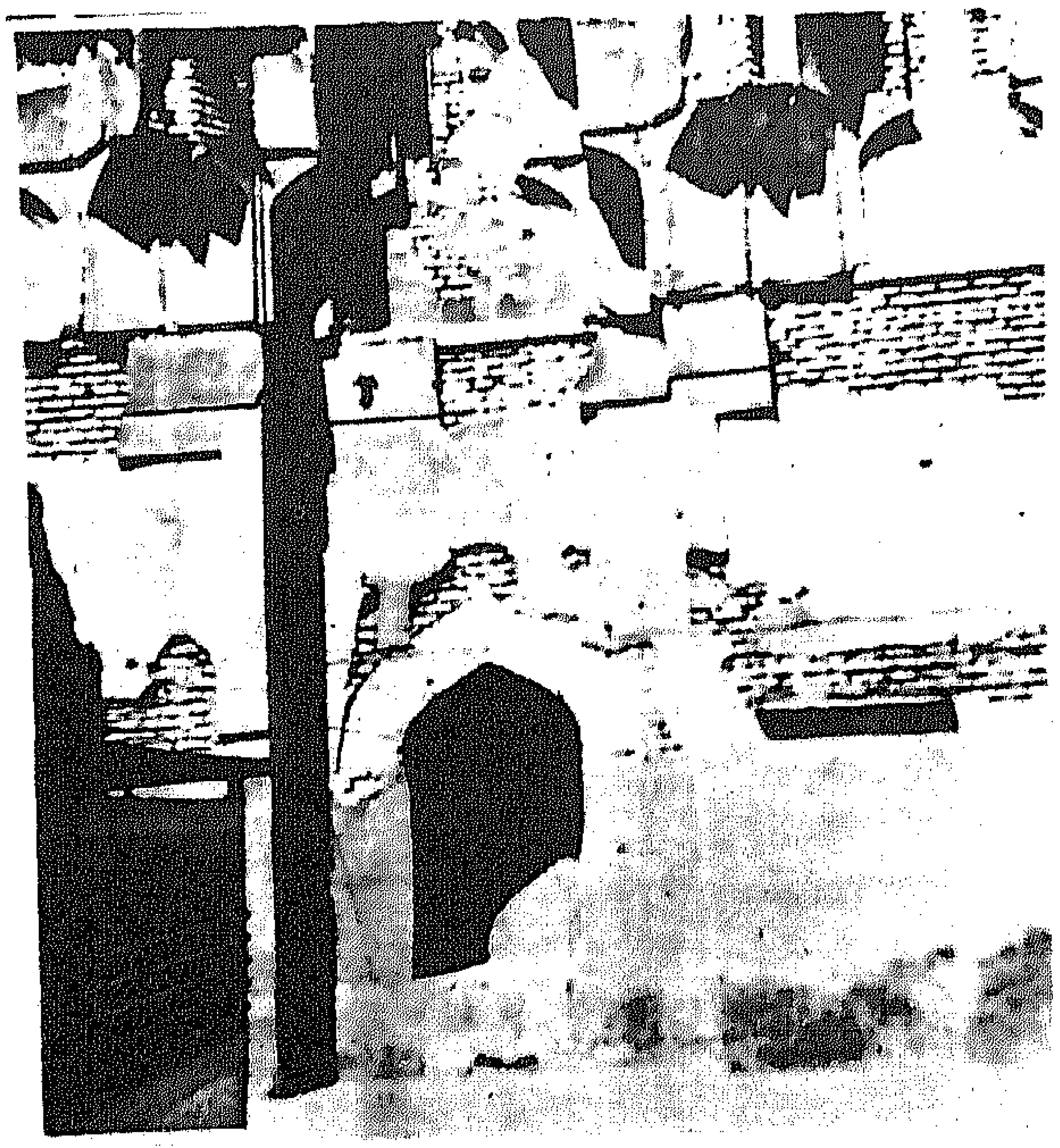

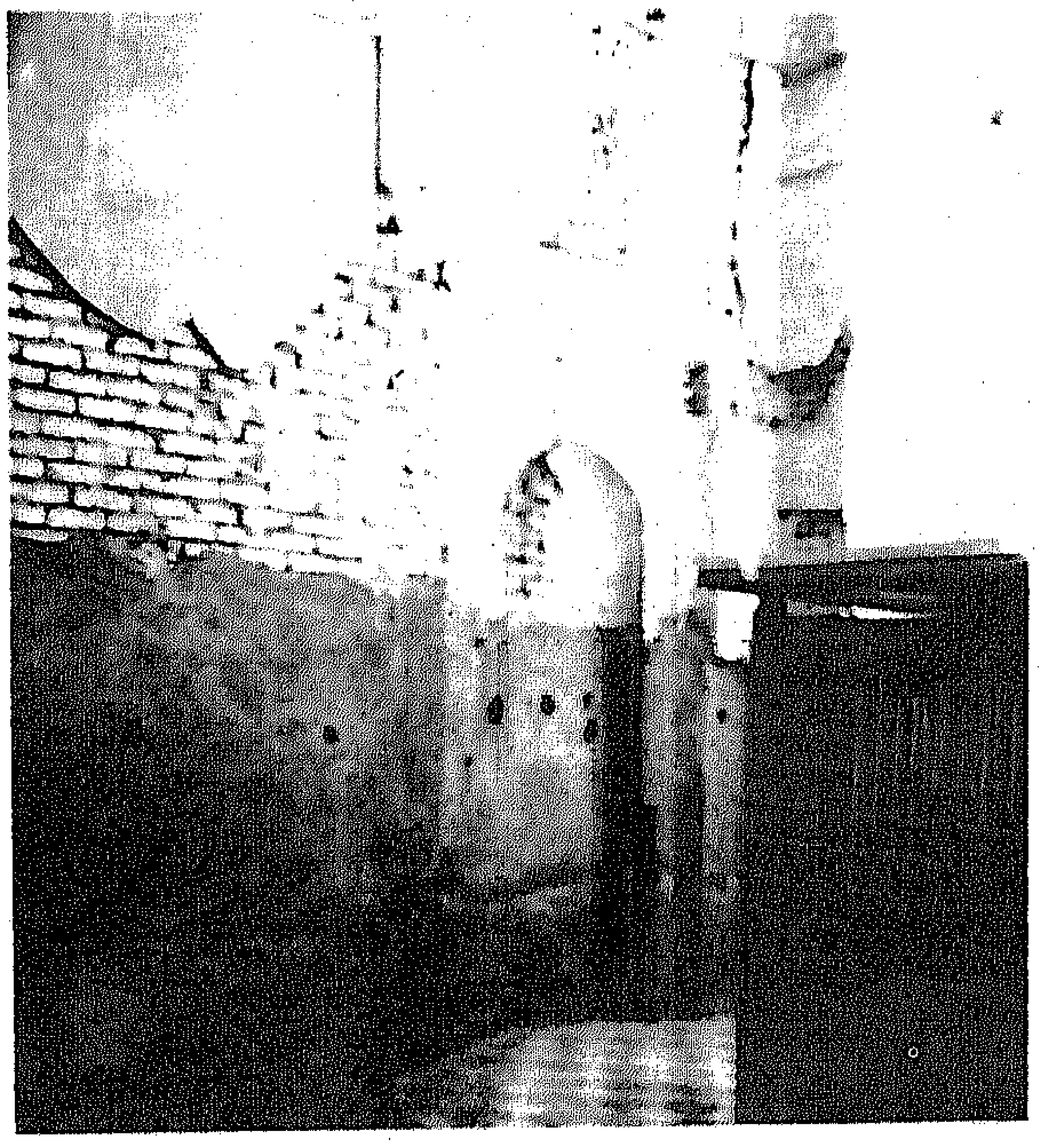

٧٥ ـ قبة علي بن ادريس

مقـرنصات منطقـة الانتقـال ، ونقـاط الارتكاز

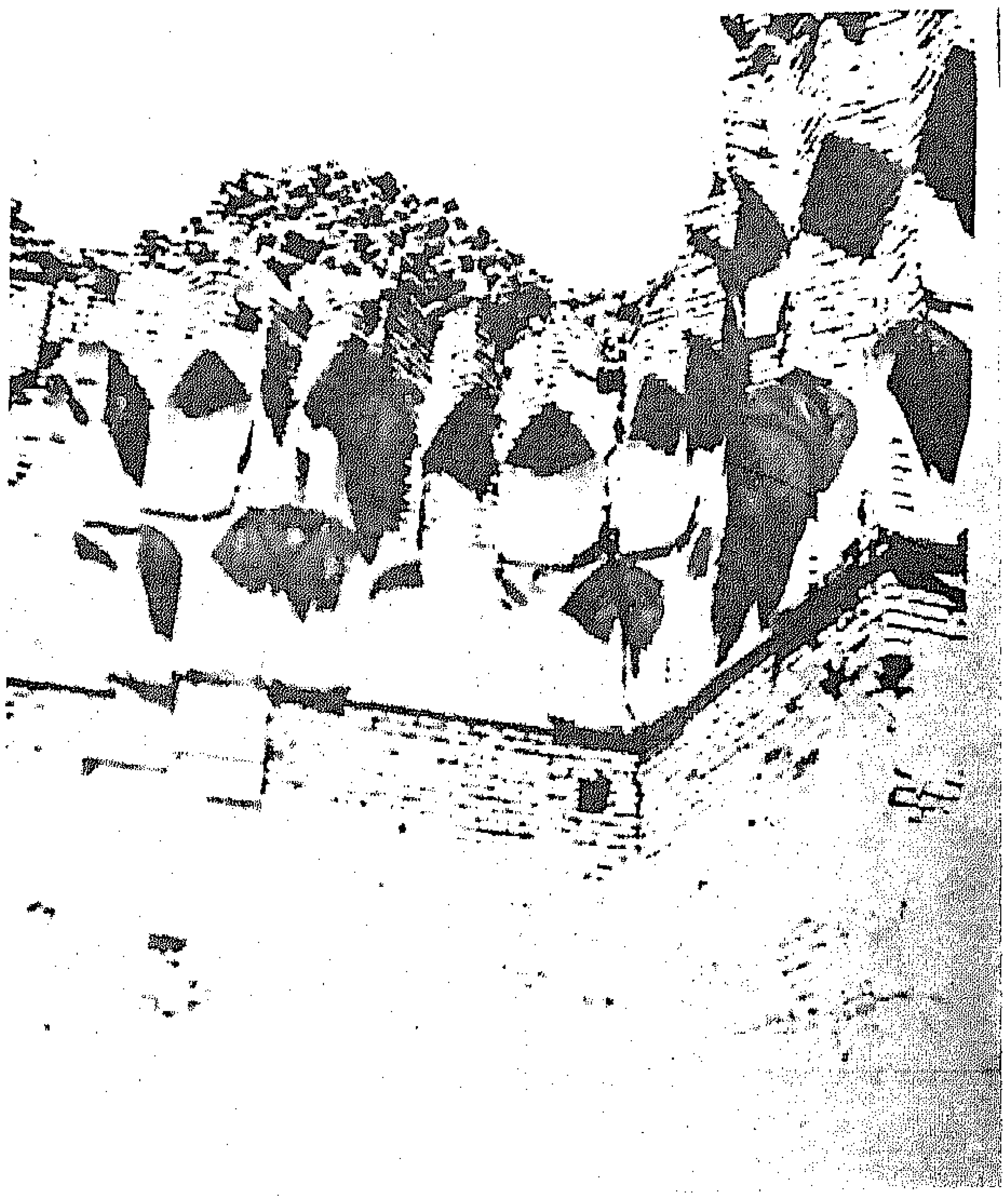

٧٦ ـ قبة النجمي
(عن ماسنيون)

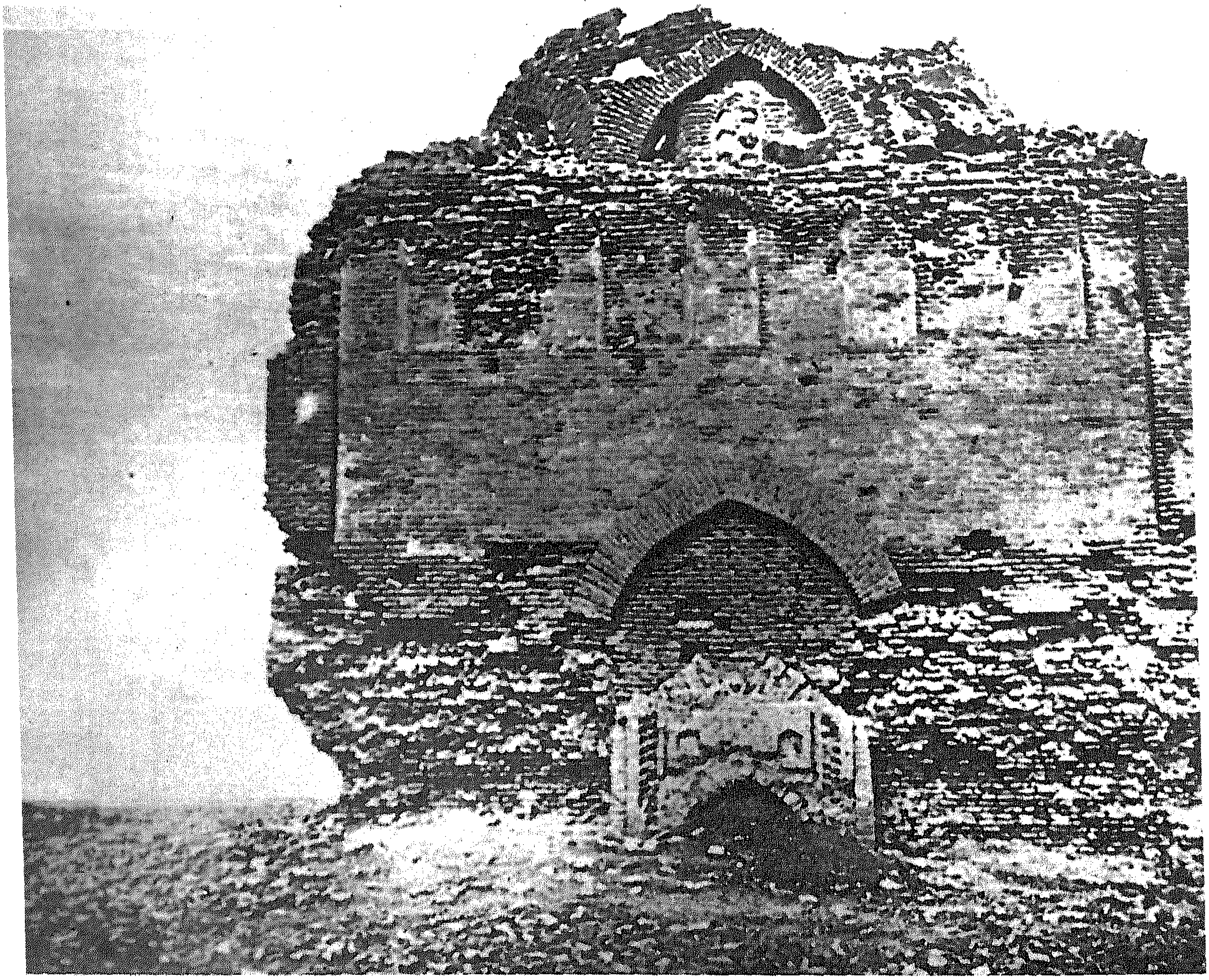

٧٧ ـ قبة النجمي

المدخل والواجهة التي تعلوه

(عن ماسينون)

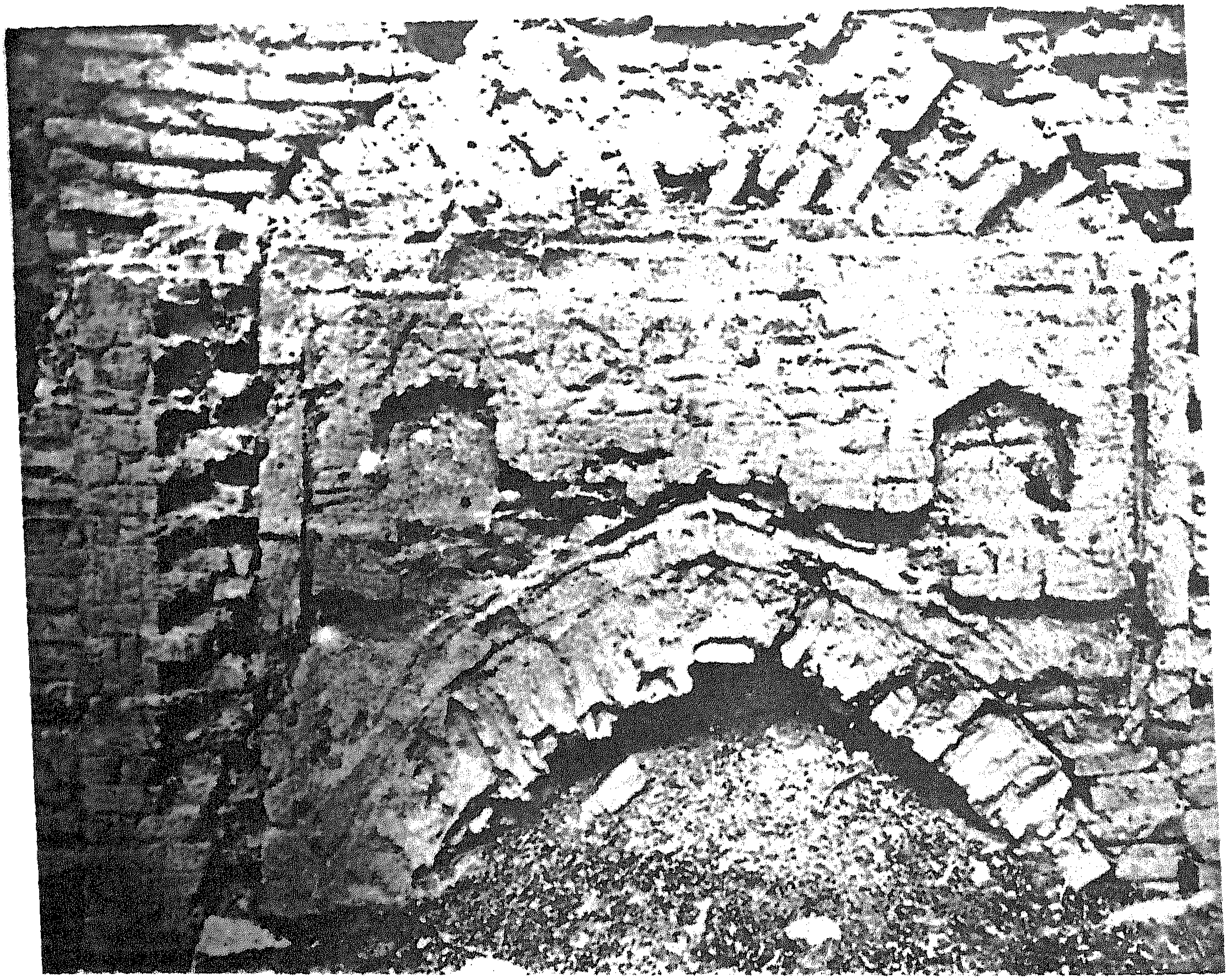

٧٨ ـ قبة النجمي

مقرنصات منطقة الانتقال

(عن ماسينون)

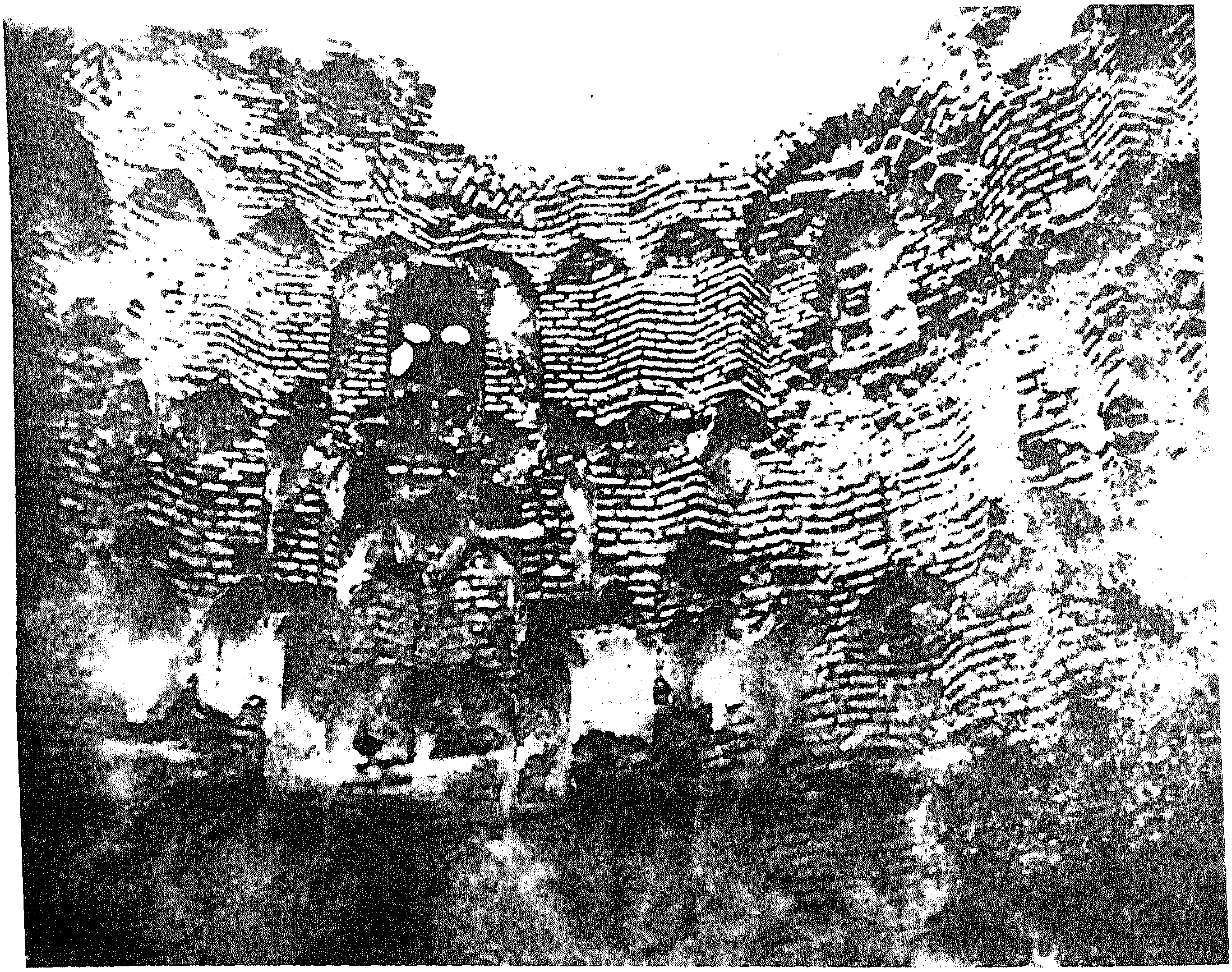

٧٩ ـ باب قبة عون الدين بن الحسن

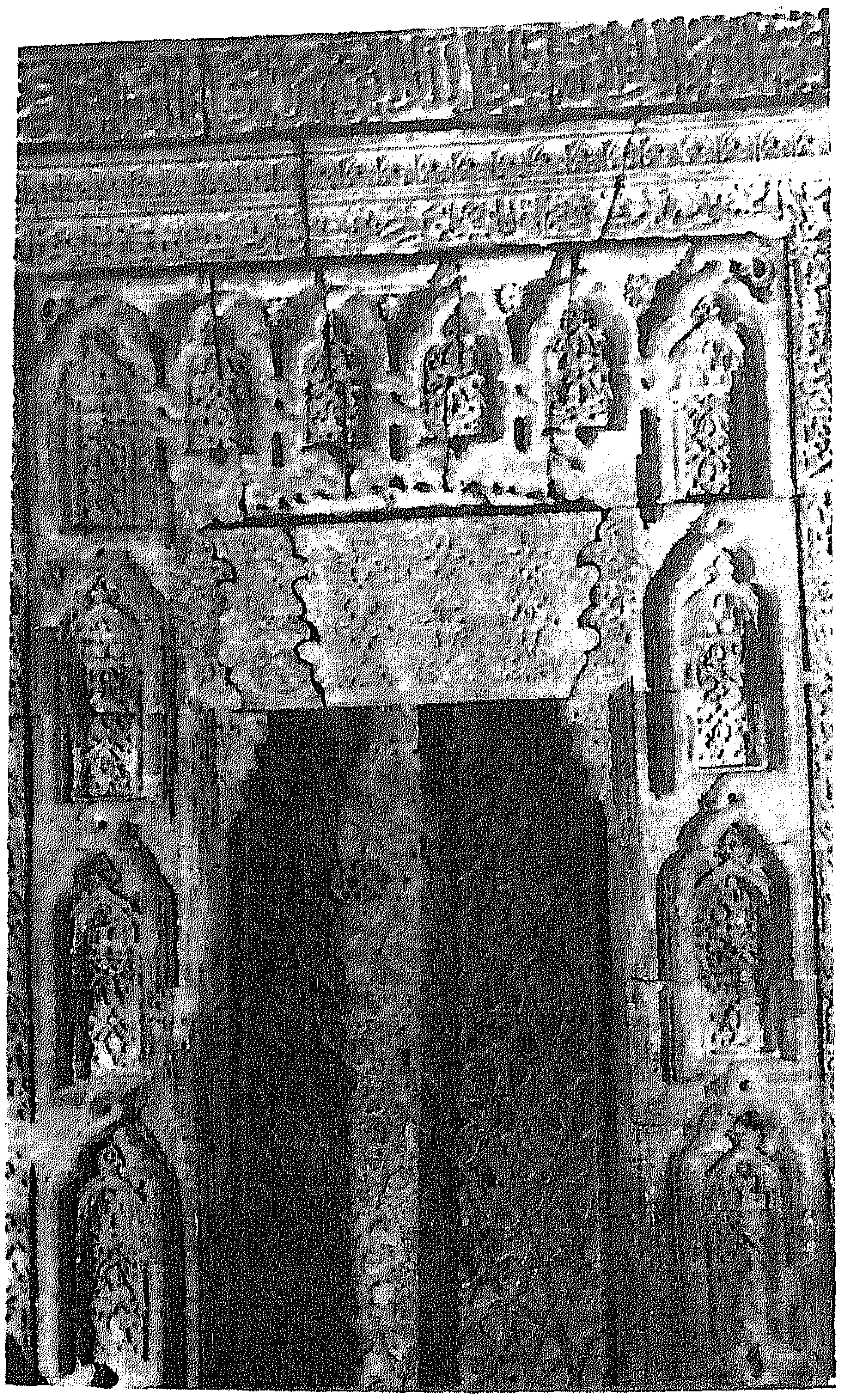

٨٠ ـ قبر كورامير، سمرقند
(٨٠٧هـ /١٤٠٤م)

(عن اثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي)

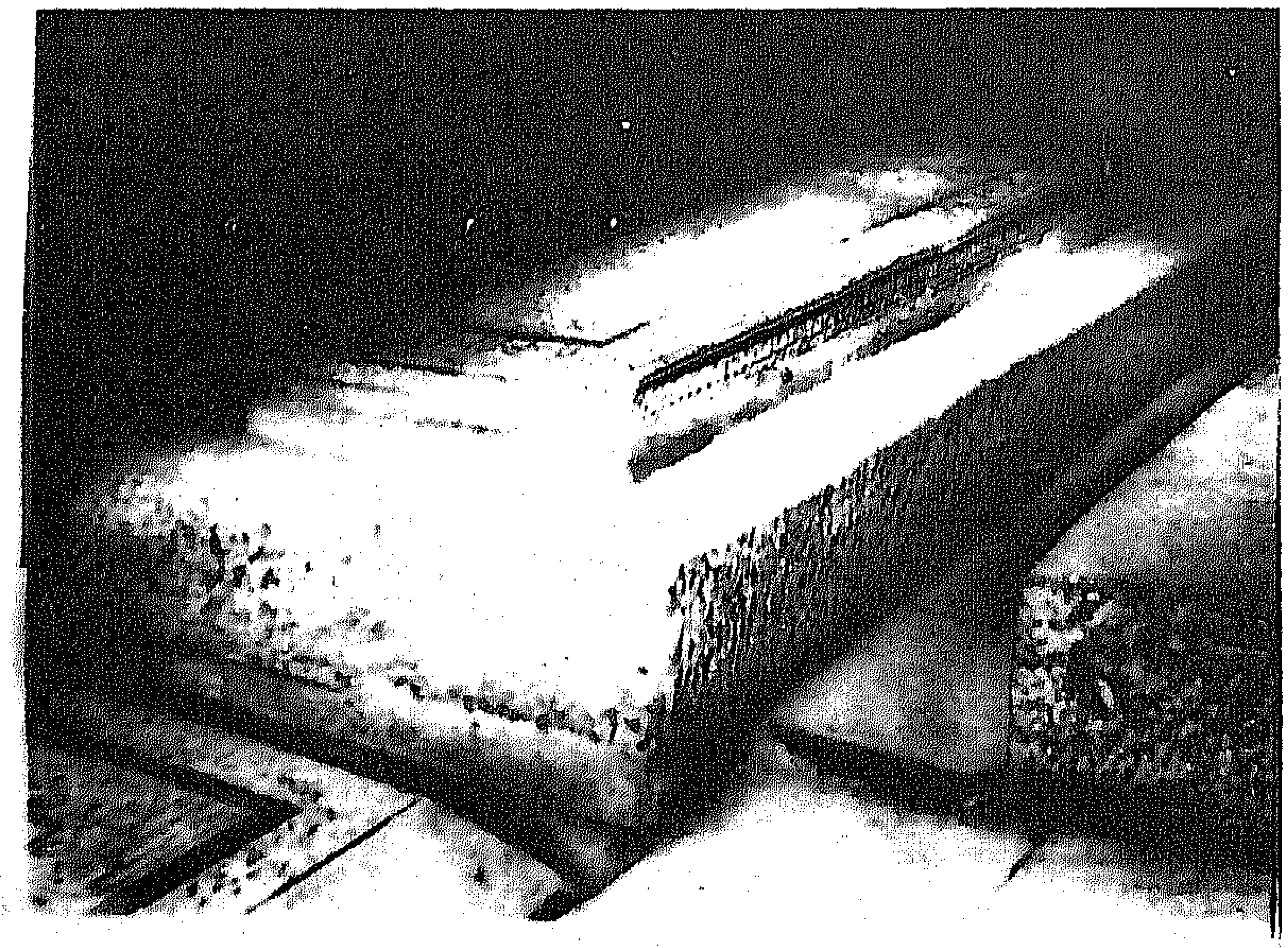

٨١ ـ قبر مير عرب ، بخارى
٩٤٢ ـ ٩٤٣هـ /١٥٣٥ ـ ١٥٣٦م
(عن اثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي)

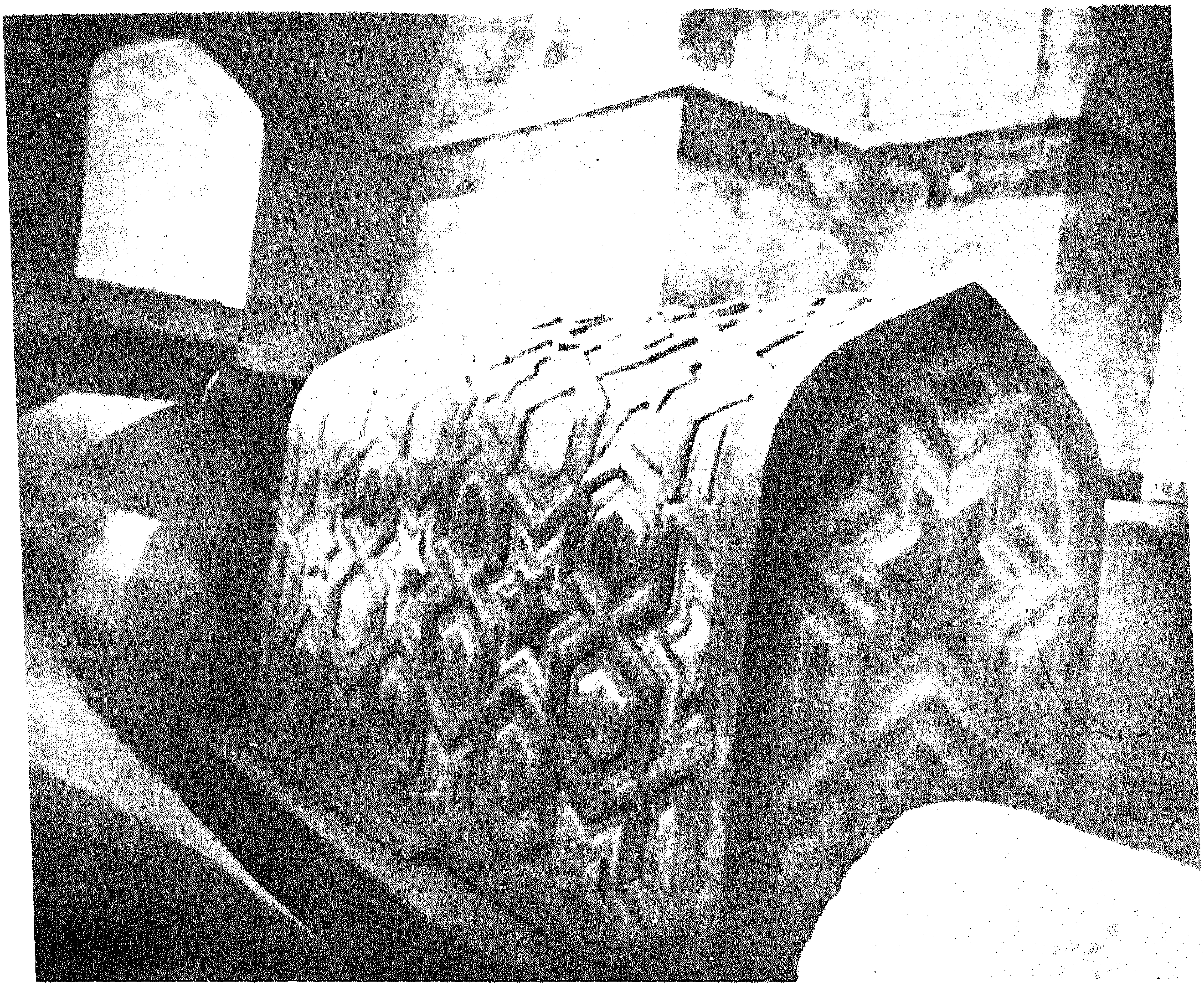

٨٢ ـ قبر قثم بن العباس، سمرقند
(٧٣٥ ـ ٧٣٦هـ /١٣٣٤ ـ ١٣٣٥م)

(عن اثار الاسـلام التاريخية في الاتحـاد السوفيتي)

٨٣ ـ صندوق قبر الامام موسى الكاظم

٨٤ ـ صندوق قبر الامام يحيى بن القاسم

٨٥ ـ محراب جامع الخاصكي

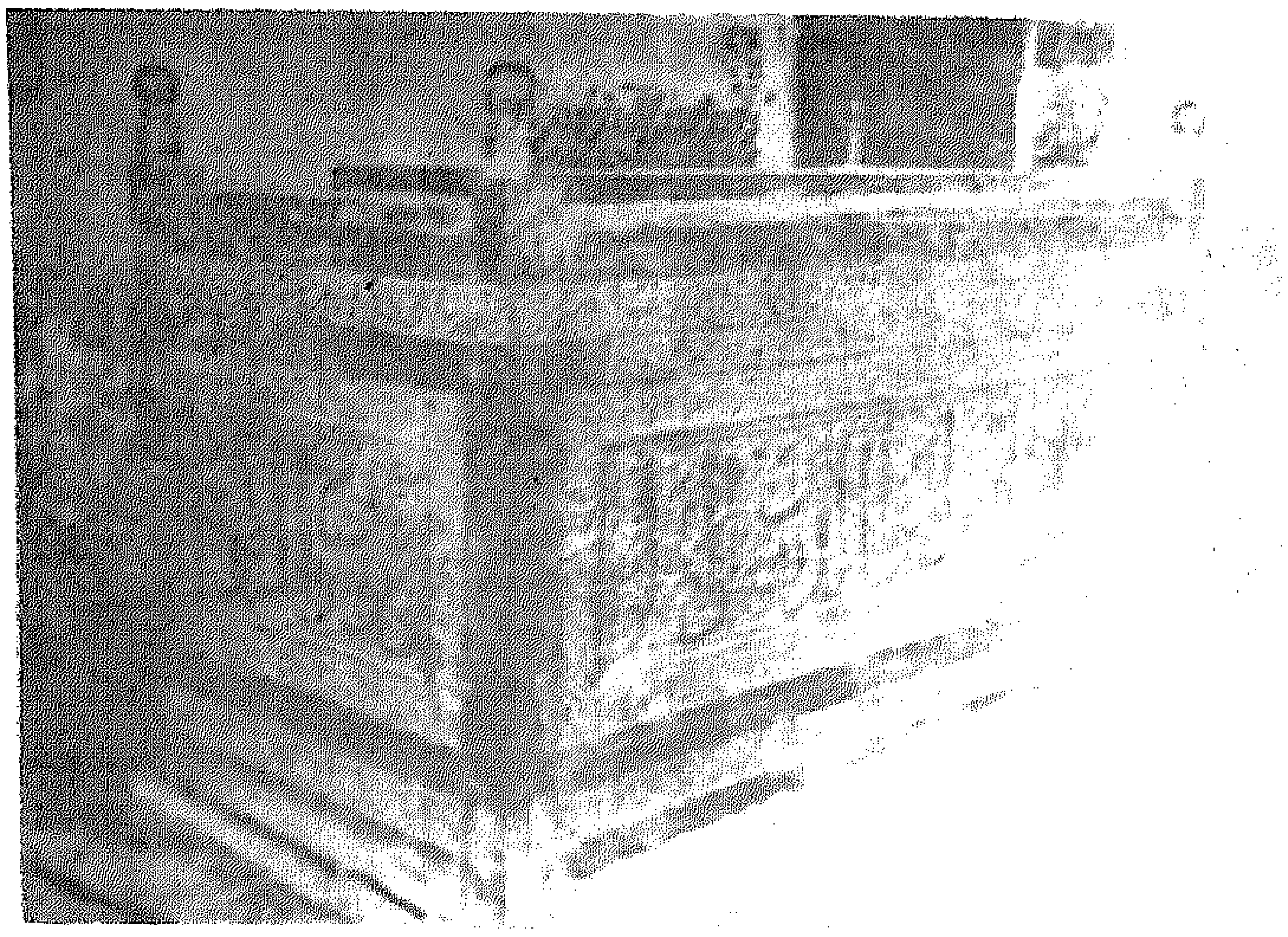

٨٦ ـ اناء زجاجي
استعمل كغطاء لاحدى فتحات شباك قبة

النجمي (عن كوسته)

٨٧ ـ المثلثات الكروية
(عن فريد شافعي)

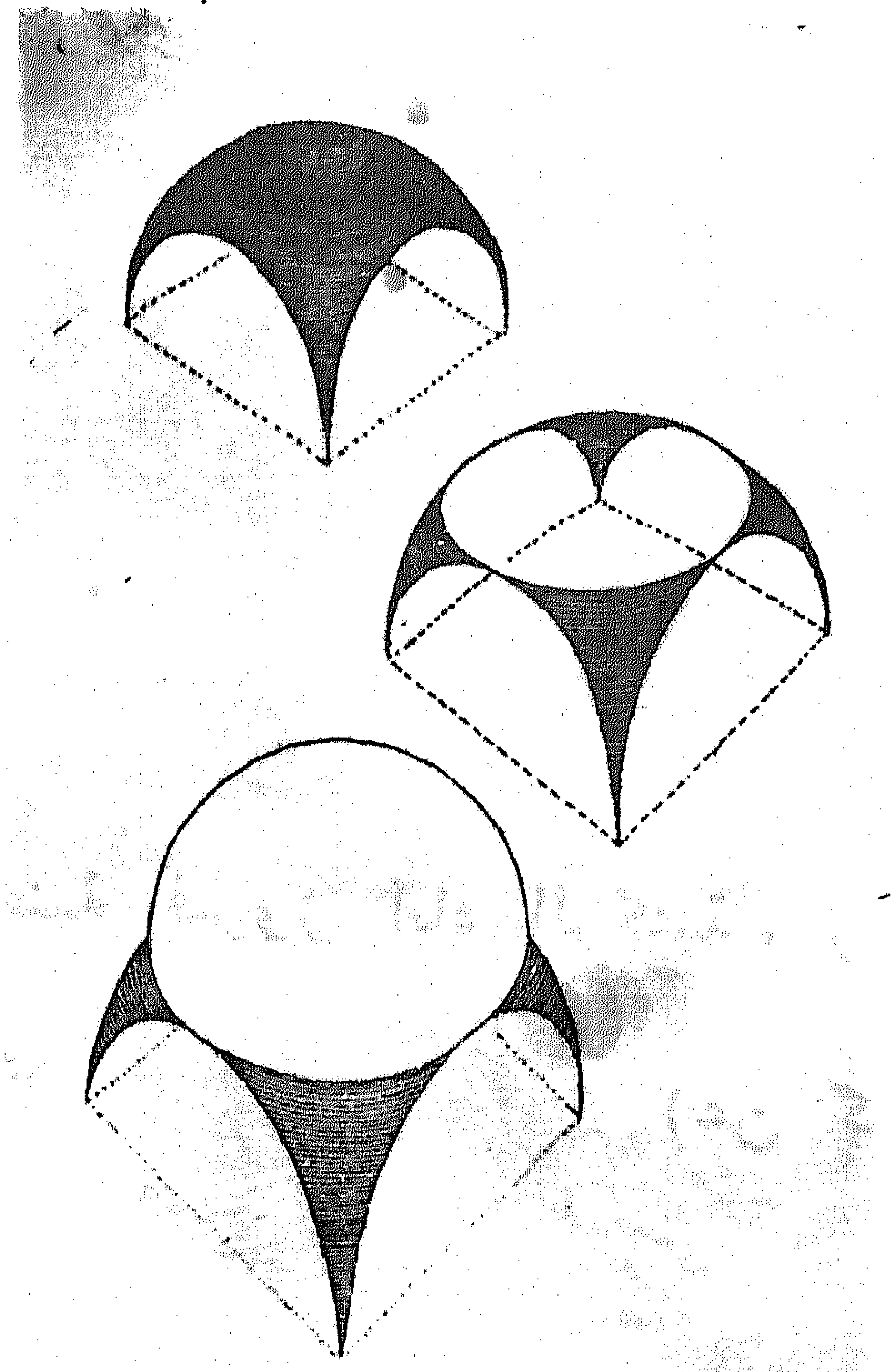

٨٨ ـ حنية فيروز اباد الركنية

(عن بوب)

٨٩ ـ حنية فيروز اباد الركنية، رسم تخطيطي

(عن كريزول)

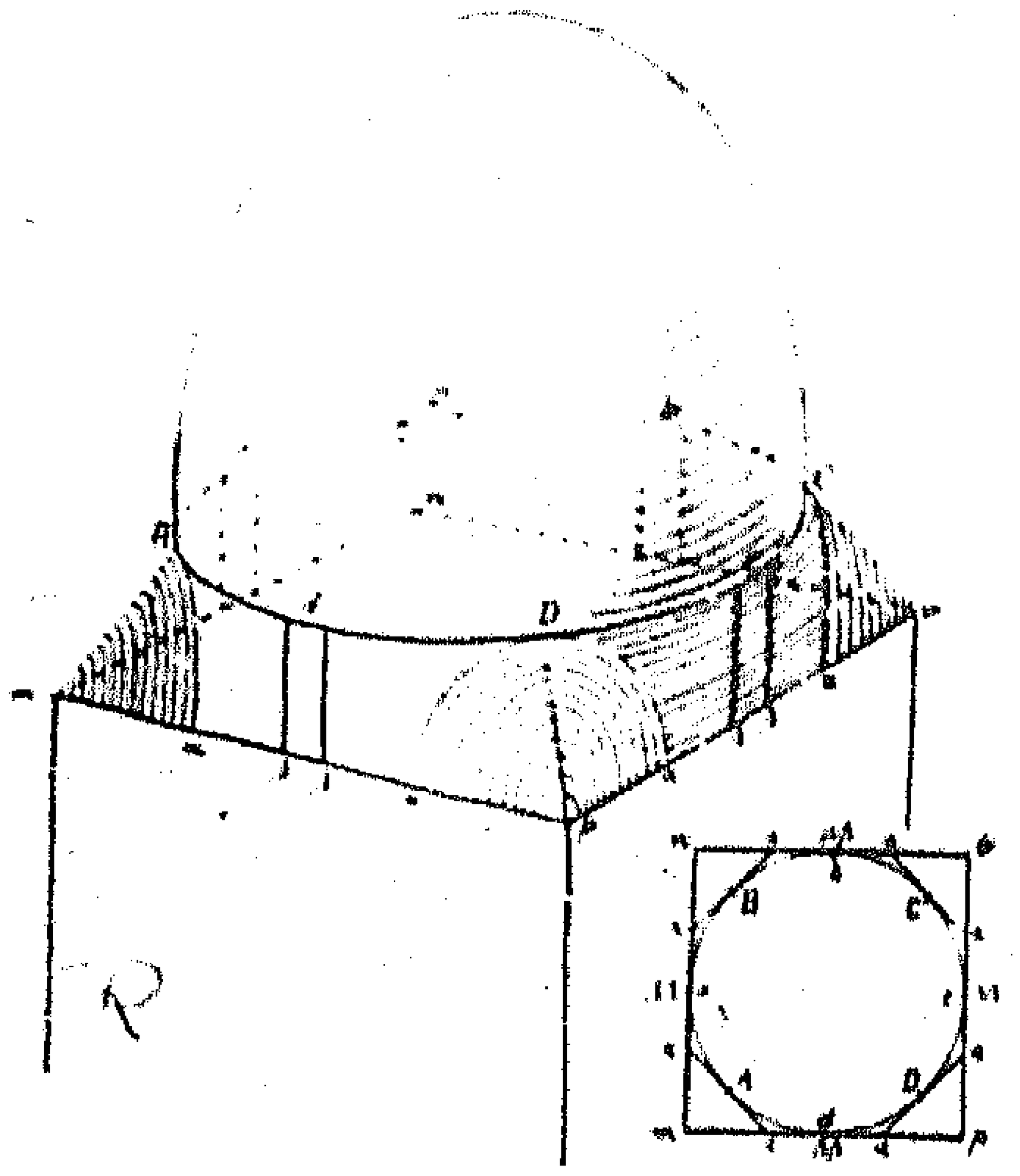

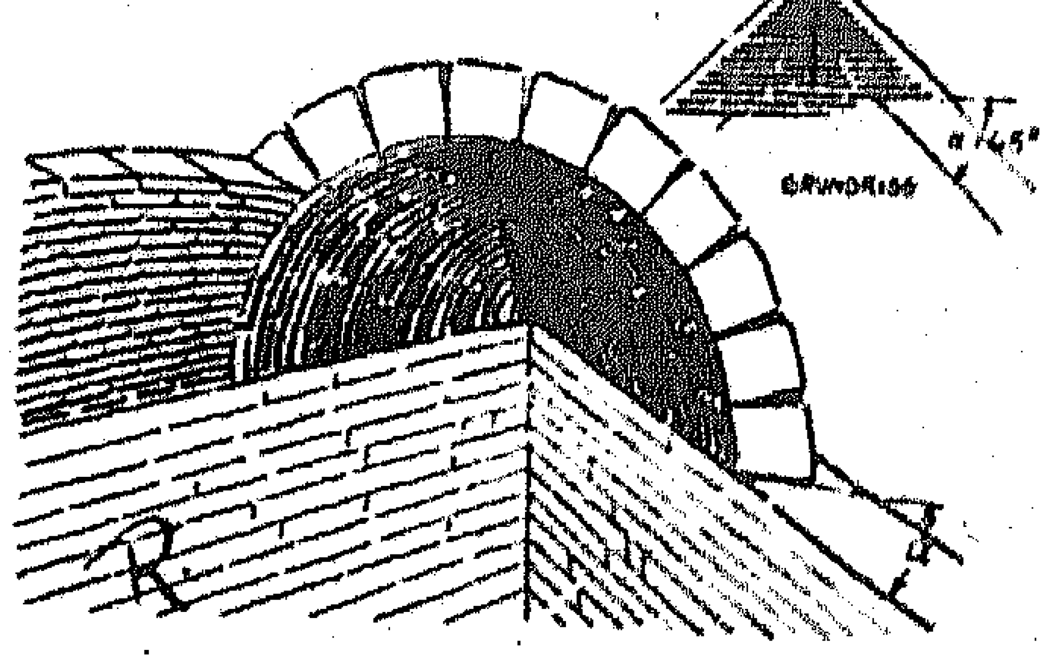
GRUNDRISS
45°

٩٠ ـ حنية سرفستان الركنية

(عن بوب)

٩١ ـ حنية جهــار قابو الركنية بقصر شيرين

(عن كريزول)

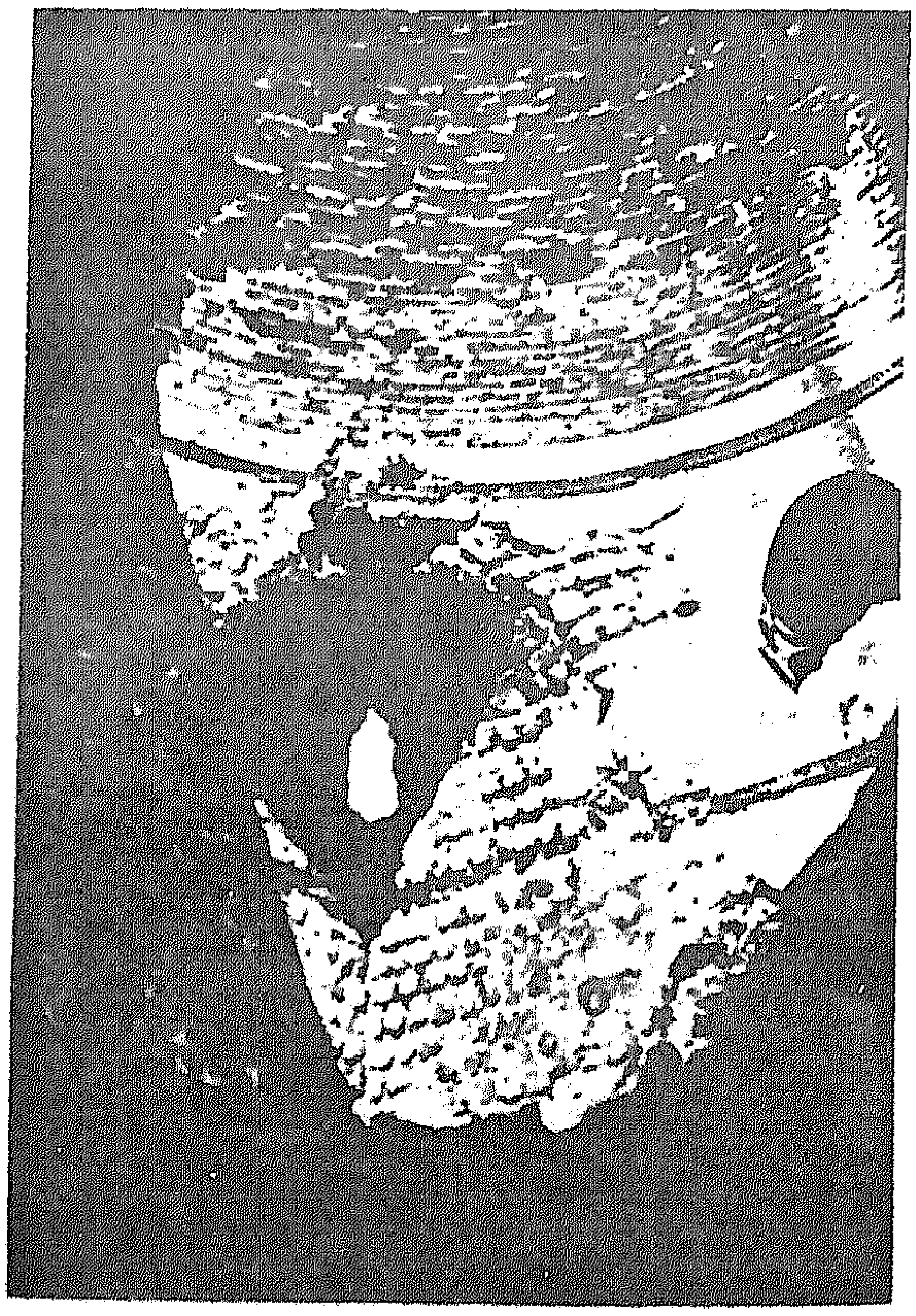

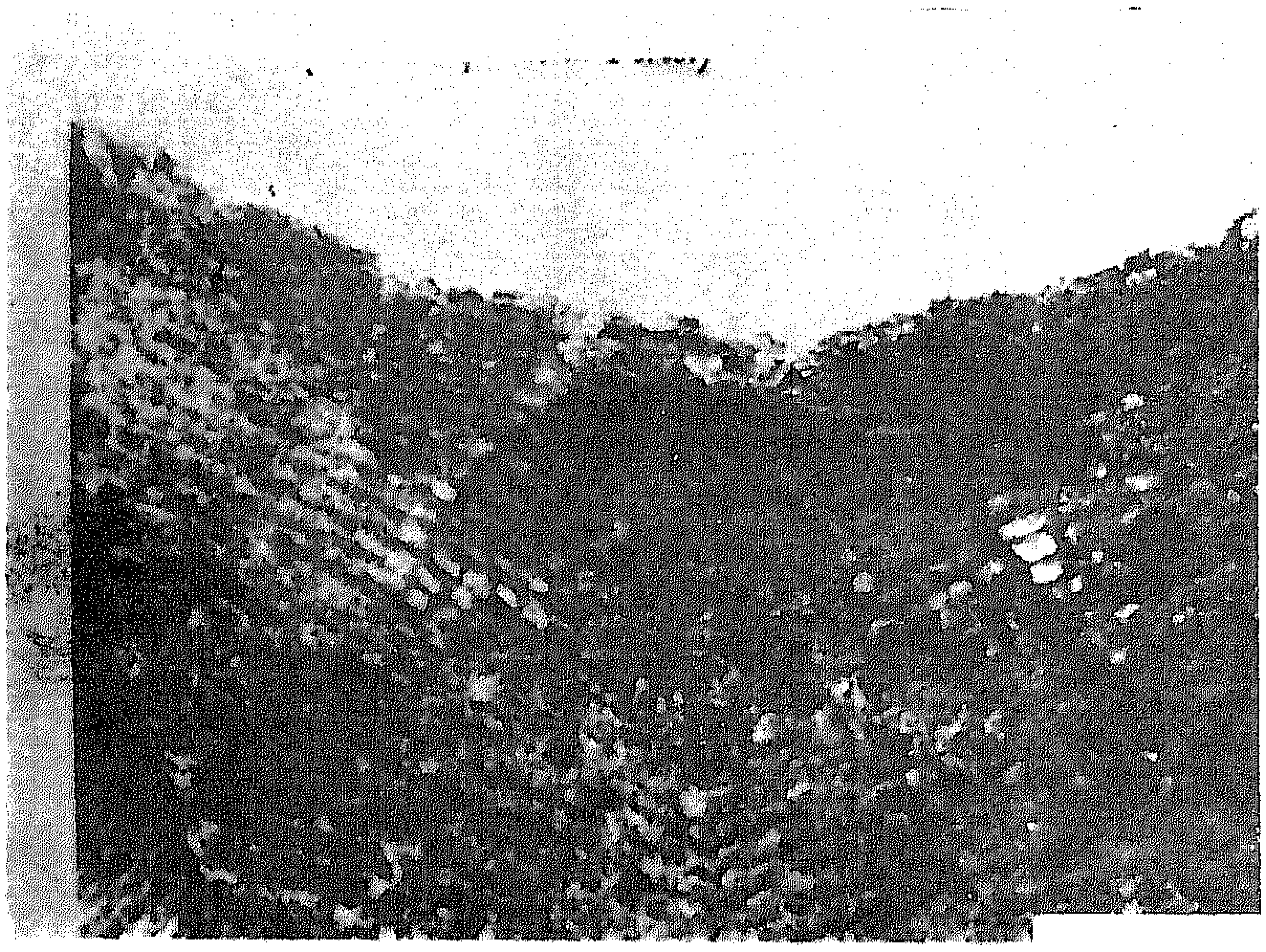

٩٢ ـ حنايا الاخيضر الركنية

(عن رويتر)

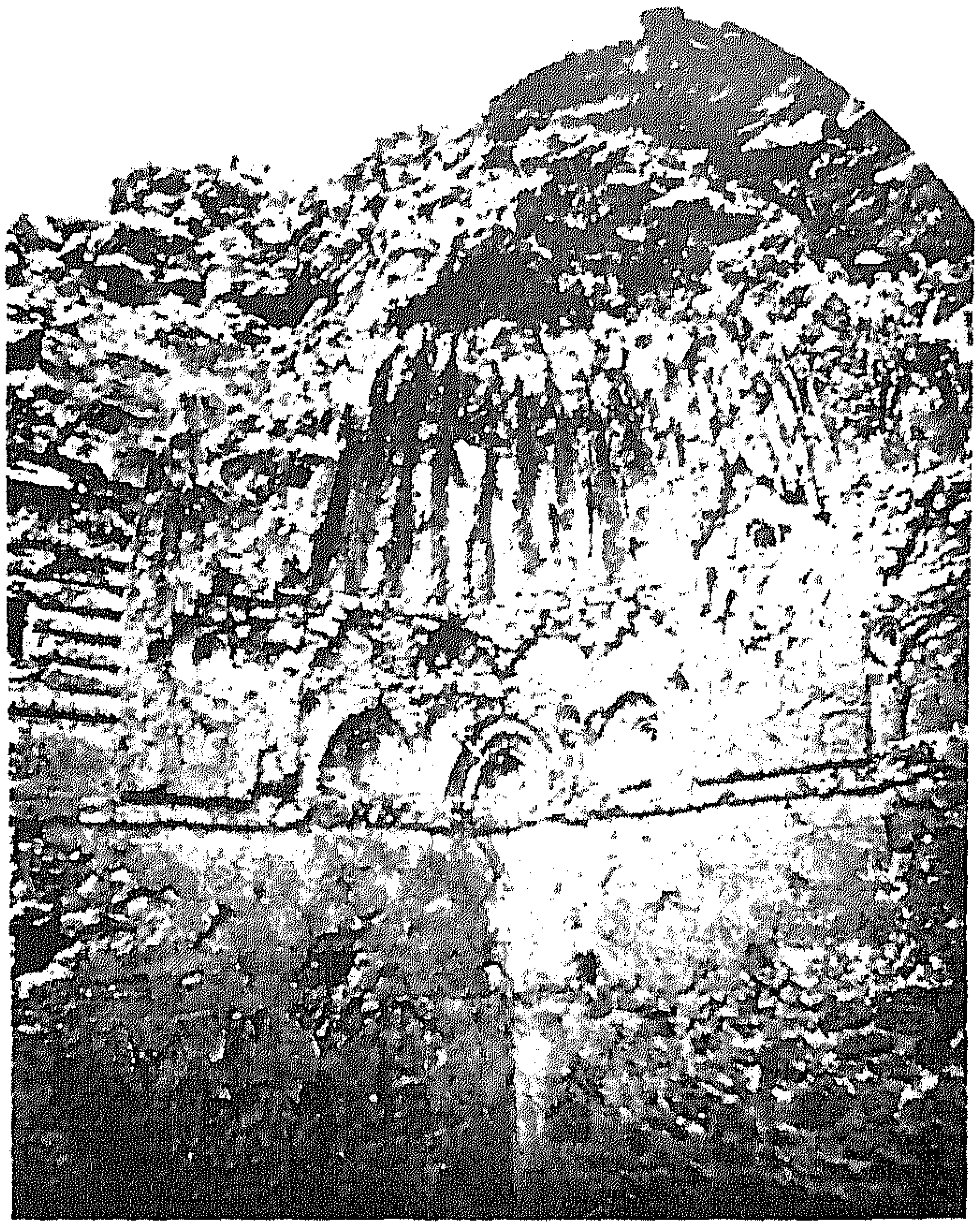

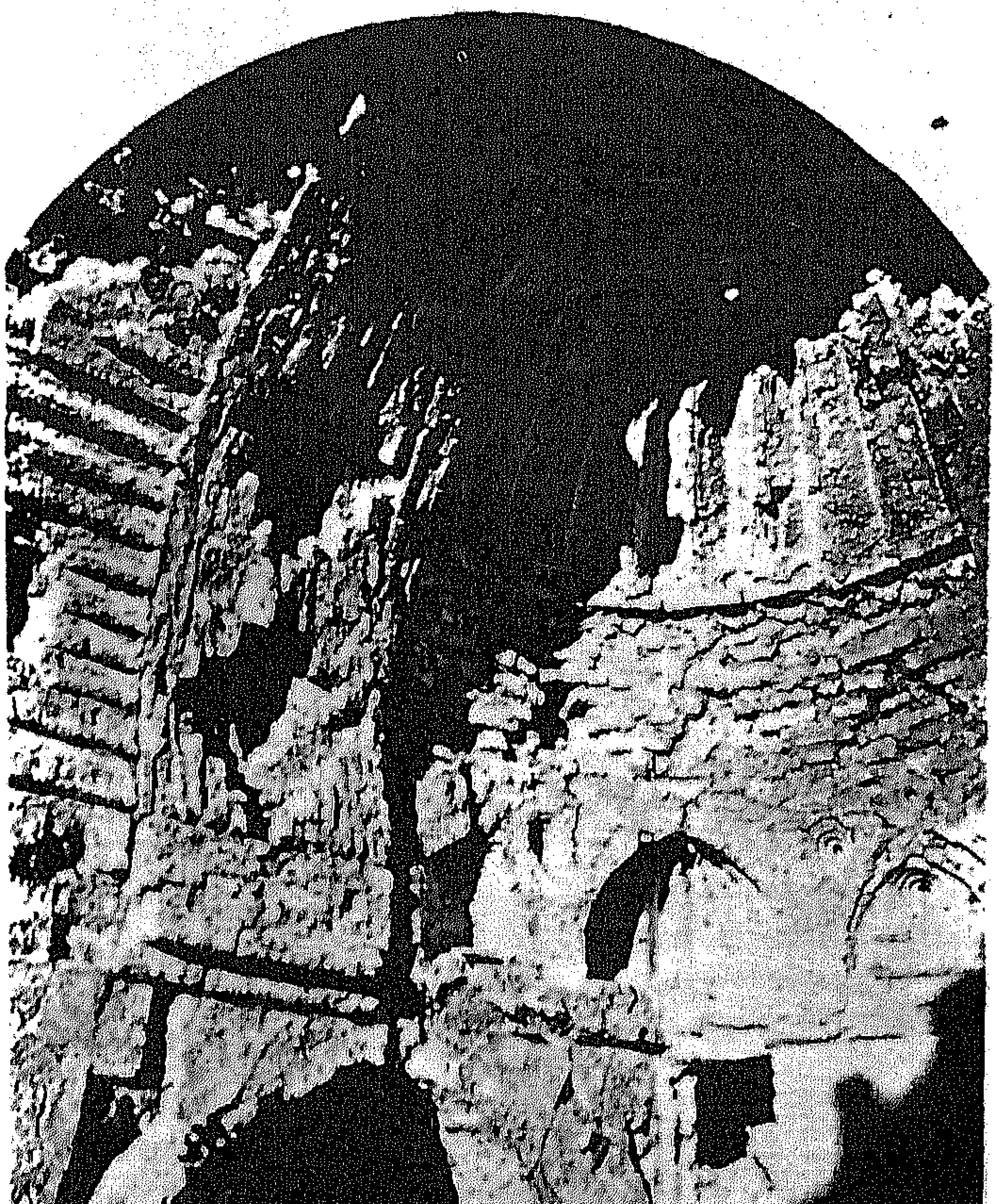

٩٣ـ ما يسمى باب العامة

تظهر قيها المقرنصات

عن (فيوله)

٩٤ـ مقرنص ما يسمى باب العامة

(عن فريد شافعي)

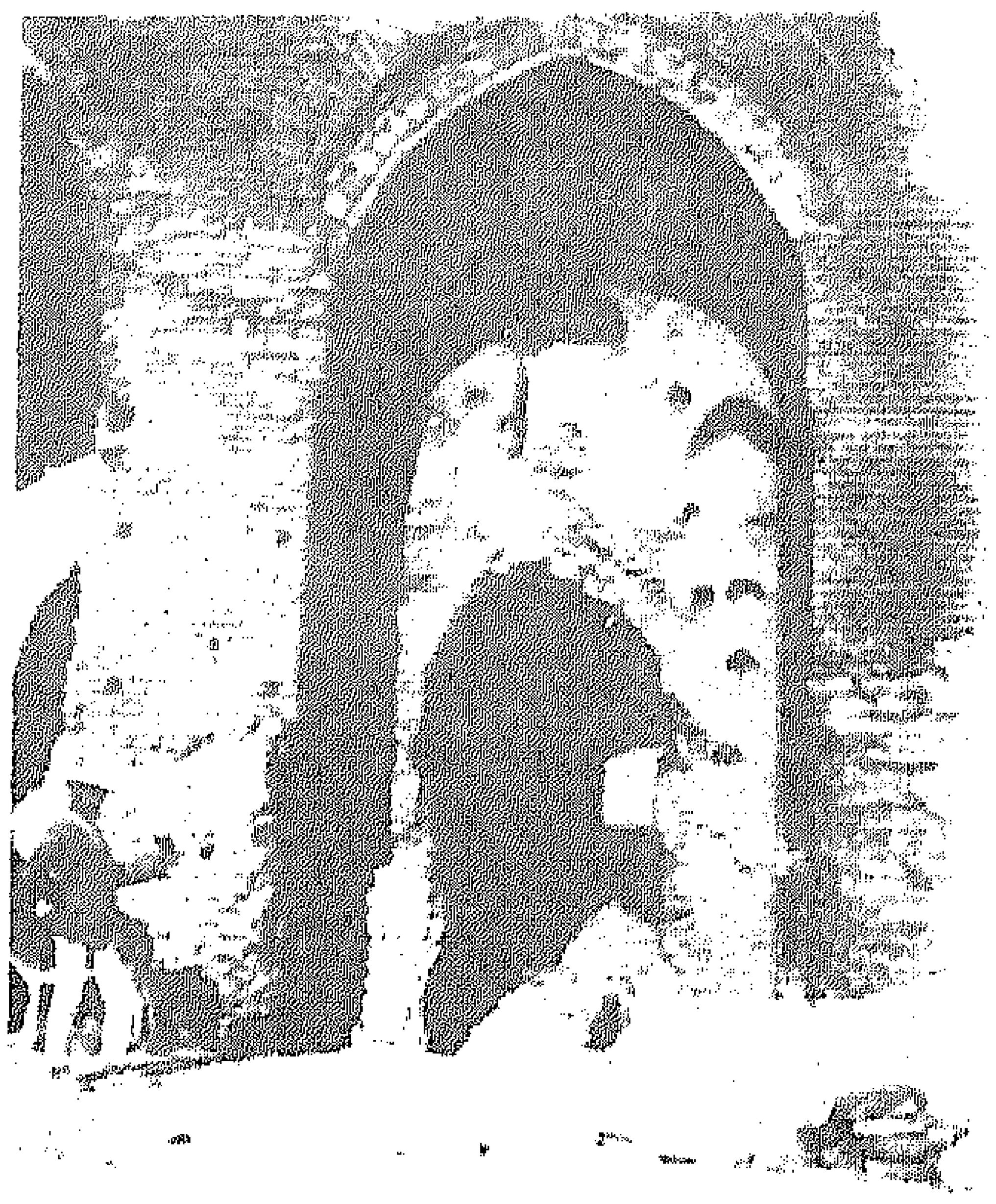

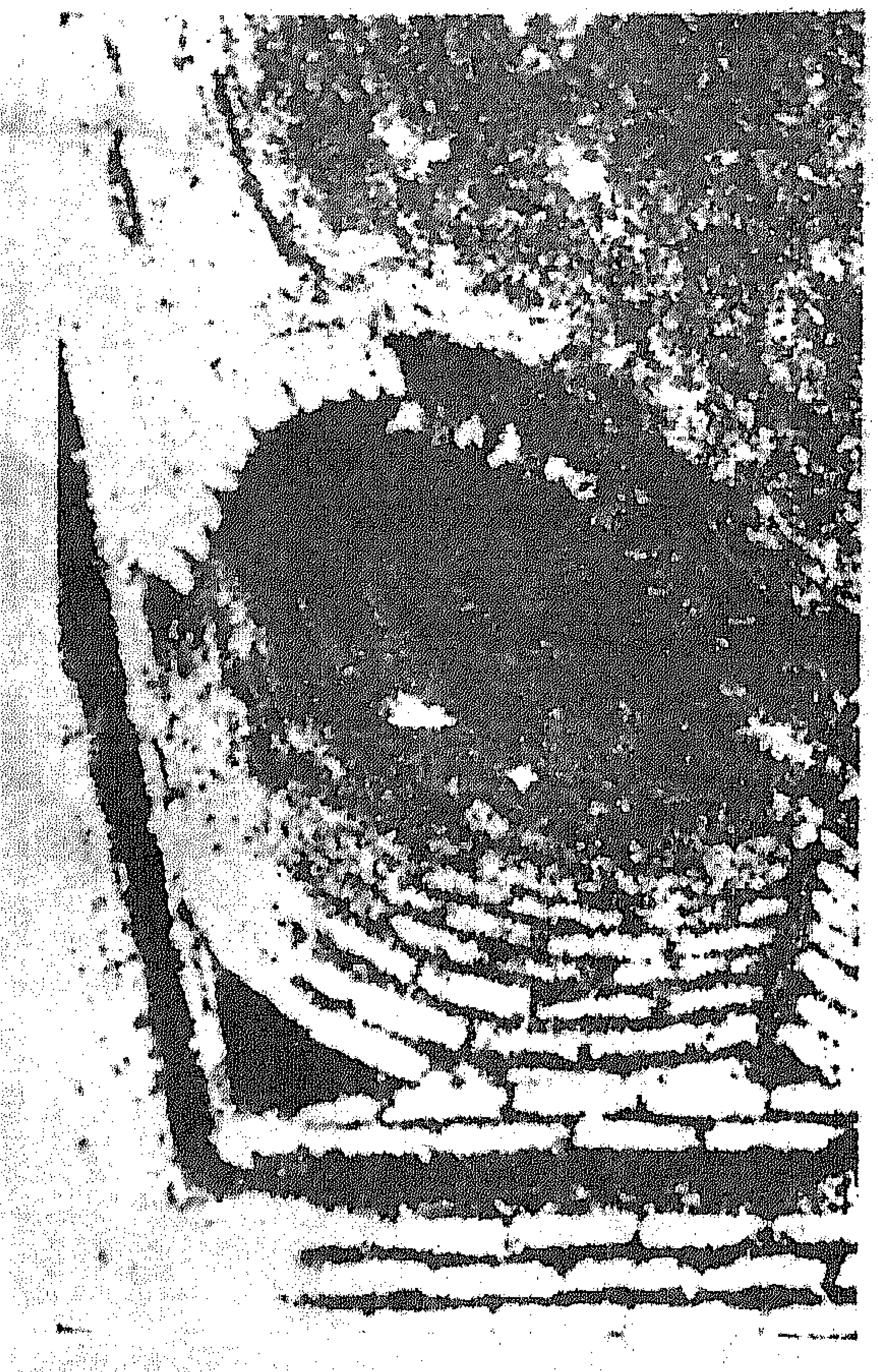

ش ٩١ ـ سامراء : الحنية الركنية في باب العامة
في قصر الجوسق الخاقاني

٩٥ ـ مقرنص قبة مسجد القيروان الجامع
رسم تخطيطي
(عن مارسيه)

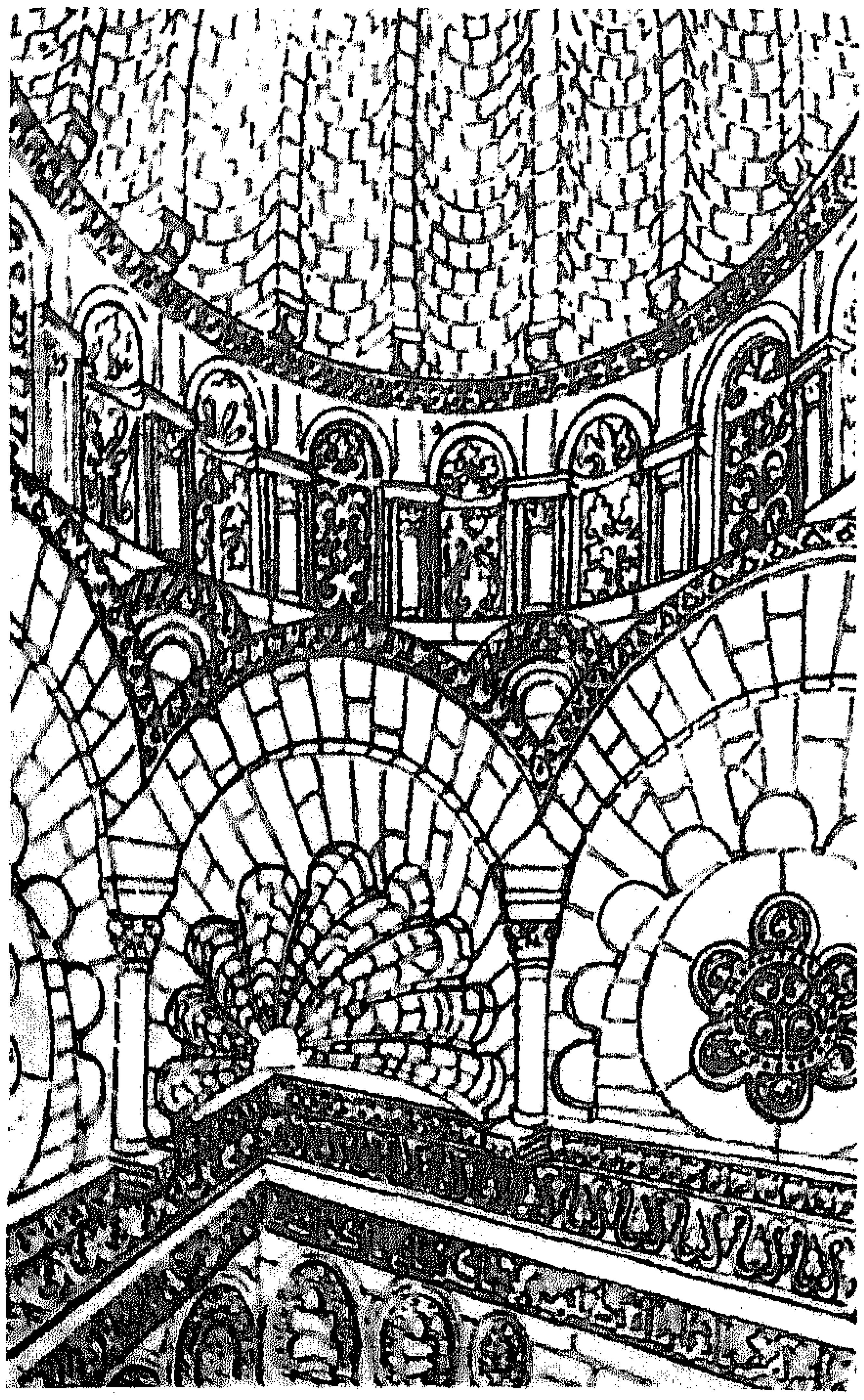

٩٦ ـ مقرنص قبة ام الاود

(عن كوسته)

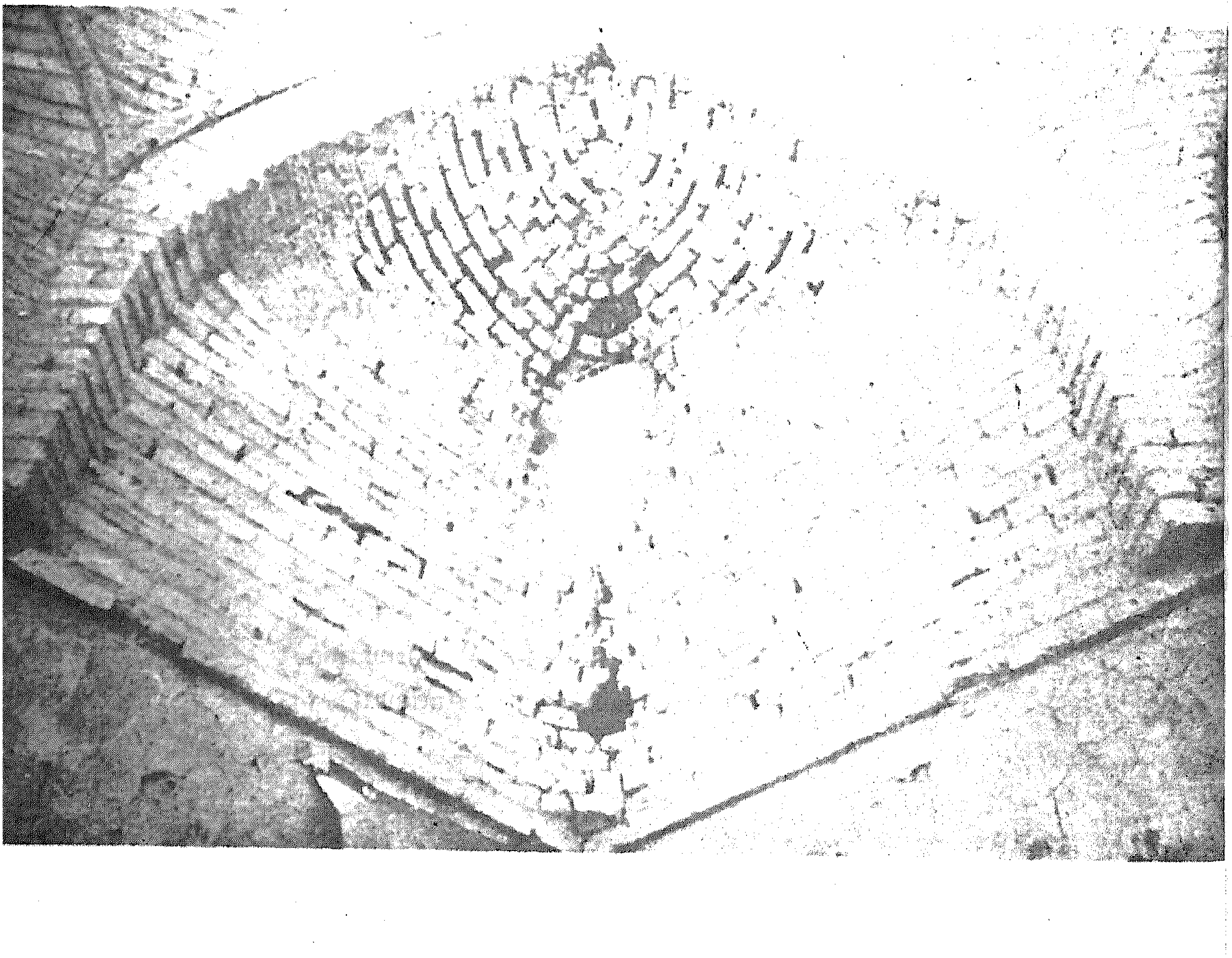

IRAQI MAUSOLEUMS WITH CONICAL DOMES

By

ALA AL — DIN AHMAD
AL — ANI

REPUBLIC OF IRAQ

Ministry of Culture and Information
State Organization of Antiquities
and Heritage

دار الحرية للطباعة

Republic of Iraq
Ministry of Culture & Information
State Organization of Antiquities & Heritage

IRAQI MAUSOLEUMS WITH CONICAL DOMES

BY

ALA AL- DIN AHMAD AL- ANI

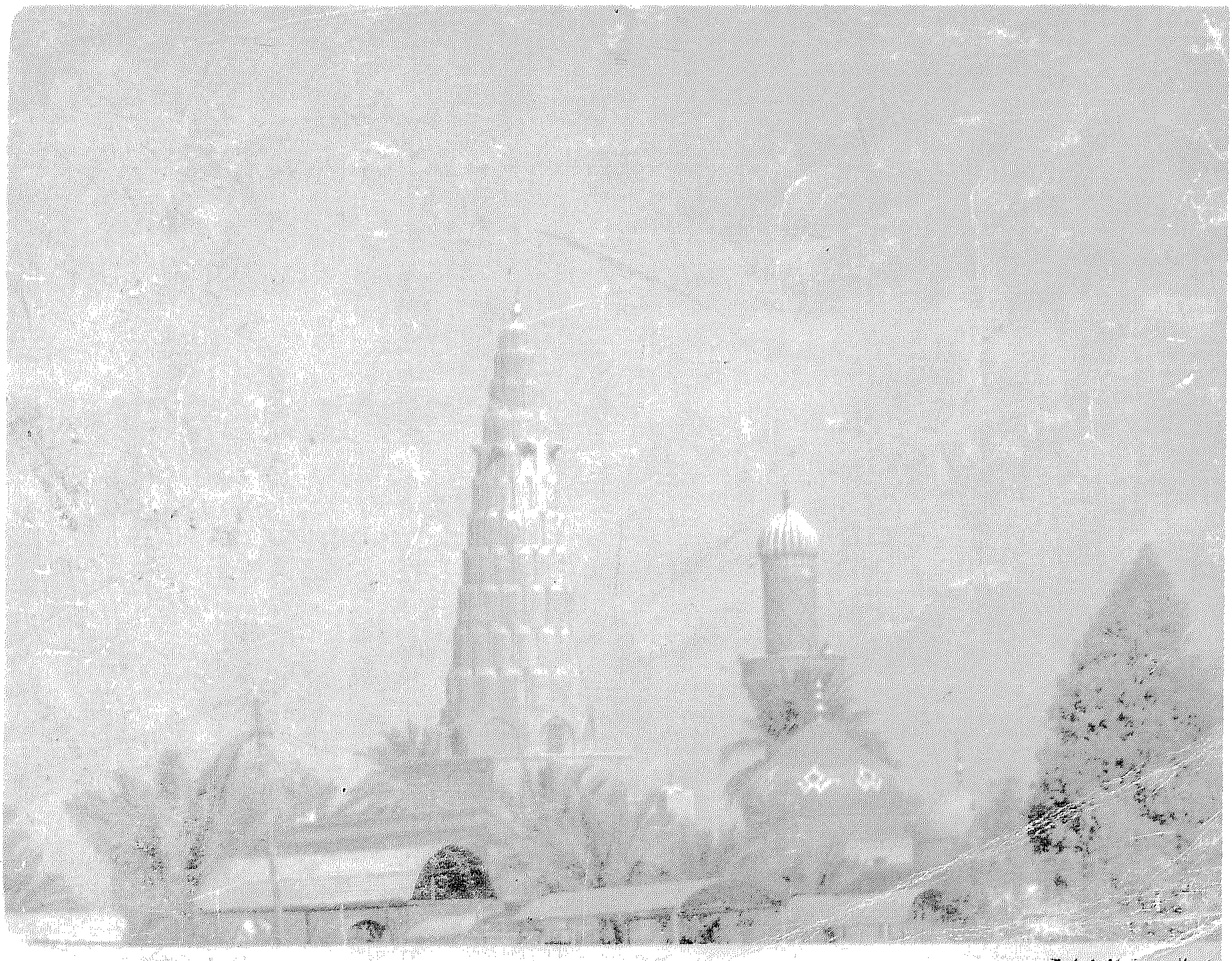

دار الحرية للطباعة

تصميم الغلاف سمير العمراني